

مِفْرَقُ الْعَصْرِ الْخَشِيبِ

تأليف

الدكتورة سيدة خليل كاشف

المدرسة بمعهد التربية للعلوم الإنسانية ببرايم باشا الكبير
دكتورة في الآداب بتقديم ممتازة من جامعة فؤاد الأول
و دبلوم باعديا من معهد التربية للعلوم الإنسانية

طبعة جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى ١٩٠٠

مصر في عصر الاخشيديين

مِصْرُ فِي عَصْرِ الْاِخْشِيَّاتِ

تأليف

الدكتورة سيدة سميل كاشف

المدرسة بمعهد التربية للعلماء بجامعة ابراهيم باشا الكبير
دكتورة في الآداب بتقدير ممتاز ، وماجستير برتبة الشرف الأولى
وليسانس ممتازة من جامعة فؤاد الأول
ودبلوم بامتياز من معهد التربية للعلماء

مطبعة جامعة فؤاد الأول

القاهرة — ١٩٥٠

الفهرس

تصدير

صحيغة

- ١ موضوع السكتاب ، المصادر الرئيسية ، قلة الوثائق المحفوظة ، الأوراق البردية ،
كتب السكة ، السكتابات الأثرية ، السكندى ، ابن زولاق ، المسبحى ،
ابن سعيد ، ابن ظافر الأزدي ، المقرئى ، أبو المحاسن ، السيموطى ، عريب
ابن سعد ، المسعودى ، مسكويه ، هلال الصابى ، يحيى بن سعيد الانطاكى ،
ابن الأثير ، أبو الفداء ، الذهبي ، جوتشلك ، منز ، مؤامات المحدثين .

مقدمة

١١

تفكك الامبراطورية الاسلامية

الباب الأول

مصر قبيل قيام الاخشيد

- ١٧ زوال الدولة الطولونية وعودة مصر الى الخلافة العباسية
٢٠ ثورة ابن الخليج
٢٤ الحلقة الأخيرة من الولاة العباسيين فى مصر
٢٦ هجوم الفاطميين على مصر سنة ٣٠١ هـ
٣٢ هجومهم عليها سنة ٣٠٧
٣٧ الماذرائيون
٣٨ الماذرائى الأطروش
٣٩ على بن احمد الماذرائى
٤٠ محمد بن على ابن احمد الماذرائى
٤٥ الحسين بن احمد الماذرائى المعروف بأبى زنبور

الباب الثاني

أسرة الاخشيد

أسرة الاخشيد ٥٥

الباب الثالث

علاقة الأمراء الاخشيديين بالدولة العباسية

تولية محمد بن طعج الاخشيد ٦٩
 تثبيت ابن طعج واتساع سلطانه ٧٦
 خلفاء الاخشيد وعلاقة مصر بالخلافة في عهدهم ٩٣
 العلاقة المالية بين مصر والخلافة في العصر الاخشيدى ١٠٣

الباب الرابع

الأمراء والبلاط

محمد بن طعج الاخشيد ١١١
 كافور وأولاد الاخشيد والامراء الاخشيديون ١٢٥
 موظفو البلاط ١٤٩
 الحاجب ١٤٩
 الحرس الخاص ، الخازن ، طبيب البلاط ١٥١
 سائر الوظائف ١٥٢

الباب الخامس

الادارة والموظفون

الوزير ١٥٥
 الكاتب ١٦٥
 ولاة الاقاليم ١٦٩
 صاحب الشرطة ١٧٢
 حامل الخراج ١٧٦
 ممثل الامير في بغداد ١٧٩
 صاحب الطراز ١٨٠

١٩١	متولى دار الضرب
١٩٧	وظائف أخرى وملاحظات عامة على الإدارة

الباب السادس

القضاء والمظالم والحسبة

[illegible]

الباب السابع

دراسات في المجتمع المصري على عهد الاخشيديين

[illegible]

الباب الثامن

الآثار والفنون

[illegible]

الباب التاسع

الفقهاء والعلماء والأدباء

٣٠٥	الفقهاء .
٣١١	الأدباء .
٣٢٦	العلماء .

الباب العاشر

السياسة الداخلية

٣٣٢	السياسة الدينية .
٣٣٨	الأمن .
٣٤١	السياسة المالية .

الباب الحادى عشر

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمى

٣٤٩	مع الحمدانيين .
٣٥٥	مع البيزنطيين .
٣٥٨	مع النوبيين .
٣٦٠	مع الفاطميين .

الخاتمة

٣٧١	الخاتمة .
٣٧٩	المراجع العربية .
٣٨٧	المراجع الافرنجية .
٣٩٥	فهرس الاشكال واللوحات
٣٩٧	كشفاف
٤١٩	تصويب

خريطة مصر السفلى وإقليم الفيوم .
 خريطة الامبراطورية العباسية فى القرن الرابع الهجرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصـدير

موضوع هذا الكتاب « مصر فى عصر الاخشيديين » ، أى تاريخ مصر الإسلامية فى فترة أربع وثلاثين سنة من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، أو على وجه التحديد بين عامى ٣٢٣ و ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) .

وقد دفعنى إلى الكتابة فى تاريخ هذه الفترة رغبتى فى أن يستكمل المؤرخون المصريون المحدثون دراسة تاريخ مصر الإسلامية فى مراحلها المختلفة . وقد قام أساتذة كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول وقام تلاميذهم من أبناء هذه الكلية بنصيبتهم فى هذا الميدان ، فكتبوا فى تاريخ مصر فى عصور الطولونيين والفاطميين والمماليك . وأتيح لى شرف المساهمة فى هذا المضمار بالكتابة فى تاريخ مصر فى فجر الإسلام أى منذ الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية . ورأيت بعد ذلك أن عصر الاخشيديين لم يظفر حتى الآن بدراسة علمية مفصلة على الرغم مما له من شأن فى تاريخنا الإسلامى بوصفه — بعد العصر الطولونى — الفترة التى وضع فيها أساس استقلال مصر عن الخلافة ، والتى مهدت للفتح الفاطمى وقيام خلافة فى وادى النيل تناهض الخلافة العباسية وتجعل مصر قطب الرعى فى تاريخ الشرق الإسلامى .

وقد بدأت الكتاب ببحث مفصل فى تاريخ الفترة الواقعة بين سقوط بنى طولون وقيام الدولة الاخشيدية ، لأن تاريخ الاخشيديين لا يفهم حق الفهم قبل دراسة تلك الفترة التى مهدت لقيام محمد بن طنج الاخشيد والتى تربطها بتاريخ الاخشيديين أواصر وثيقة .

وحملت نفسى فى هذا الكتاب على الإيجاز فى عرض النظريات العامة والآراء
الفقهية التى ترد فى كتب التاريخ ، ويمكن الاستفادة منها فى دراسة النظم الإسلامية بوجه عام .
ورأيت أن ألزم دراسة الأحداث التاريخية ونظم الحكم وأحوال المجتمع فى العصر
الذى نحن بصددده وأن أظن فى سرد القصص والحوادث التى تستنبط منها الحقائق
التاريخية عن هذا العصر .

أما المصادر التى رجعت إليها فكثيرة ومتنوعة . ولكن بعضها يستحق أن أخصه
ببعض الإشارة فى هذا التصدير . ولست أعرض هنا للمعاجم وكتب التراجم والموسوعات
والمؤلفات الأساسية فى التاريخ والأدب وتقويم البلدان والفقه ، وما إلى ذلك ، مما لا بد
من الرجوع إليه لكل باحث فى التاريخ الإسلامى ، فسوف يأتى ذكرها جميعاً
فى حواشى الكتاب وفى ثبت المراجع فى نهايته .

ومما يلاحظ فى مصادر التاريخ الإسلامى بوجه عام قلة الوثائق المحفوظة التى يمكن
الاعتماد عليها والتى تعتبر عادة أهم المصادر لدراسة المجتمع . والواقع أن مثل تلك
الوثائق الإدارية والقضائية والمكتابات الخاصة تصور لنا حياة الشعوب تصويراً دقيقاً
على نحو ما نرى فى تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . ولكن كثيراً من الوثائق المحفوظة
فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية مصدره الكنيسة والامارات الاقطاعية وهيئات
المدن والصناع وما إلى ذلك من الهيئات التى كانت تعنى بالاحتفاظ بمثل هذه الوثائق
التي تنكسها حقاً أو تثبت تقليداً . أما فى الإسلام فكان المرجع فى نظام المجتمع فيه
إلى القرآن الكريم والسنة ، ولم تكن ثمة حاجة إلى مثل تلك الوثائق ، ولذلك كانت
الوثائق التى وصلت إلينا من تاريخ الإسلام فى العصور الوسطى ووثائق حكومية وليس
من بينها وثائق كثيرة هيئات مختلفة من المجتمع يمكن أن نستنبط منها شيئاً كثيراً
عن حياة الشعب ، فضلاً عن أنها بوجه عام ليست من الكثرة بحيث نستطيع
أن نستنبط منها أحكاماً عامة مطمئنين إلى أن مثل هذه الأحكام لا تكون خاصة
بمحالات استثنائية .

ومهما يكن من الأمر فقد أفدت في دراسة العصر الاخشيدى من بعض ما جاء في الأوراق البردية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، والتي نشرها الأستاذ أدولف جرومان ، ومن بعض نصوص في أوراق بردية لم ينشرها الأستاذ جرومان بعد ولكنه تفضل فأطلعني عليها . وأفدت أيضاً من نصوص أوراق بردية محفوظة في مجموعة الأرشيدوق رينر بالمكتبة الأهلية في فيينا .

ورجعت إلى ما ألف من الكتب عن السكة الإسلامية لكشف المعروف من النقود الاخشيدية ومحاولة استنباط بعض الحقائق التاريخية من الأسماء والنصوص المنقوشة عليها .

وأفدت كثيراً من الحواشي والبيانات التي دونها فإن برشم وثيبت في الجزئين الخاصين بمصر من كتاب جامع الكتابات العربية (Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte) ، كما اعتمدت على بعض الكتابات الأثرية التي جمعها سوفاجيه وكومب وثيبت في السجل التأريخي للكتابات العربية (Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe) .

أما ما كتب عن الأخشيديين في المراجع التأريخية القديمة فنوعان : الأول ما كتبه المؤرخون المصريون في العصور الوسطى الإسلامية ، وطبيعي أنهم يمثلون وجهة النظر المصرية وأن تاريخ مصر نفسه هو أساس ما كتبوه ، ولكنهم يعرضون لتاريخ الخلافة وسائر ديار الاسلام ولا سيما ما يتصل منه بتاريخ مصر ، والثاني ما جاء في مؤلفات المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الخلافة والامبراطورية الإسلامية بوجه عام ، وطبيعي أنهم يمثلون وجهة نظر الخلافة ، ولكنهم يعرضون أحيانا لتاريخ الاخشيديين ، ولا سيما ما يتصل بعلاقاتهم بسائر ديار الاسلام . ولا شك في أن كلا النوعين يكمل أحدهما الآخر .

ومن يمثل النوع الأول الكندي وابن زولاق والمقرئ وأبو المحاسن والسيوطي . أما الكندي فقد عاصر الاخشيديين وتوفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، وسوف نفصل الكلام عليه في الباب الذي سنعقده في هذا الكتاب للحديث عن العلماء والأدباء . وكتابه

الأساسى الذى وصل إلينا هو كتاب الولاية وكتاب القضاة الذى نشره المستشرق
الانجليزى رثن جست (Rhuvon Guest) سنة ١٩١٢ ، وقد تحدث الكندى
فى كتاب الولاية عن تاريخ مصر منذ فتحها العرب حتى وليها أبو القاسم
أونوجور بن الاخشيد سنة ٣٣٥ ، فهو مرجع معاصر عظيم الشأن فى تاريخ الفتح
الذى سبقت قيام الدولة الاخشيدية وفى تاريخ الاخشيد نفسه . أما تاريخ خلفاء الاخشيد
فان الكندى لم يعرض له . والمعروف أن ابن زولاق كتب ذيلًا لكتاب الكندى
أتم فيه تاريخ الدولة الاخشيدية ووصل إلى بداية الدولة الفاطمية فى مصر ، ولكن
الراجح أن التذييل الذى نشر فى طبعة جست من كتاب الولاية ليس هو التذييل
الذى كتبه ابن زولاق وإنما هو لمؤلف مجهول . وسوف نعرض لهذه المسألة عند ما نقف
للموازنة بين بعض النصوص التاريخية بشأن التكييف القانونى لحكم كافور . وتحدث
الكندى فى كتاب القضاة عن ولى القضاة فى مصر من سنة ٢٣ هـ إلى سنة ٤٦ هـ
ولكن أحمد بن عبد الرحمن بن برد كتب ذيلًا له انتهى به إلى سنة ٣٣٦ هـ ، وقد أفدت
من هذا الذيل كما أفدت من الملاحق الذى نشره جست واستوفى به أخبار القضاة الذين
ولوا بمصر بين سنتى ٢٣٧ و ٤١٩ نقلا عن كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر
لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، وكتاب النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار
قضاة مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف بن شاهين سبط ابن حجر ، وكتاب تاريخ
الاسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

ولكن أهم مرجع فى تاريخ الاخشيديين هو ابن زولاق لأنه كان معاصرا له
وعنى بتاريخهم عناية خاصة فقد ولد سنة ٣٠٦ هـ وتوفى سنة ٣٨٧ هـ وسوف نقف
عليه أيضا فى الفصل الذى نعقده فى هذا الكتاب للعلماء والأدباء فى العصر الاخشيدى
والذى يعيننا هنا من آثاره العلمية كتابان : الأول سيرة الاخشيد والثانى أخبار سعيد بن
المصرى . أما كتاب سيرة الاخشيد فقد ذكره ياقوت فى ترجمته لابن زولاق
فى معجم الأدباء (ج ٧ ص ٢٢٥ وما بعدها) وذكره ابن سعيد فى كتاب المغرب
(ص ٤ — ٥) والمقرئ فى الخطط (ج ٢ ص ٢٥ و ١٨١) . ولكن هذا الكتاب

لم يصل إلينا مستقلاً قائماً بذاته وإنما نقله ابن سعيد المؤرخ المغربي في كتابه « المغرب في حلى المغرب » والواقع أن سيرة الاخشيد لابن زولاق قوام جزء كبير من السفر الرابع من كتاب المغرب سماه ابن سعيد « كتاب العيون الدعج في حلى دولة بنى طنج » ونقل فيه فضلاً عن سيرة الاخشيد لابن زولاق أخباراً عن الاخشيديين من تاريخ الكامل لابن الأثير ومن تاريخ مصر للقرطبي .

وقد نقل ابن سعيد عن الحسن بن زولاق أن الذى دعاه إلى كتابة سيرة الاخشيد أنه قرأ سيرة هذا الأمير بقلم محمد بن موسى بن المأمون الهاشمي وأتى على عيوبها . والظاهر أن الهاشمي كتبها للاخشيد في آخر أيامه ليتقرب بها إليه ولكن الاخشيد أدرك أنها أقرب إلى الذم منها إلى المدح لأن المؤلف أطنب في ذكر نفقائه واقتصاده وحاميه ومحبيه للسلم والصفوح ولم يذكر « أبوته ولا موضعه ولا ولاياته ولا حروبته ولا سفراته ولا أفعاله مع أعدائه » . ولذا فقد منع الإخشيد الناس من نسخ هذه السيرة التي كتبها الهاشمي . وبعد وفاة الإخشيد طلب ابنه الأمير على ابن الإخشيد من ابن زولاق أن يكتب سيرة أبيه فكتب ابن زولاق الكتاب الذى نحن بصددده . وقد أعجب به على بن الإخشيد ووالدته وأجزلا العطاء لابن زولاق وكانا يصلانه كل عام .

ولكن النسخة التي نقلها ابن سعيد من سيرة الاخشيد لابن زولاق ليست هي النسخة التي قدمت لعلي بن الإخشيد وإنما هي النسخة التي زاد فيها ابن زولاق « أشياء بعد وفاة على بن الاخشيد »^(١) والراجح أن ابن زولاق تأثر في بعض هذه الزيادات باتصاله بالفاطميين وعمله على التقرب إليهم ، والحق أن كلامه على ما حل بجثة الاخشيد وبعض إشارات أخرى في كتابه لا ينتظر أن يتضمنها كتاب عن الاخشيد يقدم الى ابنه ويحوز رضاه . وفضلاً عن هذا فإن سيرة الاخشيد لابن زولاق — كما نقلها ابن سعيد — تبدو لنا مفككة الأطراف ضعيفة التأليف ، بل تبدو مجموعة من الجزازات غير المرتبة ، غنية بالبيانات والاخبار والحقائق التاريخية ولكن بغير ترتيب موضوعي أو تاريخي .

أما « كتاب أخبار سيديو المصري » فقد جمع فيه ابن زولاق نوادر زميل له في الدراسة وهو سيديو الذي كان يعتبر من عقلاء المجانين وكانت له حوادث ونوادر طريفة مع الأمراء والعظماء والعلماء ، كما كانت له تعليقات على ما يراه من أحداث أو يعاينها من أخبار . وطبيعي أن مثل هذا الكتاب يكشف ، بطريق غير مباشر عن كثير من النواحي الاجتماعية والعلمية والأدبية في العصر الاخشيدى .

ومن المؤرخين المصريين الذين عرضوا لتاريخ الدولة الاخشيدية عز الملك المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ . وكانت له مع الحاكم بأمر الله مجالس ومحاضرات . وأهم آثاره العلمية « كتاب أخبار مصر » تحدث فيه عن حكمائها إلى سنة ٤١٤ هـ ^(١) . وفي مكتبة الاسكوريال أجزاء مخطوطة من هذا الكتاب . ولكن الذي يعيننا هنا أن المؤرخين المصريين بعد العصر الفاطمي — ولا سيما المقرئى وأبو المحاسن — كانوا يعتمدون على كتاب المسبحي وينقلون عنه .

وثمة مؤرخ مغربي هو ابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣ ، وقد ولد في غرناطة سنة ٦١٠ وتلقى العلم في اشبيلية ^(٢) . ونستطيع أن نلحقه بالمؤرخين المصريين — فيما يخص الكتابة على الدول الطولونية والفاطمية والأيوبيه — لأنه وصل إلى مصر سنة ٦٣٩ وأقام فيها بضع سنوات واتصل ببعض أمرائها وساهم بالكتابة في تاريخها . وقد مر بنا أنه نقل في كتابه « المغرب في حلى المغرب » سيرة الاخشيد التي كتبها ابن زولاق . ونضيف هنا أن السفر الرابع الذي نشره المستشرق تلاكوست من هذا الكتاب يضم — عدا سيرة الاخشيد — نبذا عن الأدباء والعلماء وأعلام رجال الدولة في مصر الاسلامية وقد نقلها ابن سعيد عن القرطى والمسبحي وغيرها ، وقد أفدنا كثيرا من هذه المقتطفات في دراسة رجال العلم والأدب والسياسة في العصر الاخشيدى .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١٥

(٢) ابن شاكر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٩

ومن المراجع الثمينة في تاريخ الدولة الاخشيدية ما كتبه جمال الدين على بن ظافر الازدى المصرى . وقد ولد هذا المؤرخ سنة ٥٦٧ هـ واتصل بالأمرء الايوبيين وولى الوزارة لبعضهم ثم توفى سنة ٦٢٣ هـ وأهم آثاره العلمية كتاب الدول المنقطعة^(١) ، ويضم تاريخ الدول الحمدانية والساجية^(٢) والطولونية والاشيدية والفاطمية وتاريخ الدولة العباسية إلى سنة ٦٢٢ هـ . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا في مكتبة (Ghota) غوطا في ألمانيا وفي المتحف البريطانى ، ولكن الجزء الخاص بالدولة الساجية فيه نشر في مدينة بون على يد المستشرق فريتاج ، كما أن الجزء الخاص بالدولتين الطولونية والاشيدية نشره المستشرق وستنفلد سنة ١٨٧٥ في كتابه عن ولاية مصر^(٣) . وقد نقل وستنفلد هذا الجزء من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) . واعتمدت في هذا الكتاب على الجزء الذى نشره وستنفلد ورجعت إلى صفحاته المطبوعة ومع ذلك فلم يفتنى الرجوع إلى الصورة الشمسية المحفوظة في دار الكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطانى يضم تاريخ الدولة الاخشيدية وتاريخ بعض الدول الاخرى في كتاب ابن ظافر^(٤) . وتبين لى أن هذه النسخة المحفوظة في المتحف البريطانى تمتاز بزيادات يسيرة عما نشره وستنفلد ، ولسنا ندري هل يرجع هذا إلى نقص في مخطوطة غوطا أو إلى أن وستنفلد حذف فيما نشره جزءا من القسم الخاص بتاريخ الدولة الاخشيدية في المخطوطة المذكورة . ومهما يكن من الامر فقد أفدت من تلك الزيادات وفصلت الكلام عليها في موضعها من الكتاب .

أما تقي الدين المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فقد عرض لتاريخ الدولة الاخشيدية في كتابين من كتبه : الأول « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » والثانى « انعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » . وقد نقل المقرئى في الكتاب الأول

(١) المرجع نفسه ج ٢ ص ٥١

(٢) في اذريجان أنظر Zambaur : Manuel de Généalogie p. 179

(٣) F. Wustenfeld. Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen 111 pp. 58-62 & IV pp. 57-62.

(٤) دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ . وفي مجموعة الصور الشمسية بجامعة الدول العربية صورة أخرى من هذه المخطوطة .

معظم تاريخ الفترة التي سبقت قيام الدولة الاخشيدية وتاريخ الدولة الاخشيدية نفسها عن كتاب الولاة للسكندى^(١)، وعن الذيل الذي كتبه ابن زولاق لهذا الكتاب، ونقل عن ابن زولاق ما كتبه عن أسيرة الماذرائيين التي سيأتى الكلام على ما كان لها من شأن في الحياة المصرية العامة من العصر الطولوني إلى نهاية العصر الاخشيدى. أما كتاب اتعاض الحنفا فقد أفدت منه فى دراسة علاقة الاخشيديين بالفاطميين إلى أن تم للفاطميين الاستيلاء على مصر.

ومن المؤرخين المصريين الذين كتبوا فى تاريخ الاخشيديين أبو المحاسن بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٨٩ م). وقد تقلد بعض المناصب الرفيعة فى الدولة على عهد السلطان المملوكى برقوق وابنه السلطان فرج ودرس على أعلام المؤرخين فى ذلك العصر ولا سيما المقرئى والعينى وابن حجر^(٢). وأهم آثاره العلمية كتاب «النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة» ويشمل تاريخ مصر من الفتح الإسلامى إلى سنة ٨٥٧ هـ. وعلى الرغم من أنه لا يعد أصيلاً إلا فى كتابته عن عصر المماليك وأن ما كتبه عن العصور السابقة نقله عن سبقوه من المؤرخين، أقول إننى مع ذلك أفدت منه فى الكتابة عن الاخشيديين فائدة جليلة.

ورجعت إلى كتاب حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فأفدت منه كثيراً فى الكلام على الفقهاء والشعراء والعلماء والأدباء فى العصر الاخشيدى.

أما المؤرخون الذين كتبوا فى تاريخ الخلافة عامة فقد أفدت من بعضهم ولا سيما فى دراسة العلاقة بين الاخشيديين والخلافة. فرجعت الى الذيل الذى كتبه عريب ابن سرعد على تاريخ الطبرى وانتهى فيه الى سنة ٣٩٥ هـ. كما رجعت الى كتاب مروج الذهب

(١) راجع عن العلاقة بين السكندى والمقرئى مقال الأستاذ فييت فى العدد الثانى عشر (١٩١٦ م) من مجلة الجمعية العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale.

(٢) G. Wiet : L'Historien Abul-Mahasin (Bulletin de l'Institut d'Egypte T. XII) pp. 89-105.

ومعادن الجواهر وكتاب التنبيه والاشراف وكلاهما للمسعودي الذي عاصر صدر الدولة الاخشيدية وزار مصر عدة مرات وأقام بها فترة من الزمن قبل وفاته سنة ٣٤٦ هـ .

وعرض مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) لتاريخ الدولة الاخشيدية في بعض المواضع من كتاب « تجارب الأمم » .

أما هلال الصابي المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ^(١) فقد خلف لنا في كتابه « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » بيانات دقيقة عن أخبار الوزراء وأعمالهم المالية والإدارية وعلاقاتهم بأنحاء الإمبراطورية الإسلامية . فأفدت كثيرا في دراسة أسرة الماذرائيين وعلاقة مصر بالخلافة في العصر الاخشيدى .

وكتب يحيى بن سعيد الانطاكي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ذيلًا على تاريخ ابن البطريق وقد أفدت منه في دراسة علاقة الاخشيديين بأهل الذمة في مصر . أما ابن الأثير وأبو الفدا والذهبي فلا حاجة بنا إلى التعريف بهم ، وحسبنا أن نشير إلى ما أفدنا من توارخهم في علاقة الاخشيديين بالخلافة وبالجمادانيين .

وقد رجعت إلى عدد كبير من مؤلفات المحدثين من مصريين ومستشرقين وسوف يأتي ذكرها جميعاً في ثبت المراجع في نهاية الكتاب . ولسكننا نشير هنا إلى كتاب « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » للاستاذ آدم متر لأنه رجع إلى مخطوطات في دور الكتب الأوربية ، وأشارت إلى ما نقله من بعض تلك المخطوطات التي لم أستطع الرجوع إليها .

ومن المراجع الحديثة التي أفدنا منها فائدة طيبة الرسالة التي كتبها عن الماذرائيين المستشرق الألماني جوتشالك (Hans Gottschalk) سنة ١٩٣١ م . وقد عرض فيها

(١) راجع ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٢ والأب لويس شيخو اليسوعي :

هلال الصابي وتآليفه (في مجلة المشرق ، السنة السادسة سنة ١٩٠٣) ص ٤٦٦ — ٤٧٥

لتاريخ هذه الأسرة ورجع إلى كثير من المصادر التاريخية القديمة ولا سيما قطعتين كبيرتين من كتاب المقفى للمقرىزى وقطعة من تاريخ الإسلام للذهبي . وكلها عن تاريخ الماذرائيين . وذيّل جوتشلك رسالته بنشر هذه القطع الثلاث . وقد رجعنا إليها ووازنّا بين ما جاء فيها وما نعرفه من النصوص التاريخية الأخرى ما

سيرة اسماعيل باشا

القاهرة أغسطس ١٩٥٠

مقدمة

تفكك الامبراطورية الاسلامية

وطد الأمويون أركان الامبراطورية الاسلامية فعظمت واتسعت أرجاءها وامتدت من الهند وآسيا الوسطى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، ومن البحر الأسود والبحر المتوسط وجبال البرانس شمالا الى بحر العرب وصحارى السودان جنوبا ^(١) .

ولكن بنى أمية تركوا فيها رغم ذلك بذورا أدت الى التمزق والاضمحلال ، فان التعصب للعرب ألب الموالى وحبهم فى كل خارج على سلطان بنى أمية ، وأذكى الأمويون نار النزاع بين القهطانيين والعدنانيين فظهر أثره فى كل قطر حل العرب به ، كما أن إمعانهم فى اضطهاد بنى هاشم ربط مصيرهم بمصير الموالى فتشهد الأمر للخلافة العباسية وانتقلت العاصمة من دمشق الى بغداد فكان هذا إيذانا ببداية عهد الانقسام والتفرق بين أنحاء تلك الامبراطورية ، لأن قيام العباسيين — كان ثورة من الفرس ضد أهل الشام — الذين قامت على اكتافهم الدولة الأموية . فعلا شأن الفرس وصارت لهم الكلمة الأولى فى الدولة وأمسك البرامكة بأزمة الأمور حتى نكبهم الرشيد . وقد ظهرت الشعوبية بصورة جلية وفرقت البيت الخليفى فانقسم على نفسه وقام النزاع بين الأمين والمأمون وكان له أثره فى تمزيق الوحدة الاسلامية ، فاستقلت جهات من الامبراطورية فى عهد المأمون وأسس والى اليمن فى عهده أسرة بنى زياد التى ظلت تحكم البلاد حتى بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كما أن طاهر بن الحسين والى المأمون استقل بخراسان وأسس الدولة الطاهرية .

(١) أنظر المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٦٤ وابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠ — ١١ ، ومتر : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣ — ٤

وفضلاً عن ذلك فإن العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية الإسلامية أحست بكيانها وساعد على ذلك اتساع الامبراطورية وعجز الخلفاء عن السيطرة على أقطارها المترامية الأطراف .

وكان أول تمزق في الامبراطورية ذيلاً لسقوط بني أمية ، فإن عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام أفلح في النجاة من التعذيب والاضطهاد اللذين حلا بأفراد الأسرة الأموية على يد العباسيين حين آلت اليهم مقاليد الحكم وعم عبد الرحمن شطر مصر ثم أفريقية ثم المغرب ، ولكن أنظاره اتجهت الى الأندلس واتخذها مسرحاً لنشاطه السياسي ، وكان النزاع في شبه جزيرة ايبيريا قائماً بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، أي بين القيسيين واليمنيين ، ونجح عبد الرحمن في التوفيق بين الفريقين حتى استقبلوه ونصبوه أميراً عليهم سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) فأسس إمارة قرطبة ، وانفصلت إسبانيا عن الامبراطورية الإسلامية .

ولم تقلح الحكومة العباسية في أن تعيد الأندلس الى حظيرة سلطانها وظلت أسرة عبد الرحمن الداخل واكتفى بحكامها بلقب الإمارة الى أن جاء عبد الرحمن الناصر فاتخذ لقب الخلافة سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) .

ولم تلبث أفريقية أن نسجت على منوال الأندلس وكان عبد الرحمن بن حبيب والي أفريقية قد ثار على الأمويين سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) وطرد أتباعهم من القيروان ولما انتقل الحكم الى بني العباس ثبتوا عبد الرحمن في ولاية أفريقية ، ومع ذلك فانه أبي الاعتراف بسلطان الخليفة ولكنه فشل وفشلت حركته الاستقلالية . وكان البربر في المغرب يقومون بالثورة بعد الأخرى وتأسست أسرات خارجية كبنى مدرار في سجلماسة وبنى رستم في جنوب تونس والجزائر كما قام بنو أدريس في المغرب الأقصى .

وهكذا لم يبق للعباسيين في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) من الإمبراطورية الإسلامية في المغرب إلا أفريقية (أو تونس الحالية) ، ولم يستطيعوا الاحتفاظ بها إسمياً مدة قرن من الزمان إلا بوساطة أسرة الأغالبة التي ظلت تحكمها (مع سيادة إسمية للخليفة العباسي) من سنة ١٨٤ هـ إلى سنة ٢٩٦ هـ (٨٠٠ — ٩٠٩ م) .

ثم ظهر في الأفق السياسي عامل جديد ، فقد زاد عدد الجند الترك ونما نفوذهم منذ عهد هرون الرشيد ، وشطب المعتصم العرب من ديوان الجيش واستبدل بهم الترك وشيد لهم سامرا . واستفحل أمر أولئك الجند وأصبح في يد زعمائهم مصير الخلفاء .

وكان من أثر ذلك كله أن ضعفت السلطة المركزية ضعفاً ملحوظاً وبدأت سنة جديدة في حكم بعض الأقاليم الإسلامية إذ أصبح الخلفاء يقطعونها أولياء عهدهم ثم بعض قواد الجند . وكان هؤلاء القواد الترك يؤثرون البقاء على مقربة من بلاط الخليفة خشية أن تدبر الدسائس ضدهم أو أن يبعدوا عن مسرح الأحداث السياسية . وكان الخلفاء أنفسهم يرحبون ببقائهم في العاصمة خشية أن يستقلوا بما يولونه من الأقاليم ، فكان الولاة لا يحكمون بأنفسهم بل يوفدون إلى الأقاليم نواباً عنهم ويتلقون منهم ما يتبقى من الضرائب بعد دفع نفقات الإدارة فيدفعون إلى بيت مال الخلافة جزءاً منه . وبدأ هذا النظام في مصر منذ سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م)^(١) وبقى إلى أن وفد أحمد بن طولون إليها نائباً عن واليها القائد التركي . واستغل ابن طولون ضعف حكومة العراق واشتغالها بثورة الزنج في إقليم البصرة فأفلح في الاستقلال عن الدولة العباسية وأسس في مصر الدولة الطولونية التي حكمت من سنة ٢٥٤ إلى سنة ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٥ م) .

على أن ما حدث بمصر قد حدث بغيرها من الأقطار الإسلامية المختلفة فإن أبادانف وإلى همدان في بداية القرن الثالث الهجري استقل بها وخلفه أفراد أسرته بعد أن استولوا على أصفهان ونهاوند .

وقد أخطأ العباسيون كما أخطأ الأمويون من قبل فأمعنوا في اضطهاد العلويين فانتشرت الدعوة لهم في كافة الأقطار كما ظهرت الدعوة القرمطية في البحرين والدعوة الاسماعيلية في سامية بالشام وفي المغرب ، كما أن بعض العلويين نجحوا سنة ٢٥٠ هـ في الاستيلاء على الحكم في طبرستان وبلاد الديلم وجيلان جنوبي بحر قزوين وقد ظلت

(١) أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٣٥

هذه الأسرة العلوية تسود تلك الأقاليم إلى سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) . حين هزم السامانيون آخر ملوكها الحسن بن قاسم .

على أن الشيعة أحرزوا النجاح الأعظم في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري حين خرج الدعاة الاسماعيليون إلى أرض كتامة يبشرون بمذهبهم ويدعون لخليفة من ولد علي وانتهى الأمر بقيام الدولة الفاطمية بالمغرب على يد عبيد الله المهدي . على أن الفاطميين بعد أن تم لهم الأمر لم يكتفوا بالسلطان الدنيوي بل اتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بعد فتح القيروان في سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) وتبعهم عبد الرحمن الناصر في الأندلس فتسمى بأمر المؤمنين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) .

البَابُ الْأَوَّلُ

مصر قبيل قيام الأخشيّة

مصر قبيل قيام الاخشيدي

(١)

زوال الدولة الطولونية وعودة مصر إلى الخلافة العباسية

عادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية في سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) وذلك على أثر سقوط الدولة الطولونية على يد القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب . ولما دخل هذا القائد مدينة الفسطاط دعا على المنابر للخليفة المكتفي بالله^(١) وكتب اليه يبشره بفتح مصر . وأمر محمد بن سليمان باحراق القطائع فأحرقت وأطلق سراح المسجونين ونهب جنده مدينة الفسطاط واستباحوا النساء وأتوا من الفضائع والمنكرات ما تقشعر له الأبدان . بل إن قائدهم نفسه كان مضرب المثل في أخذ المصريين بالشدة والقسوة وحسبنا ما كتبه أبو المحاسن بن تغري بردي في هذا الصدد . قال : « كان محمد بن سليمان هذا لا يسمى باسمه ولا بكنيته وما كان يدعى إلا بالأستاذ ، وكان حكمه في أهل مصر يضرب أعناقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم جوراً ، وتمزيق ظهورهم بالسياط وصلبهم على جذوع النخل ونحو ذلك من أصناف النكال ، ولا زال على ذلك حتى رحل عن مدينة مصر في يوم الخميس مستهل شهر رجب من سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، واستصحب معه الأمير شيبان بن احمد بن طولون وبنى عمه وأولادهم وأعوانهم حتى إنه لم يدع من آل طولون أحداً ، والجميع في الحديد إلى العراق وهم عشرون إنساناً ، ثم أخرج

(١) الولاة والقضاة ص ٢٤٧ ، وينص الكندي على أن محمد بن سليمان دعا للأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده ، لأن الدعاء للخليفة على المنابر لم يبطل خلال الدولة الطولونية وإنما كان يدعى للأمير الطولوني معه . راجع عن العلاقة بين بني طولون والخليفة العباسي : Zaky M. Hassan

Les Tulunides pp. 155.

قوادهم إلى بغداد على أقبح وجه فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وحل بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اللذ ثم سيق جماعة من أصحاب شيان إلى محمد بن سليمان ممن كان أمنهم فذبجوا بين يديه «^(١)» .

وإذا جاز لنا أن نفسر هذا العنف بأنه من الظواهر التي تصحب فترات الانقلاب فيلوح أنه يشهد بأن المصريين كانوا لا يزالون يؤثرون حكم بني طولون على حكم الولاة التابعين للدولة العباسية تماماً والذين لم يكن لهم أى حظ من الاستقلال . والحق أن شعور المصريين هذا يمكن استنباطه من لهجة المؤرخين المصريين — ولا سيما أبو المحاسن^(٢) — في استهجان الفظائع التي ارتكبتها « الأعراب الخراسانية من جنود محمد بن سليمان » . وبعد أن استقر محمد بن سليمان في مدينة القسطنطينية اتخذ بعض الإجراءات لتأمين البلاد وضمان سيادة الأمن فأمر باخراج الأعراب الذين قدموا معه وساعده على القضاء على الدولة الطولونية ، كما عمل على تفريق القواد الطولونيين الذين خرجوا على بني طولون في نهاية حكمهم فبعث بطنج بن جف والياً على قنسرين وأرسل معه طائفة من جنود بني طولون وعين بدر الحمصي والياً على دمشق^(٣) واستطاع بذلك أن يكافئهما على معونته في حملته على مصر ولكنه في الوقت نفسه أبعدهما عن وادي النيل كما أبعد سائر قواد بني طولون ومواليهم .

ثم خرج محمد بن سليمان من مصر في بداية شهر رجب من سنة ٢٩٢ هـ (سنة ٩٠٥ م) وأخرج معه كل من بقى فيها من أتباع بني طولون ومواليهم وكبار الموظفين في دولتهم وسار إلى دمشق ثم حلب حيث وافاه رسول الخليفة يطالبه بتسليم ما كان معه من الأموال والحيل والمنسوجات النفيسة والذهب وغير ذلك مما جمعه من مصر وقد قدر ما اضطر إلى تسليمه من الأموال بنحو مليوني دينار (نحو مليون جنيه)^(٤) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٣٩

(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٣٩

(٣) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٤٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٦ — ١٤٧

ولسنا نظن أن في هذا التقدير شيئاً كثيراً من المبالغة التي ألفناها عند المؤرخين في العصور الوسطى .

وقد اختلف المؤرخون في ولاية محمد بن سليمان على مصر فمنهم من لا يعده من الولاة بل يذكره بوصفه القائد الذي قضى على حكم بنى طولون وأعاد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية ، وأصحاب هذا الرأي يؤيدونه بأن الخليفة المكتفي بعثه لقتال الدولة الطولونية ولم يوله على مصر ولما بلغه فتحها ولى عليها عيسى النوشري ، ولما سكن من المؤرخين من عده والياً عليها « بحكم الفترة القصيرة التي صرف فيها أمورها » ^(١) .

(٢)

ثورة ابن الخليفة

بعد أن انتقل الحكم في مصر من الطولونيين إلى العباسيين على يد القائد محمد بن سليمان ورد كتاب الخليفة المكتفي بولاية أبي موسى عيسى بن محمد النوشري عليها فأرسل إليها هذا الوالي نائباً عنه ، قدم إليها في ١٤ من جمادى الأولى سنة ٢٩٢ هـ ثم وصل إليها عيسى النوشري نفسه في ٧ من جمادى الثانية من السنة نفسها ^(١) . ولما ندرى لماذا بادر هذا الوالي بإرسال نائب من قبله مع أن محمد بن سليمان كان لا يزال يصرف الأمور في البلاد بوصفه قائد الحملة العباسية . ولعله أراد بذلك أن يضع حداً لهذا الحكم العسكري . ومع ذلك فالراجح أن محمد بن سليمان لم يفقد سلطانه حين قدم نائب النوشري وإعما سلمه بعض الأعمال وبقي إلى أن وصل النوشري نفسه فاستقبله وخلع عليه ^(٢) .

وقد كان النوشري من القواد الذين أتوا إلى مصر مع محمد بن سليمان للقضاء على الدولة الطولونية ، وبعد أن تم زوال هذه الدولة خرج عيسى النوشري نحو العراق ولكنه لم يكد يصل إلى دمشق حتى وافاه كتاب المكتفي بولايته على مصر فعاد إليها ^(٣) .

وقد قدم عيسى إلى مصر قبل خروج محمد بن سليمان منها وكانت مدة إقامة محمد بن سليمان في مصر أربعة أشهر خرج بعدها إلى الشام مع جنده وبعض فلول الجيش الطولوني . وقد مر بنا أن رسولا من قبل الخليفة لقيه في الشام برسالة من دار الخليفة ليسلم ماغنمه في مصر من مال وخيل ومنسوجات نفيسة . وطبعي أن هذا الحادث كان له أسوأ الأثر في نفس القائد المنصور وعند حاشيته . وعلى كل حال فقد بادر

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥٨

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٥

(٣) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٤٥

بالانفصال عن ركه ضابط من الجيش الطولوني اسمه ابن الخليج^(١) . أو ابراهيم الخليجي^(٢) أو محمد بن علي الخليج^(٣) أو محمد بن علي الخليجي^(٤) . والتف حول هذا الضابط عدد كبير من الجند والضباط الذين كانوا في خدمة بني طولون قبل زوال دولتهم ، والذين كانوا لا يزالون يذكرون عظمة هذه الدولة ويكرهون أن يغادروا مصر ويخشون ما كان ينتظرهم في العراق . وكان ابن الخليج قبل سقوط الدولة الطولونية من صغار الضباط في قسم من الجيش الطولوني كان يرأسه القائد صافي الرومي الأصل^(٥) .

خرج ابن الخليج من ركب محمد بن سليمان وبايعه من التف حوله من الجند والضباط قائداً عليهم وعقدوا العزم على إحياء الدولة الطولونية وانضم إليهم أنصار جدد ويم جميع شطر مدينة الرملة فهزموا واليها ، وأمر ابن الخليج بالدعوة على منابرها في يوم الجمعة للخليفة ومن بعده لابراهيم بن خمارويه بوصفه أميراً للبلاد ومن بعدها لنفسه بوصفه نائباً عن ابراهيم .

وهكذا نرى أنه أراد أن يبعث دولة الطولونيين وأن يحتفظ بالتبعية الاسمية للخلافة العباسية . ومع ذلك فإن قيام ابن الخليج بمثل هذا العمل في تلك الظروف كان معناه الخروج على الخليفة . ولسنا ندري هل كان ابن الخليج مخلصاً في دعواه لبني طولون أم كانت دعواه لابراهيم بن خماروية (الذي كان حينئذ أسيراً في بغداد) — ستارا لمطامعه الشخصية — ومهما يكن من الأمر فقد أعجب كثير بشجاعته وإقدامه فزاد عدد أنصاره ، ولما علم الوالي عيسى بن النوشري بخروج ابن الخليج جهز جيشاً لمقابلته على حدود مصر الشرقية والتقى الجيشان عند غزة وكان النصر لابن الخليج فاتجه إلى العريش ثم إلى الفرما وتتابعت انتصاراته على فلول الجيش المنهزم ، فاضطر النوشري إلى إعداد جيش آخر ضخم العدد والعدة ، وسار على رأس هذا الجيش إلى مدينة

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥٩

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٩٢ ؛ وابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٣١١

(٣) المقرئ : الخطوط ج ١ ص ٣٢٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٧

(٥) المقرئ : الخطوط ج ١ ص ٣٢٧

العباسة^(١) لملاقاة ابن الخليفة ، ولكنه هزم ولم يجد بدا من الجلاء عن الفسطاط ونزل بجيشه عند الحيزة .

ودخل ابن الخليفة مدينة الفسطاط فأحسن الشعب استقباله ودعا له الإمام على المنبر بعد الخليفة وإبراهيم بن خمارويه ، وعمل ابن الخليفة على تهدئة الأمور والقضاء على الفوضى في البلاد ، وأفلح في جمع الضرائب ، وفي دفع رواتب الموظفين والجند ، وما لبث أن استولى على الإسكندرية واستقر له الأمر في العاصمة والدلتا ، ولكنه رأى أن عيسى النوشري لا يزال والياً على مصر من قبل الخليفة ، وإن يكن قد فر بفلول جيشه في اتجاه الإسكندرية ، فبعث إليه جيشاً بقيادة خفيف النوبى ، ثم تابع ابن الخليفة إرسال الامداد إلى خفيف النوبى برا . كما أرسل إليه محمد بن لجور في ست مراكب بالسلاح والرجال ، ويظهر أن الحرب كانت سجالات بين الجانبين ، جانب عيسى النوشري ، وجانب خفيف النوبى وابن لجور ، ولم ينتصر فيها فريق على الآخر إذ عاد ابن لجور إلى الفسطاط ، وانصرف عيسى النوشري إلى تروجه^(٢) ، وهناك وقعت معركة بين جيشه وجيش خفيف النوبى هزم فيها خفيف وعاد بعدها إلى الفسطاط^(٣) .

ولما علم الخليفة المـكتفى ، بشورة ابن الخليفة أرسل جيشاً بقيادة أبو الأغر وكان في الجيش الأمير أحمد بن كيغلق وهزم ابن الخليفة هذا الجيش شر هزيمة في أوائل المحرم سنة ٢٩٣ هـ^(٤) . وقد عظمت تلك الهزيمة على الخليفة . فأرسل جيشاً ثانياً

(١) العباسة بلدة صغيرة موقعها إلى الشمال الشرقى من مدينة بلبس الحالية سميت باسم عباسة بنت أحمد بن طولون التي شيدت فيه قصراً نزلت به قطر الندى بنت خمارويه في طريقها إلى العراق عند زواجها بالمعتضد . أنظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة العباسة .

(٢) تروجه : بالفتح ثم الضم وسكون الواو وجيم . هذه القرية درست مساكنها الآن ومحليها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضى ناحية زاوية صقر بمرکز أبي المطامير بمديرية البحيرة . أنظر : ابن ممتى : كتاب قوانين الدواوين ص ١٢٢ و ص ٢٢٦ و ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٤ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠ حاشية رقم (٣) وابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٢٤

(٣) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥١

(٤) المرجع نفسه : ج ٣ ص ١٥٣

بقيادة فأتك المعتضدى ، كما أرسل جيشاً بحرياً بقيادة دميانة ، وقد التقى فأتك مع ابن الخليج بالقرب من النورية^(١) ، وروى أن أربعة آلاف من جند ابن الخليج انضموا إلى جيش الخليفة ، وعلى كل حال فقد اضطر ابن الخليج إلى التقهقر ، وتخلي عنه كثير من أتباعه فماد إلى الفسطاط واحتفى عند صديق له ، ولكن خانه هذا الصديق وكشف أمره فقبضوا عليه في رجب سنة ٢٩٣ هـ بعد أن دام سلطانه نحو سبعة أشهر وعشرين يوماً^(٢) .

وأخذ ابن الخليج إلى بغداد ، ووقف بين يدي الخليفة العباسى فعنفه ، ثم طيف به وبأصحابه على ظهور الجمال في بغداد ، ثم قتل شر قتلة^(٣) .

ولا يمكننا أن نفسير نجاح ابن الخليج وتحمديه للحكومة المركزية في بغداد دون أن نأخذ بعين الاعتبار تحمس الشعب المصرى ضد تلك الحكومة التى قضت على دولة لها في مصر طابع قومى ، وكانت الأموال المصرية تنفق على يدها في مصر ولا تنسرب إلى بيت مال الخليفة وجيوب كبار الموظفين في بغداد ، فضلاً عن أن تخريب القطاعات ترك ألماً وحسرة في نفوس المصريين .

على أن فشل ابن الخليج زاد في سوء الحالة التى كانت سائدة في مصر منذ سقوط بنى طولون ، ولا سيما أن النزاع بينه وبين عيسى النوشرى ألقى بالبلاد في هوة من الفوضى وعدم الاستقرار . وفي ذلك يقول أبو المحاسن^(٤) : « فانه — أى ابن الخليج — أراد أخذ ثأر بنى طولون والانتصار لهم غير على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساد الديار المصرية فوقع منه أيضاً أضعاف ما فعله محمد بن سليمان الكاتب وكان حاله كقول القائل :

رام نفعا وضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

(١) إحدى قرى بنى سويف .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٢ — ١٥٤ ، والسكندى ، الولاة والقضاة ص ٢٦٢

(٣) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٦٣ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٤

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٥

(٣)

الحلقة الاخيرة من الولاة العباسيين في مصر

ذكرنا أن أول وال حكم مصر من قبل الخليفة بعد زوال الدولة الطولونية هو عيسى النوشري . وفي ولايته حدثت ثورة ابن الخليج وقد أوجزنا الكلام عليها في الصفحات السابقة . ونضيف هنا أن في ولايته في عهد الخليفة المكتفي ظهر أمر عبيد الله المهدي ، وكان أبو عبد الله الشيعي يدعو له في المغرب ، وحاول الخليفة القبض عليه ولكنه هرب هو وابنه أبو القاسم نزار الذي ولى بعده وتلقب بالقائم .

وقد خرج عبيد الله المهدي من الشام مع ابنه ومعه خاصته ومواليه وعقد العزم على الاتجاه إلى بلاد المغرب . ولما وصل إلى مصر استتر بزى التجار . ووصلت إلى النوشري كتب الخليفة بوصف المهدي والأمر بالقبض عليه وعلى كل من يشبهه . ويظهر أن بعض خاصة هذا الوالي كان متشيعا فأخبر المهدي بذلك وأشار عليه بالرحيل عن مصر فبادر المهدي بمغادرة البلاد . أما النوشري فقد فرق الرسل في طلبه وخرج بنفسه فلحق به وقبض عليه . ولكنه أطلق سراحه ، ويقال إنه رقى لحاله وعطف عليه كما يقال أيضا ان النوشري لاحظ من بعض أعماله أنه ليس شخصا مرييا وربما شجعه هذا على إطلاق سراحه . ولا نستطيع تعليل ذلك تماما ومن المحتمل أن مما دفع عيسى النوشري إلى مخالفة أمر الخليفة رشوة نالها من المهدي الذي كان يحمل معه أموالا كثيرة^(١) . ولعله تأثر أيضا بوساطة بعض خاصته الشيعيين ، وعلى كل حال فقد أصبح المهدي هذا أول الخلفاء الفاطميين وأسس الدولة الفاطمية التي كان مركزها في البداية مدينة القيروان .

وعلى أثر تأسيس هذه الدولة الفاطمية فكر المهدي في غزو مصر وأخذ يضع الخطط لذلك . وهذا طبيعي لدولة فتية تريد أن تنافس بغداد ، إذ أن بلاد المغرب فقيرة بالنسبة لمصر التي تتمتع بالثروة الطبيعية والرخاء فضلا عن موقعها الجغرافي الممتاز .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٣

وعمل عميد الله المهدي على القضاء على دولة الأغالبة التي كانت تعترض طريقه إلى وادي النيل . وتم له سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٦ م) إيقاع الهزيمة بزيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن الأغلب أو زيادة الله الأصغر آخر أمراء تلك الدولة .

وفر زيادة الله إلى مصر ومعه جمع من أتباعه فنزل الحيزة في شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ ، ولم يحسن النوشري الظن به فكانت بينه وبين جند هذا الوالي مناوشة عند الحيزة قبل أن يسمح له بالعبور ليلاً إلى القسطاط^(١) .

وحدث في ولاية النوشري على مصر أن توفي الخليفة المكتفي بالله في ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ ، وبويع جعفر بن أحمد المعتضد ولقب المقتدر بالله فأقر النوشري على ولايتها .

ثم توفي عيسى النوشري في نهاية شعبان سنة ٢٩٧ هـ (٩١٠ م) وكانت ولايته على مصر زهاء خمس سنين وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى النوشري إلى أن قدم الوالي الجديد أبو منصور تكين بن عبد الله من قبل المقتدر . عين في شوال ووصل إلى القسطاط في بداية ذى الحجة . ووجه عنايته منذ البداية إلى دفع خطر الفاطميين في المغرب فجهز جيشاً عقد قيادته لأبي النضر^(٢) أحمد بن صالح بعد أن ولاء على برقة^(٣) . وسار هذا القائد على رأس جيشه إلى مقر عمله الجديد واستتب له الأمر فيه وحسنت سيرته ولكن حباسة بن يوسف الـكتامي كان يقف له بالمرصاد

(١) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٦٧ والمقریزی : الخطط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩١

(٢) هكذا سمي في السكندی (الولاية والقضاء ص ٢٦٨) أما في ابن سعيد (المغرب ص ٨) والمقریزی (الخطط ج ١ ص ٣٢٧) فقد سمي أبا يعن بينما سمي في أبي المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٢) أبا اليمنى .

(٣) نص السكندی في كتاب الولاية والقضاء ص ٢٦٨ على أن أحمد بن صالح هذا كان من الأبناء ولسنا ندري تماماً هل يقصد بذلك أنه كان من السلالة التي ولدت باليمن من الفرس المواجرين إليها أو أنه كان من سلالة أوائل الداعين لنصرة الدولة العباسية أو أنه كان من سلالة سعد بن زيد مناة مع استثناء ولديه كعب وعمرو وهى السلالة التي كان يطلق عليها اسم الأبناء وتسكن سهل الدهناء الرملة . أنظر مقال « الأبناء » في دائرة المعارف الإسلامية .

على رأس جيش بعث به صاحب توزر^(١) في افريقية لحساب المهدي . ولم يفلح حباسة في القضاء على سلطان أحمد بن صالح فليجأ إلى الخدعة ولا سيما حين علم أن تكيئا والى مصر عزم على عزل هذا القائد من ولايته بركة وعلى أن يعقد عليها لقائد اسمه خير المنصوري . وهكذا كتب حباسة إلى ابن صالح يسأله عما يحمله على حربه وهو معزول وبعث إليه بكتاب ورد عليه من مصر بأبناء هذا العزل . وعاد ابن صالح إلى مصر ومد حباسة سلطانه على بركة . ثم خرج إليها خير المنصوري من مصر ومعه عبد العزيز بن كليب الجرشي ، والظاهر أن تكيئا والى مصر أشرك عبد العزيز هذا في حكم بركة مع خير المنصوري . ومهما يكن من الأمر فقد وقع بينهما من الخلاف والمنافسة والجفاء ما مكن حباسة من هزيمتهما والظفر بحكم بركة .

ولم يستطع تكيئا أن يعيد سلطان مصر إلى هذا الاقليم فبعث إلى صاحب افريقية بكتاب على لسان أمير المؤمنين المقتدر يدعو فيه إلى الطاعة والتسك بها^(٢) وكان ذلك في سنة ٣٠٠ هـ (٩١٣ م) . ومما يستحق الذكر أنه جمع وجوه أهل مصر وقرأ عليهم هذا الكتاب قبل إرساله^(٣) . ولعلنا نستطيع أن نستنبط من هذا أن مبدأ الشوري كان يتبع في كثير من الأحيان ، وأن الوالي كان يجمع وجوه القوم ليعرض عليهم بعض الشؤون الرئيسية في البلاد .

وكانت هزيمة المصريين في بركة أكبر حافز للفاطميين على الهجوم على مصر نفسها فوجه إليها المهدي جيشا من افريقية بقيادة ابنه أبي القاسم سنة ٣٠١ هـ وقيل ان سبب تحرك هذا الجيش أن القاسم بن المهدي بعث إلى بغداد بقصيدة يفخر فيها بأسرته وبما فتح من البلاد فأجابه أبو بكر الصولي بقصيدة على وزنها ورويها ومنها :

فلو كانت الدنيا مثالا لطائر لكان لكم منها بما حزنم الذنب

(١) توزر بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وراء مدينة بيلاد الجريد في إمارة تونس الحالية أنظر : أبو عبيد البكري : المغرب ص ٤٨ — ٧٤ والمراكشي : كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٥٨ ، وياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٤٢٨ — ٤٢٩

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٦٨

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٨ — ٢٦٩

فحرك همته هذا البيت ، وقال : « والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه — ان قدرت — وإلا أهلك دونه » ^(١) .

وسار أبو القاسم بجيشه من برقة الى الاسكندرية والفيوم ودان له جزء كبير من مصر فبعث اليه المقتدر بالله جيشا على رأسه مؤنس الخادم من اعلام القواد العباسيين وأفلح هذا الجيش في صد الفاطميين وارغامهم على الجلاء عن مصر ^(٢) .

ولكن الفاطميين لم ييأسوا من فتح مصر نهائيا ، فلما كان العام التالي أى سنة ٣٠٢ هـ أرسل عبيد الله المهدي جيشا كبيرا بقيادة حباسة بلغ عدده في رأى الكندى ^(٣) « مائة ألف أو زيادة عليها » وهو رقم مبالغ فيه . وإن دل هذا على شيء فأنما يدل على أن عدد هذا الجيش زاد بكثير على الجيوش التي وجهها الفاطميون الى برقة ومصر قبل ذلك .

وعلى كل حال فالظاهر أن الفاطميين قدموا الى الاسكندرية هذه المرة بطريق البحر ^(٤) وسقط هذا الثغر في يدهم دون كبير مقاومة ^(٥) ، ولكن قدمت الجيوش من المشرق مددا لتكن والتقت جيوشه بالفاطميين على مقربة من الجيزة وكان النصر حليف المصريين وفر حباسة بفلول جيشه الى المغرب فقتله المهدي .

ومما يستحق الذكر في القتال الذي دار بين الجيشين أن أهل الفسطاط اشتركوا فيه مع الجيش اشتركا مملوحوا وأبلوا فيه بلاء حسنا . وفي ذلك يقول الكندى ^(٦) : « وسار حباسة من الاسكندرية فعسكر بمشتول فنودي بالنفير في الفسطاط يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج إلى الجيزة أحد من الخاصة والعامة ثم انصرفوا عشيا ولم يكن لقاء ، ثم نودي بالنفير من الغد يوم الأربعاء فخرج الناس أيضا

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ٩٩

(٢) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٠ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ٩٨

(٣) الولاة والقضاة ص ٢٦٩

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ١٠٠

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٦) الولاة والقضاة ص ٢٧٠

ثم لم يكن لقاء ثم نودى يوم الخميس فخرج الناس خروجاً لم ير مثله قط في الاجتماع والنشاط وحسن البصيرة وأتاهم حباسة في جيشه يومئذ فيما بين الظهر والعصر فالتقوا وكثرت القتلى منهم وقتلت رجاله حباسة كلهم ثم من الله وله الحمد بهزيمتهم ومنح أهل مصر أكتافهم ومضوا على وجوههم هارين ورأوا من اجتماع الناس وانصر الله ما لم يسمع بمثله .

ونظم الشعراء المصريون القصائد في وصف هذا القتال وفي رثاء من استشهدوا فيه من المصريين^(١) . وتشير بعض الأبيات في تلك القصائد إلى أن الفاطميين كان لهم دعاة وأعوان بين سكان مصر ، وأن هؤلاء الأعوان كانوا يكتبون إليهم ، ولعلمهم كانوا ينقلون إليهم مواطن الضعف في البلاد ويدعونهم إلى القدوم لفتحها ومن تلك الأبيات قول ابن مهران متحدثاً عن حباسة :

وأقبل جاهلاً حتى تخطى وجاز بجهله حد التخطى
بكتب جماعة قد كاتبوه من اقباط بمصر وغير قبطنى
وكل كاتبوه منافقونا وكل في البلاد له موطنى^(٢)

ولعل الإشارة إلى القبط في هذه المناسبة تشهد بأن مصر كانت تمر حينئذ بفترة من فترات التعصب الدينى ، وبأن بعض القبط كانوا يعرفون عن الفاطميين من التسامح الدينى ما يبشر بتحسين أحوال أهل الذمة على أيديهم .

ثم قدم إلى مصر القائد مؤنس الخادم على رأس جيش من العراق ، ولسنا نعرف تماماً هل كان وصوله قبل هزيمة حباسة أو بعدها . فالكندى^(٣) ينص على أن مؤنس الخادم أقبل من العراق فدخل مصر « يوم الإثنين للنصف من شهر رمضان ومعه جمع من الأمراء سار بهم ونزل الحمراء^(٤) » ولقى الناس من جنده كل ما كرهوا « كما ينص

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٠ — ٢٧٣

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٢

(٣) الولاة والفضاة ص ٢٧٣

(٤) خطة من خطط الفسطاط : أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٤٥ وانظر خريطة خطط الفسطاط في المرجع نفسه .

على أن معارك المصريين مع جيش حباسة كانت جمادى الآخرة^(١) . أما ابن الأثير^(٢) فيشير إلى أن الخليفة المقتدر « أرسل مؤنسا الخادم في عسكر إلى مصر لمحاربة حباسة وأمدّه بالسلاح والمال فسار إليها فالتقى العسكران في جمادى الأولى سنة ٣٠٢ فاقتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين جمع كثير وجرح مثلهم ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها ثم وقعة ثالثة ورابعة فانهزم فيها المغاربة أصحاب العلوى وقتلوا وأسروا فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الأسرى وهرب الباقيون وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة وعادوا إلى المغرب فلما وصلوا إلى المغرب قتل المهدي حباسة » .

ونحا المقرئى^(٣) نحو ابن الأثير فكتب أن مؤنسا الخادم التقى بحباسة في جمادى الأولى (سنة ٣٠٢) وأن حباسة انهزم في نهاية جمادى الآخرة . أما أبو المحاسن^(٤) فيشير إلى أن مؤنسا الخادم وصل إلى مصر بعد أن انتهى تكوين من هزيمة حباسة . والملاحظ بوجه عام أن النصوص القديمة مضطربة في هذا الصدد ، وحسبنا أن أبا المحاسن يذكر في موضع أن جيش الفاطميين كان بقيادة حباسة^(٥) ثم ينص في موضع آخر^(٦) على أن عبيد الله نفسه هو الذى قدم من المغرب إلى الإسكندرية ومعه حباسة « فجرت بينه وبين جيش الخليفة حروب قتل فيها حباسة وعاد مولاه عبيد الله إلى القيروان »^(٧) .

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٠

(٢) تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣١

(٣) اتعاظ الخنفا ص ١٠٠

(٤) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٥) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٦) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٨٤

(٧) وفضلا عن ذلك فإن ابن عذارى (البيان المغرب في أخبار المغرب ج ١ ص ١٨٣) يروى أن القائم بن المهدي ولى على هذه الحملة عند وصولها إلى الفيوم قائدا جديدا هو ابن فريدون فغضب حباسة وهرب مع بعض خاصته ميمماً شطر المغرب وكتب القائم إلى أبيه المهدي بذلك ، واتجه حباسة إلى أخيه عروبة بن يوسف السكتامي وكان قد خرج على المهدي ونجح الأخير في القبض على الأخوين وقتلهما ، راجع المقرئى : اتعاظ الخنفا ص ١٠٠

ومهما يكن من الأمر فإن مؤنسا الخادم قرر عزل تكين عن ولاية مصر وأمره بالرحيل عنها فخرج في السابع من ذى الحجة سنة ٣٠٢ هـ وكتب مؤنس إلى الخليفة بذلك^(١) . ولسنا ندرى هل كان مؤنس مفوضاً من قبل الخليفة بإحداث مثل هذا التغيير في ولاية مصر ، كما أننا لا نعرف سببه ، ولا سيما بعد انتصار تكين على جيش الفاطميين . ولكن الراجح عندنا أن كبار القواد كان لهم سلطان واسع وكان في استطاعتهم عزل الولاة الذين يوفدون لتجديدهم . فضلاً عن أن مؤنسا الخادم كان من أكبر قواد العباسيين ومن أخص المقربين إلى الخليفة المقتدر .

أقام مؤنس في مصر يدبر أمورها إلى أن عين الخليفة المقتدر والياً جديداً يحل محل تكين . هو ذكا الأعور^(٢) أو ذكا الرومي^(٣) . ووصل هذا الوالى إلى مصر في الثانى عشر من شهر صفر سنة ٣٠٢ هـ فخرج منها مؤنس الخادم بجميع جيشه في الثامن من شهر ربيع الآخر .

وكان مؤنس الخادم أثناء إقامته في مصر مطلق التصرف في أمورها وكان يلقب بالأستاذ بل كان يدعى له على المنابر بعد الخليفة ، على نحو ما كان يحدث لبعض كبار الامراء الذين كانوا يقطعون مصر منذ بداية العصر العباسى الثانى^(٤) .

ولما استقر الأمر لذكا الرومى عنى بالكشف عن عيون الفاطميين في مصر ومن كانوا يكاتبونهم من سكانها فقبض على كثير منهم ، ومثل بآخرين بقطع أيديهم أو أرجلهم . وعنئى كذلك بمدينة الاسكندرية فخرج إليها ونظر في أمر تحصينها والدفاع عنها وولى عليها ابنه مظفر بن ذكا وبعث إليها بجميع من القواد مرة بعد أخرى . ولا عجب فقد دلت التجارب على سهولة غزوها وعلى نجاح الفاطميين فى الاستيلاء عليها . وكان ذكا يخشى أن يتجدد الغزو الفاطمى .

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ من ١٧٣

(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٧٤

(٣) يسميه لينپول باسمه اليونانى Ducas أنظر Lane — Poole : A History of Egypt in the

• Middle Ages p. 80

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٤ ، وجرومان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية

ص ١٢ ، وسيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٥

وقد وقع ما كان يخشاه المصريون ، إذ جهز المهدي جيشا كثيفا عقد لواءه لابنه أبي القاسم سنة ٣٠٧ هـ ، ووصلت مقدمة هذا الجيش إلى الاسكندرية في شهر صفر ، ثم وصل أبو القاسم بسائر الجيش وسقطت المدينة ونهبها الغزاة وحل الذعر بسكانها وانتشر خبر الغزو الفاطمي في مصر فهرب كثير من أهلها إلى الشام في البر والبحر ومات بعضهم في الطريق .

أما الجيش الفاطمي فقد تقدم عدد كبير منه فاحتل الفيوم والاشمونين وجزءا كبيرا من الصعيد ، والظاهر أن قائده أبا القاسم كتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يلبوا دعوته ^(١) . ويبدو أن الذي أخر الفاطميين عن دخول الفسطاط وباء انتشر بين جنودهم في مصر الوسطى ^(٢) .

أما ذكا الرومي وإلى مصر فكان مقيما في الفسطاط يعمل على الاستعداد لقتال الجيش الفاطمي ويسعى في حشد جنده ولكن عددا كبيرا منهم كان يأبى الخروج للقتال ، واستطاع ذكا أن يخرج بجيشه إلى الجزيرة بعد جهد وكان صاحب الخراج حينئذ الحسن ابن أحمد الماذرائي وقد قام بتوزيع العطاء على الجند فأرضاهم .

وجد ذكا في التأهب للحرب وأمر ببناء حصن على الجسر الغربي بالجزيرة وحفر خندقا يحيط بعسكره حتى لا يفجأه العدو . وما زال ذكا جادا في أمر هذه الحرب حتى مرض وتوفي في الجزيرة في ربيع الآخر سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) ^(٣) .

وبعد وفاة ذكا عهد الخليفة المقتدر بولاية مصر إلى تكيين للمرة الثانية فقدم إليها في شبان سنة ٣٠٧ هـ . والراجح أن الخليفة اختاره لسابق خبرته بمحاربة الفاطميين وصددهم عن مصر . وكان المقتدر قد جهز جيشا لنجدة ذكا ووصل هذا الجيش إلى الفسطاط قبل وصول تكيين .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٧٥ ، المقرئ : اتعاظ الخلفاء ص ١٠٣ ، وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٧

(٢) Wustenfeld : op. cit. IV. pp. 14-15.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٧٥ — ٢٧٦

ولما قدم تكين خرج بجيوشه المصرية والعراقية إلى الحيزة وعسكر بها ثم حفر خندقاً حول جنده غير الخندق الذي كان قد حفره ذكا الأعور قبل وفاته ، والظاهر أن عودة تكين إلى مصر وثمة أهلها بقدرته على صد الجيش الفاطمي فضلاً عن وصول المدد من العراق ، كل ذلك أعاد الهدوء إلى قلوب المصريين فرجع كثير ممن كانوا قد فروا إلى الشام والحجاز .

وأرسل المهدي إلى الاسكندرية نجدة لابنه القائم أسطولا قوامه ثمانون سفينة وعلى رأسه سليمان الخادم ويعقوب الكتامي ، وعلم الخليفة المقتدر بذلك فبعث إلى مصر بخمسين سفينة من طرسوس تحت إمرة ثمل الخادم ^(١) . والتقى الأسطولان عند رشيد في شوال سنة ٣٠٧ هـ ، وكانت مراكب العباسيين غنية بالنفط وعدد القتال فكان النصر حليفهم في هذه الموقعة ، وأحرقت معظم المراكب الفاطمية وقتل رجالها أو أسروا ودخل بعدها ثمل الخادم مدينة الفسطاط ومعه جمع كبير من الأسرى معظمهم من قبيلة كتامة . ثم أمر باطلاق الأسرى من أهل القيروان وطرابلس وبرقة وصقلية ، أما أهل كتامة وزويلة فقد أذن للجند والرعية في قتلهم بوصفهم أخطر العناصر في جند الفاطميين . وقيل إن عدد القتلى بلغ سبعمائة قتيل . وطيف بسليمان ويعقوب قائد الأسطول الفاطمي مقيدين ومعهم رؤساء المراكب ومات سليمان في السجن ونقل يعقوب إلى بغداد ولكنه هرب منها وعاد إلى المغرب ^(٢) .

ولكن هزيمة الأسطول الفاطمي لم تقض على الحملة الفاطمية قضاء مبرما ، فقد كانت جيوش الفاطميين لا تزال تحتل الفيوم وجزءا من مصر الوسطى ، ومع ذلك فإن الأوبئة ووفاة كثير من القواد وصعوبة التقدم ، كل ذلك عطلها عن العمل . وعندما تحركت لقتال تكين في عسكره بالحيزة كان النصر حليف هذا الوالي العباسي ، ولكنه لم يكن نصراً حاسماً . وعاد المغاربة إلى مصر الوسطى ورجع تكين بجيوشه إلى الفسطاط .

(١) السكندی : المرجع نفسه ص ٢٧٦ ، وسعيد بن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٨٠ ، وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٩ ، وابن خلدون : العبرج ٤ ص ٣١٢ ، والمقریزی : اتعاظ الخلفاء ص ١٠٤

(٢) المقریزی : المرجع نفسه ص ١٠٤ و Wustenfled : Die Stättalter IV. pp. 15-16.

وطبيعي أن الخليفة لم يرض عن فترة الركود بين الجيشين وعن عجز المصريين وإخفاقهم في طرد الفاطميين فرأى أن يقوم بعمل حاسم في هذا السبيل وبعث إلى مصر بمدد قوامه ثلاثة آلاف جندي على رأسهم مؤنس الخادم . ووصل هذا المدد إلى مصر في شهر المحرم سنة ٣٠٨ هـ ولكن جهوده ذهبت سدى ، إذ أن مؤنسا الخادم اكتفى بارسال فريق من الجيش إلى الأشمونين . وكان على رأس هذا الفريق القائد ابراهيم بن كيماغ ومات هذا القائد بالهنس وهزم المغاربة جنده وعاد الركود بين الجيشين ، إلى أن وصلت إلى مصر نجدة ثانية من العراق بقيادة جنى الخادم المعروف بالصفواني . وسارت الجيوش العباسية كلها إلى الفيوم بقيادة مؤنس وتكين وجنى الخادم وأوقعت بالفاطميين عدة هزائم وفر القائم ابن المهدي بفلول جيشه إلى برقة .

ومما يشهد باضطراب الأحوال الداخلية بمصر في تلك الفترة من تاريخها أن بعض وجوه القوم في الفسطاط كانوا لا يزالون يكتبون الفاطميين في المغرب وأن تكين علم أثناء استعدادده لقتال المغاربة أن ابن المديني القاص وجماعة بمصر يدعون للمهدي ويتصلون به فقبض عليهم وقتلهم وسجن أتباعهم^(١) . بل يظن أيضا أن صاحب الخراج في مصر حينئذ وهو أبو زنبور الحسين بن أحمد الماذرائي وابن أخيه محمد بن علي بن أحمد الماذرائي كاتب المهدي ونقل إليه أن مصر لم يكن فيها جنود يستطيعون الدفاع عنها ، وأن سقوطها في يد الفاتحين أمر ميسور ، ووعداه أن يقدم له كل عون في إخضاع سكانها إذا قدم بنفسه لفتحها^(٢) . ولكننا لا نميل إلى تأييد هذا الظن لأن الماذرائيين كانت لهم مكانة مرموقة في الإدارة ولم يكن لهم نفع في تغيير الحكم في البلاد . اللهم إلا إذا ذهبنا إلى أن أبا زنبور الماذرائي وقريبه كانا يظنان أن مصر توشك أن تقع في يد الفاطميين وأنهما أرادا أن يكون لهما من الأمر شيء تحت الحكم الفاطمي .

وقد كان لانتصار مؤنس الخادم وقع عظيم في بغداد فخلع عليه الخليفة ولقبه بالمظفر^(٣) .

(١) السكندی : الولاية والقضاة ص ٢٧٧ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩٦

(٢) Wiistenfeld : Die Statthalter IV. pp. 16-17

(٣) مما يستحق الذكر أن أبا المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٣) لاحظ الشبه بين هذا اللقب والألقاب التي انتشرت في عصر المماليك فكتب : « وهذا أول لقب سمعناه من ألقاب ملوك زماننا » .

ومهما يكن من الأمر فقد أصبحت مصر مرتعا للجيوش العديدة التي وفدت إليها من بغداد لقتال الفاطميين والدفاع عن مصر . وطبيعى أن أهل مصر كانوا يقاسون الأمرين من عسف الجند وما يقومون به من السلب والنهب . وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الأحوال المالية في البلاد ، فلا عجب إذا كتب محمد بن علي الماذرائي العامل على الخراج ينبه الحكومة المركزية في بغداد إلى كثرة الجيوش في مصر وما تحتاج إليه من نفقات طائلة^(١) .

وظل تكيين في ولايته الثانية على مصر إلى أن عزله مؤنس الخادم في ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ وولى عليها أبا قابوس محمد بن حمك^(٢) . وسبب العزل غير واضح في المراجع التاريخية ، ولكننا نرجح أن مؤنسا كان يحقد على تكيين لأن الأخير كان محبوبا من أهل مصر ، كما يشهد بذلك استنكارهم لعزله واستهانتهم بالوالى الجديد ، إلى حدٍ خشى معه مؤنس قيام فتنة في البلاد ، ولا سيما حين ألح عليه وجوه القوم في عودة تكيين ونهبوه إلى عاقبة عزله . وكان القائد العباسي حكيما بعيد النظر فأعاد الوالى المعزول بعد ثلاثة أيام من عزله ولكنه فعل ذلك إلى أن يستعد لإخاد أى حركة قد يقوم بها أهل مصر أو جند تكيين ، فلما تم له ما أراد واتخذ للأمر عدته قرر مع مساعديه من القواد عزل تكيين وإبعاده عن مصر . وهكذا عزل هذا الوالى للمرة الثالثة وخرج إلى الشام على رأس أربعة آلاف من الجند ، ولم تزد ولايته الأخيرة على أربعة أيام^(٣) .

وأقر الخليفة كبير قواده في عزل تكيين وبعث إلى مصر بوالٍ جديد هو هلال ابن بدر كما استدعى مؤنسا إلى بغداد ، فخرج هذا القائد من مصر ومعه الجيوش العراقية التي وفدت إليها لصد الفاطميين .

ولم يكن هلال بن بدر موفقا في ولايته فزاد الاضطراب على يده وثار عليه فريق كبير من الجند وقامت بينه وبين أولئك الثوار حروب طويلة وعم الفساد في البلاد

(١) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٢٨

(٢) هو محمود بن جمل في خطط المقرئى ، ج ١ ص ٣٢٨ ومحمود بن جمل في النجوم

الزاهرة لأبى المحاسن ج ٣ ص ١٩٩

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٠

وكثير القتل والنهب وقطع الطريق ، فلم ير الخليفة المقتدر بدا من عزل هذا الوالى .
وأرسل إلى مصر والياً جديداً ، هو أحمد بن كيغلع^(١) .

ولم يكن هذا الوالى غريباً عن مصر ، فقد سبق أن اشترك مع جند العراق في صد
الفاطميين عنها سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥ م) . وقدم معه محمد بن الحسين الماذرائى عاملاً
على الخراج وكان أول ما عنيا بتنظيمه عطاء الجند . والظاهر أنهما لاحظا أن هذا العطاء
أصبح ثقيلاً على الميزانية فأسقطاه عن كثير من الجند المشاة السابقين وثار هؤلاء الجند
ولم يستطع الوالى إخماد ثورتهم ففر إلى مدينة فاقوس وأراد محمد بن الحسين الماذرائى
الخروج إلى بلاد الشام ولكن منعه الجند واضطروه إلى البقاء في القسطنطينية .

وظل ابن كيغلع محتبئاً في فاقوس وطمع الجند وزاد نفوذهم واضطرب حبل الأمن
في البلاد ولم تستطع الحكومة المركزية في بغداد أن تقوم بعمل حاسم لتأديب الثوار بسبب
ضعفها وحاجتها إلى جميع الجند للدفاع عن مصر فاكتمت الخليفة المقتدر بعزل ابن كيغلع
وأعاد إلى ولاية مصر عاملاً خبيراً بشؤونها محبوباً عند أهلها وجندها ، هو تكين
الذى وليها ثلاث مرات قبل ذلك^(٢) .

ولم تكن مهمته هذه المرة سهلة ، لأن استبدال الجند بلغ حداً لم يمكن السكوت
عليه إذ كان يهدد البلاد بأوخم العواقب فعمل تكين منذ ولايته سنة ٣١٢ هـ (٩٢٤ م)
على كبح جماح أولئك الجند ، واضطر إلى تغيير كثير من معاونيه وإلى ترتيب الخطط
الحكومية لكسر شوكة المشايخين من رجال الجيش والادارة . ولما نجح في ذلك كله
أقدم على إسقاط العطاء عن هؤلاء المشايخين وأمر بخروجهم من مصر ، وتم له ما أراد
فحسن حال البلاد .

ولما قتل الخليفة المقتدر في شوال سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) وبويع بالخلافة
أخوه القاهر أقر تكين على ولاية مصر وبعث إليه بالخلع علامة على رضائه

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٧٩

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٦ — ٢٠٧

عن إدارتها . ولكن تكيين لم تطل ولايته بعد ذلك إذ مرض ووافته المنية في ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) .

ولا ريب في أن ولاية تكيين الأخيرة على مصر كانت شوطاً بعيداً في عودة الاستقرار إلى مصر ، فقد كان على حد قول أبي المحاسن^(١) « أميراً عاقلاً شجاعاً عارفاً مديراً ، ولى الأعمال الجليلة ، وطالت أيامه في السعادة وكان عنده سياسة ودربة بالأمور ومعرفة بالحروب » .

وكادت وفاة تكيين تقضى على الاستقرار الذي بلغته مصر في ولايته الأخيرة ، وذلك بسبب النزاع في حكم البلاد بعد وفاته . وبيان ذلك أن ابنه محمد بن تكيين تسلم مقاليد الحكم من غير ولاية الخليفة بل باستخلاف أبيه . ولكن أبا بكر محمد ابن على الماذرائى لم يرض عن ذلك . وحدث أن ثار الجند بسبب تأخر عطائهم واستطاع الماذرائى أن يرغم محمد بن تكيين على مغادرة البلاد والخروج إلى الشام . وكتب ابن تكيين إلى الخليفة في بغداد يطلب أن يولى على مصر وجاء جواب الخليفة القاهر بأن يكون الوالى محمد بن تكيين وأن يقوم الماذرائى بتدبير أمر البلاد ، ولعل المقصود بذلك تدبير الشؤون المالية ، ولكننا سوف نرى أن الماذرائيين كانوا ينفذون من تدبير الشؤون المالية إلى السيطرة على معظم مرافق الإدارة في مصر . ومهما يكن من الأمر فإن محمد بن على الماذرائى استطاع أن يمنع ابن تكيين من العودة إلى مصر^(٢) . وهنا ظهر محمد بن طنج على مسرح السياسة المصرية لأول مرة فقد أفلح في تحقيق حلم قديم له وحصل من الخليفة على تقليد بولاية مصر . وسوف نعود إلى تفصيل الكلام على ذلك في الصفحات التالية .

(١) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢١١

(٢) راجع الروايات المختلفة في الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨١ وابن سعيد : المغرب ص ١٠ والمقرزى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٦—٢٣٧

(٤)

الماذرائيون

كانت مقاليد الأمور بمصر في الفترة الواقعة بين الدولتين الطولونية والاشيدية في أيدي ثلاث قوات : الولاة وقواد الجيش العراقي في مصر والماذرائيين . وقد مر بنا الكلام على الولاة وعرفنا أن أعظمهم مكانة وأكثرهم توفيقاً هو تسكين ، كما عرفنا ما كان للقواد العباسيين في مصر من نفوذ وسلطان حتى استطاعوا عزل الولاة قبل الرجوع إلى الخليفة . وكان أظهر أولئك القواد مؤنساً الخادم المظفر .

أما الماذرائيون فأسرة فارسية الأصل^(١) تنسب إلى ماذرايا أو مادرايا وهي قرية من أعمال البصرة وقيل من أعمال واسط^(٢) . ولكن هذه الأسرة لم تصل إلى الثروة والسلطان إلا بسبب نزوح كثير من أفرادها إلى مصر ، ولسنا نعرف تماماً متى كان خروج أول عضو منها إلى هذه البلاد ، والراجح أنه وفد إلى مصر في حاشية والٍ من ولاتها لعنه أحمد بن طولون . ولما لقي فيها الرخاء والنجاح استدعى إليه من العراق نفراً من أفراد أسرته ، وتبعهم آخرون وأتيح لبعض أعضاء هذه الأسرة ولاية طائفة من الوظائف الرئيسية في مصر ، ولكنهم لم يقطعوا أسباب الصلة بمسقط رأسهم في العراق .

(١) أنظر مقال الأستاذ جست في A Volume of Oriental Studies Presented to Professor

Browne pp. 171-172.

(٢) جاء اسمهم بالذال المعجمة في بعض المراجع مثل الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٤٤ وياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٥٣ ، مادة ماذرايا ؛ وسام المقرئ المارداني (الخط ج ١ ص ٣٣٢ و ج ٢ ص ١٥٥ ؛ وسام السمعاني المارداني (كتاب الأنساب ورقة ٤٩٩ ولعل النون تصحيف في المخطوط) . راجع :

Becker : Beiträge p. 171 ; H. Gottschalk : Die Madaraijjun p. 20-22, Zaky M. Hassan : Les Tulunides : 284 ; Wüstenfeld : Statthalter IV, 2.

وأول من نفرأ عنه من الماذرائيين في إدارة مصر هو أحمد بن إبراهيم أو محمد بن أحمد بن إبراهيم الماذرائي الأطروش^(١) الذي ولى خراج مصر سنة ٢٦٦ هـ شركة مع علي بن الحسين (أو الحسن أو أبو الحسن) بن شعيب المدايني. وقد ذكر المقرئ أن الذي ولاء هو الخليفة المعتمد^(٢). وذكر البلوى^(٣) وابن سعيد^(٤) (عن ابن الداية) أن الذي ولاء هو أحمد بن طولون نفسه. والراجح عندنا ما ذكره البلوى وابن سعيد لأن ابن طولون أشرف على مالية البلاد بعد تخلصه من ابن المدير وأصبح منذ سنة ٢٦٤ هـ في عداة ظاهر مع الحكومة المركزية في بغداد واستقل عنها بإدارة مصر^(٥). ومهما يكن من الأمر فإن شركة الماذرائي مع علي بن الحسين في خراج مصر لم تدم طويلاً لأن ابن طولون أمر بسجن علي بن الحسين حتى مات، وذلك بسبب كتاب وجهه إلى ابن المدير — عدو ابن طولون — يشكو فيه من أعمال وظيفته^(٦). وهكذا أصبح الماذرائي وحده عاملاً على خراج مصر.

وبدأ عميد الماذرائيين في مصر سياسة محكمة في جذب أفراد أسرته ورفع شأنهم في مناصب الدولة فكان ينيب عنه أحياناً أخاه أو ابنه علي بن أحمد الماذرائي واتخذ كتاباً له. وقد روت بعض المراجع قصة تبين كيف استطاع علي هذا أن يثبت براءة عميد الأسرة من تهمة اختلاس مبلغ كبير من أموال الخراج فتنبه ابن طولون إلى حضور ذهنه وكفائته وذكائه ورفع مكاتبه في إدارة مصر^(٧). وفضلاً عن ذلك فقد استطاع

(١) اختلفت المراجع العربية في تسمية رأس هذه الأسرة في مصر وقد ناقش المستشرق جوتشك الروايات المختلفة في رسالته عن الماذرائيين ص ٣٠ — ٣٣ ولم ينته إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها.

(٢) راجع النص العربي المنقول عن كتاب المقفي للمقرئ، في رسالة جوتشك عن الماذرائيين.

ص ١١٩

(٣) سيرة أحمد بن طولون ص ١٦١ وص ١٧٨

(٤) Ibn Said, Vollers p. 67.

(٥) Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 63, 247.

(٦) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٨٧

(٧) البلوى : المرجع نفسه ص ١٦١ — ١٦٤ وانظر النص العربي المنقول عن المقفي

للمقرئ في رسالة جوتشك عن الماذرائيين ص ١١٩ — ١٢٠

عميد الماذرائين أن يحمل ابن طولون على تعيين ماذرائى آخر — هو الحسين بن أحمد المعروف بأبى زنبور — فى عمل رئيسى بالشام ^(١) .

وأصبحت زعامة الماذرائين منذ ولاية خمارويه لعلى بن أحمد الماذرائى ، ففد اختاره خمارويه وزيراً له ^(٢) أو كاتباً . وأغرى على الماذرائى خمارويه بالحسن بن المهاجر الذى كان عاملاً على البريد ومستشاراً لابن طولون ونقل إليه أن ابن المهاجر يعرف وحده مخبأ أموال كثيرة خلفها ابن طولون فلم يزل خمارويه بابن المهاجر حتى وصل إلى تلك الأموال . وقد كتب المقرئى ^(٣) أنها بلغت ألف دينار وأن خمارويه سلمها لعلى بن أحمد الماذرائى لينفق منها فى الصلوات والنفقات التى كان يأمر بها ، ولكن الماذرائى كان ينفق على ذلك كله من فائض أموال الضياع والمرافق ، فظل المال الذى كشفه ابن المهاجر محفوظاً عند على بن أحمد الماذرائى حتى أفاد منه ابنه أبو بكر محمد بن على لما صودرت أملاكه فى عصر الاخشيد . وعلى الرغم مما فى هذه الفصة من المبالغة فإنها تشهد بأن على بن أحمد الماذرائى كان يشرف على ضياع الأمير وأمواله الخاصة وأنه كان موضع ثقته ، فعظم سلطانه فى إدارة البلاد حتى كتب عنه المقرئى أنه « كان يملك النظر فى جميع أمور مصر خلافة لأبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ووزارة » ^(٤) . وفى سنة ٢٧٢ هـ استقدم على بن أحمد الماذرائى إلى مصر ولديه أبا بكر محمد ابن على وأبا الطيب أحمد بن على ، وأصبحت مصر منذ تلك السنة وطن الماذرائين ^(٥) . واستخلف على بن أحمد الماذرائى ابنه أبا بكر محمد ، على الخراج ، ثم استخلفه على ديوان الرسائل ^(٦) .

(١) المقرئى : المقفى (فى المرجع السابق ص ١١٩) .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٣) الخطط ج ١ ص ٣٣٠ — ٣٣١

(٤) أنظر النص العربى المنقول عن المقفى فى رسالة جوتشك عن الماذرائين ص ١٢٠

(٥) المرجع نفسه ص ١٢٠

(٦) المرجع نفسه ص ١٢٠ وابن سعيد : المغرب ص ١٦٣

وكان علي بن أحمد الماذرائي في دمشق مع خمارويه عند ما توفي هذا الأمير وعاد بعد ذلك إلى مصر وأصبح صاحب الأمر والنهي فيها طوال الفترة القصيرة التي حكم فيها أبو العساكر جيش بن خمارويه ، ولما ثار الجند على هذا الأمير عمل علي الماذرائي على تهدئة الحال ولكنه أخفق وانتهى الأمر بقتله وقتل جيش بن خمارويه ^(١) . وكان علي بن أحمد الماذرائي قد أودع عند القاضي محمد بن عبده وعند إبراهيم بن هروان العباسي مالا كثيرا تسلمه بعد وفاته ابنه أبو بكر محمد بن علي ^(٢) .

ومهما يكن من الأمر فإن إخفاق علي بن أحمد الماذرائي لم يؤثر في مركز أسرته وسلطانه إذ خلفه ابنه أبو بكر محمد بن علي في زعامة الأسرة واستوزره الأمير هارون ابن خمارويه وظل يدبر أمور الحكومة في مصر إلى أن قدمت الحملة العراقية للقضاء على دولة بني طولون فغادر مصر مع من غادرها من عمال الطولونيين في صحبة محمد بن سليمان إلى بغداد . وأقام بعد ذلك في العراق من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٠١ هـ . فلما سار مؤنس الخادم من العراق بجنده لقتال الجيش الفاطمي بمصر سبقه إليها فوصل في ربيع الأول سنة ٣٠٢ هـ . وكان الخراج حينئذ في يد أخيه أبي الطيب أحمد ابن علي . وتوفي أبو الطيب سنة ٣٠٣ هـ فخلفه أخوه محمد علي الخراج وبقي في هذه الوظيفة إلى آخر سنة ٣٠٤ هـ . وقد كتب المقرئ عن سلطان محمد الماذرائي وروته الواسعة وأظن في الكلام على الأموال التي كان يحملها إلى الحجاز كلما توجه لأداء فريضة الحج ^(٣) وذكر أن تسكين أمير مصر حينئذ كان يشيعه إذا خرج للحج ويلقاه حين يرجع ^(٤) ، والواقع أن أبا بكر محمد بن علي الماذرائي منح سلطانا واسعا في مصر

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٢٨٣ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣

(٢) ابن حجر في مباحث أخبار القضاة بكتاب الولاية والقضاة للكندي ص ٥١٨

(٣) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ١٥٥ — ١٥٦

(٤) روى ابن سعيد (في المغرب ص ٣٠) حادثاً وقع في الحج بين محمد بن طنج وأبي بكر محمد الماذرائي كان سبباً في الجفاء والوحشة بينهما منذ البداية . وخلاصته أن تسكين عهد إلى محمد بن طنج وهو في دمشق بقيادة قافلة الحج وكان فيها أحد خواص الخليفة ، هو أبو صالح مفاح المقتدرى . وأراد ابن طنج أن يكرم أبا صالح ، فلما كان الراكب في عرفات ورأى أن قبة محمد بن علي الماذرائي أعلى قبة تقدم هو وغلماناه وضربوا وجه ناقة الماذرائي وقدموا قبة مفاح فكبر ذلك على الماذرائي وظل يحتمد على ابن طنج .

منذ قدومه سنة ٣٠١ هـ . فقد ذكر عريب بن سعيد في صلة تاريخ الطبرى عند كلامه على سنة ٣٠١ هـ أن أبا بكر محمد الماذرائى قلد في هذه السنة أعمال مصر والإشراف على أعمال الشام وتدير الجيوش ^(١) . كما ذكر الكندى أن أبا بكر محمد بن على بن أحمد الماذرائى وأبا على الحسين بن أحمد الماذرائى ^(٢) قدما إلى مصر سنة ٣٠٢ هـ على تدبيرها ^(٣) . وأقر أبو بكر الماذرائى أخاه أبا الطيب على الخراج وكان أبو بكر على حد قول ابن زولاق ، « أمير البلد في الحقيقة » ^(٤) . ولكن الظاهر أن سلطان مؤنس الخادم ^(٥) كان يحد من سلطانه فاضطر بعد وفاة أخيه إلى الاحتفاظ بالنظر في الخراج سنة ٣٠٣ هـ ، ثم تركه عند نهاية سنة ٣٠٤ هـ كما مر بنا وظل يقيم في مصر ولكنه استدعى إلى دار الخلافة عدة مرات مع عمه أبي زنبور الماذرائى وطولبا بأداء أموال كثيرة وصور جزء كبير من أملاكهما كما صودرت أملاك بعض أقاربهما ^(٦) .

وبعد أن ظل أبو بكر الماذرائى بعيدا عن الوظائف أربعة عشر عاما عين عاملا على خراج مصر في جمادى الأولى سنة ٣١٨ هـ ^(٧) ولكن حدث في السنة التالية أن استطاع محمد بن جعفر القرطى أن يحصل في بغداد على تلك الوظيفة . ولعل الحكومة المركزية

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٢٣

(٢) أشرنا إليه من قبل وسوف يأتي الكلام عليه .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٦٩

(٤) ملحق أخبار القضاة في الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٧٥

(٥) مما يستحق الذكر أن ابن سعيد (المغرب ص ١٦٣) والمقرئى (المقفى في رسالة جوتشك عن الماذرائيين ص ١٢١) يذكران أن أبا بكر الماذرائى قدم مع مؤنس الخادم من العراق ولكن الحقيقة أنه سبقه فوصلها في ربيع الأول سنة ٣٠٢ هـ كما تذكر هذه المراجع وغيرها ، بينما وصل مؤنس في منتصف رمضان من السنة نفسها . ولعل المقصود أن الماذرائى قدم إلى مصر في المناسبة التى قدم فيها مؤنس وهى صد الفاطميين ، وكان المقرئى أدق في كتابه الخطط (ج ٢ ص ١٥٥) فكتب أن الماذرائى قدم إلى مصر « صحبة العساكر لقتال حباسة » ولم يحدد أن قدومه كان مع مؤنس الخادم .

(٦) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبرى (في تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٣٤ — ٣٥)

(٧) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٧٧

كانت غير مطمئنة إلى الماذرائي حتى إنها كتبت إلى تكين في مصر تطلب إليه أن يبقى الماذرائي إلى أن يصل القرطبي وأرسلت قائدا للقبض عليه وأراد الماذرائي الخروج من مصر فلم يأذن له تكين إلا بعد أن أهدي إليه وإلى زوجته جواهر قيمتها عشرون ألف دينار (نحو عشرة آلاف جنيه مصري) ، وتوفي القرطبي في الطريق ورجع الماذرائي إلى مصر « أعز ما كان »^(١) .

ولما توفي تكين في السادس عشر من ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ أصبح الأمر كله في مصر بيد أبي بكر محمد بن علي الماذرائي^(٢) ، ولكنه لم يرض عن استيخلاف تكين ابنه محمد بن تكين . وكانت الحالة في مصر مضطربة إلى حد كبير كما تشهد بذلك قصة خلاصتها أن الماذرائي خاف أن يحضر جنازة تكين (ولعله كان يخشى أن يعتدي عليه فيها أو لعله كان ذا صلة بموت تكين) ولكن صديقا له أقنعه بالحضور ولما كانت الصلاة على الميت حدث أن قرأ الإمام (إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك)^(٣) فقطع أبو بكر الماذرائي الصلاة وبادر بالانصراف^(٤) .

ونار الجند في مصر على أبي بكر الماذرائي مطالبين بعطائهم وأحرقوا دوره ودور أهله ودور كثير من أتباعه وقبضوا على بعض الموظفين من قبله فلم يربداً من الاختفاء وخرج محمد بن تكين إلى الشام ومعه تابوت أبيه ، وكتب من الشام إلى بغداد يطلب أن تقره الحكومة المركزية في ولاية مصر ، وكتب الماذرائي إلى بغداد أيضا ولكنه كتب « يلتمس أميرا »^(٥) ولم يطلب الامارة لنفسه . والظاهر أنه كان يكره تولية محمد بن تكين ولكنه وسائر أفراد أسرته كانوا يؤثرون أن يحكموا مصر فعلا لا اسما

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٩

(٢) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٨١ والمقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٢٨ و Wüstenfeld :

Statthalter IV. p. 21.

(٣) قرآن كريم : سورة القصص ، آية ٢٠

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٣ — ١٦٤ والنص العربي المنقول عن كتاب المقرئزي

في رسالة جوتشلاك عن الماذرائيين ص ١٢٢

(٥) النص العربي المنقول عن المقرئ في المرجع السابق ص ١٢٢

وأن يكونوا مع الولاية بمثابة « أمير الأمراء » مع الخليفة في بغداد . ومهما يكن من الأمر فقد تسلم ابن تكين ردا من بغداد بتوليته على مصر كما تسلم الماذرائي في الوقت نفسه ردا « بتفويض أمر مصر ورد تدبيرها إليه وأن يولى من يختاره » وقد حمل إليه هذا الرد أحمد بن كيغلق ، ويخيل إلينا من هذين الردين ومن سلطان الماذرائيين بوجه عام أن الحكومة المركزية كانت تحرص على أن تتعدد السلطات في مصر وعلى ألا تتركز في يد الوالي حتى تأمن بذلك أى نزعة استقلالية تكرر ما حدث في العصر الطولوني .

وخرج الماذرائي من مخبئه واستعاد مركزه في إدارة مصر وأراد محمد بن تكين أن يدخل مصر مزودا بالتقليد الذي جاءه بولاية مصر ولكن الماذرائي لم يعترف به وجمع جيشا من الجنود المغاربة ونجح في منعه من دخول البلاد وبقيت مصر بغير والٍ فيها إلى أن ورد من بغداد أمر بتولية محمد بن طنجج وكان في دمشق حينئذ . وظل اسمه يذكر على المنابر في مصر بعد اسم الخليفة نحو اثنين وثلاثين يوما أى من ٧ من رمضان إلى ٩ من شوال سنة ٣٢١ هـ ^(١) .

ثم جاء كتاب من بغداد بتولية أحمد بن كيغلق ، ولسنا ندري سبب هذا التغير السريع ولكنه يشهد على كل حال بعدم استقرار الأمور في مصر وفي الحكومة المركزية ببغداد .

وثار الجند مرة ثانية على أبي بكر الماذرائي يطلبون رواتبهم وأحرقوا دوره ودور أهله وقامت فتن ومعارك بين طوائف الجند ولا سيما بين المغاربة والمصريين ، وما كاد السلام يعود بين تلك الطوائف المختلفة حتى ظهر محمد بن تكين قادما من فلسطين في الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ وأعلن أنه ولي على مصر من قبل الخليفة . ولكن أبا بكر الماذرائي لم يعترف بولايته بينما تعصب له جماعة من المصريين

(١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٨١—٢٨٢ وابن سعيد : المغرب ص ١٦٢ والمقرئى :

الخطط ج ١ ص ٣٢٨ والمقرئى : الملقى (فى رسالة جوتشاك) ص ١٢٢ و Wüstenfeld :

ودعى له بالامارة على المنابر وقام القتال بين أنصار ابن كيغلع وأنصار ابن تكين وانتهى الأمر بهزيمة ابن تكين وفراره من القسطنطينية بعد أن دام حكمه فيها مائة وأثنى عشر يوما . وانصرف ابن كيغلع الى اصلاح أمور البلاد ولكن جاءه الخبر بخلع الخليفة القاهر بالله وتولية الراضى بالله وعاد محمد بن تكين الى مصر مظهرا أن الخليفة الجديد ولاء إياها . وقامت الحروب ثانية بينه وبين ابن كيغلع وكان النصر للأخير ووقع ابن تكين في الأسر ونفى الى الصعيد . واستقر الحكم لابن كيغلع ولكن تدبير الأمور ظل بيد الماذرائي وأولاده ولم يكن لابن كيغلع معهم أمر ولا نهى ^(١) .

ولا عجب فقد سار الخليفة الجديد على سنة خلفه في التفريق بين السلطات الحاكمة في مصر فكتب الى الماذرائي يقر احمد بن كيغلع في ولاية مصر وينهى اليه في الوقت نفسه « أن الأمر يصير اليك فتقلد من شئت وتصرف من شئت » ^(٢) .

ثم وقعت في بغداد أحداث كان لها أثر خطير الشأن في حكم مصر فقد عين الخليفة الراضى بالله الفضل بن جعفر بن الفرات وزيرا لكشف أمور مصر ومنحه سلطات مطلقة . وكان بنو الفرات يكرهون الماذرائيين ويحسدونهم ، فلم يكن غريبا أن يعمل الفضل على القضاء على سلطان الماذرائيين في مصر وزاد الخطر على هؤلاء حين تصاهر محمد بن طنج الأخشيدي مع الوزير الفضل بن جعفر بأن زوج الأخشيدي ابنته من ابنه جعفر بن الفضل . واستعمل الفضل السلطة المطلقة التي منحها في تدبير أمور مصر فعين محمد بن طنج واليا عليها .

وسوف نعود في الباب القادم الى الكلام على المراحل التي مر بها استيلاء ابن طنج على الحكم في مصر .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١١

(٣) المرجع نفسه ص ١١

بقي علينا أن نتحدث عن علم آخر من أسرة الماذرائيين . هو أبو علي الحسين ابن أحمد الماذرائي المعروف بأبي زنبور^(١) . ولسنا نعرف عن نشأته إلا أنه كان كاتباً للوالي في إقليم من أعمال البصرة براتب شهري قدره عشرون ديناراً^(٢) . والراجح أنه قدم الى مصر مع عميد الأسرة ثم عين في وظيفة رئيسية في الشام من قبل أحمد بن طولون . وعاد الى مصر بعد ذلك وظل مقيماً بها الى أن أوفد مرة ثانية الى الشام سنة ٢٨٣ وسنة ٢٨٤ هـ مع بدر القائد الطولوني على رأس جيش ليصلح الحال فيها وليستخلفا على دمشق طنج بن جف من قبل هارون بن خمارويه وليستخلفا غيره على سائر الأقاليم الشامية^(٣) . والراجح أنه بعد عودته الى الفسطاط كان يتركها ويعيم أحياناً في دمشق كما تشهد بذلك قصة زواج ابنته بـابن القاضي أبي زرعه محمد بن عثمان وهي القصة التي نقلها ابن حجر عن ابن زولاق وأطنب عندها في الكلام على عظمة الحفل الذي أقيم في تلك المناسبة^(٤) .

ثم كان للحسين الماذرائي شأن كبير في سقوط الدولة الطولونية ونجاح الجيش العباسي الذي كان يقوده محمد بن سليمان ، إذ انضم الماذرائي سنة ٢٩١ هـ إلى محمد بن سليمان ومعه بدر الحماني وإلى مصر من قبل هارون بن خمارويه ، وهكذا خان الماذرائي قضية الطولونيين واستطاع بذلك أن يثبت صلاحيته للعمل مع النظام الجديد في مصر وأن يضمن بقاء نفوذ أسرته . ولم تكن الحكومة المركزية لتكره الإفادة من خبرته بالشئون المالية المصرية فلا غرو إذا عينته عاملاً على الخراج في مصر بعد أن أبعدت عنها سائر أفراد أسرته المخلصين لبني طولون ، والواقع أن انتقال الحسين

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : أخبار الرضا بالله والمتقى بالله من كتاب الأوراق ، نشر هيورث دن ص ٢٣٧ — ٢٣٨ والكندى : الولاة والقضاة (الملحق ص ٥٢١) وياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٥٣ (مادة ماذرايا) والمقرئى : النص العربي المطبوع من كتاب المقرئى في رسالة جوتشك ص ١١٩ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٥ — ٢١٦

(٢) هلال الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١ وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٧٤

وابن خلدون : كتاب العبر ج ٤ ص ٣٠٩

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٢١ — ٥٢٢

الماذرائى إلى جانب الحكومة المركزية أ كسبه رضا الدوائر الرسمية في بغداد بسبب ما كان له من شأن في القضاء على الطولونيين . وحسبنا أن نقرأ القصيدة التي رواها الكندي للشاعر الحبيشى في بيان فضل هذا الماذرائى في سقوط بنى طولون^(١) .

وهكذا حل الحسين الماذرائى محل ابن أخيه أبى الطيب أحمد بن على في إدارة الشؤون المالية في مصر وضم إليه الخليفة المكتفى النظر في أموال بنى طولون وضياعهم^(٢) . ثم كانت ثورة ابن الخليفة على مر بنا الكلام عليها وظل الحسين الماذرائى مخلصاً للحكومة المركزية . وكان قد أعد نحو تسعمائة ألف دينار عبأها في الصناديق لنحمل إلى الخليفة في بغداد فلما أحس هو والوالى عيسى النوشري بانتصار ابن الخليفة وقرب استيلائه على العاصمة وزعا تلك النقود وحمل الحسين بن الماذرائى سجلات الخراج والدواوين حتى يصعب على ابن الخليفة جمع الخراج وإدارة الشؤون المالية^(٣) . وفر الوالى والماذرائى إلى الإسكندرية لتنظيم المقاومة والاستعداد لقتال ابن الخليفة . ولما تم لها دخول القسطنطينية سنة ٢٩٣ هـ عاد أبو زنبور الماذرائى إلى ولاية الخراج .

ولكننا نلاحظ أن أبا زنبور الماذرائى وأخاه أبا اسحق إبراهيم بن أحمد^(٤) يرد ذكرهما كثيراً في تاريخ الأحداث التي وقعت في بغداد منذ تولية الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٨ م) . والواقع أن تاريخ الماذرائيين مرتبط بالتنافس بين الوزيرين العباسيين على بن عيسى وعلى بن محمد بن موسى بن الفرات فإن الأول كان صديقاً للماذرائيين

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥١ ، وهلال الصابى : تاريخ الوزراء ص ٩٢

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥٨ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤١ — ١٤٥

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٩ — ١٥٠

(٤) كتب ابن عساكر (في التاريخ الكبير ج ٢ ص ١٦٧) أن هذا الماذرائى كان من كتاب خمارويه وكان معه بدمشق حين قتل نجر من دمشق الى بغداد في أحد عشر يوماً وأخبر المعتضد بقتل خمارويه وتوفي سنة ٣١٣ هـ .

بينما كان الثاني من أعدائهم الألداء^(١) . وقد اشترك على بن عيسى وإبراهيم بن أحمد الماذرائي في الثورة التي أدت إلى خلع المقتدر وبيعة ابن المعتز ، ولما أخفقت هذه الثورة وولى المقتدر على بن الفرات الوزارة أطلق جماعة ممن كانوا قد بايعوا المعتز ومنهم إبراهيم بن أحمد الماذرائي^(٢) ولكنه عزل أبا زنبور الماذرائي عن خراج مصر وولى عليه أحمد بن محمد بن بسطام في ربيع الأول سنة ٢٩٦ . وظل الأخير في هذا المنصب إلى أن توفي في العام التالي وخلفه ابنه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام^(٣) ، ثم عزل على بن أحمد هذا وعادت ولاية الخراج إلى أبي الطيب أحمد الماذرائي سنة ٣٠٠ هـ واستعاد الماذرائيون قسماً وافراً من سلطنتهم في بغداد ومصر حين آلت الوزارة في الدولة العباسية إلى على بن عيسى سنة ٣٠١ هـ فقلد أبا بكر محمد بن على الاشراف على الخراج والإدارة في مصر وقلد أبا زنبور الماذرائي الاشراف على الخراج في الشام ، وهكذا أصبحت الشؤون المالية في مصر والشام في يد هذه الأسرة وكان الاتصال بين أفرادها قويا والتعاون موفراً .

ولكن عودة ابن الفرات إلى الوزارة بعد سقوط على بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ أدت إلى الحد من سلطان الماذرائيين وإلى مصادرة بعض أملاكهم^(٤) . ثم عزل ابن الفرات ورد إليهم بعض ماصودر من أملاكهم وأعيد إليهم الاشراف على مصر والشام بعد أن اعترف ابن الفرات بصحة ما قرره أبو زنبور من أنه سلمه أثناء وزارته الثانية ستماية ألف دينار . وكان ذلك في مجلس بقصر الخليفة للمناظرة بين الوزير المعزول ابن الفرات والوزير الجديد حامد بن العباس ومعه أبو زنبور ليسمع الأول التهم التي يوجهها إليه الثاني وليرد عليها إذا استطاع . ومما يلفت النظر مما دار في هذه المناظرة أقوال ابن الفرات بشأن ثروة الماذرائيين والأراضي الواسعة التي يملكونها في مصر والشام^(٥) .

(١) المرجع أنه كان ينسب إلى الماذرائيين مساعدة خصومه ومدم بالأموال .

(٢) عريب : صلة تاريخ الطبري (في تاريخ الطبري ج ١٢ ص ١٦) .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ٦١ و H. Gottschalk : Die Madaraijun pp. 54-55 .

(٤) عريب : المرجع السابق ج ١٢ ص ٣٤ .

(٥) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٣٩ ، ومسكويه : كتاب تجارب الأمم ج ١ ص ٦١ ،

وهلال الصابي : تاريخ الوزراء ص ٩٢ — ٩٤ .

وقد اتفق أبو زنبور مع الحكومة قبل عودته إلى مصر (في نهاية سنة ٣٠٦ هـ) على أن يقدم إلى خزائنها كل عام مليون دينار من خراج مصر والشام بعد أن يقوم بنفقات الجيش والإدارة . والواقع أنه لم يبر بهذا الوعد بسبب هجوم الجيوش المغربية وما أطلبه صدها من نفقات ثم بسبب اقامة جموع غفيرة من الجند العباسيين في مصر بعد ذلك للدفاع عنها وصد الفاطميين إذا عادوا إلى الهجوم .

وحدث أن مؤنسا الخادم عزل أبا زنبور عن خراج مصر وولى محمد بن جعفر القرطبي ^(١) . ولكن الخليفة المقتدر رد إلى الماذرائين هذا العمل ^(٢) .

والواقع أن أبا زنبور كان قد أفلح في كسب محبة مؤنس منذ قدومه من العراق وذلك بفضل إقباله على إكرامه وبذل النفقات في سبيله وسبيل جنده ^(٣) .

ولما عاد ابن الفرات إلى الوزارة في بغداد سنة ٣١١ هـ استدعى أبا زنبور إلى بغداد وصادر جزءاً كبيراً من أموال سائر أفراد أسرته ^(٤) ، ثم انتهت وزارة ابن الفرات وعين على بن عيسى لكشف مصر « والنفتيش » على شئونها ^(٥) فكان يزورها من حين إلى آخر ليطلع على إدارة شئونها المالية . وقد خلف لنا هلال الصابي ^(٦) نصاً تاريخياً يحدّثنا عن حادث وقع في إحدى هذه الزيارات الكشفية التي كان يقوم بها ابن عيسى . وبالنظر إلى أهمية هذا النص وإلى ما يستنبط منه عن الشؤون الإدارية والمالية في الخلافة حينئذ فإنا نفضل أن ننقله هنا ، فهو وثيقة عظيمة الشأن :

(١) هذه هي المرة الأولى التي قلد فيها القرطبي خراج مصر . والمعروف أنه ولى ثانية ، حين كان أبو بكر الماذرائي طاملاً على الخراج ، ولكنه لم يصل إلى مصر إذ توفي في الطريق كما ذكرنا من قبل (ص ٤٢) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٣) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٣١ — ٣٣٢

(٤) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٤٨ ومسكوبه ، كتاب تجارب الأمم ج ١ ص ١١٤

(٥) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٥٤ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٣

(٦) تاريخ الوزراء : ص ٣١٩ — ٣٢١

« وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر الكرخي بمصر قال : كنت أكتب لأبي علي الحسين بن أحمد الماذرائي ووافي أبو الحسن علي بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القسم عبد الله بن محمد بن خاقان للإشراف على مصر والشام فدخل إلى مصر وتحمته حمار وعليه طيلسان . وكان المتولي للمعونة^(١) تكيين فتلقيه وترجل له وعظمت هيئته في النفوس جداً وجلس ونظر . ثم ركب في بعض الأيام متفرجاً وعاد فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لا نتظاره صاح : اللصوص ! ففزعنا كلنا خوفاً من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استقر في مجلسه قال : يا معاشر الناس اجتزت الساعة على جسر قارون (وهو بزند من الزندات وتسمى الزندات بمصر جسوراً) فقدرت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت المال يحسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثر التعمجب منه والقول فيه . وكان أبو علي (الماذرائي) حاضراً فلم يجبه عن كلامه . فقال : الشأن أنني أقول ما أقوله فلا تحييني عنه يا أبا علي ؟ فنهض وانصرف . واغناط أبو الحسن علي بن عيسى من ذلك وأطبق دواته وقال لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد . وقام ودخل ، فانصرف الناس ومضيت إلى أبي علي قلقاً بما شاهدته وسمعته ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى علي بن عيسى يستأذنه في حضوره عنده على خلوة . فأذن له ومضى وأطال فجلست أنتظره . فلما عاد سألته عما جرى فقال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سوء أدب عليك ولا استهانة بقولك وإنما كرهت أن أعترف بحضرة الناس فألزم نفسي ما لا يلزمها أو أجيبك بما حضرت الآن لذكره فيكون ما عليك فيه أكثر مما علي فيه فامتنعت إكراماً لك وصيانة . ثم قلت له : كم جاري^(٢) ؟ فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر^(٣) . فقلت : يمكنني وأنا عامل مصر أن أكون

(١) المتولي على المعونة أو صاحب المعونة هو الوالي أو صاحب الشرطة . راجع Wiet : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, T. 11. pp. 30, 54, 231 وما يشير إليه من مراجع . وانظر الأب أنستاس الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ص ٥٥

(٢) أي راتي : أنظر Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 1. p.190.

(٣) قد يبدو هذا الراتب كبيراً ولكن الظاهر أنه يشمل رواتب الموظفين الذين يعينهم الماذرائي لخدمته ومن نسميهم اليوم موظفي مكتبته .

بغير كتاب ولا عمل ولا كُراع^(١) ولا جمال ولا إعطاء ولا أفضال؟ قال : لا ، قلت : أفلا تعلم أن لى حرماً وأولاداً وأقارب وأهلاً أحتاج لهم إلى مؤونة؟ قال : بلى ، قلت : فأخلو من أن يرد على زوار بكتبك وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروءة أن أبرهم وأصلهم؟ قال . بلى لعمري ، قلت فهذا الجبار الذى أجاوره^(٢) وفائق خادمه له ثمانون مرقدًا وهو متسلط على الأمر كله يمكننى أن أقيم على الطاعة وأمنعه ادخال اليد فى الضياع إلا بمؤونة أتكلفها له وأولاده وخدمه وكتابه حتى يستقيم ما بينى وبينه؟ قال : هذا ما لا بد منه . قلت : فالخليفة والسيدة والحالة والقهرمان ومؤنس ونصر الحاجب وكتائبهم وأسبابهم^(٣) يجوز أن لا أهادبهم فى كل سنة؟ قال : هذا رسم لا يمكن الاخلال به . قلت : فالوزارة إذا تقلد الواحد منهم هل يدخل داره شىء قبل ما يحمله خليفته إليه؟ وإذا نكب فهل يؤدى من مال مصادرتة^(٤) شيئاً قبل ما يستدعيه منى؟ وهذا أنت أيدك الله (وأنت أعف الوزراء ومن لا يعرف له نظير) ألم أحمل إليك فى وقت كذا وكذا وفى وقت كذا وكذا وأجبر على عيالك فى مدة كذا وكذا؟ فقال : أنا والله شاكر لذلك . فقلت : ما ذكرت هذا اعتداداً عليك وإنما ذكرته لتعلم أنه يلزمنى لغيرك مثله وأكثر منه . وهذا حق بيت المال فى ضياعك بمصر والشام وهو بضعة عشر ألف دينار فى السنة أدت منها درهماً واحداً؟ فقال : ما أدري . فقلت : هذا مال عظيم ولست أبرح أو أعلم أنه قد حصل لك أو كان أصحابك خانوك فيه^(٥) حتى أرتجعه منهم للسلطان؟ فأعاد الشكر . فقلت : يا سيدى فمصادرتى فى كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل من الثلاثة الآلاف الدينار الجارى تكون؟ فقال : دع هذا

(١) الكراع الخيل والبغال والحمير .

(٢) يقصد الوالى .

(٣) أهاربهم وأتباعهم .

(٤) هو المال الذى يلزم بدفعه وفاء لما ينسب إليه من اختلاس أو عقاباً على ما يوجه إليه

من تهم . أنظر Dozy : op. cit. 1. p. 822.

(٥) أى حتى أعلم هل أدى إليك أو أوهك أتباعك أنهم دفعوه عنك لبيت المال .

يا أبا على فان كبار الرجال يغضى لهم السلطان عن كثير الأموال . وما سمعناه بعد ذلك أعاد في شيء من أمور أعمالنا قولاً .

وهكذا يتبين لنا من هذا النص كيف كان كبار المشرفين على الادارة المالية يختلسون أموال الدولة بما يقدمون من بيانات خاطئة لوجوه الصرف حتى تهياً لهم الأموال الطائلة يدفعون قسماً كبيراً منها في رشوة الوزراء ورجال البلاط وسائر كبار الموظفين .

وتوفي أبو زنبور بمصر سنة ٣١٧ هـ^(١) بعد أن أفلح في مد نفوذ الماذرائين حتى أصبحت مصر والشام في يدهم من الناحيتين المالية والاقتصادية وامتد نفوذهم إلى العراق فكان لهم في بغداد شأن عظيم . وحسبنا شاهداً على الثروة العظيمة التي جمعها الماذرائيون ما نقرأه من بيانات في بعض المراجع التاريخية ففد أشار الوزير على بن محمد بن الفرات عند مناظرته الوزير حامد بن العباس ، إلى أن أبا زنبور الماذرائي وابن أخيه محمد بن على كانا يملكان في مصر مائة فرسخ^(٢) مربع من الضياع^(٣) . وروى أبو بكر محمد الماذرائي أن محمد بن طغج الأخشيذ صادر من بضائعه ما يساوي أكثر من ثمانين وية من الدنانير^(٤) . وروى المقرئ أن صدقات أبي بكر الماذرائي بلغت مرة في سنة واحدة نيفا وستين ألف دينار وأنه ملك بمصر من الضياع الكبيرة ما لم يملكه قبله أحد فبلغ إيراد ضياعه أربعمائة ألف دينار في كل سنة سوى الخراج^(٥) .

ولا ريب في أن أهم الوسائل التي جمع بها الماذرائيون هذه الثروة الطائلة ضماهم خراج مصر والشام في بعض السنين أي تعهدهم بدفع مبلغ معين إلى خزانة الحكومة

(١) عريب : صلة تاريخ الطبري (جزء ١٢ من تاريخ الطبري) ص ٧٥

(٢) الفرسخ نحو خمسة كيلو مترات وسبعمائة واثنتين وستين متراً أو ثلاثة أميال .

(٣) هلال الصابىء : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٩٣ — ٩٤

(٤) المقرئ : المقفى ص ١٢٦ (من النص العربي المنشور في رسالة جوتشلك عن الماذرائين) .

(٥) المرجع نفسه ص ١٢٧

المركزية في بغداد ، على أن يأخذوا على عاتقهم جباية الخراج في هذين الاقليمين ^(١) .
وطبيعي أنهم كانوا يجمعون من المال أكثر مما يدفعون إلى بيت المال . كما كانوا
يحتجون في بعض الأحيان بكثرة نفقات الجند فلا يدفعون إلى بغداد ما تعهدوا بدفعه .
ومما يؤيد تأخيرهم في الدفع ما تحدث به المقتدر بالله إلى مؤنس الخادم ، حين أراد
إبعاده عن بغداد بتدبير ابن الفرات في سنة ٣١١ هـ ، فقد ختم هذا الحديث بقوله :
« والوجه أن تخرج إلى الرقة وتمتوسط في عمالك وتنفذ عمالك في اقتضاء الأموال
وتستخرج ما يجب على الماذرائين من الأموال العظيمة التي يذلول بها خطوطهم
وتهايك عمال المعاون بمصر والشام فيستقيم أمر الملك » ^(٢) .

(١) مثلك ذلك ما قرره ابن الفرات في المناظرة التي أشرنا إليها ، فقد أشار إلى أنه « آخذ
خط الحسين بن احمد الماذرائي بحضرة أمير المؤمنين بألف ألف دينار عن مصر والشام
خالصاً للحمل بعد النفقات ومال الجند في تلك الأعمال . أنظر هلاك الصابئ : المرجع السابق
ص ٢٩٠

أنظر أيضاً مسكويه : الجزء الخامس من كتاب تجارب الأمم ص ١٠٦

(٢) مسكويه : المرجع نفسه ص ١١٦

البَابُ الثَّانِي

أُسْرَةُ الْأَخْيَرِ

أسرة الاخشيد

(١)

حكمت الدولة الاخشيدية مصر نحو ٣٤ سنة . ومؤسسها هو محمد بن طنج الاخشيد ، وقد خلفه في حكم مصر ابنه أبو القاسم أونوجور ثم أبو الحسن علي بن الاخشيد . وكان القائم بأمر مصر والمدير الحقيقي لها في عهد كل من هذين الابنين هو العبد الحبشي أبو المسك كافور ، الذي كان أبوهما قد اشتراه ثم أخذ برتقى في مناصب الدولة حتى أصبح قائدا في الجيش ومربيا لها ، وصارت له الوصاية عليهما مدة توليهما إمارة مصر ، ثم أصبح بعد وفاتهما الحاكم الفعلي والاسمى فيها . وبعد وفاة كافور ولي حكم مصر أبو الفوارس أحمد بن علي حفيد الاخشيد . وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره ولم يطل حكمه في البلاد ، إذ كانت مصر في ذلك الحين يهددها القرامطة في الشرق والفاطيون في الغرب والنوبيون في الجنوب ، كما كانت تنتابها كوارث اقتصادية ويفتلكها القحط والوباء فاضطرب الأمن فيها . وكانت كل هذه الظروف بالاضافة إلى ضعف الجيش المصرى وعجز خلافة بغداد مما شجع الفاطميين على غزو مصر بقيادة جوهر الصقلي .

(٢)

تنسب الدولة الاخشيدية إلى الاخشيد وهو اللقب الذي منحه الخليفة العباسي الراضى بالله محمد بن طنج في سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ / ٩٣٨ م) على رأى^(١) أو في سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) على رأى آخر^(٢) . وقد روى ابن سعيد نقلا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

عن الحسن بن زولاق أن محمد بن طنج كتب إلى الرازي بالله يسأله أن يلقب بالخشيد وقال في كتابه: « وقد كنى أمير المؤمنين جماعة ولقبهم، فليشرني بما سألت » فاستفسر الرازي من حاجبه ذكا عن معنى « الخشيد » ولم يعرف الحاجب هذا المعنى ، فسأل وقيل له ان هذا اللفظ معناه « عبد » ولكن لقب به ملك الملوك . ويبدو أن المعنى الأصلي لهذا اللفظ جعل الرازي لا يرى بأسا في منح طنج هذا اللقب ، فقال : « لا نبخل عليه بهذا ، اكتبوا له بذلك » ^(١) .

وقيل ان لفظ « الخشيد » ^(٢) معناه بلغة إقليم فرغانة « ملك الملوك » وانه كان لقب ملوكهم كما كان قبصر لقب ملوك الروم وكسرى لقب ملوك العجم وفرعون لقب ملوك مصر القدماء ^(٣) .

وكانت فرغانة ، مثل سائر أقاليم ما وراء النهر ، يسيطر عليها كبار الملاك والفرسان . وكان أمير تلك البلاد أكبر الملاك والفرسان فيها . وكان يسمى « دهقان » ولعله كان يدعى بلقب « خشيد » .

ومؤسس الدولة الخشيدية هو أبو بكر محمد بن طنج بن جف بن بلشكين ابن فوري بن خاقان ^(٤) . وتذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أنه من أولاد ملوك فرغانة ^(٥) . وكتب المستشرق الفرنسي هوار (Huart) أن محمد بن طنج لقب بالخشيد لأن أباه من نسل أمراء فرغانة الذين كان لهم هذا اللقب الإيراني الأصل (من Khehaêta بمعنى الذكي أو اللامع le brillant) ^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣ — ٢٤

(٢) ورد هذا اللفظ بالدال المهملة في معظم المراجع التاريخية كالكندى وابن الأثير وابن سعيد والمقريزي ولكن ضبطه ابن خلكان وأبو المحاسن بالدال المعجمة .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٧

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٥ . وفي ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٣) محمد بن طنج ابن جف بن بلشكين بن فوري بن خاقان . وقد أضاف المرجعان بعد خاقان أنه « صاحب سرير الذهب » وسرير الذهب إقليم من أقاليم بحر الخزر ، أنظر ياقوت : معجم البلدان مادة « سرير » . والمسمودي : صروج الذهب ج ٢ ص ٤١

(٥) ابن سعيد وابن خلكان : المرجعان السابقان .

(٦) Huart : Histoire des Arabes : T. I. p. 326.

ولكن هذه النسبة إلى ملوك فرغانة ليست ثابتة كل الثبوت . وهى ، إن دلت على شىء فانما تدل على نسبة الاخشيد إلى اقليم فرغانة . ولعله عندما وصل إلى منصب الولاية أراد أن يصل نسبه ببית الامارة فى موطنه إعلاءً لشأن أسرته . ولسنا أول من شك فى تلك النسبة . فقد كتب القلقشندى فى كلامه على ملوك فرغانة . « وكان كل منهم يلقب الاخشيد ولذلك لقب الراضى بالله العباسى محمد بن طنج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية بالاخشيد لأنه كان فرغانياً »^(١) .

وكان جف جد الاخشيد من بين نفر من فرسان فرغانة وشجعانها ، قدموا أو جىء بهم إلى الخليفة العباس المعتصم بالله فعنى بهم أشد العناية وعول على أن يتخذهم عوناً له وأقطعهم قطائع فى مدينة سامرا . وظلت قطائع جف تنسب إليه حتى زمن ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) .

ولما توفى المعتصم انتقل جف إلى خدمة ابنه الواثق . ولما مات الواثق سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) سحب جف أخاه المتوكل وظل فى بطائه إلى أن توفى فى بغداد فى الليلة التى قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م)^(٢) .

أما طنج^(٣) بن جف فقد التحق بعد وفاة أبيه بخدمة أحمد بن طولون^(٤) بعد أن اتصل بلؤلؤ الذى كان من اتباع هذا الأمير . والظاهر أنه انضم بعد ذلك إلى اسحق ابن كنداج والى الموصل وعدو ابن طولون ، ثم كان الصلح بين خمارويه بن أحمد بن طولون واسحق بن كنداج فعاد طنج بن جف إلى العمل لبنى طولون وعينه خمارويه والياً على دمشق وطبرية^(٥) .

وحدث فى سنة ٢٨١ هـ أن أرسل خمارويه . عامله طنج بن جف لغزو البيزنطيين ، فسار طنج من طرسوس على رأس جيش كبير وتقدم فى آسيا الصغرى حتى بلغ طرابزون

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٨٤

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣ — ٥٤ وابن سعيد : المغرب ص ٥

(٣) تذكر بعض المراجع القديمة مثل ابن سعيد وابن خلكان أن طنج معناها عبد الرحمن .

(٤) كتب ابن سعيد (المغرب ص ٥) أن ابن طولون « قلده مصر » ولعله يقصد أنه قلده

عملاً رئيسياً فى إدارتها .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

وهزم الروم في عدة وقائع وعاد إلى دمشق بعد بضعة شهور محملاً بالغنائم^(١) . ويبدو أن خمارويه غضب على طنج بعد هذه الحلة لأنه كان قد طلب منه أن يقبض على راغب^(٢) وإلى طرسوس وأن يقتله ويسكن الترحيب الذي لقيه طنج من هذا الوالى حبيه إلى نفسه وجعله يصغى إلى رجاء بعض أهل طرسوس في الإبقاء عليه ، فاشتركا في غزو الروم وعاد طنج يتلمس المعاذير عند خمارويه لامتناعه عن القبض على راغب . وعزم خمارويه على التملك بطنج ، غير أنه قتل قبل تحقيق نيته^(٣) .

ويروى أن طنج بن جف كان معه في القصر ليلة قتله وأنه طارد الخدم الذين اشتركوا في ذبحه فقبض عليهم وأمر بذبحهم وصلبهم^(٤) . وظل طنج واليا على دمشق وطبرية في عهد جيش بن خمارويه . ثم ثار القواد على جيش وقتلوه وولوا أخاه هارون بن خمارويه سنة ٢٨٣ ، وكان طنج من الساخطين على جيش فشق عليه عصا الطاعة في دمشق . وكان بين القواد الثائرين أخ لطنج هو القائد بدر بن جف^(٥) .

ولما تولى هارون بن خمارويه كان طنج يحكم الشام مستقلا عن مصر إلى حد كبير فخرج إليه بدر الحماسي قائد الجيش المصرى ومعه الحسين بن احمد الماذرائى وأعادا الشام إلى حظيرة الدولة الطولونية بعد أن نجحوا في الوصول إلى تسوية سلمية مع طنج ابن جف وأقراه في حكم دمشق من قبل هارون بن خمارويه^(٦) .

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٦٧ وأبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٦٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٦ والملاحظ أن المسعودى أشار إلى هذا الغزو في مروج الذهب وسمى قائده « طنج ابن سبيب » (ج ٨ ص ١٤٦) . وفي طبعة المطبعة البهية سنة ١٣٥٦ « طنج بن شيت » (ج ٢ ص ٤٧١) .

(٢) اقرأ عن هذا الوالى وعلاقته بالطولونيين والعباسيين Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 122, 140, 141. والمصادر العربية المذكورة في هذا المرجع . أنظر أيضاً ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٣٥٢

(٣) ابن سميع : المغرب ص ٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٠

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٧٠

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١

وبينما كان طنج يحكم الشام لهارون تقدمت جموع القرامطة بعد أن طاردتهم جيوش الخلافة العباسية في العراق^(١) فعاشت في الشام فسادا وقتلت كثيرا من سكانها سنة ٢٨٩ هـ واتصل الأمر بطنج ولم يقدر خطورته ، وظنهم من بعض الأعراب فخرج للقائهم بغير أهبة ولا عدة « ومعه البزاة والصقورة كأنه خارج للصيد » على حد تعبير أبي المحاسن^(٢) ، وكان النصر للقرامطة وعاد طنج إلى دمشق منهزما بعد أن قتل عدد كبير من جنده . وفي السنة التالية أرسل طنج بن جف جيشا آخر لقتال القرامطة ولكنه هزم شر هزيمة ، كما قدم من مصر جيش لقتالهم بقيادة بدر الحماني ولكنه لم يكن أحسن حظا . وتشجع القرامطة فأقبلوا على حصار دمشق وأشرف أهل هذه المدينة على الهلاك . وكان المكتفي بالله الخليفة العباسي الجديد يراقب هذا النضال بين القرامطة وال طولونيين ، ولا ريب في أنه أراد أن يضرب ضربة حاسمة ليتخلص من الفريقين فبعث إلى الشام بجيش كامل العدد على رأسه القائد محمد بن سليمان . وعلم القرامطة بقدوم هذا الجيش فبادروا بترك دمشق بعد أن دفع لهم أهلها مبلغا كبيرا من المال ثم انسحبوا إلى حص وأدركهم الجيش العباسي وهزمهم على مقربة من حماه سنة ٢٩١ هـ^(٣) .

وكان طنج بن جف من القواد الطولونيين الذين لم يرضوا عن قتل هارون بن خارويه ولم يعترفوا بخلفه شيبان بن أحمد بن طولون . وقد قرر هؤلاء القواد أن يتصلوا بالجيش العراقي الذي كان يقوده محمد بن سليمان والذي سار إلى مصر للقضاء على حكم بني طولون بعد أن أفلح في هزيمة القرامطة . وتم انضمامهم إلى هذا الجيش عند مدينة العباسة وكانوا ومن معهم من الجند عون له في فتح مصر .

(١) اقرأ عن القرامطة مقال الأستاذ ماسنيون Massignon في دائرة المعارف الاسلامية والفصل الذي كتبه عنهم في A Volume of Oriental Studies Presented to Professor Browne pp. 329-338. والطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٣٧ وما بعدها .

ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٧٥ وما بعدها .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠٤ وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٨٢

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٧٧ — ٣٩١

ويبدو أن محمد بن سليمان أراد أن يفيد من خبرة طنج بن جف أو أراد أن يتخلص من وجوده في مصر فبعث به واليا على قنشرين وضم اليه جمعا من جند ابن طولون^(١) ولكنه لم يبق طويلا في هذا المنصب ، فان محمد بن سليمان عندما غادر مصر ، سحب معه الى بغداد طنج بن جف وولده وأخاه^(٢) . وكان وزير المكتفي بالله ، الخليفة العباسي حينئذ ، هو العباس بن الحسن ، ولم يكن محمود السيرة ، بل كان عاكفا على لذاته ومعروفا بالسكر والدهاء^(٣) . وقام الخلاف بين هذا الوزير وطنج بن جف ، وكتب ابن زولاق في تفسير هذا الخلاف أن الوزير كان يريد من طنج اذا لقيه في موكب أن يترجل له وأن طنج لم يكن ليقبل ذلك فزال الوزير بالخليفة المكتفي بوغر صدره على طنج ويحذره من اخلاصه لبني طولون حتى أمر الخليفة بسجنه فحبس ومعه ابنه محمد وعبيد الله^(٤) . وظل طنج محبوسا الى أن توفي سنة ٢٩٤ هـ وأطلق ولده ولزما خدمة الوزير العباس بن الحسن الى أن عمل الحسين بن حمدان على القضاء عليه ، فاشتركا في قتله أخذا بئارهما . ثم هرب عبيد الله بن طنج الى شيراز فقدم أميرها وخرج محمد بن طنج الى الشام . واستطاع عبيد الله العودة الى بغداد في أيام المقتدر بالله والظاهر أنه وفق فيها الى منصب رئيسي^(٥) .

وكان طنج مشهورا بحبه للتطيب حتى بولغ في ذلك ف قيل انه كانت له خزانة طيب تحمل في سفره على نيف وخمسين جملا وأنه كان اذا تطيب لم يخف على أكثر أهل دمشق بخوره^(٦) .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٤٨

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٦

(٣) ابن الطقطقي : الفخرى ص ١٩٢

(٤) جاء في ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤ أن الذي حبس مع طنج هو ابنه محمد وحده .

(٥) ابن سميذ : المغرب ص ٧

(٦) المصدر نفسه ص ٥

وكان لطنج سبعة أبناء ذكر منهم ابن سعيد خمسة : هم أبو بكر محمد وأبو الحسين عبيد الله وأبو المظفر الحسن وأبو نصر الحسين وأبو القاسم علي^(١) .

وكان أكبر هؤلاء الأخوة أبا بكر محمد بن طنج . وقد ولد بمدينة بغداد في منتصف شهر رجب سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م)^(٢) . ولسنا نعرف شيئاً عن نشأته ، ولكننا نلقاه لأول مرة عندما كان أبوه واليا على دمشق وطبرية فإنه كان يستخلفه في الحكم على هذه المدينة الأخيرة .

ولما خرج محمد بن طنج الى الشام ، بعد قتل الوزير العباس بن الحسن ، اتصل بأبي العباس أحمد بن بسطام الذي كان عاملاً على الخراج فيها . وكان يخدمه في شؤون الصيد على وجه خاص فكان يحمل له الجوارح حتى عرف باسم بازيار ابن بسطام^(٣) . ولما تقلد ابن بسطام خراج مصر سنة ٢٩٦ هـ صحبه محمد بن طنج اليها . ثم توفي ابن بسطام في العام التالي وخلفه على خراج مصر ابنه أبو القاسم علي بن أحمد بن بسطام . وظل ابن طنج في خدمته فترة من الزمن^(٤) . وعزل علي بن بسطام سنة ٣٠٠ هـ . أما ابن طنج فقد اتصل بتسكين والي مصر وعندما قدم الجيش الفاطمي لغزو مصر بقيادة حباشة سنة ٣٠٢ هـ أبلى محمد بن طنج بلاء حسناً مع تسكين في قتال هذا الجيش وتوثقت صلته به حتى أصبح منه « بمنابة الولد »^(٥) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥

(٣) البازيار أو البازدار هو الذي يحمل على يده الطيور الجوارح المعدة للصيد ، أنظر

العلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٩ و

L. Mercier : La Chasse et les Sports chez les Arabes. P. 81 et suiv. figs 4 et 5.

Zaky M. Hassen : Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages pl. 3 & 9. E, Pauty : Bois Sculptés d'Eglises Coptes pl. 2 & 3.

(٤) مما يلفت النظر أن ابن خلكان لا يعرف شيئاً عن اتصال محمد بن طنج بأسرة ابن بسطام وأنه يشير إلى الفترة الواقعة بين خروجه من بغداد واتصاله بتسكين بقوله « وهرب أبو بكر إلى الشام وأقام متغرباً في البادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تسكين » (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤) .

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٧

ولما نحي تكين عن ولاية مصر وخرج الى الشام صحبه ابن طنج ثم تقلد تكين ولاية دمشق فأناوب عنه محمد بن طنج في عمان وجبل السراة^(١) . وروى أن حادثا وقع لابن طنج أثناء نيابته عن تكين في عمان وأدى الى شهرته ولقت نظر البلاط الخليفة اليه . وبيان ذلك أن ابن طنج عرف سنة ٣٠٦ هـ أن اعرابا من لحم وجذام كمنوا لركب الحجاج المارين بالشام ، وكان من بينهم نفر من وجوه أهل العراق وجارية لأم الخليفة المقتدر . فخرج محمد ومعه أخوه علي بن طنج على رأس جمع من الجند وهزم قطاع الطرق شر هزيمة فشكره الحجاج وأطنبوا في الحديث عن شجاعته في بغداد وقدر له الخليفة العباسي هذا العمل حق قدره^(٢) « فأنفذ اليه خلعا وزادا في رزقه »^(٣) .

ويبدو أن تكين ولاه بعد ذلك على الإسكندرية^(٤) ، وأنه ظل مقبلا بها إلى أن غزا الفاطميون مصر مرة ثانية بقيادة القائم في سنة ٣٠٧ هـ فأبلى في قتالهم بلاء حسنا . ولا ريب أنه عمل منذ ذلك الوقت على توثيق علاقته بكبار رجال الحكم فأتصل بأبي بكر محمد بن علي الماذرائي وأبى زنبور الحسين بن أحمد الماذرائي . ويبدو أنه عرف عن كذب الضياع والأموال الطائلة التي جمعها الماذرائيون فأفاد من ذلك في مصادرة قسط كبير منها بعد أن آلت اليه مقاليد الحكم في مصر^(٥) . كما اتصل محمد بن طنج بالقائد العباسي مؤنس الخادم الذي قدم من العراق سنة ٣٠٨ هـ على رأس جيش عباسي لطرد الفاطميين من الاراضى المصرية .

(١) السراة : جبل يصل ما بين أقصى اليمن والشام (أنظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة السراة ج ٥ ص ٥٩ — ٦١) .

(٢) نلاحظ أن المؤرخين المسلمين يقبلون على رواية مثل هذه القصص فيما ينسجون حول سير عظماء الرجال فتصبيح وكأئنها « كاشيات » لا نعرف نصيبها من الصحة . ومثال ذلك ما يروونه عن ابن طولون في رحلته من طرسوس إلى سامرا إذ يزعمون أنه كان في قافلة تشتمل على متاع للخليفة المستعين وأن الأعراب سطوا عليها فخاربهم ابن طولون وأنقذ القافلة وحفظ متاع الخليفة فأجازه ووصله بالعطايا .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤

(٤) لا نعرف مؤرخاً أشار إلى ذلك سوى ابن سعييد في المغرب ص ٧ ، نقلا عن ابن زولاق ،

(٥) ابن سعييد : المغرب ص ٨

وتقلا محمد بن طنج حكم الحوفين الشرقى والغربى من قبل تكين ، وحدث أثناء ولايته هذه أن استولى على دار القاضى أبى عبيد الله على بن الحسين بن حرب بن عيسى المعروف بابن حربويه والذي قدم إلى مصر سنة ٢٩٣ وعزل عن قضائها سنة ٣١١ فعاد إلى بغداد حيث توفى سنة ٣١٩ هـ .

وتوفى بالاسكندرية سنة ٣١٦ هـ حاكمها أبو الين أحمد بن صالح ، ويبدو مما كتبه ابن سعيد أن محمد بن طنج استولى على تركته وأن تكين لم يرض عن ذلك فكان هذا بداية الخلاف بين الرجلين ^(١) .

وحدث أن عين مؤنس الخادم محمد بن جعفر القرطى على الحسبة ثم على الخراج فى مصر وصرف بذلك الماذرائيين فما لبث هؤلاء أن اتهموه باختلاس الأموال من خراج البلاد فعزله المقتدر وبادر القرطى بالاختفاء عند محمد بن طنج الذى كان صديقاً له منذ قدومه إلى مصر ^(٢) . وأفليح ابن طنج فى تدبير خطة لخراج القرطى من مصر وإنقاذه من الوقوع فى يد الماذرائيين الذين كانوا يجردون فى البحث عنه . وحفظ القرطى لابن طنج هذا الصنيع واستطاع أن يحصل له على تفليد من بغداد بولاية الرملة سنة ٣١٦ . والغريب أن محمد بن طنج لم يخرج من مصر إلى عمله الجديد علانية وإنما احتال للهرب منها . وعند ما غادر مقر إقامته بادر الجند بإبلاغ تكين أنه هرب . ولسنا نعرف حقيقة الحال فى هذا كله ولا ندرى كيف لا يستطيع موظف عينه الخليفة حاكماً على إقليم من أقاليم الخلافة أن يخرج إلى مقر ولايته ، ولكن هذا مثال من أمثلة الفوضى التى كانت تسود البلاد فى ذلك الوقت . ولعل محمد بن طنج خشى أن يغضب تكين ولى نعمته لأنه لم يشل هذا المنصب بوساطته فيعمل على منعه من مغادرة مصر أو يعتقله بأى تهمة من التهم . والراجح أن الرجلين كانت بينهما أمور لا نعرفها على وجه التحقيق وأن ابن طنج كان ينتظر أن ينقلب عليه تكين من حين إلى آخر .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٢) أنظر أيضاً Gottschalk : Die Madaraijun p. 90.

ومهما يكن من الأمر فإن ابن طنج عند ما بلغه وحده نبأ تقليده ولاية الرملة طاب إلى محمد بن تكين أن يستأذن له ولنفسه في أن يخرجها معا للصيد في إقليم الحوف ثم أفلح ، قبل بداية الصيد ، في إبعاد محمد بن تكين لاختضاع نفر من قطاع الطرق في صحراء الحوف ، وبادر بأخذ ثلاثمائة دينار من مبلغ من المال كان قد أودعه عند أمه ثم غادر مصر هاربا إلى الشام سنة ٣١٦ هـ ، أما أمه وسائر أفراد أسرته المقيمين بمصر فقد اضطروا إلى الاختفاء^(١) .

وقلق تكين لهرب محمد بن طنج وبعث إليه في دمشق كتابا يستعطفه فيه ويعتب عليه ومن عبارات هذا الكتاب ، « لو أعلمتني لأعتك وعضدتك » ومنها : (أَلَمْ تُرَبِّبْكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ)^(٢) . وجاء في رد ابن طنج على هذا الكتاب « فهت كتاب الأمير أطال الله بقاءه وما تلاه من القرآن والجواب ما أجاب به موسى الذي هو خير من الأمير ومنى (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ)^(٣) .

ولما علم الراشدي أمير الرملة بتقليد محمد بن طنج وبقدومه إليها بادر بالهرب وترك داره وأمتعته فوَقعت كلها في يد ابن طنج .

تسلم ابن طنج من الخليفة المقتدر كتابا يشبه فيه على ولاية الرملة وعوض الراشدي عنها بولاية دمشق . والظاهر أن ابن طنج سعى في تحسين مركزه وأن صديقه القرطبي ساعده في بغداد فجاءه في سنة ٣١٩ هـ تقليد من الخليفة بولاية دمشق^(٤) ، وصرف عنها الراشدي وردت إليه ولاية الرملة . وكان لابن طنج أصدقاء كثيرون في دمشق وكان محبوبا عند أهلها فرحبوا بتوليته « ودخلها أحسن دخول »^(٥) .

(١) ابن سميذ : المغرب ص ٩

(٢) قرآن كريم : سورة الشعراء ، الآيات ١٨ — ١٩

(٣) إشارة إلى ما جاء على لسان موسى في القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٢١ « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعاني من المرسلين » .

(٤) وفي سنة ٣١٨ هـ عند ابن خلكان وأبي الفدا .

(٥) عريب : صلة تاريخ الطبري (في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٨٢) .

واستطاع ابن طنج الاخشيد أن يوطد لنفسه في دمشق ، ويلوح أن قائداً من أتباع مؤنس المظفر ، اسمه بشرى الخادم ، انتهر فرصة الفوضى التي كانت تسود بغداد في ذلك الوقت بسبب الخلاف بين مؤنس والخليفة المقتدر^(١) ، فأراد أن يفتح بحد السيف إقليما ينصب نفسه حاكماً عليه وبسم شطر دمشق ، ولما قرب منها فإوضه الاخشيد وتم بينهما الصلح واجتمعا . ولكن ما لبث بشرى الخادم أن عقد العزم على القتال والتقى أتباعه بجنود الاخشيد وكان النصر للأخيرين وهزم بشرى وجرى به أسيراً إلى الإخشيد فأقام أياماً ثم أصبح ميئاً . وقيل ان الإخشيد سقاه سماً^(٢) .

ومهما يكن من الأمر فقد أتيح للاخشيد أن ينظم لنفسه جيشاً ضم إليه طائفة كبيرة من الجند الذين كانوا تابعين لتكئين ولراشدى ولبشرى الخادم . كما اجتمع حوله اخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلى بنو طنج . وولد له بدمشق في ذي الحجة سنة ٣١٩ هـ ابنه أبو القاسم أونوجور .

والظاهر أن الاخشيد سار منذ بداية حكمه في دمشق على السنة التي سنعرفها عنه بمصر في جمع المال بمختلف الطرق والوسائل ، وعلى رأسها مصادرة الأموال عند من يعرف عنهم الثراء والغنى . ومن ذلك ما يروى من أنه خرج يوماً للصيد في ظاهر دمشق فرأى حماماً فأطلق إليه طائر الصيد فأمسكه فاذا مع الحمام كتاب من أحد أتباع الراشدى إلى رجل من أهل دمشق يذكر فيه أن مابقى عند هذا الدمشقي ثمانون ألف دينار . ورجع الاخشيد إلى داره واستدعى الرجل وطالبه بالمال وأخذه منه^(٣) .

ومن ضروب القصص التي ينسجها الكتاب حول سيرة أعلام الرجال ما يروى من أن الاخشيد كان يجلس في دمشق ذات يوم فرأى طائراً يقال له السدلى ، وزعم الناس أن من دار هذا الطائر على رأسه ثلاث مرات وتمنى على الله شيئاً بلغه ،

(١) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٧٦ — ٩٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٠

فلما رأى الأخشيذ هذا الطائر وقد دوّم على رأسه ثلاث دورات تَمْنَى إمارة مصر فبلغه الله ذلك ^(١) .

وهكذا نرى أننا لا نعرف شيئاً كثيراً عن أسرة الأخشيذ ولا عن البيئة التي نشأ فيها ، ولا عن نوع التربية التي تلقاها في صباه . وحسبنا أنه كان من أولئك الجند الترك الذين حفل بذكرهم تاريخ الدولة العباسية منذ عصر المعتصم والذين استطاع نفر منهم أن يشق لنفسه الطريق وأن يتحكم في مصير الأقاليم الإسلامية، وأن يظهر إلى أي حد يمكن لحاكم قوى بشخصيته وعبقريته أن يفيد من الجيوش المؤلفة من العناصر المختلفة الجنس وأن يصل إلى السلطان السياسي والحربي في امبراطورية إسلامية اتسعت أرجاؤها حتى أصبح من العسير على الخلفاء الضعفاء أن يحتفظوا بنفوذهم فيها ^(٢) .

(١) وازن بين هذه القصة (ابن سعيد : المغرب ص ١٠) وقصة الكرة التي كان يقال ان من تقع في كفه يملك مصر فوقعت في كم عمرو بن العاص حين زار الاسكندرية في الجاهلية . انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها (طبعة توري) ص ٥٣ .

(٢) انظر في سلطان الجند الترك المراجع التي جاء ذكرها في مقال الدكتور زكي محمد حسن بعنوان « دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي » (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، المجلد ١٢ ، مايو سنة ١٩٥٠ ص ١٨٤ -- ١٨٥) .

البَابُ الثَّالِثُ

علاقة الأمراء الأخشيديين بالدولة العباسية

علاقة الأمراء الأخشيديين بالدولة العباسية

(١)

تولية محمد بن طغج الاخشيدي

ذكرنا في الباب الأول أن محمد بن طغج ولى مصر للمرة الأولى نحو ثلاثين يوماً وذلك بعد وفاة تكين . والواقع أنه كان يطمع فى حكم مصر قبل وفاة هذا الوالى ^(١) ، ولكنه انتظر إلى أن خلا مكانه واضطربت الأمور فى مصر فبعث من دمشق بكتابه على بن كلا إلى الخليفة العباسى يلىتمس تعيينه واليا على مصر . ورفض الخليفة القاهر محتجا بأنه قد ولى عليها محمد بن تكين .

وزعم ابن زولاق أن على بن كلا ، كاتب الاخشيدي بادر برشوة كاتب من كتاب القاهر بالله بعد أن خلع هذا الخليفة ، واشترى ابن كلا من هذا الكاتب بعشرة آلاف درهم تقليداً مزوراً على القاهر بولاية مصر للاخشيدي ثم أرسل هذا التقليد إلى سيده فى دمشق ^(٢) . ولكن هذا الزعم بعيد عن الحقيقة التاريخية لأن خلع الخليفة القاهر حدث فى جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ (ابريل سنة ٩٣٤ م) بينما كانت تولية ابن طغج الأولى على مصر فى شعبان سنة ٣٢١ هـ وورد الكتاب بولايته عليها فى السابع من شهر رمضان فى السنة نفسها ^(٣) . والراجح إذن أن الخليفة القاهر عاد ، على الرغم من رفضه الأول ، فعين الاخشيدي واليا على مصر .

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٤٤ وانظر أيضاً المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٨١

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٠

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٢ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٨ ، وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ و Wüstenfeld : Statthalter IV .p. 22

ولكن اضطراب الأمور في مصر وفي مقر الخلافة نفسه لم يترك للاستقرار سبيلاً ،
إذ لم يُدع الاخشيد على منابر مصر إلا نحو اثنين وثلاثين يوماً ، ورد بعدها كتاب
من الخليفة القاهر بولاية أحمد بن كيغلاغ على البلاد للمرة الثانية . وكان ذلك في شوال
سنة ٣٢١ هـ .

وقامت الفتن بين الجند ثم أقبل محمد بن تكين من فلسطين زاعماً أن الخليفة
الجديد الراضى بالله محمد بن المقتدر قد ولاء على مصر ، وانقسم الجند طائفتين : طائفة
تنصر ابن تكين وطائفة تنصر ابن كيغلاغ . وانتهى الأمر بهزيمة ابن تكين في مكان
اسمه الطواحين بين فاقوس وبلبيس ، فأسر ونفي في أخميم . وكاد الأمر يستقر
لابن كيغلاغ ، ولكن ما لبث الخليفة العباسي أن قلد محمد بن طنج ولاية مصر
للمرة الثانية ^(١) .

ويذكر ابن زولاق ^(٢) أن الفضل في تولية محمد بن طنج مصر في هذه المرة يرجع
إلى المصاهرة بينه وبين الفضل بن جعفر . إذ أن الخليفة الراضى ندب الفضل بن جعفر
لتفقد أحوال مصر والشام فأشترط الفضل على الخليفة وعلى وزيره محمد بن أبي علي بن مقله
أن يكون تفويضه كاملاً ، وأن يكون الأمر كله إليه « لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب »
فأجيب إلى طلبه . وحدث بعد ذلك أن زوج محمد بن طنج ابنته من جعفر بن الفضل
ابن جعفر ثم كتب الفضل كتاباً بتقليد ابن طنج أمور مصر استناداً إلى شرطه
الذي قال فيه إن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب .

وكما أثار ابن زولاق الشك في صحة التقليد الذي حصل عليه محمد بن طنج في ولايته
الأولى ، فإنه يضيف أن التقليد الخلفي الذي ادعاه لنفسه في ولايته الثانية كان مزوراً
أيضاً ، ويروي أن الراضى كان قد قلد محمد بن تكين أمور مصر وأن رسوله حمل التقليد
إلى دمشق فأخذه محمد بن طنج ومحا كلمة « تكين » وكتب مكانها « طنج » فحصل
بذلك على عهدين . العهد الذي كتبه له الفضل بن جعفر ، والعهد الذي كتبه الخليفة
لمحمد بن تكين .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١١

ويذكر هذا المؤرخ نفسه أن الرازي كتب إلى محمد بن علي الماذرائي كتاباً يقر فيه أحمد بن كينغلخ على ولاية البلاد ويفوض الماذرائي في أمورها تفويضاً كاملاً^(١).

وصفوة القول أن ابن زولاق حرص على أن يفهم القاري أن قولية ابن طنج في المرتين لم تكن قانونية أو شرعية . ولكننا لا نجد هذا عند أعلام المؤرخين الآخرين كالكندي ، وابن خلدون ، والمقرزي ، وأبي المحاسن . والراجح أن ذلك الحرص عند ابن زولاق يرجع إلى أنه غير في نسخة كتابه عن الأخشيدي بعد أن اتصل بالفاطميين وشملوه برعايتهم وأن المخطوط الذي وصل إلينا من هذا الكتاب صورة لما فيه بعد التعديل^(٢).

ومهما يكن من الأمر فإن الأخشيدي أراد بعد تعيينه والياً على مصر للمرة الثانية أن يدخلها صلحاً فيكتب إلى محمد بن علي الماذرائي يطلب إليه أن يتركه يدخل مصر بحيشه على أن يظل للماذرائي إشرافه على الإدارة في البلاد ، ولكن الماذرائي كان يعرف أنه لن يكون له مع الأخشيدي ما كان مع سائر الولاة من الأمر والنهي فلم يجب طلبه واضطره إلى ركوب ما كان يكره من جمع الجيوش والاستيلاء على حكم مصر عنوة . ويروون في هذا الصدد أن الأخشيدي كان يدعو على الماذرائي ويقول « هو أحوجني إلى جمع العساكر وقد كتبت إليه غير مرة : دعني أدخل في غلماني ومن معي وأنت المدبر لأمرى وأمرهم ، فما وجدت فيه حيلة ، وأرسل إليّ : ما بيني وبينك إلا السيف ، قد رد إليّ السلطان^(٣) أمر البلد وجعل إلى تقليد من شئت . فأهلكني وأهلك نفسه وأحوجني إلى هذا^(٤) » .

(١) نص هذا التفويض « أن الأمر يصير إليك فتقلد من شئت وتصرف من شئت » أنظر

ابن سعيد : المغرب ص ١١

(٢) أنظر ما كتبناه عن ابن زولاق في حديثنا عن مراجع هذا الكتاب ص ٤ — ٦

(٣) من النادر أن يشار إلى الخليفة العباسي بلقب السلطان . راجع عن هذا اللقب مقال الأستاذ كرامرز في مادة « سلطان » من دائرة المعارف الإسلامية وهو مقال طيب على الرغم مما فيه من أخطاء مثل وصف الموفق بالخلافة ، وانظر متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢٨ ؛ وراجع أيضاً Van Berchem : Corpus Inscriptionum Arabicarum,

Egypte I pp. 299, 300, 727.

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

وعين الفضل بن جعفر أحمد بن نصر عاملا على خراج مصر ، كما قلد بعض أتباعه وظائف أخرى في إدارتها ، ولكنهم لم يستطيعوا دخولها ، إذ أرسل أحمد بن كيغلاغ إلى العريش من يمنعهم من التقدم فلم يجدوا بدا من الرجوع إلى الشام .

ورأى الأخشيد أنه لن يستطيع دخول مصر إلا بالقوة فجمع جنوده وضم إليهم من استطاع ضمهم من القواد والجند الذين وفدوا عليه من أنحاء الشام والعراق والبادية وزاد عدد هذا الجيش حتى كان صعبا على الأخشيد تموينه . وقبل أن يسير الأخشيد على رأس جيشه إلى مصر اجتمع طويلا بالفضل بن جعفر وتشاورا في الأمور وتدير الخطط . والظاهر أن الأخشيد كان يشعر بجواسيس الماذرائيين من حوله فأحاط هذا الاجتماع بسياج من السكتمان^(١) .

أما في مصر فتد كان أحمد بن كيغلاغ لا يرى بدا من تسليم البلاد للأخشيد ، ولكن الماذرائي أتى عليه ذلك ، فاستعد الجميع للقتال وبعث الماذرائي وابن كيغلاغ جيشا إلى حدود مصر الشمالية الشرقية لمنع ابن طنج من دخول الفرما . وقرأ الماذرائي على أهل مصر كتاب الراضى الذى يفوض إليه تدبير مصر ويقر ابن كيغلاغ على ولايتها ثم أوفد الرسل من قبله ، ومعهم صورة هذا الكتاب إلى محمد بن طنج الأخشيد فقا بلوه عند وصوله إلى الفرما . ولما قرأ الأخشيد صورة كتاب الراضى طلب من رسل الماذرائي أن يحملوها إلى الوزير الفضل بن جعفر وكان ينزل حينئذ في مدينة الرملة . ولما وصل الرسل إلى هذه المدينة قبض عليهم الفضل وظلوا في أسره^(٢) . وتقدم ابن طنج بجيوشه وخرج أحمد بن كيغلاغ على رأس جنده ومعه المغاربة بقيادة زعيمهم حبشى وقيل أن عدد هذه الجيوش بلغ ثلاثين ألف جندي وأنها كانت تسد المنطقة الواقعة عند الحدود الشرقية المصرية بين جبال سينا والبحر المتوسط .

وأرسل محمد بن طنج قسما من جيشه في أسطول بقيادة صاعد بن كلم . وأفلح هذا الأسطول في الاستيلاء على دمياط وتيس ثم سارت مراكبه في النيل ولقيت

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١١ - ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٢

مراكب الماذرائى وابن كيغلف بقيادة على بن بدر على مقربة من سمهود . وكان النصر لأسطول ابن طنج في شعبان سنة ٣٢٣ هـ ووصلت سفنه إلى جزيرة الروضة وأقامت بها أياما ثم انسحبت منها إلى الدلتا فأمر الماذرائى بشحن الجزيرة بالسلاح والرجال استعدادا للدفاع عن الفسطاط . وما لبثت مراكب ابن طنج أن عادت في العشر من شهر رمضان وأسرت من في الجزيرة من رجال واستولت على ما جمع فيها من أسلحة وعناد ، ولكنها لم تستطع أن تدخل الفسطاط لأن الماذرائى صف جنده ومراكبه للدفاع عنها^(١) .

أما ابن طنج نفسه فقد سار على رأس جيشه في الأرض المصرية والظاهر أن مقدمة هذا الجيش التحمت مع جنود ابن كيغلف والماذرائى في معركة خسرها المصريون^(٢) . ثم نزل ابن طنج منية الأصبع^(٣) وبعث إلى ابن كيغلف بكتاب جاء فيه : « هذا كتاب الراضى بتقليدى . فان سلمت وإلا انصرفت بعد أن آخذ خطك وأشهد عليك بمنعك إياي وأسير إلى حضرة السلطان »^(٤) . وكان ابن كيغلف لا يكره التسليم لأن شجاعة ابن طنج وتفوق جيوشه ونجاح خططه وانضمام كثير من المصريين إلى جانبه كل ذلك أرغمه على احترامه والاعتراف بقوته . وفضلا عن ذلك فإن ابن كيغلف كان قد سئم استبداد الماذرائيين بتدبير الأمور في مصر « وأنه ليس له معهم أمر ولا نهى » . لهذا كله أقبل على تسليم البلاد لابن طنج ، بل اعتذر إليه بأن زمام الحوادث كان قد أفلت من يده وأن جند مصر قاوموه بغير ارادته^(٥) .

-
- (١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ — ٢٨٦ وابن سعيد : المغرب ص ١٢
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٤ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩
(٣) شمالى القاهرة وموقعها الحالى قريب من ضاحية الدمرداش . أنظر ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ٦٥ وعلى مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ج ١٦ ص ٥٨
(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٢
(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٤

وقد جاء في بعض المراجع التاريخية أن ابن كيغلف عقد تسليمه الى ابن طنج « أخذ بيد الحسين بن محمد الماذرائي فسلمه اليه »^(١) . ولسنا نظن أن المقصود بذلك أنه سلمه اليه رهينة وضمانا^(٢) ، وإنما نرجح أن الحسين الماذرائي أظهر أنه يشاطر ابن كيغلف رأيه في التسليم لابن طنج بينما كان أبوه محمد بن علي الماذرائي القوة الدافعة في مقاومة ابن طنج حتى اضطر الى الاختفاء بعد تسليم ابن كيغلف وظل مخفيا فترة من الزمن . وليس هذا الانقسام غريبا على الماذرائيين ، فقد كانوا يضمون به وجود أفراد منهم يتعاونون مع مختلف الحكام .

ودخل محمد بن طنج بحيشه مدينة الفسطاط في الأيام الأخيرة من شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ (أغسطس سنة ٩٣٥ م) وأشرف الجند منها على شاطئ النيل فقدم اليهم زملاؤهم الذين كانوا يقيمون في الجزيرة بعد الاستيلاء عليها . وطبيعي أن جنود ابن طنج عملوا على نهب الفسطاط . وقيل إنهم ظلوا يفعلون ذلك يومين ثم كفوا عن فعله بعد أن نودي في المدينة من قبل القائد أن من نهب يقتل^(٣) .

ثم بدأت أحوال المدينة في الهدوء واطمأن السكان الذين كانوا قد طلبوا الأمان من ابن طنج فعادوا الى دورهم بعد أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم . ودخل ابن طنج دار الامارة دخول الظافرين .

وغادر الفسطاط حبشي بن أحمد قائد الجند المغاربة في مصر وعلى بن بدر قائد اسطول ابن كيغلف وغيرها من القواد الذين قاوموا ابن طنج . وذلك أنهم كرهوا المقام مع ابن طنج فهربوا الى الشرقية أولا ثم عادوا فيمموا شطر الفيوم^(٤) . ولسنا ندري سبب عدوهم عن الهرب بطريق الحدود الشرقية ، ولكننا نرجح أنهم لم يطمئنون الى امكان النجاة من أعوان ابن طنج في هذا الجزء من البلاد ففضلوا الاتجاه الى اقليم الفيوم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) H. Gottschalk : Die Madaraijja p. 105.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٦

الذى لم يكن سلطان ابن طنج قد امتد اليه بعد . والمحتمل أنه كانت لهم بهذا الاقليم صلات يمكنهم الافادة منها وأنهم كانوا يريدون الانتفاع بطبيعته الجغرافية في أى مناورة يضطرون اليها . والواقع أن محمد بن طنج أراد أن يقضى على حركتهم في مدها فأرسل اليهم قائده صاعد بن كلم على رأس جند في عدة مراكب حربية ولم يستطع هذه المراكب أن تسير في التربة الموصلة الى الفيوم وتمكن الاعداء من أسر ابن كلم وقتله والاستيلاء على مراكبه .

وأبحر أولئك الثوار في المراكب التي وقعت في يدهم ووصلوا إلى الجزيرة وأحرقوا ما كان فيها من سفن لابن طنج ثم واصلوا السير إلى الاسكندرية حيث لحقوا بحبشي وجنوده المغاربة . وعزم الجميع على الذهاب إلى برقة وكتبوا إلى القائم بأمر الله الفاطمي يهونون عليه فتح مصر ويسألونه أن يبعث إليهم جيشاً يتعاونون معه في الاستيلاء عليها^(١) .

وطبيعى أن محمد بن طنج كان يوحس خيفة من شر هؤلاء الخارجين على ولايته ، فأرسل لقتالهم جيشاً بقيادة أخيه عميد الله بن طنج ولكنهم غادروا الأراضى المصرية إلى رمادة بين الاسكندرية وبرقة . ومرض حبشى وتوفي في رمادة في صفر سنة ٣٢٢هـ^(٢) .

ثم أرسل الفاطميون جيشاً لغزو مصر وأفلح ابن طنج في صد هذا الجيش كما سنرى في الباب الذى سنعقده للكلام على السياسة الخارجية .

وهكذا خلصت مصر لابن طنج ، وكان ذلك بجهوده الشخصية ، لأن تقليد الخليفة بالولاية لم يعد يكفي في ذلك الوقت لتثبيت الوالى بل كان لابد للوالى من فرض نفسه والتغلب على عدة عقبات . واستطاع ابن طنج أن يتغلب بمهارته السياسية وبقواته البرية والبحرية على الصعاب التي واجهته عند قدومه إلى مصر فانتصر على ابن كيلنج ومحمد بن على الماذرائى وهزم الثائرين عليه من القواد والجند وصد جيش الفاطميين .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ وابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٢) كتب ابن سعيد (المغرب ص ١٣) أن حبشياً « مات حسرة على ما خلفه بمصر »

ولا ريب أن هذا يشهد بما كان للجند المغاربة وزعيمهم حبشى من سلطان قبيل قدوم ابن طنج إلى مصر .

(٢)

تثبيت ابن طنج و اتساع سلطانه

يبدو أن الحكومة المركزية في بغداد كانت ترقب جهود ابن طنج لتثبيت قدمه في مصر وأن الوزير الفضل بن جعفر كان ينتظر أن تكمل هذه الجهود بالنجاح ليستطيع أن ينتقم من الماذرائين أعداء أسرته الألداء .

فما كادت الأحوال في مصر تؤذن بالاستقرار حتى قدم إليها الفضل بن جعفر ومعه خلع محمد بن طنج من قبل الخليفة الراضي بالله^(١) ، ومن المحتمل أن هذه الخلع كانت ترمز إلى تثبيته في ولاية مصر^(٢) .

ربما دخل الفضل بن جعفر مصر استقبليه ابن طنج خارج الحاضرة وزينت لهما الفسطاط واشترك أهلها في استقبالها والحفاوة بهما اشتراكاً شاعياً^(٣) . ونزل الاخشيدي دار الامارة وسار الفضل بن جعفر إلى دار ابن الجصاص^(٤) وعمل هذا الوزير على أن يكشف المكان الذي كان محمد بن علي الماذرائي مختفياً فيه . والظاهر أن ابن طنج كان يعرفه^(٥) ، ولكنه — لأمر ما — لم يرد أن يكون البادي بالكشف عنه ، وآثر أن يترك البدء بمثل هذه الأعمال للوزير العراقي نفسه . واستطاع الوزير أن يعرف أن الماذرائي مقيم في بيت كان يملكه اسحق بن نصير العبادي كاتب خمارويه^(٦)

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ وابن سعيد : المغرب ص ١٤

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٤

(٤) هو الحسين بن عبد الله الجوهرى ، كان تاجراً يبيع الجوهر واتصل بأمراء الدولة الطولونية واختاره خمارويه لمرافقة قطر الندى إلى زوجها الخليفة المعتضد ويقال أنها أودعت عنده أموالاً وجواهر كثيرة ثم ماتت فاستولى على هذه الودائع فلا عجب إذا أصبح من أصحاب الملايين كما نقول اليوم . أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٢ و ٨٠ و ١٨٥ و ٢١٨

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) لعله اسحق بن نصير النصراني أحد كبار المتقبلين الذين ذكروا أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٠) .

فذهب إليه مع ابن طنج ولما تأكد من وجوده عاد الفضل بن جعفر إلى مقره وانتظر ابن طنج إلى أن أتى بالماذرائي وقاده إلى مجلس الوزير . ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا سياسة ابن طنج في التقرب إلى الوزير وإظهار آيات الاجلال له بوصفه صاحب الاشراف العام على أمور مصر وممثل الحكومة المركزية فيها .

وطلب الوزير من الماذرائي مالا لإعداد موكب الحج ، ورد الماذرائي بأنه لا يستطيع أن يقدم إلا خمسة عشر ألف دينار^(١) ، فسأله الوزير متهمًا هل استطاع بمثل هذا المبلغ أن يعد العدة لقتال ابن طنج ومقاومة تقليد الخليفة بتعيينه . ثم أمر بحبسه . وفكر الأخشيدي في وسيلة جديدة يستطيع بها إرغام الماذرائي على دفع أقصى ما يمكنه دفعه من الأموال بغير أن يتعرض للإساءة منه أو من الوزير نفسه . ولا عجب فقد كان يعرف بخبرته أن الوزارة والولاية لا تدومان وأن الماذرائيين يعودون إلى الارتقاع بعد كل نكبة تحل بهم^(٢) .

واهتدى الأخشيدي إلى شخص كان يظنه عدواً لدوداً للماذرائي لا يقف عند حد في الانتقام منه . وهو محمد بن تكين الذي كان الماذرائي قد وقف حجير عثرة في سبيل ولايته كما مر بنا . واستدعى الأخشيدي ابن تكين من منفاه في الصعيد وعرض عليه أن يفوض إليه أمر الماذرائي ينتقم منه ويطالبه بما شاء ، ولكن ابن تكين أبى أن يكون آلة في يد غيره ففشلت هذه الحطة . وأراد الوزير أن يلجأ إلى الوسيلة المعروفة مع كبار الموظفين في العصر العباسي ويسمون المناظرة^(٣) . وقوامها أن يتولى بعض خصوم الوزراء أو الموظفين المعزولين مساجلتهم بالحجج في مجلس يعقد لهذا الغرض لاثبات ما يوجه اليهم من تهم واختلاسات وارغامهم على أن يدفعوا لبيت المال ما أخذوه

(١) المقرئى : الخط ج ٢ ص ١٥٦ ؛ أما ابن سعيد : المغرب ص ١٤ فقد كتب خمسة آلاف دينار .

(٢) نلاحظ في هذه المناسبة ما يرويه المقرئى (المرجع نفسه) عن صيام أبي بكر الماذرائي بعد هذه المقابلة وعن امتناع ابن الفرات من الأكل إجلالاً له وقوله : « لا آكل أبداً أو يأكل أبو بكر » .

من أموال الدولة^(١) . ولم يجد ابن الفرات أحداً في مصر يقبل مناظرة الماذرائي إلا الحسين بن علي الرقي الذي كان قد تعرض للحبس والنفي ، في ولاية تكين بتحريرض الماذرائي ، لتقصيره في دفع الخراج عن ضياع واسعة وتطلعه إلى القيام بعمل رئيسي في حيازة الخراج بمصر^(٢) .

وبدأ الحسين بن علي الرقي باهانة الماذرائي وتحقيره فأمر باحضاره « في جبة صوف مكشوف الرأس خفياً » ولما رآه الماذرائي أدرك سوء العاقبة على يديه فاحتال في الكتابة إلى ابن طنج يشكو إليه ما يحاوله الرقي من « التشفي » فيه ويرجوه انقاذه ويعرض عليه « هدية » قدرها خمسون ألف دينار مودعة عند فقيه اسمه ابن الطحاوي^(٣) . فبادر ابن طنج بإحضار الماذرائي واتفق مع الفضل بن جعفر على أن يعامل معاملة كريمة وأن يحاسب محاسبة دقيقة ليدفع ما في ذمته لبيت المال .

ونجم لابن الفرات ما أراد من الماذرائي فصادر كل ضياعه بالشام ومعظم ضياعه في مصر ، وكان إبراد الأخيرة نحو أربع مائة ألف دينار في السنة ، وصودرت أموال أولاده وحاشيته . وأواد ابن الفرات بخبرة ابن طنج ومعرفته التامة بأموال الماذرائيين وضياعهم . وكتب ابن طنج إلى الخليفة الراضي يخبره بما عمله هو والفضل بن جعفر مع الماذرائي فورد رسول اراضي إلى الاخشيد بالخلع والهدايا^(٤) .

١ - هاشم الصابري : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٣٦ و ٥٧ و ٧٧ و ٩٠ و ٢١٣
٢٣٦ و ٢٤١ و ٢٤٥ و ٢٦٢ و ٢٨٩

٢ - ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٣) روى ابن سعيد (في المرجع نفسه) أن الاخشيد استولى على هذا المال وأرسل بعد ذلك إلى الماذرائي يذكره بأنه الملووم لأنه لم يقبل أى عرض من عروض السلام التي عرضها عليه قبل أن يضطر إلى فتح مصر وأنه أرسل إليه بعد دخوله مصر يطالب عوناً مالياً فلم يرسل إليه إلا عشرة آلاف دينار فرد الماذرائي بأنه أرسل إلى الاخشيد مائة ألف دينار وإلى كاتبه ابن ثلاثة آلاف . وتبين أن هذا الكاتب قدم إلى الاخشيد عشرة آلاف واحتفظ بمائة الألف . ولم سم الاخشيد بذلك واجه كاتبه فدعى أنه إنما احتفظ بها ليقدمها إلى الأمير عند الحاجة خوفاً من أن يبادر بانفاقها . أنظر أيضاً المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩

٤ - ابن سعيد : المغرب ص ١٧

وأقام ابن الفرات في مصر إلى جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ يبحث شئونها المالية ويكشف ضياعها ولا سيما ضياع الماذرائيين ، ثم خرج إلى الشام وأخرج معه محمد بن علي الماذرائي مقبوضا عليه .

ويعتبر خروجه إيذانا ببدء عهد جديد في حكم الاخشيد . فقد « كانت ولاية مصر على قسمين : وإلى الحرب والصلاة وآخر للخراج وتدير الأموال » ولما كان الفضل ابن جعفر في مصر كان تدير الأموال والخراج له وتدير الحرب والرجال الاخشيد . ثم غادر الفضل مصر « فجمع الاخشيد الولايتين كما عمل أحمد بن طولون » ^(١) .

والراجح أن نجاح الاخشيد في التغلب على الصعاب التي لقيها بمصر حمل الحكومة المركزية على تأكيد ولايته لها . فإتينا نعلم أنه دخلها سنة ٣٢٣ هـ ولكننا نرى في بعض المراجع التاريخية القديمة أن الخليفة قلده أياها سنة ٣٢٤ هـ . ففي ابن الأثير أن الراضى قلده محمد بن طنج أعمال مصر مضافا إلى ما بيده من الشام وعزل أحمد بن كينغلغ عن مصر ^(٢) سنة ٣٢٤ هـ وكذلك يروي أبو الفدا ^(٣) وابن خلدون أيضا ^(٤) .

على أن الأحداث الرئيسية في علاقة ابن طنج الاخشيد بالحكومة المركزية في بغداد قوامها النزاع بينه وبين ابن رائق . ولسنا نستطيع أن نفهم هذا النزاع حق الفهم إلا إذا تذكرنا في البداية ما كان يسود مقر الخلافة من منافسات ومؤامرات للاستئثار بالنفوذ والاستيلاء على منصب أمير الأمراء ^(٥) . وحسبنا دليلا على ما أصبح لهذا المنصب من عظم الشأن والسلطان أن الخليفة الراضى حين عين محمد بن رائق أمير واسط في منصب أمير الأمراء ببغداد سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦ م) قلده إمارة الجيش وولاه

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٢) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١١٤

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٨٩

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٠٩

(٥) راجع ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٥ — ١٤٦ و Defrémery : Mémoire

Muir : The Caliphate. Its Rise Decline and Fall p. 568. و Relatif aux Emirs al Omera

خراج جميع البلاد الإسلامية التابعة للخلافة كما أمر أن يخطب له على المنابر في أنحاء العالم الإسلامي « وبطلت الدواوين من ذلك الوقت وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى امرأه الأمراء بعده ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنها فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون » (١) .

وكان إقليم الأهواز حينئذ في يد أبي عبد الله البريدي يصرف أموره كيف شاء ولا يحمل إلى بغداد من خواجه شيئاً . واستفحلت قوة البريدي وامتد سلطانه فرأى ابن رائق أنه لا بد من قتاله واستعان على ذلك بالقائد التركي بجكم الديلمي كما حالف البريدي عماد الدولة ابن بويه فسير الأخير أخاه مع البريدي وهزما بجكم ووطدا سلطانهما في منطقة الأهواز ، ولكن دب بينهما الشقاق . وقامت المنافسة من ناحية أخرى بين بجكم وابن رائق وتفاوض الأخير مع البريدي ووعدته بولاية واسط بعد سقوط بجكم . ولما تم النصر لهذا القائد الأخير أصبح أميراً للأمراء سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) واضطر ابن رائق إلى الانزواء .

وحدث بعد ذلك أن خرج بجكم مع الخليفة لقتال الحمدانيين فظهر ابن رائق في بغداد ثم وعد بالانسحاب إذا منح ولاية حران والرها وقنسرين مع المناطق العليا لنهر الفرات والحصون الواقعة على الحدود ، فأجيب إلى طلبه وما لبث أن طمح في سنة ٣٢٨ هـ إلى ملك الشام (٢) .

واتسع سلطان ابن رائق في الأقاليم المتاخمة لولاية الشام فبدأ في تهديد الاخشيد ومطالبته بمال كآنه جزية على الممتلكات الاخشيدية في الشام . وقلق ابن طنج أشد القلق من هذه الحالة ثم أشار عليه بعض معاونيه بأن يسترضى ابن رائق بالأموال ليكف شره عنه وذلك استناداً الى ما أمر الله رسوله من أن يعطى المؤلفة قلوبهم

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١١٢

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٣١٣

ويجعل لهم سهما في الصدقات حتى يكفوا أذاهم . ولما اقتنع الاخشيدي بأصالة هذا الرأي أرسل الى ابن رائق الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي ^(١) ليعمل على استرضائه ^(٢) .

ولكن المطالبة بالأموال لم تكن إلا حجة أراد ابن رائق أن يتذرع بها للاستيلاء على الشام من يد الاخشيدي . فلما دفع الأخير الأموال المطلوبة لم ير ابن رائق بدا من أن يكشف عن نواياه الحقيقية . وهكذا خرج الى الشام على رأس جيش كبير . ولما بلغ الرقة بعث الاخشيدي جيشا بقيادة عمران بن فارس لقتاله ^(٣) ، ولكن ابن رائق استطاع الاستيلاء على دمشق بعد أن هزم فيها عبيد الله بن طنج ^(٤) وواليا بدر بن عبد الله الاخشيدي ^(٥) ، كما استولى على حمص وحلب وغيرها من المدن والتغور ثم سار حتى دخل مدينة الرملة في أواخر ذي الحجة سنة ٣٢٧ هـ أو في أوائل سنة ٣٢٨ هـ .

وكانت العلاقة طيبة في تلك السنة بين ابن طنج والحكومة المركزية في بغداد ، ولا سيما منذ وافق الخليفة على منحه لقب إخشيدي سنة ٣٢٦ هـ أو سنة ٣٢٧ هـ ^(٦) ، كما مر بنا في الصفحات السابقة . وأحسن ابن طنج بخطر ابن رائق وعظم الجهود اللازمة لصدده ووصل إلى سماعه ما كان يقال من أن الخليفة قلد ابن رائق ولاية الشام فرأى أن يلجأ إلى الخليفة ليستطلع جلية الأمر . وكتب إلى ممثله في بغداد يطلب إليه أن يرفع إلى الخليفة أخبار ابن رائق ومطامعه في الشام وأن الاخشيدي عمل على استرضائه ولم يفلح وأنه على استعداد للتسليم إليه إذا صح أن الخليفة قد قلده ولاية الشام ، كما أنه أيضا

(١) الحسن بن طاهر ، من الأمراء الأشراف من بني الحسن بن علي بن أبي طالب ، رحل من الحجاز إلى الاخشيدي فنجحه هذا إقطاعاً واسعاً واتخذ صديقاً ومستشاراً . أنظر القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٨

(٢) ابن سعيدي : المغرب ص ٣٢

(٣) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٨٩

(٤) ابن سعيدي : المغرب ص ٢٥

(٥) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٢٨ وابن خلدون : تاريخ العبرج ٣ ص ٤٠٨

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٧٥

(٦) ابن سعيدي : المغرب ص ٢٣ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

راغب في قتاله وصده عن الشام ومصر إذا كان الخليفة يأمره (أى ابن طنج) بالقتال. ودخل ممثل الاخشيد في بغداد على الخليفة ونقل إليه رسالته وكان بين يديه بحكم أمير الأمراء. ولم يجب الخليفة بشيء واصل أمير الأمراء كان لسان حاله حين قال: « من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له »^(١). وليس الأمر غريباً من الحكومة المركزية، فما نظن أنها كانت تستطيع أن تتخذ قراراً تلزم أحد الفريقين باتباعه، فضلاً عن أنها لم تكن لتكره أن تتركهما للقتال فقد يؤدي إلى ضعفهما والتخلص منهما معاً. ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد، حين علم بموقف الخليفة وأمير الأمراء ثارت ثائرتة واتباعه النوبات العصبية التي كان يتعرض لها بين حين وآخر، وقيل انه عزم على حذف الدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة وأن يُدعى في مصر للخليفة الفاطمي، ولكن بعض نصحاائه صرفوه عن هذه الفكرة وزينوا له أنها لا تفيد إلا خصمه ابن رائق وأنها قد تحمل الخليفة العباسي على تقليده مصر إذا لم يكن قد فعل وعلى الاقبال على مساعدته ضد الاخشيد^(٢).

وهكذا لم ير الاخشيد بداً من اعداد العدة لقتال ابن رائق^(٣)، كما بعث بأسطوله إلى السواحل الشامية^(٤). ثم استخلف الاخشيد على مصر أخاه الحسن^(٥) وخرج على رأس جنده في بداية سنة ٣٢٨ هـ. وسار حتى نزل مدينة الفرما وتقدمت طلائع محمد بن رائق وكانت بين الفريقين مناوشة ثم سعى في الصلح بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي. وبعث الاخشيد بكتابه على بن محمد بن كلا إلى الرملة للمفاوضة في الشروط. وتم الصلح

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٦

(٢) انفراد ابن سعيد (المغرب ص ٢٦ — ٢٧) بالإشارة إلى هذه الرغبة في الخروج على الخلافة العباسية والخضوع للفاطميين ولكن سائر المؤرخين المصريين كالكندي والمقريزي وأبى المحاسن لم يذكروا عنها شيئاً. والراجح عندنا أن الاخشيد ربما فكر في مثل هذا ولكنه لم يتجاوز به حد التفكير بعد أن رأى أن استبدال سيد بسيد لا يغير الحالة ولا يوطد استقلاله. وازن بين رأينا هذا وما كتبه الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن في « تاريخ الاسلام السياسي » ج ٣ ص ١٥٣ وفي « الفاطميون في مصر » ص ٩٠ — ٩٢

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٩ وابن سعيد : المغرب ص ٢٥

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥

على أن تكون طبرية وما في شمالها من الأرض لمحمد بن رائق . وعاد الاخشيد بعد ذلك إلى مصر في جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ .

وما لبث ابن رائق أن نكث العهد وسار بجيشه من دمشق في شعبان من السنة نفسها ووصل إلى الرملة في طريقه إلى مصر وكتب الاخشيد إليه لعله يصل معه إلى تفاعم يحقن الدماء ، غير أن هذه المحاولات السامية لم تنجح فخرج الاخشيد على رأس جيشه إلى الرملة والتقى الجيشان عند العريش في شهر رمضان ووقعت معركة عظيمة انهزم فيها جيش الاخشيد في البداية . والغريب أن ابن زولاق نص في هذه المناسبة على أن الاخشيد أعد مراكبه في البحر ليهرب فيها إلى بلاد المغرب أو بيزنطة إذا حلت الهزيمة بجيشه ^(١) . ومهما يكن من الأمر فإن هزيمة الاخشيد في هذه المعركة لم تكن حاسمة ، بل دارت الدائرة وحشد الاخشيد جموعه وأفلح في مباغته ابن رائق وانتصر عليه انتصارا كبيرا . فانسحب ابن رائق إلى دمشق وأرسل الاخشيد لمطاردته جيشا بقيادة أخيه أبي نصر الحسين بن طفج ، ولكن ابن رائق باغت هذا الجيش وقتل قائده وأسرى بعض مساعديه وسار بهم إلى دمشق . ثم رأى أن يعمل لمصالحة الاخشيد فخطبته أخيه القائد القليل وأرسلها في تابوت إلى الاخشيد مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق معتذرا عن قتل القائد عارضا أن يفديه بابنه مزاحم . فأكبر الاخشيد هذا العرض وأكرم الابن ورده مكرما إلى أبيه وأفلحت الوساطة في الصلح بين الفريقين على أن يحكم ابن رائق الولايات الشامية شمال الرملة وعلى أن يدفع الاخشيد إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار ^(٢) . وكان من مظاهر هذا الصلح أن تصاهر الفريقان فزوج الاخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق .

(١) المرجع نفسه ص ٢٨

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٩ — ٢٩٠ وابن سميذ : المغرب ص ٢٨ — ٢٩

وابن الأثير : تاريخ الكاهل ج ٨ ص ١٢٨ والمقرئزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وابن خلدون :

العبر ج ٣ ص ٤٠٨ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

وهكذا نرى أن الاخشيدي كان عليه أن يفرض نفسه على الولاية التي تقلد حكمها وأن يتغلب على الثوار والمعارضين والغزاة وأن يلجأ الى الوسائل السامية حين يستطيع وإلى القتال حين لا تنفع الوسائل السامية. أما الحكومة المركزية في بغداد فقد سادت فيها الفوضى وكان موقفها من ذلك كله موقف المتفرج ، وذلك حين لا تتدخل من وراء ستار لتزيد الطين بلة وتضيف سببا جديدا للإخلاف والقتال بين الولاة الطامعين في الاستقلال .

ولا ريب في أن الخلافة العباسية كانت مرغمة على تثبيت الولاة المنتصرين ولا سيما في مصر^(١) . فضلا عن أنها كانت ترتاح الى بقاء هذه البلاد في يد حاكم قوى يستطيع صد الفاطميين عنها ويحمي الخلافة من شرهم . وقديما كان لمثل هذا الاعتبار أثره في قيام الأغلبة حين أقطعهم الرشيد افريقية لتسكون ولايتهم حاجزا يحمي مصر والشرق الاسلامي من الادارسة وغيرهم من الخارجين على الدولة العباسية^(٢) .

وبعد عودة محمد بن طنج من الشام على أثر عقد صلحه الثاني مع ابن رائق ، وردت الأخبار في شعبان سنة ٣٢٩ هـ ب وفاة الخليفة الراضى وبيعة أخيه المتقى بالله ووصل كتاب الخليفة الجديد في شوال باقرار الاخشيدي على مصر^(٣) . والواقع أن اعتراف الخليفة كان لا يزال له شأنه عند العامة والخاصة ، إذ أنه بالرغم من ضعف الخليفة في بغداد إلا أن سيادة الخليفة على الممالك الاسلامية ظلت ماثلة في الأذهان ولم يفقد معنى الخلافة ما كان له من القوة والسلطان حتى ان بنى أمية في الأندلس كانوا يقنعون بتسمية أنفسهم « بنى الخلائف » ولم يتخذوا لقب « خليفة » أو « أمير المؤمنين » ثم جاء الفاطميون فكانوا أول من خرج على هذه القاعدة فلم يكتفوا بأن يكونوا أمراء ذوي سلطان دنيوى فقط بل أرادوا أن يكونوا الخلفاء الحقيقيين للنبي عليه الصلاة والسلام فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بعد فتح القيروان في سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م)^(٤) .

(١) Marcel : Egypte depuis la conquête des Arabes p. 92.

(٢) M. Vonderheyden: La Berberie Orientale sous la Dynastie des Benoûl—Arlab pp. 5-8.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٠ — ٢٩١

(٤) آدم هنر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢ — ٣ نقلا عن ابن الجزار المؤرخ المغربى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) (وكتاب ابن الجزار موجود في الجزء الرابع من كتاب العيون والحدائق : مخطوط برلين رقم ٩٤٩١) .

ومهما يكن من الأمر فإنه لما بويح المتقي بالخلافة في ربيع الأول سنة ٣٢٩ كان السلطان في بغداد لأمر الأمراء بحكم ولم يكن للخليفة ولا لوزير الخليفة شيء . وقد تجدد النزاع بين بحكم والبريدى واستعان بحكم على حربه بقائد من كبار قواده اسمه توزون ، وبعد أن انتصر توزون على البريدى، اغتيل بحكم على يد رجل من الأكراد في سنة ٣٢٩ هـ .

ثم نشب الخلاف بين الترك والديلم في بغداد ورجحت كفة الديلم وعين قائدهم كورتكين أميراً للأمراء ولجأ الخليفة إلى ابن رائق للتخلص من كورتكين . فخرج ابن رائق من دمشق في رمضان سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) وهزم كورتكين ودخل بغداد ومنحه الخليفة لقب أمير الأمراء للمرة الثانية . ولكن البريدى احتل إقليم واسط وخرج ابن رائق لقتاله وعقد بينهما صلح على أن يدفع البريدى جزية سنوية نظير حكمه واسط . وسرعان ما تخلى الترك عن ابن رائق وشبت الفتن في بغداد بسبب القحط والغلاء فأرسل البريدى جيشاً إلى الحاضرة واضطر الخليفة المتقي وابن رائق إلى الخروج إلى الموصل حيث كان ناصر الدولة بن حمدان . وكان الخليفة يود أن يعينه ناصر الدولة على البريديين ولكن ناصر الدولة اغتال ابن رائق ليحل محله في منصب أمير الأمراء . ولم ير الخليفة بدا من منحه هذا اللقب سنة ٣٣٠ هـ ، كما خلع على أخيه أبي الحسن على ولقبه سيف الدولة . وسار ناصر الدولة إلى بغداد فهرب منها البريدى وظل ناصر الدولة أميراً للأمراء نحو ثلاثة عشر شهراً ثم قاومه الترك فاضطر إلى الرحيل عنها واختار الخليفة القائد توزون أميراً للأمراء فدخل الحاضرة في رمضان سنة ٣٣١ هـ .

بيد أن العلاقة بين توزون والخليفة ما لبثت أن ساءت إلى حد اضطر معه الخليفة إلى الاستنجاد بالآخشيذ والكتابة إليه بأنه سائر للقائه، وخرج الخليفة إلى الرقة مع وزيره ابن مقلة . أما الآخشيذ فقد استخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طنج على مصر وسار إلى الشام في شهر رجب سنة ٣٣٢ هـ ووصل إلى دمشق ثم سار ومعه أتباعه حتى وافى الخليفة المتقي بالرقة . ولكنه لم يستطع دخولها خوفاً من سيف الدولة على بن حمدان ^(١) .

(١) الذهبي : تاريخ الاسلام ص ٥٩ ، وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤

ولما ظهر أن الخليفة المتقي رأى من بنى حمدان الممل والضجر منه فعمل على الصلح مع توزون^(١) . ولكنه كتب في الوقت نفسه إلى الاخشيد يستحثه على أن يعبر نهر الفرات ليلقاه في الرقة . وخشى الاخشيد أن يحدث له ما حدث لابن رائق حين عبر الفرات وقتله الحمدانيون . فاضطر الخليفة إلى عبور الفرات واجتمع بالاخشيد وخام عليه في بداية سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) وبالع الاخشيد في اظهار امارات الخضوع والاحسان للخليفة ، كما قدم اليه والى وزيره وحاشيته الهدايا النفيسة من المال والجواهر والمنسوجات النفيسة والطيب والدواب^(٢) . ويبدو أن الخليفة سر باخلاص الاخشيد وهدايا فقال له : « قد ولنتك أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك اونوجور »^(٣) فزاد الاخشيد الهدايا إلى الخليفة اعترافا بفضلته عليه وعلى ابنه .

وهكذا حصل الاخشيد على تقليد جديد من الخليفة بولاية مصر وحق توريث اماراتها لأبنائه من بعده ، وإن كان هذا الحق قد حدد بفترة ثلاثين سنة . والواقع أن هذا التقليد من قبل الخليفة لم يكن له شأن عملي كبير وإنما كان إقرارا للواقع وإعطاء لامتياز لم يكن الخليفة يستطيع أن يمنعه . إذ أن الاخشيد كان قد أخذ البيعة لابنه من كبار القواد قبل لفاء الخليفة ، وذلك أنه عمل في سنة ٣٣١ على أن يعترف ذوو الرأي في مصر من أهل البلاد والقواد والجند بابنه اونوجور خليفة له^(٤) . ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد علم بياس الخليفة وعزمه على العودة إلى توزون عدوه اللدود ، فعرض عليه أن يسير معه إلى مصر والشام ليكون الاخشيد ورجاله في خدمته ، فرفض الخليفة هذه الدعوة . وعاد الاخشيد فطلب من الخليفة أن يقيم في الرقة على أن يمدد بالمال والرجال للدفاع عن سلطان الخلافة فرفض المتقي ذلك أيضا . وقيل

(١) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤١٨

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٤٨ — ٣٥٠

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وأبو المحاسن : ج ٣ ص ٢٥٤

ان ابن طنج عرض على الوزير ابن مقلة أن يسير الى مصر فرفض الوزير ذلك مراعاة للخليفة^(١).

ولسنا ندري لماذا استنجد الخليفة بالآخشيد ثم رفض أن يصحبه الى مقر ولايته .
والراجح عندنا أن الخليفة كان قد فقد ثقته في القواد والزعماء وأصبح لا ينظر أن يكرمه
الآخشيد طويلا ففضل ألا يبعد عن حاضرة ملكه وأن يعمل على الصالح مع توزون
أمير الأمراء .

ولو أتيج للآخشيد أن ينجح في جذب الخليفة الى مصر لتغير الى حد ما مستقبل
الخلافة ومستقبل وادي النيل . والواقع أن الآخشيد لم يكن أول وال عباسي فكر
في مثل هذا المشروع فانا نذكر كيف دعا ابن طولون من قبله الخليفة المعتمد الى الانتجاع
الى مصر هربا من استبداد أخيه الموفق الذي كان له الأمر والنهي في شئون الجيش
والحكومة ، وكاد المعتمد يحقق حلم ابن طولون لولا أن قبض عليه عيون أخيه الموفق وأرجعوه
الى حاضرتة شبه سجين . وهكذا أخفق ابن طولون والآخشيد في جعل مصر مركز
الخلافة العباسية ولم يتم ذلك إلا على يد الظاهر بيبرس في القرن السابع الهجري (١٢م)^(٢).

وروى ابن زولاق في مناسبة هذا اللقاء بين الخليفة والآخشيد أن الأخير سره
ما لقيه من اكرام المتقي وحسن رعايته له وحدثه نفسه أن في الاستطاعة أن يصحبه
إلى بغداد وأن ينال منصب أمير الأمراء فعرض على الخليفة « أن يسير بين يديه
ويخدمه إلى بغداد » ولكن أحد أصحاب الآخشيد رأى ما في هذا المشروع من خطر
عليه وعلى امارته في مصر والشام وخشى عاقبة التنافس بين الآخشيد والترك في بغداد
فأنذر الأمير بما في المشروع من أخطار ، واقتنع الآخشيد بصواب هذا الرأي فدبر مع

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ وابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩
وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥ والسيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ والمكيني :

تاريخ المساميين ص ٢١٢ و Wüstenfeld : Statthalter IV. p. 33

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠٩ وما بعدها ، ومحمد جمال الدين
سرور : الظاهر بيبرس ص ٦٢ — ٧٣ ، وحسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم
الاسلامية ص ١٢٦ — ١٣٠ ومحمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة
المماليك بمصر ص ٧٥ — ٨١ وزكي محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية ص ١٨ — ٢٠

صاحبه خطة يبرر بها أمام الخليفة لزوم عودته إلى مصر . ذلك أن صاحبه استدعى رجلا من المغاربة له أخ بالمغرب واستكتبه كتابا إليه من أخيه يقول فيه : « لما اتصل بأمر المؤمنين القائم بأمر الله مسير الاخشيد إلى المتقى بالعراق جهز العساكر في البر والبحر إلى مصر واغتم خلوها » ثم « فرك الكتاب ودعكه ليصير كأنه قديم » وحمل الكتاب إلى الاخشيد فطلب أن يكتب أمره عن جنوده لئلا تضعف روحهم المعنوية . وذهب به إلى المتقى وعرض عليه أنه كان يريد البقاء في خدمته ولكنه يخشى خطر الفاطميين على مصر فلم يتردد المتقى في حثه على المبادرة بالرجوع إلى مقر ولايته لصدد خطر الفواطم عنها^(١) .

والغريب في هذه القصة التي انفرد بروايتها ابن زولاق عن طموح الاخشيد إلى منصب أمير الأمراء أنها لا تتفق مع ما نعرفه عن ابن طغج من بعد النظر وحسن تقدير الأمور . فالتا لا نستطيع إذا سلمنا بصحتها أن نفسر رغبته في هذا المنصب مع علمه بالدسائس والمنافسات والصعاب التي تحيط به ومع حرصه على ولاية مصر وعلى أن يرثها ابنه من بعده .

ومهما يكن من الأمر فقد عاد الاخشيد الى مصر في جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ^(٢) وسار المتقى الى بغداد فخرج توزون أمير الأمراء للقائه وكحله فأذهب عينيه ونادى بعبد الله ابن المستكفي خليفة وسمى المستكفي بالله^(٣) .

ولما ولى المستكفي الخلافة في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) أقر الاخشيد على ولاية مصر والشام وقام الاخشيد بالدعوة له على المنابر في أنحاء ولايته^(٤) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠ — ٤١

(٢) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٩٢

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٧٢ — ٧٥ وابن الأثير : السكامل ج ٨ ص ١٤٩

وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٥٣

(٤) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٩٢

وقد نقل المستشرق متز عن الجزء الرابع من كتاب « العيون والحداثق في أخبار الحقائق » ^(١) أن الخليفة المستكفي كتب الى الاخشيدي يعرض عليه اماره بغداد بعد موت توزون ويضمن له القيام بالأمر ولكن الاخشيدي رفض هذا المنصب ^(٢) .

ثم عزل المستكفي وبويع المطيع لله سنة ٣٣٤ هـ وظلت العلاقة بين الخلافة والاخشيدي على حالها ، إذ بادر المطيع باقرار الاخشيدي على ولايته وأمر الاخشيدي بالدعوة المطيع على المنابر .

والواقع أن علاقة الاخشيدي بالحكومة المركزية لم يطرأ عليها أى تغيير منذ عزل المتقي ، فقد شغل الاخشيدي بنزاعه مع سيف الدولة الحمداني على حكم الشام . ووقفت الحكومة المركزية موقف المتفرج فلم يكن لها فى هذا الخلاف رأى تبدي . أو ارادة تملها . ولا عجب فان الاخشيدي كان قد احتل الشام بعد قتل ابن رائق ودخل دمشق فى شوال سنة ٣٣٠ هـ واستقر حكمه فى الشام بحمد السيف ^(٣) . فكان نزاعه مع سيف الدولة على حكمها أمرا لا تستطيع الخلافة الضعيفة فى بغداد أن تتدخل فيه ، وسوف نعرض لهذا النزاع عند الكلام على العلاقات الخارجية .

ولاريب فى أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم فى الشام للاخشيدي ونجاحه فى تدعيم حكمه فى مصر كل ذلك يعتبر حدا فاصلا فى علاقته بالخلافة فقد ، أصبح من القوة بحيث استطاع فى آخر ذى القعدة سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لابنه أبى القاسم أونوجور من بعده ^(٤) . وكان ذلك قبل لقاء الخليفة والاخشيدي فى الرقة . وما أشرنا إليه فى الصفحات السابقة من اعلان الخليفة تقليد الاخشيدي حكم مصر ثلاثين سنة .

(١) مخطوط برلين رقم ٩٤٩١ ورقة ٢٢٧ ب .

(٢) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٢ ، والملاحظ أن الحاشية التى فيها مصدر هذه القصة لم تثبت فى الترجمة العربية لكتاب متز واسكنها موجوده فى النسخة الألمانية (ص ٢٦ حاشية ٧) .

(٣) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١ — ٢٩٢ ، وابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٤) المقرئى : الخط ج ١ ص ٣٢٩ ، وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى

والاذن باستخلاف اونوجور . وقد نص ابن زولاق على ما يرجح وجود نظام لولاية العرش وضعه الاخشيد قبل لفاء الخليفة ، فقال : « كان يدعى المتقى ثم للاخشيد ثم لانوجور ثم لأبي المظفر الحسن بن طنج » ^(١) .

وتشهد السكة المضروبة على عهد الاخشيد بتطور العلاقة بينه وبين الخلافة فالدنانير المضروبة باسم الرازي من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٨ ^(٢) ، وبعض الدنانير المضروبة باسم المتقى في سنة ٣٢٩ ^(٣) تشهد بأن الاخشيد كان لا يزال يدين بالطاعة المطلقة للخليفة العباسي حتى كان اسم الخليفة وحده هو الذي ينقش على السكة . أما منذ سنة ٣٢٩ هـ فان الاخشيد كان ينقش اسمه مع اسم الخليفة على السكة ، كما يظهر من دنانير ضربت سنة ٣٢٩ وسنة ٣٣١ وسنة ٣٣٢ وسنة ٣٣٣ ^(٤) (انظر اللوحة رقم ١) .

أما امتداد سلطان الاخشيد إلى الحجاز واليمن فأمر غير واضح إذ أن الاخشيد أشار إلى أنه حاكم تلك البلاد في كتابه إلى إمبراطور الدولة البيزنطية سنة ٣٢٥ هـ ^(٥) كما أن ابن سعيد نقل عن كتاب ابن القرطبي في تاريخ مصر أن محمد بن طنج « ما زالت همته تعلو وسعادته تعينه إلى أن ملك مصر والشام والثغور وخطب له بالحجاز واليمن ولذلك يقول شاعره سعيد بن فاخر المعروف بقاضى البقر في قصيدة يمدحه بها :

يا ملك الشام ومصر إلى أقصى ثغور الروم والشام
واليمن الأبعد لازلت رفيعا قادراً حام ^(٦)

وذكر ابن ظافر الأزدى المصرى في تاريخه أن الخليفة المتقى عقد للاخشيد على مصر والشام والحرمين ^(٧) . كما ذكر أبو المحاسن أن الخليفة جمع لعلى بن الاخشيد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٢) S ; Lane-Poole : Catalogue of the Collection of Arabic Coins. Nos 694-699 p. 93.

(٣) Ibid., No. 725 p. 102.

(٤) Lane-Poole : op. cit., Nos. 933. 943 p : 143. H. Lavoix : Catalogue des monnaies musulmanes, Nos. 48-50 pp. 21-23.

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٢٠

(٦) المرجع نفسه ص ٤٤

(٧) Wüstenfeld : Statthalter IV. pp. 32. 58 & Lane-Poole : A History of Egypt in the Middle Ages p. 84.

ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصرية والممالك الشامية والثغور والحرمين الشريفين^(١) .
وتحدث الكندي عن ملك كافور مصر والحرمين^(٢) .

والرأى عندنا أن تقليد الاخشيد الحجاز أو مكة والمدينة وتقليده اليمن أمر صوري ورمزي . فليسنا نعتقد أن سلطان الاخشيد استقر في تلك الأقاليم ، فقد كان حكمها في يد أسرات محلية ربما خضع أمراؤها خضوعا اسميا للخلفاء العباسيين أو لمن يقدمهم أولئك الخلفاء حكم تلك البلاد^(٣) ، ولكن تصريف الأمور فيها ظل بيد الأمراء أنفسهم^(٤) ومنح الخليفة التقليد على الحرمين واليمن لا يقطع بانتقال أى سلطان فعلى الى الوالى صاحب التقليد ، ولكنه يشهد ، على كل حال ، بضعف الخلافة ونزولها عن قسط من نفوذها السياسى للأقوياء من الولاة . وقد ظلت العلاقة بين مصر والحجاز فى العصور التالية غير واضحة المعالم مما حمل شهاب الدين بن العمري على أن يكتب عند الكلام على الأعمال فى الدولة المملوكية : « وبهذا تم ذكر النطاق بمصر والشامات وما معها من جميع الممالك الاسلامية إلا الحجاز وهو قطعة من جزيرة العرب وليس أمره بمضبوط ولا بحفظ الثقة منوط »^(٥) .

وتقليد الخليفة ولاية الحرمين للاخشيد أمر يشهد بالسلطان الواسع الذى ناله ابن طنج ، لأن هذه الولاية كان لها فى القرن الرابع الهجرى شأن كبير « فقد ظهر من خلال النزاع حول امتلاك مكة والمدينة نظرية جديدة هى أن أمير المؤمنين الحقيقى هو من كان ملكا للحرمين »^(٦) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

(٣) القلقشندي : صبيح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٥ — ٢٦٩

(٤) Snouk : Mekka 1 pp. 57 et suiv. Van Berchem : Corpus, Egypte 1. pp. 413-419.

(٥) شهاب الدين بن العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٨٤

(٦) آدم منز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٥ عن المسعودى :

وكان الاخشيد مقصد كثير من عطاء بغداد ^(١) . فكان يكرم وفادتهم ويحسن استقبالهم ليكونوا رسل سلام بينه وبين الخليفة . ولا عجب فان الخلافة كانت لا تزال تحتفظ بقسط وافر من سلطانها الروحي ولم يكن يناهضها إلا الزعماء ذوو النفوذ الشخصي العظام . وكان القوم يولون وجوههم شطر الخليفة إذا ذهب أولئك الزعماء أو ضعف شأنهم . وحسبنا أن نذكر هنا أن الاخشيد أصيب فترة من الزمن بمرض عصبي كان يعاوده من حين إلى آخر وعمل هو وبعض حاشيته على كتم أمره، ولكنه كشف وبادر بعض أتباع الاخشيد وغيرهم بالكتابة إلى العراق يطلبون أن يعهد اليهم بولاية مصر ^(٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

(٢) المرجع نفسه ص ١٦ — ١٧

(٣)

خلفاء الاخشيد وعلاقة مصر بالخلافة في عهدهم

توفي محمد بن طنج الاخشيد بدمشق في شهر ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) وكان قد عقد قبل وفاته لولده أونوجور من بعده . ويقال انه عقد لولديه من بعده : أونوجور وعلى ، وقرر أن تكون الوصاية عليهما لعلامه كافور^(١) . والراجح أن أونوجور كان يقيم في مصر نائبا عن أبيه في حكمها عندما توفي الاخشيد في دمشق^(٢) .

والملاحظ أن الاخشيد استخلف على مصر قبل سفره ابنه أبا القاسم أونوجور كما استخلف له عمه أبا المظفر الحسن بن طنج^(٣) . ويبدو لنا أن الاخشيد كان يثق بأخيه الحسن ويسلم بضرورة التعاون بينهما في حياته ، ولكنه كان يخشى إذا جمعه بعد ولده أونوجور في ولاية الحكم أن يستأثر بالسلطان وأن ينحى عنه أولاد الاخشيد . ولعل ذلك هو السبب في أنه رتب أن يدبر أمورها من بعده غلامه كافور دون عمهما الحسن . وكان كافور — كما سنرى في الباب القادم — قد ارتقى في حاشية الإخشيد حتى أصبح مربيا لولديه وموضع الثقة عنده . وكان أونوجور هو الوارث الطبيعي لحكم مصر بعد أبيه ، ولا سيما منذ أصدر الخليفة المتقي سنة ٣٣٣ هـ تصريحه الذي قال فيه للاخشيد : « قد وليتك أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك أونوجور »^(٤) . ومع ذلك كله فإن المناداة به في مصر لم تحدث إلا بعد تردد ومحاولات لتسحيته عن الحكم .

وبيان ذلك أن كافورا شغل بضبط الأمور في الشام وإقرار الأمن بعد وفاة سيده فوصل نبأ الوفاة قبل قدوم كافور إلى مصر . وركب أبو المظفر الحسن بن طنج إلى دار

(١) ابن ظافر الأزدى في 58.7 Wüstenfeld : Statthalter IV p.

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢ ، ولكن أبا المحاسن يذهب إلى أن أونوجور كان في دمشق

حين مات أبوه . أنظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٩١

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

الإمارة ، وتبعه إليها الوزير أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل وخرج إليها أبو القاسم أونوجور وأقبل الناس لتعزيتهما وانصرف الجميع دون أن يقرر شيء في ولاية العرش . ثم اجتمع أونوجور والحسن بن طغج وعلي بن مقاتل في اليوم التالي وحضر وجوه الناس من الأمراء والقواد والوزراء والكتاب والأشراف والقضاة والشهود ، وأرسلوا إلى أبي بكر محمد ابن علي الماذرائي لاستطلاع رأيه في الحكم فاعترض الماذرائي على عرض هذا الموضوع على بساط البحث وقال : إن الاخشيدي عقد لابنه أونوجور قبل وفاته وإن الخليفة المتقي أذن الاخشيدي بذلك . ولما اعترض القوم بأن أونوجور لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره رد الماذرائي بأن صغر السن لا يجوز أن يكون سببا في تنحيته عن الحكم وأن هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ولي حكم مصر وهو أصغر سنا من أونوجور . وأضاف الماذرائي أن اضطراب الأحوال في الشام ينذر بسوء العاقبة إذا ضيع القوم الوقت في البحث والاختلاف ، وبذلك تم الأمر لأونوجور وأخفق عمه الحسن بن طغج في تحقيق مطالبه ^(١) .

ومما يشهد بأن التنافس كان شديدا على ولاية الحكم بعد وفاة الاخشيدي الآيات التي نظمها أحمد بن طباطبا نقيب الطالبين في مصر على ذلك العهد . فقد نقل ابن سعيد عن القرطبي أن ابن طباطبا كان « ممن حضر العقد لأبي القاسم أونوجور بن الاخشيدي بالفسطاط وأنه قال في ذلك اليوم وقد طمع في الأمر أبو المظفر بن طغج وغيره وتشعبت الأهواء :

مات اخشيدياً فها نحن في أمر مريج وكل كفٍ ثمَّ
كلكم طالبٌ بجدٍّ وحرصٍ إنما الشأنُ أن يُوافق جدُّ
يا ولاية الأمور ان لم تُنبدوا لا تنظام فقد تتأثر عقدٌ ^(٢)

وكان طبيعيا أن ينوب الماذرائي عن أونوجور في تدبير الأمور . والحق أن نفوذه زاد كثيرا بسبب موقفه من تولية أونوجور ، وقد حفظت له والدة الأمير هذا الجليل فأطلقت يده في أمور الدولة .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥ والمقريزي : الملقى ص ١٢٤ في رسالة جوتشاك .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٥٠

ولسنا نحتاج الى التعليق على هذا الموقف لأن الواضح أن الماذرائى كان يفضل تولية أونوجور ايزيد سلطانه وسلطان الماذرائيين من أفراد أسرته ، ويبدو أن هذا لم يكن أمرا مضمونا اذا آل الحكم الى الحسن بن طنج .

وكتب الماذرائى الى كافور ينهى اليه ماتم من تولية أونوجور وحمد له كافور هذا الحزم فى تصرف الأمور ^(١) .

وتم ما يشبه الاحتفال بتولية أونوجور حين خرج فى موكب عظيم سار فيه عمه الحسن بن طنج وأبو بكر الماذرائى وقصد الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) فأدى صلاة الجمعة فى ١٣ من المحرم سنة ٣٣٥ ودعى له على المنابر .

وما لبث كافور أن عاد الى مصر على رأس الجيش الذى كان قد سافر الى الشام مع الاخشيد . وكان وصوله الى الفسطاط فى شهر صفر سنة ٣٣٥ هـ . وورد كتاب من الخليفة المطيع لله الى الأمير أبى القاسم أونوجور يقره فيه على ولاية مصر والشام وما كان لأبيه من الولاية ^(٢) . وقرئ هذا الكتاب يوم الجمعة أول ربيع الآخر على منبر الجامع العتيق ^(٣) .

وقد ذكر أبو الحسن أن كافورا خرج من مصر بابنى الاخشيد وتوجه بهما الى الخليفة المطيع لله وأصلح أمرهما معه والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصرية ثم عاد بهما الى مصر ^(٤) . ولسنا لم نجد فى سائر المراجع القديمة ما يؤيد سفر الأميرين مع كافور للقاء الخليفة .

ثم أصبحت مقاليد الأمور فى بغداد بيد بنى بويه وأضحى معز الدولة صاحب الأس والنهى فى الدولة العباسية . فلا عجب اذا سعى اليه الولاة والأمراء ومنهم أونوجور ابن الاخشيد . وقد كتب أبو الحسن أن أونوجور أرسل طائفة من الهدايا الى معز

(١) المقرئى : المقفى ص ١٢٤ فى رسالة جوتشك .

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٤

(٤) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١ — ٢

الدولة سنة ٣٣٨ وسأله أن يكون أخوه مشاركا له في إمرة مصر وأن يخلفه بعد وفاته فأجابه معز الدولة الى ذلك ^(١) . وهكذا نال أونوجور موافقة الحكومة المركزية على استخلاف أخيه . ولكن الذى يبدو غريبا فى طلب أونوجور هو أن يكون أخوه مشاركا له فى إمرة مصر . فليسنا نفهم المقصود بذلك — هل يراد بالمشاركة أن يتولى على بعد وفاة أونوجور أو كان أونوجور يريد أن يشاركه أخوه فى القبض على أزمة الأمور فى مصر حتى يمكنه التخلص من وصاية كافور . ولكن التفسير الأول هو الراجح عندنا .

أما سلطان مصر على الحجاز بعد وفاة الأخشيدي فقد ظل سلطانا إسمياً يقف عند ذكر اسم الأمير الاخشيدى فى الخطبة فى بعض السنين ولا يكاد يصل إلى ذلك فى سنين أخرى . وحسبنا ما ذكره القلقشندي ^(٢) عن إخفاق المحاولة التى قام بها أمير الركب المصرى للخطبة لابن الاخشيد على المنابر فى مكة سنة ٣٤٢

بل نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك لنستنبط أن اقرار معز الدولة ولاية ابن الاخشيد سنة ٣٣٨ لم تكن عن طيب خاطر ، ولكنه كان مضطرا إلى قبول ما لا يستطيع رفضه أو تغييره لبعده الشقة بين العراق ومصر ولاشتغاله بتذليل العقبات التى كانت تترصده لتوطيد سلطانه والقضاء على البقية الباقية من سلطان الخليفة . ولما استتب الأمر ظهر فتور فى العلاقة بينه وبين الدولة الاخشيدية . وظهر هذا الفتور فى حرصه على حذف اسم الأمير الاخشيدى من الخطبة على منابر الحجاز . وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك حين ذكر فى حوادث سنة ٣٤٢ هـ أن قتالا وقع بين أتباع معز الدولة وعساكر المصريين من أصحاب ابن طنج وكان الظفر لأنصار معز الدولة فخطب له بمكة ^(٣) . ولكن قضية الاخشيد لم تكن خاسرة فى الحجاز كل هذه السنين فكان يدعى للأمير الاخشيدى بعد الخليفة أحيانا ، كما كان يدعى له بعد معز الدولة وأفراد أسرته أحيانا

(١) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٨

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٨

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٢

أخرى . من ذلك ما أشار إليه ابن الأثير في حوادث سنة ٣٤٣ حين ذكر أن حرباً وقعت بمكة بين أصحاب معز الدولة وأصحاب ابن طنج من المصريين وأن الغلبة كانت لأصحاب معز الدولة فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار وبعدهم لابن طنج^(١) .

واستطاع كافور طوال حكم أونوجور أن يكون الحاكم الحقيقي للبلاد كما سنرى في الباب القادم . ولما توفي أونوجور في ذى القعدة سنة ٣٤٩ هـ (ديسمبر سنة ٩٦٠ م) نودي بأخيه على بن الاخشيد أميراً على مصر وذلك باتفاق كافور وقواد الجند ورجال أبيه الاخشيد^(٢) ، وكان يبلغ من العمر حينذاك ثلاثاً وعشرين سنة^(٣) ، وقد أقره الخليفة المطيع على ولاية مصر والشام والحرمين .

وسوف نرى أن الأمور كانت على عهد كافور كما كانت الحال في عهد أخيه، والظاهر أن كافوراً كان المسئول عن إدارة البلاد وضمان خراجها أمام الحكومة المركزية^(٤) .

ثم توفي على بن الاخشيد في المحرم سنة ٣٥٥ هـ وظلت مصر بعد وفاته أياماً بغير أمير فلم يذكر في الخطبة إلا اسم الخليفة المطيع . وكان كافور يدبر أمور مصر والشام . وما لبث — بعد نحو أسبوعين من وفاة على بن الاخشيد — أن أعلن ورود كتاب من الخليفة المطيع بتقليده مصر، فدعى له على المنابر^(٥) . وقد يمكن الشك في أن الكتاب الذي أقره فيه الخليفة على ولاية مصر والشام والثغور والحرمين وصل الى مصر في الوقت الذي أعلن فيه خبر وصوله ، أى بعد وفاة على بن الاخشيد بأسبوعين، ولا سيما اذا تذكرنا أن تقليد الخليفة لأونوجور وصل الى مصر بعد وفاة الاخشيد بنحو ثلاثة أشهر، ولكن الذى لا شك فيه أن الخليفة ان لم يكن قد عقد له على ولاية مصر فقد سكت على اغتصابه

(١) المرجع نفسه ج ٨ ص ١٨٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٦ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤٥

والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وأبو المحاسن ج ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١

(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٠ ج ٢ ص ٢٧

الحكم ، وهكذا يتبين أن الخلافة لم يكن لها رأى الأعلى في حكم مصر حينذاك بل كانت لا تملك إلا اقرار الأمر الواقع .

ولم يكن كافور صاحب حق شرعى في ولاية مصر . فإنه ليس من أسرة الاخشيد ، ومع ذلك فإن الخلافة لم تحتج على اغتصابه الحكم ، ولا سيما أنها اعتادت أن ترى في يده تدبير الأمور في مصر . ولا ريب في أن « التكييف القانونى » لهذه الفترة التى استقل فيها كافور بحكم مصر ، مسألة تستحق النظر . وإذا استعرضنا أقوال أعلام المؤرخين في هذا الصدد تبين لنا أن ولايته الشرعية أمر غير مقطوع به .

أما الكندى وهو أقدم المراجع التى عاصرت الدولة الأخشيدية إلى نهايتها فإنه لم يصل فى كتابه الولاية إلى وفاة على بن الاخشيد . وإن تكن المخطوطة التى طبع منها الأستاذ جست كتاب الولاية قد جاء فيها الكلام على أونوجور وعلى بن الاخشيد وكافور وأحمد بن على الاخشيد فإن هذا الكلام تبعه عبارة فى الهامش قبل الكلام على أونوجور ، ونصها « إلى هنا انتهى ما كتبه أبو عمر (الكندى) واخترمته المنية قبل إكماله . قال ذلك ابن زولاق فى أول كتابه أخبار قضاة مصر . وما بعد ذلك ليس من كلام أبي عمر » ^(١) .

والمرجع الثانى المعاصر لنهاية الاخشيديين هو ابن زولاق . والمعروف أنه كتب ذيلًا لكتاب الولاية للكندى . ولكن هذا الذيل ليس هو التذييل المضاف إلى المخطوطة التى طبعها جست . ويرجح الأستاذ جست نفسه هذا الرأى ^(٢) . ونحن نجزم بصحته ونضيف إلى القرائن التى ذكرها جست أن المقرئى ^(٣) نقل عبارة طويلة عن ابن زولاق من كتاب « تمة كتاب أمراء مصر للكندى » وأن هذه العبارة ليست فى التذييل المضاف إلى المخطوطة التى طبعها جست . ومهما يكن من الأمر فإن هذا التذييل الذى لا نعرف تاريخه تمامًا يشر صراحة إلى تولية كافور ،

(١) الكندى : الولاية والقضاة ص ٢٩٣ ، ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٢) الكندى : الولاية والقضاة ، المقدمة الانجليزية للاستاذ جست ص ١٢ و ٤٦

(٣) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٢٥ ، الأسطر ١٦ — ١٩

وإنما جاء فيه « واستبد كافور بالأمر بعد موت علي بن الاخشيد ودعى باسمه على المنابر في المحرم سنة ٣٥٥ ووردت رسل المطيع وخامه وهداياه »^(١) .

وكتب ابن زولاق سيرة الاخشيد ونقلها ابن سعيد في كتابه العيون الدعج في حلى دولة بني طنج (الجزء الرابع من كتاب المغرب) . ولم تعرض هذه السيرة لما بعد تولية أونوجور .

أما ما جاء في كتاب ابن سعيد عن حكم كافور فقد نقله عن القرطبي الذي كتب في عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . ونص ما جاء في هذا الكتاب عن الفترة التي نحن بصدددها « قال القرطبي لما مات علي بن الاخشيد كان ابنه أحمد صغيراً فاستبد بالسلطان كافور الخادم ولم يظهر لأحمد رسم ولا اسم إلى أن مات كافور سنة ٣٥٧ فأظهر عقد الأمر لأحمد بن علي بن الاخشيد »^(٢) وليس في ذلك أى إشارة إلى تقليد من الخليفة .

أما جمال الدين بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ فقد كتب عن الدولة الاخشيدية النبذة التي نقلها وستنفذ في كتابه الألباني عن ولاية مصر .

ومما جاء في هذه النبذة قصة استيلاء كافور على السلطان بعد وفاة علي بن الاخشيد وقد نقلها ابن ظافر عن الفرغاني المؤرخ الذي عاصر الاخشيديين ولم تصل إلينا كتبه . قال ابن ظافر « وما توفي علي بن الاخشيد استشار كافور فيما يصنع . قال الفرغاني المؤرخ : لما توفي علي استدعاني كافور وقال لي : ان لك علينا حرمة وبيننا معرفة وأنت مسكون إلى نصيحتك ومشهور عندنا بصحة عقيدتك فما ترى أن أصنع فقلت له : أيها الأستاذ ان للمرحوم عندك صنائع وأياد تقتضى أن تنظر لعقبه والرأى عندي أن تنصب أحمد بن الأمير على مكان أبيه وتدبر أنت الدولة كما كنت فقال : كيف يمكنى نصب صغير ؟ فقلت : قد كان المرحوم عقد العهد لولده علي ولم يكن له من السن ما لأحمد .

(١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٩٧

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

فقال لى : تنظر فى ذلك . وانصرفت عنه فبلغنى أنه قال بعدى : أبو محمد من لا يشك فى ولائه ولاكنه يميل إلى الفرغانية . ثم لم يقبل ما أشار إليه الفرغانى بل وثب على الرياسة وانتزى وانتمى إليها واعتدى وأنزل اسم مواليه عن المنابر وأقام كذلك إلى أن توفى يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٧ «^(١) وليس فى هذا النص أى إشارة إلى تقليد من الخليفة .

والمقرئزى أول المؤرخين المصريين الذين يشيرون إلى تقليد الخليفة ، غير أنه يفعل ذلك فى صيغة غريبة فيقول ان كافورا « أخرج كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيد «^(٢) »

أما أبو المحاسن فقد لخص الأمر بقوله : « ثم مات على أيضا سنة ٣٥٥ واستقل كافور بالأمر وخطب له «^(٣) . وكتب السيوطى « فمات أونوجور وقام بعده أخوه على فاستمر إلى أن مات سنة خمس وخمسين فاستقرت المملكة باسم كافور يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز «^(٤) .

ومن الطريف أن من بين المؤرخين المصريين من لا يحفل بولاية أونوجور وأخيه على ومنهم ابن أياس فإنه يقول : « ولما مات الأمير أبو بكر تولى من بعده خادمه أبو المسك كافور الاخشيدى «^(٥) .

أما مؤرخو الخلافة عامة فعلى رأسهم ابن الأثير . وقد أشار فى حوادث سنة ٣٤٩ إلى مصر فقال : « وفيها فى آخرها مات أنوجور بن الاخشيد صاحب مصر وتقلد أخوه على مكانه «^(٦) . ولاكنه لم يشر بعد ذلك إلى موت على وتولية كافور وإن يكن قد سمى كافورا « صاحب مصر » عندما تحدث عن الغزو الفاطمى . وقد نسج على منوال ابن الأثير سائر المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ الخلافة عامة .

(١) جمال الدين بن ظافر الأزدي فى Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59.

(٢) المقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢

(٥) ابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٩٢

وكتب ابن خلكان ^(١) : « إلى أن توفي على . . . ثم استقل كافور بالملكة من هذا التاريخ وأشير عليه بأقامة الدعوة لولد أبي الحسن علي بن الاخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد ^(٢) وأظهر خلعا جاءته من العراق وكتابا بكنيته » .

وأشار أبو الفدا ^(٣) إلى موت علي بن الاخشيد وتولية كافور بقوله : « فتوفي علي بن الاخشيد المذكور وهو صغير في سنة ٣٥٥ فاستقل كافور بالملكة من هذا التاريخ » . وهكذا يبدو لنا أن كافورا لم يسمح بذكر اسم أحمد بن علي بن الاخشيد في الخطبة وأنه استقل بمصر ولكنه كان يشعر بأنه غريب عن أسرة الاخشيد . ولعله كان يشعر بما نكاد نصل إليه من النصوص وهو أنه وسط بين الأمير والوصى على العرش . فهو مستقل بحكم البلاد ، ولكنه غريب عن شعبها وأسرتها الحاكمة . وهو مطلق التصرف في أمورها ، ولكن ذلك ليس جديدا عليه فقد كان له هذا السلطان منذ وفاة الاخشيد . وهو أمير على البلاد ، ولكنه يؤثر الاحتفاظ بلقب « الاستاذ » حتى لا يصدم أهل الرأي في البلد باغتصاب الألقاب إلى جانب اغتصابه السلطان . وليس بعيد أنه كان لا يعترض على ذكر اسم أحمد بن علي بن الاخشيد ، متى بلغ سن الرشد وطالب بعرش أبيه وجده .

وبعد وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ اجتمع كبار القواد والموظفين وأولو الأمر في مصر وعقدوا الولاية لأحمد بن علي الاخشيد وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره ^(٤) ولم يخرج على هذا الاجماع سوى الحسن بن عبيد الله بن طغج الذي أخذ البيعة لنفسه واستولى على ما كان لكافور من أموال في الرملة ^(٥) .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٢) المطارد جمع مطرد . وهي ضرب من الأعلام والبنود . أنظر Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 11. p. 31.

(٣) المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١١٣

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

ودعى لأحمد بن على الأخشيد على منابر مصر والشام والحرمين ثم من بعده للحسن ابن عبيد الله بن طنج إما بوصفه وصيا عليه أو بوصفه خليفة له ^(١) . ثم قدم الحسن بن عبيد الله منهزماً من القرامطة في الشام وتولى بنفسه تدبير الأمور في مصر نحو ثلاثة أشهر .

ولسنا نعرف تماماً هل جاء من الخليفة تقليد لأحمد بن على الأخشيد على ولاية مصر والشام والحرمين أو سبق الغزو الفاطمي ورود هذا الاعتراف من الحكومة المركزية أو النظر فيه . فالواقع أن المراجع التاريخية لا تشير إلى هذا الاعتراف بشيء . ومهما يكن من الأمر فإن دخول جوهر الصقلي مصر في شعبان سنة ٣٥٨ هـ وضع حداً لسلطان الدولة الأخشيدية ولسلطان الخلافة على مصر .

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٠

(٤)

العلاقة المالية بين مصر والخلافة في العصر الاخشيدى

كانت الحكومة المركزية في بغداد تتبع في ضرائب مصر والشام على عهد الاخشيديين نظام التضمين أو الالتزام . ولم يكن هذا النظام جديدا على مصر الاسلامية ، فقد عرفته منذ بداية العصر العباسى حين « بعث أبو جعفر (المنصور) الى نوفل بن الفرات ^(١) أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر ، فان ضمنه فأشهد عليه وإن أبى فأعمل على الخراج . فعرض عليه ذلك فأبى » ^(٢) وإذا كان ابن الأشعث قد رفض أن يلزم بدفع مبلغ معين على خراج مصر كله فما ذلك إلا لحشيته أن يعجز عن الوفاء بهذا المبلغ لاضطراب الحالة الاقتصادية في البلاد وصعوبة جمع الضرائب فيها وحاجة الوالى إلى كثير من المال للاتفاق على الادارة والجند ^(٣) .

وكان الولاة العباسيون في مصر أو عمال الخراج فيها يتعهدون كتابة بدفع مبالغ معينة الى بيت مال الخلافة العباسية ولكنهم كانوا في كثير من الأحيان لا يدفعون كل ما تعهدوا بدفعه وذلك بحجة الانفاق على الجند الذين كانت الحكومة المركزية ترسلهم الى مصر لقمع الثورات وقرار الأمن ^(٤) .

وكان الماذرائيون في عصر الولاة العباسيين بين الدولتين الطولونية والاششيدية يلنزمون خراج مصر والشام . ويبدو أنهم كانوا يدفعون سنويا مبالغ تختلف بحسب

(١) لما عزل موسى بن كعب عن دلاية مصر ، صلاتها وخراجها ، استخلف على الخراج نوفل بن الفرات هذا . ثم قدم إلى مصر سنة ١٤١ هـ والى الجديد محمد بن الأشعث على الصلاة والخراج أيضا ولكن الخليفة المنصور رأى أن يعفيه من ولاية الخراج إذا لم يقبل ضمانه .

(٢) الولاة والقضاة ص ١٠٩ والمقرىزى : الخطط ج ١ ص ٣٠٦ وأبو الهاسن : النجوم

الزاهرة ج ١ ص ٣٤٦

(٣) وازن . Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 243-244.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٤٤

السنين وتتراوح بين مليون وسبعمائة ألف دينار بعد النفقة على الجيش وما تحتاجه الإدارة^(١).

والمعروف أن الخلافة العباسية كان لها بيت المال العام وبيت مال الخاصة وأن الأول كانت تؤخذ منه العطايا ونفقات دار الخلافة^(٢)، أما الثاني فكان الخليفة ينفق منه على موسم الحج وعلى الغزوات إلى حدود الدولة البيزنطية وعلى فداء أسرى المسلمين وعلى القيام بنفقات الرسل الواردين^(٣). وكانت الضرائب التي تجمع من مصر والشام يسير بعضها إلى بيت المال العام، كأموال الخراج العام، كما كان بعضها الآخر يؤول إلى بيت مال الخاصة كجزية أهل الذمة^(٤).

وظهر على مسرح السياسة العباسية في مصر قبيل قيام الاخشيد عامل جديد، هو الفضل بن جعفر بن الفرات. وكان الفضل وزيراً للمقتدر ثم اختفى بعد مقتل هذا الخليفة. ولكنه عاد إلى السياسة وآثر البعد عن الخلافة في وظيفة يستطيع أن يظهر فيها مهارته واستقلاله، فكلف سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) بالتفتيش على مصر والشام وجباية ضرائبها. وظل يقوم بذلك حتى توفي واستطاع التوفيق بين سلطان الخلافة وميول الاخشيد إلى الاستقلال. وكان له مطلق التصرف ولا سيما فيما يتعلق بجباية الضرائب في مصر^(٥).

وقد مر بنا أن قسماً كبيراً من الفضل في تولية ابن طنج لمصر يرجع إلى الفضل ابن الفرات هذا، وعرفنا أنه قدم إلى مصر سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦ م) يحمل إلى محمد بن طنج تقليد الولاية من الخليفة الراضي^(٦).

(١) هلال الصابني: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢٩٠ ومسكويه: تجارب الأمم

ج ١ ص ١٠٦ — ١٠٨ و ج ٥ ص ١١٤ — ١١٦

(٢) هلال الصابني: المرجع السابق ص ١٠ وما يليها

(٣) المرجع نفسه ص ٢٢

(٤) متر: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم

ص ١٩٦ ب (وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية ببرلين).

(٥) ابن سعيد: المغرب ص ١١ و ص ١٥ — ١٨ و ١٦٢ — ١٦٤

(٦) الكندي: الولاة والقضاة ص ٢٨٧ — ٢٨٨، ابن سعيد: المغرب ص ٣٤، المقرئ: الخطط ج ١ ص ٣٢٩

وفي هذه السنة كتب الاخشيدي إلى الخليفة الراضى يخبره بما ادخره من المال هو والفضل بن جعفر فجاء رسول الراضى إلى مصر بالخلع والطوق والسوارين^(١). ونحن نعلم أن الاخشيدي كان قد زوج ابنته لجعفر بن الفضل ، ويظهر أن العلاقة الوطيدة استمرت بين الرجلين ويشهد بذلك ما ذكره ابن زولاق^(٢) من أن محمد بن طنج كان يخرج بنفسه على رأس عليّة القوم في مصر لوداع هذا الوزير إذا ما غادر البلاد أو لاستقباله إذا ما عاد إليها .

وفي بداية سنة ٣٢٦ هـ أرسل الخليفة الراضى إلى الفضل بن جعفر يستدعيه لتولى مهام الوزارة في بغداد وسار ابن طنج لتوديعه هو ووجوه أهل مصر . ولم يكد الفضل يصل إلى الرقة حتى لقيته خلع الوزارة ودخل بغداد وأخذ يعمل على تدبير الأمور فيها . ولكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا العمل الذى كانت تحف به الدسائس فاستأذن الخليفة في العودة إلى مصر والشام للإشراف على مواردّها كما كان من قبل . وأذن له الخليفة بذلك ، فسار الفضل إلى مصر ولكن المنيّة عاجلته فتوفى بالرملة في ٨ من جمادى الأولى سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م)^(٣) .

ومما يؤسف له أشد الأسف أن المراجع التاريخية لم تذكر شيئاً عن المال الذى كانت مصر ترسله إلى الحكومة المركزية في العراق طوال العصر الاخشيدي . والراجح عندنا أن هذا المال لم يكن معيناً ولم يرسل بانتظام وإنما كان قدره وموعد ارساله يتوقفان على الحالة الاقتصادية والحربية في مصر .

وقد ذكر ابن سعيد والمقرئى أن خراج مصر بلغ في أيام الاخشيدي ألف ألف دينار فضلاً عن إيراد ضياعه الخاصة^(٤) . ونقل ابن إياس عن ابن وصيف شاه أن خراج مصر أيام هذا الأمير بلغ ألف ألف دينار^(٥) . ووصلت إلينا بيانات أخرى عن مالية البلاد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٦ و ١٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ومما يستحق الذكر أن في دار الآثار العربية بالقاهرة وفي متحف بناكى بأثينا وفي مجموعة تانو بالقاهرة قطع نسيج باسم هذا الوزير ، راجع Combe .
Sauvaget et Wiet : Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV. pp. 46-18

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) ابن إياس : نشق الأزهار في عجائب الأمصار ص ٣٧

في العصر الاخشيدى . ولكننا لا نعرف النسبة التي كانت تدفع إلى بيت مال الخلافة من هذا الحراج .

بيد أننا نعرف وجوها أخرى كان الاخشيدون ينفقون فيها الأموال مشاركة للحكومة المركزية وتعاوناً معها أو ابتغاء مرضاة رجاها . ومن ذلك أن الاخشيديين اشتركوا مع الحكومة المركزية في دفع النفقات اللازمة لفداء الأسرى المسلمين ، وأول فداء اشترك فيه محمد بن طغج كان سنة ٣٢٦ هـ وقام به ابن ورقاء الشيباني من قبل الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات المشرف على شئون مصر المالية في ذلك الوقت . واشترك في هذا الفداء بشرى التلى أمير الثغور الشامية . ويقال ان عدد المسلمين الذين شملهم هذا الفداء ستة آلاف .

وبدأ محمد بن طغج فداءً آخر تم في سنة ٣٣٥ هـ ^(١) ، ولكنه مرض وتوفي قبل إتمامه فدفع كافور الاخشيدى ثلاثين ألف دينار من مال الفداء إلى رسول ملك الروم ومعه أمير الثغور ثم كاتب الأخير سيف الدولة بن حمدان ليأخذ على عاتقه إتمام هذا الفداء ففعل ^(٢) .

وحدث فداء ثالث في عصر الدولة الاخشيدية اشترك فيه أبو بكر محمد بن على الماذرائى وأشار المقرئى إلى ذلك بقوله : « وخرج (الماذرائى) في سنة ٣٤٣ إلى ثغر الاسكندرية بسبب الفداء في جمع كبير ومعه من الذهب والورق والثياب والطيب والأطعمة ما يحل وصفه وخرج معه عدة من الاشراف والعلماء والوجوه . وكان ينادى بالمسلم ويحضره اليه ويسأله عن بلده ثم يكسوه ويطعمه بمفرده ويطيبه ويدفع إليه نفقة ثم يودعه وينصرف ، فلم يزل على هذا حتى فرغ الفدا فكان فداءً مذكوراً لم يقع بعده فداء مثله ^(٣) .

(١) ابن سعيّد : المغرب ص ١٨ و ٢٣ والسكندى : الولاة والقضاة ص ٦٨ هـ

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٣ — ١٦٥ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٩٢

(٣) المقرئى : المقتى ص ١٢٦ — ١٢٧ (في رسالة جوتشلاك عن الماذرائيين) .

وكان للأمراء الاخشيديين ممثلون في بغداد يسهرون على شئونهم ويراقبون ما يجري في دار الخلافة ويعملون على أن يستميلوا إلى الاخشيديين من يستطيعون التأثير عليه بمختلف الوسائل من أولى الأمر . فكان أبو الحسين بن العجمي يمثل محمد بن طغج في بغداد وينوب عنه . ومن مظاهر نشاطه أن الوزير العباسي أبا علي محمد بن مقله احتاج بعد صرفه عن الوزارة إلى بعض المال فيكلم أبا الحسين بن العجمي كي ينقل ذلك إلى الاخشيد ، وأعطاه أبو الحسين ألف دينار كانت معه وكتب إلى الاخشيد يخبره بحاجة ابن مقله فأرسل الاخشيد ثلاثين ألف دينار أخذ منها ابن مقله ثمانية وعشرين ألفا وترك ألفين لأبي الحسين بن العجمي نائب الاخشيد ، وبعث ابن مقله بكتاب شكر إلى الاخشيد ^(١) .

وطبيعي جدا أن يكون للاخشيد وكيل في بغداد ، وقد سبقه إلى ذلك أحمد بن طولون فكان له وكلاء في سامرا وكانوا يقدمون مثل هذه المساعدة المالية لنفر من كبار رجال الدولة ^(٢) . والواقع أن الاخشيد كان يتشبه بابن طولون وكان يقصده — كما مر بنا — أمراء بغداد وقوادها وكتابها وأبناء وزرائها وكان ينفق عليهم بسخاء ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢

(٢) Ibn Said—Vollers : Fragmente aus dem Mughrib pp. 27-29, Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 104-105.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

الباب الرابع

الأمراء والبلدان

الأمراء والبلدان

(١)

محمد بن طغج الاخشيدي

عرفنا أن محمد بن طغج الاخشيدي ولد ببغداد سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م) وتوفي بالشام سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) . وذكرنا أننا لا نعرف عن نشأته شيئاً يستحق الذكر . وسواء أكان الاخشيدي من بيت ملك أو إمارة أم كان من الجند الذين ابتسم لهم الحظ فلا شك في أنه استطاع بما تهيأ له من صفات الزعامة والعبقرية أن يؤسس لنفسه ملكاً في مصر . وإذا كان هذا الملك لم يعمر طويلاً فذلك لأن قيامه لم يكن صدى لحركة في الرأي العام أو خلاف في العقيدة الدينية أو المبادئ الاجتماعية السائدة في الدولة العباسية ، وإنما كان بفضل الجهود الشخصية التي بذلها الاخشيدي وشق بها طريقه في الفوضى التي كانت تسود الامبراطورية الاسلامية على عهده .

وتذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أن الاخشيدي كان أزرق العينين عظيم البطن^(١) وأن شعر مقدم رأسه كان منحسراً^(٢) وأنه كان شديد البطش ذا قوة مفرطة حتى لا يكاد يجرح قوسه غيره^(٣) . وكانت له هيبة عظيمة في قلوب الرعية .

ولكن الاخشيدي على الرغم من فرط قوته كان معتل الصحة يعاوده مرض الصرع وتنتابه السوداء فيلجئه ذلك إلى الراحة وطلب العلاج أياماً^(٤) . ولعل اعتلال صحته

(١) « أزرق بطينا » ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

(٢) ابن زولاق : أخبار سيويه المصري ص ٢٨

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٥ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٦

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥ و ٢٧

وضعف أعصابه هما اللذان كانا يحملانه على الحرس على الهدوء والبعد عن كل جلبة أو ضوضاء ، كما كانا يبعثان فيه ثورات شديدة من الغضب إذا حدث ما يعكر عليه صفو الهدوء أو يخرج عن حدود الوقار والالتزان . ومما يروى في هذا الصدد أن القاضي الشافعي أبا بكر بن الحداد والقاضي المالكي أبا الذكر محمد والقاضي عبد الله بن وليد تنازعوا يوماً في مجلس الاخشيد وحدث بينهم لغط كثير فلما انصرفوا قال الاخشيد يجري هذا في مجلسي ! كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم ^(١) .

ويروى بعض المؤرخين أن الاخشيد « كان ملكاً حازماً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير » ^(٢) وأنه كان شجاعاً مقداماً عارفاً بالحروب ^(٣) . ويروى آخرون « أنه كان جباناً وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم إذا سافر ثم لا يثق حتى يمضي إلى خيم الفراشين فينام فيها » ^(٤) وحدث ذات مرة أن شاور الاخشيد محمد بن عبد الرحمن الروذباري ^(٥) في شأن ابن رائق ثم خالف رأيه فقال له الروذباري : « فيك أيها الاخشيد خلتان مذمومتان البخل والجبن ، وما يتم لك معهما شيء إلا بالاقبال » ^(٦) .

والواقع أننا لا نستطيع أن نطمئن إلى وصف الاخشيد بالشجاعة الزائدة أو الجبن المذموم . فقد كان بعيد النظر حسن السياسة يصطنع اللين عند اللزوم ويداري أعداءه إذا لم يستطع التغلب عليهم ويتألف قلوبهم إذا انتصر عليهم انتصاراً غير حاسم وخشى أن يستعيدوا قوتهم ويصبحوا خطراً عليه . وحسبنا دليلاً على ذلك ما وقع بينه وبين ابن رائق وسيف الدولة والفاطمييين وبعض الوزراء العباسيين ، فضلاً عن موقفه

(١) المرجع نفسه ص ٣١ ، وازن السكندی : الولاية والقضاة ص ٦٦ هـ

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٦

(٤) المرجع نفسه وابن خلكان ، المرجع السابق .

(٥) كان ينوب عن الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات في أعماله بمصر أنظر ابن سميع :

المغرب ص ٢٤

(٦) ابن سميع : المغرب ص ٢٥

من بعض الذين كانوا يحقدون عليه أو يكرهونه كابن تكيين والماذرائي^(١) . أما نخل
الاششيد فقد اشتهر وكان موضع الحديث والنقد عند معاصريه . وقد أشار ابن زولاق
إلى ذلك في فاتحة كتابه عن ابن طنج حين ذكر أنه قرأ سيرة الاششيد التي كتبها
محمد بن موسى بن المأمون الهاشمي لهذا الأمير في آخر أيامه فوجد أنها أقرب إلى الذم
منها إلى المدح « لأنه ذكر نفقاته واقتصاده وأخلاقه ومحبة للعلم والمكافأة وقال في أوله :
ذكر ما في كتاب الله من الدلالة على فضل الاششيد . قال الله تعالى (والذين إذا انتقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)^(٢) ، فزشر في الناس بنخل الاششيد ،
نم انتزع آيات من القرآن في الحلم والصنح والعفو ثم قال وهذه صفاته فوصفه بالحين
والهلع ، فهذا جميع معنى الكتاب »^(٣) .

والحق أن الاششيد كان جشعاً محباً للمال إلى أبعد الحدود . وتروى المراجع
التاريخية في هذا الصدد قصصاً مختلفة . ومن بعضها ما رواه أبو القاسم سعيد بن فاخر
المعروف بقاضي البقر ، وكان من شعراء خمارويه وقارب التسعين ، وكان يبيت
عند الاششيد يحادثه ويسامره وكان مليح الحديث محباً للتندر ببخل الاششيد وإمساكه
والتهكم بالموازنة بينه وبين البرامكة^(٤) .

ومما يروى عن جشع الاششيد وحبه للمال أنه لما عاد إلى مصر بعد فراغه
من قتال ابن رائق دعاه محمد بن علي الماذرائي مع حاشيته ورؤساء جنده إلى مأدبة
كبيرة أقامها تكريماً لهم وجمع لها المغنين والمغنيات وأحضر لها مالد وطاب من الطعام
والشراب فضلاً عن العطر والطيب ونصب فيها بين يدي الاششيد التماثيل من الكافور
والعنبر ، فأظهر الاششيد سروره بهذا كله وأراد الماذرائي أن يزيد الحفلة بهاء فحمل
إلى الاششيد صينيتين كبيرتين إحداها مملوكة بالدنانير والأخرى بالدراهم لينثر هذا المال

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢

(٢) قرآن كريم ، سورة الفرقان آية ٦٧

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤

(٤) المرجع نفسه ص ٣٣ — ٣٤

بين الحاضرين ، ولكن الأخشيد أخذ صينية الدنانير واكتفى بنثر الدراهم . ولما انصرف أرسل الماذرائي خلفه كل ما كان في الحفلة من فرش وآنية ، وحمل هذا كله على فرسين بسرج ولجام من ذهب ^(١) .

ومن القصص التي تروى للدلالة على جشع الاخشيد أن صدقة بن الحسن رئيس دار الضرب حضر مرة إلى مجلس هذا الأمير ومعه دنانير وسبيكة وأحضر السباكين ليقيموا عيار الدنانير بحضرة الاخشيد وأوقدوا النار وجاء صدقة بن الحسن بخمسين ديناراً لتسبك بحضرة الأمير فأخذ منها الاخشيد أربعين ديناراً وسبكت الدنانير العشرة الباقية واعتدل العيار وانصرف رئيس دار الضرب واضطر إلى تعويض أصحاب الدنانير التي أخذها الاخشيد ^(٢) .

وروى مزاحم بن محمد بن رائق أنه دخل على الاخشيد ذات يوم لا بسا فرواً ثميناً فأعجب الاخشيد بالفرو وقال انه لم ير مثله قط وكان مزاحم يحب هذا الفرو فضلاً عن أنه كان زوج ابنة الاخشيد فلم تسمع نفسه بأن ينزعه لتقديمه الى الأمير . ولكنه لما انصرف من مجلس الاخشيد اعترضه فأتاك مولى الأمير ومعه نفر من رجاله وأوهموه أن الاخشيد يريد أن يخلع عليه واقتضى ذلك أن يخلع الفرو فطووه ومضوا به رظل مزاحم ينتظر خلع الأمير فقبل له أنه قد نام وأن من الخير أن يعود اليه في المساء فطالبهم بالفرو فأنكروا أنهم أخذوه . ولما عاد مزاحم ودخل الأمير وجد عليه الفرو وضحك الاخشيد وقال : « كيف رأيت ؟ ما أصفق وجهك ، ولا كنتك ابن أبيك ؟ وكم عرضت لك وأنت لا تستحي فلم تفعل حتى أخذناه بلا شكر ولا منة ^(٣) » .

وكانت الهدايا تأتي الى الاخشيد في الأعياد والمناسبات المختلفة وقد عرف عنه أنه كأبيه طنج يحب الطيب ولا سيما العنبر فكان الناس يقبلون على تقديم هداياهم اليه من العنبر ، ولكن جشع الأخشيد وحبه للمال أهدها إلى طريقة للافادة من ذلك فكان

(١) ابن سعيد المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٣١

(٣) المرجع نفسه ص ٣٤

إذا جاءت مواسم الاهداء يبيع الى التجار ما في خزائنه من العنبر فيدشتره الذين يهدونه اليه ، وهكذا كان الاخشيد يكرر هذا العمل ويجمع في كل مرة مبالغ وافرة من المال ^(١) .

ومن مظاهر جشع الاخشيد ما استنته من مصادرة الاموال الطائلة من كبار الموظفين والاثرياء . وسوف نعود الى تفصيل الكلام على سياسته في الاقبال على اغتصاب الاموال . وحسبنا أن نشير الآن الى ما عرف عن هذا الامير من الحياء واللين في كل هذه المصادرة ، فإنه كان يحرص على ألا يُعذب أحد ممن يأمر بمصادرة أموالهم ويوصى بالألا يضيق على أحد أو يساء إليه بسببها ، كما كان يتجنب أن يلتقي أحدا منهم إلا بعد تمام المصادرة . وكثيراً ما كان يصطفهم بعد ذلك ويقرهم إليه ^(٢) .

وكان الاخشيد تقياً ، ومن نوادره في هذا الصدر أنه أفرط ليلة تسع وعشرين من رمضان في سنة من السنين « ولحقه كسل عن حضور الحتم فقالت له جاريته : تأخر وأنا أعتق عنك غدا عشرة رقاب ، فقال عشرة رقاب ، ويحك لعله يكون في هذه الليلة رجل صالح له عند الله منزلة فيقول في دعائه اللهم اغفر لجماعتنا ، فعسى أن أدخل بهم » ^(٣) ثم ركب إلى الجامع العتيق فحضر الصلاة والحتم .

ويروى أن الاخشيد كان يسير في أحد شوارع الرملة فصاحت به امرأة من فوق سطح : قف على بوقوفك بين يدي الله ، فرفع وجهه ونزل عن دابته واستدعى المرأة وسألهما عن خطبها فاشتكت من أن ابنها الفتى قد أخذوه منها فأمر الأمير باحضاره وأعطى المرأة صرة فيها مائة دينار وقال « خذي ابنك وهذه الصرة فعسى الله أن يرحم ذل موقفي بين يديه » ^(٤) .

ومما يروى عن تقوى الاخشيد أن رجلاً من أهل العراق صعد فوق زمزم وصاح « معاشر الناس ، أنا رجل غريب ورأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٥ — ٣٦

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩

(٤) المرجع نفسه .

وهو يقول لى سر إلى مصر والى محمد بن طنج وقل له عنى يطلق محمد بن على الماذرائى ،
فقد أضر بولدى . وسافر الرجل مع القافلة إلى مصر وبلغ الاخشيد خبره فاستدعاه
وسأله عما رآه ثم سأله عما أنفق فى مسيره إلى مصر فقال مائة دينار . فقال الاخشيد :
هذه مائة دينار من عندى وعد إلى مكة ونم فى الموضع الذى رأيت فيه رسول الله
(صلعم) فاذا رأيت فقل لرسول الله أنك بلغتني رسالته وأنى أحببت بأن لى على الماذرائى
كذا وكذا من الأموال وسوف أطلق سراحه إذا دفعها لى . فقال العراقى : ليس فى ذكر
رسول الله (صلعم) هزل . وأنا أخرج إلى المدينة وأنفق من مالى وأسير إلى رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وأقف بين يديه يقظان بغير منام وأقول له يا رسول الله أديت
رسالتك إلى محمد بن طنج فقال لى كذا وكذا . وقام الرجل لينصرف فأمسكه الاخشيد ،
والظاهر أنه سر من إجابته واقتنع بأنه ليس نصابا وليس من أنصار الماذرائيين فقال له :
إنما ظننا بك ظنا والآن فما تبرح حتى أطلقه ، وأمر الاخشيد باطلاق الماذرائى «^(١) .

وكان الاخشيد يحب الصالحين ويركب اليهم ويتقبل دعاءهم ويتبرك بحديثهم .
ومن الأولياء الصالحين الذين اتصل بهم رجل فى القرافة عرف باسم ابن المسيب وآخر
اسمه أبو سليمان بن يونس^(٢) .

وكان الاخشيد لا يتأخر عن صلاة الجمعة فى الجامع العتيق فى رجب وشعبان
ورمضان كما اعتاد أن يركب ليلة الحتم إلى الجامع ليحضر الحتم والدعاء^(٣) . وكان يحب
قراءة القرآن ويكسى عند سماعها^(٤) .

والراجح أن الدوافع الدينية التى دفعت الاخشيد إلى أن يأمر فى وقت من الأوقات
بهدم المواخير ودور القمار والقبض على من فيها من المقامرين . ويروى فى هذه المناسبة
أن جماعة منهم أخذوا فأدخلوا على الاخشيد وعرضوا عليه فرأى بينهم شيخا وقورا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٥

(٢) المرجع نفسه ص ٣٤ — ٣٥

(٣) المرجع نفسه ص ٣٥

(٤) المرجع نفسه ٣٧

فسأل : هل هذا الشيخ مقامر ؟ ف قيل له انه المطمع » وهو سبب عمارة دار القمار وذلك أن الواحد إذا قرر مامعه قال له فالعب على ردائك فاعلك تغلب فاذا ذهب قال له العب على قيصك حتى تغلب » وهكذا كان يحثه على المقامرة بكل شيء حتى يبلغ إلى نعليه بل إلى الاقتراض له . وكان لهذا الشيخ أجر يأخذه كل يوم من صاحب دار القمار ، فضحك الاخشيدي وقال ياشيخ تب إلى الله وحده من هذا فتاب وأمر له الاخشيدي بثوب ورداء وألف درهم وراتب شهري قدره عشرة دنانير ، وانصرف الشيخ شاكرا فقال الاخشيدي ردوه وخذوا ما أعطيناها وابطحوه فضربه مائة عصا ثم قال : خلوه أين هذا من تطميعك^(١) ؟ !

والواقع أن الاخشيدي كان يجمع بين الازداد في صفاته فكان في بعض الأحيان مكيا فيلما لا يقف عند شيء في سبيل الوصول إلى أهدافه ، ومما يشهد بذلك ما وقع له أثناء نيابته عن أبيه في حكم طبرية . فقد كان في هذه المدينة حينذاك رجل من علية القوم بنسبه وثروته : هو أبو الطيب العلوي محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن ، وكان الجميع يبجلونه ويلتفون حوله . فكتب الاخشيدي إلى أبيه طنج يذكرك له أنه ليس له أمر ولا نهى مع أبي الطيب العلوي فكتب إليه أبوه « أعز نفسك » فأنقض محمد بن طنج على أبي الطيب ذات ليلة وهو في بستان له فقتله^(٢) .

ولكن الاخشيدي كان يعرف في كثير من الأحيان كيف يلين أو بصطنع اللين حتى لا يكسر أو يتعرض سلطانه وهيئته لامتحان قد لا يكون النجاح حليفه فيه . ومما يروى في هذا الصدد أن الاخشيدي كان يطلب سهل بن محمد الكاتب البغدادي لمحاسنته على أمور نسبت إليه ، فاختفى سهل وكشف الاخشيدي أنه عند أبي ابراهيم الرسي العلوي فأرسل إليه نخرج الرسي وطرده رسل الأمير فنقلوا إليه ما حدث ، فأرسل قائدا من قواده على رأس مائة فارس وأمره بأن يكسر دار أبي ابراهيم الرسي وأن يقبض على سهل الكاتب . واعتصم الرسي في بيته ولبس الدرع وتقلد السيف ونادى بالقائد الاخشيدي متحديا .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠

(٢) المرجع نفسه ص ٦

« تقدم ا فوالله لا طمعت في الدخول أو أقتل ا » وعلم الاخشيد بذلك فسحب قائده وجنوده ثم استدعى أبا ابراهيم الرسى فلما دخل عليه قال الاخشيد : يا أبا ابراهيم الحرب ؟ قال : نعم ، فقال الاخشيد فبحق عليك هل سهل بن محمد عندك ؟ قال : نعم . فقال الاخشيد : فهو آمن وهذا خاتمي وأمانى والساعة ازدادت رغبتى فيك يا شريف . قم واحضر سهلا آمنا ^(١) .

« وكان رسم الاخشيد ألا يتعرض للحرم » ^(٢) فكان يتعفف عن اضطهاد النساء أو اتخاذهن وسيلة للانتقام من رجالهن أو سبيلا للوصول الى الأموال التى يريد مصادرتها ، وكان يرفض أى عرض من أعوانه فيه خروج على هذا المبدأ النبيل .

ويبدو أن هذه المتناقضات فى أخلاق الاخشيد ، وإن بخلة وحبه للمال وما سراه من اضطراب الحالة الاقتصادية على عهده وإهمال كثير من المرافق العامة ، كل ذلك أدى إلى أن الاخشيد لم يكن محبوبا من الرعية . ومن صدى هذا البعد عن قلوب الشعب تلك الاسطورة التى نقلها ابو الفدا ، وخلاصتها أن الاخشيد قبل سفره فى آخر رحلة له إلى الشام وجد بداره رقعة مكتوبا عليها « قدرتم فأسأتم ، وملكتكم فبخاتم ، ووسع عليكم فضيقتهم ، وأدركت لكم الأرزاق فقننتم أرزاق العباد . واغترتم بصفو أيامكم ولم تفكروا فى عواقبكم . واشتغلتم بالشهوات واغشتم اللذات ، وتهاوتم بسهام الاسحار وهن صائبات ، ولا سيما إن خرجت من قلوب قرحتموها ، وأكباد أجتموها ، وأجساد أعريتموها ، ولو تأملتم فى هذا حق التأمل لا تنبتم . أو ما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقى ؟ فكفى بصحبة ملك يكون فى زوال ملكه فرح للعالم . ومن المحال أن يموت المنتظرون كلهم حتى لا يبقى منهم أحد ويبقى المنتظر به ، افعلوا ما شئتم فإننا صابرون وجوروا فإننا بالله مستجيرون ، وثقوا بقدرتكم وسلطانكم فإننا بالله واثقون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٧

(٢) المرجع نفسه ص ١٥

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١

وكان الاخشيد شديد الإعجاب بابن طولون حريصا على التشبه به في بلاطه ومواكبه وكان الناس يقرنون اسمه باسم هذا الأمير ، بل ان بعض شيوخ المنجمين في مصر قال ان الاخشيد دخل إلى مصر بالطالع الذي دخل به احمد بن طولون واتفقا في اليوم وهو يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان ^(١) .

ومن الأمور التي كان الاخشيد يقلد فيها ابن طولون أنه كان اذا ذهب الى صلاة الجمعة في الجامع العتيق أبعد الناس عن المقصورة ^(٢) . وكانت أكثر صلاة الاخشيد في جامع ابن طولون إلا في شهور رجب وشعبان ورمضان . كما كان يتشبه في مواكبه ورسوم بلاطه بابن طولون ومن أمثلة ذلك التأهب للعرض ليلة عيد الفطر . وقد كتب ابن سعيد في وصف هذا العرض والاعداد له نصا نقله هنا لما فيه من مصطلحات تستحق التفسير . قال ابن سعيد نقلا عن ابن زولاق : « ولما كان آخر شهر رمضان ركب الأخشيد بعد عتمة ^(٣) فحضر ختم الجامع وصلى وأوتر وهو في وجوه عبيده في دراعة ^(٤) بياض وبين يديه خمسمائة غلام بالدبابيس ^(٥) والمستوفيات ^(٦) وبين يديه الشمع والمشاعل ، وقيل كان بين يديه مائة فراش بمائة شمعة . ثم أصبح الناس للعرض وجلس في المنطرة التي على باب دار الامارة ومرت

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ٣١ . راجع عن المقصورة ونشأتها ابن دقاق : الانتصار ج ٤

ص ٦٨ — ٦٩ و Creswell : Early Muslim Architecture vol. 1 p. 33.

(٣) العتمة الثلث الأول من الليل أو ظامة الليل مطلقا .

(٤) الدراعة جبة مشقوقة المقدم . أنظر في شرحها حاشية الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة

في السلوك للعقريزي ج ١ ص ٥٢

وراجع Dozy : Dictionnaire des Noms des Vêtements pp. 171-181.

(٥) الدبوس عصا من خشب أو حديد في رأسها كالكرة ، أنظر الفلقشندی : صبح الأعشى

ج ٢ ص ١٣٥

(٦) الراجح أنها ضرب من العصي الخشبية السمكية .

الـ . اكر فلما انقض العساكر ركب غلمانہ في أحسن زى بالتجافيف ^(١) والجواشن ^(٢) الى العشاء .

وكان الاخشيد يخرج لصلاة الجمعة في موكب كبير يصطف الشعب على الجانبين لمشاهدته . وكان فريق من أهل مصر يكره هذه المواكب أو يكره أن ينصرف الناس عن أعمالهم لمشاهدتها ^(٣) . وقلد الاخشيد أحمد بن طولون فأمر باقامة حلبة سباق الخيل منذ سنة ٣٢٤ هـ ^(٤) .

ويبدو أن الاخشيد شعر بعد وفاة الوزير الفضل بن جعفر ومقتل ابن رائق بأن سلطانه قد توطدت دعائمه فاطمأن باله وزاد مياله الى التشبه بابن طولون وابنه خمارويه وأمر بأن تكون في بلاطه رسوم وتقاليد وقواعد للبروتوكول ، وأن تكون له امتيازات لا يشاركه فيها أحد من كبار رجال دولته . ومن ذلك أن يكون لسرج فرسه حلبة دقيقة وزخارف خاصة لا يشاركه فيها أحد وألا يلبس أحد سواه حبة من الديباج المحلى بخيوط الفضة وألا يكون في عسكره الخاص أى شيخ وأن يصبغ الشيوخ من جنده وحاشيته لحام ^(٥) .

ومن الطريف ما رواه الحسن بن جابر كاتب عبيد الله بن طغج عما وقع في هذا الصدد بين سيده عبيد الله بن طغج وأخيه الاخشيد . قال الحسن بن جابر : « كتب صاحب عبيد الله الى اخيه الاخشيد من الرملة يستأذنه في المسير اليه لزيارته شوقا اليه فأذن له . فلما قرب دعاني الاخشيد فقال لى : قد قرب أخى أبو الحسين وأنت

(١) جمع تجفاف وهي آلة للحرب يلبسها الفارس ويتق بها كأنها درع ، وترادف كلمة البركستوان أو البركسطوان التي استعملت عند المماليك . راجع زكى محمد حسن : كنوز الغاطيين ص ٥٦ ، وأساس البلاغة للزنجبرى مادة « جف » والعرب للجواليقي ص ٩١ و Dozy : Supplément Wiet : Notes d'Epigraphie Syro-Musulmane (dans Syria و aux dictionnaires arabes, t. I p. 200 t. 7) p. 172.

(٢) الجواشن الدروع .

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديوہ المصرى ص ٢٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

(٥) المرجع نفسه ص ٣٠

عازم على الخروج للقائه فإذا أنت فاعل ؟ « اكسر عزمه وقل له انك ليس تلقى محمد بن طنجع انما تلقى أحمد بن طولون » ، وبالله ان لم يترجل لى لأضربن عنقك ! فسرت فلقيته بفاقوس ، فقلت له : الاخشيد خارج يلقاك فعلى أى شىء عزمت ؟ قال عبيد الله بن طنجع : على أى شىء ؟ قلت تترجل له . قال ما يسومنى أخى هذا . فأخبرته بحديث الاخشيد معى وبأنه هددنى بضرب العنق ان لم يترجل له . فوعد عبيد الله بأن يترجل لأخيه وفعل ذلك عندما أقبل الاخشيد على رأس حرسه الخاص فأمره الاخشيد بالركوب وزاد فى اكرامه ^(١) .

وقرب الاخشيد اليه نفراً من الطولونيين وأتباعهم فكانوا يؤاكلونه ويسامرونه ومنهم عدنان بن أحمد بن طولون ^(٢) وابن أخيه قيس بن العباس بن أحمد بن طولون وسعيد الشاعر المعروف بقاضى البقر ^(٣) . كما كان من أقرب المقربين اليه الشريفان عبد الله بن طباطبا ^(٤) والحسن بن طاهر بن يحيى وكانا من نقباء العلويين فى مصر .

وكان للاخشيد عدد كبير من المماليك والغلمان والأتباع . وقد وصل اليها من أسماء رؤسائهم بدر الكبير وشادن الصقلي ومنجج الصقلي وكافور الأسود وفاتك الرومى وبشرى وغيرهم ^(٥) .

وكان بلاط الاخشيد مجمعا للعلماء والأدباء ، يصالهم بعطاياهم ويشملهم برعايته ويستمتع إلى أحاديثهم ^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٨

(٢) كان من العلماء المشتغلين بالحديث وتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

ج ٣ ص ٢٦١

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٤) راجع حاشيتى الأستاذ تلسكوت فى صفحتى ٦٧ و ٨٧ من النص الألمانى فى طبعته للمغرب لابن سعيد وانظر ما أشار اليه فيها من المراجع العربية .

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) ذيل كتاب أخبار سيبويه المصرى بتراجم كتبها الناشران ومنها ترجمة للاخشيد (ص ٦٧) وقد نسبها فيها للاخشيد بيتين من الشعر . ولكن الصحيح أن هذين البيتين من شعر أحمد ابن كيغلف وقد نسبهما اليه ابن خلكان فى ترجمة ابن طنجع (ج ٢ ص ٥٧) .

وكان قصر الاخشيد غنياً بالجوارى ويظهر أن بعضهم كن يشتركن أحياناً في الشؤون العامة . ومن ذلك أن سماية القهرمانة تولت فض النزاع بين قاضى مصر عبد الله بن أحمد بن شعيب المعروف بابن وليد وسليمان بن رستم مقدم الشهود ^(١) .

وكان للاخشيد طبيب خاص ، هو أبو الفرج الباسى ، وكان موضع ثقته ولم تكن مهمته علاج الأمير فحسب ولكنه كان يشرف على طعامه إشرافاً دقيقاً فيقدم إليه من ألوان الطعام ما يوافق على تقديمه ويرد ما يرى رده ^(٢) .

ومن مظاهر الثروة والترّف فى بلاط الاخشيد ما جمعه من الخيل الجميلة المدربة والجوارح المهيأة للصيد من مختلف الأنواع « مما لم يكن بين يدى خليفة قط » ^(٣) .

*
* *

توفى الاخشيد بدمشق فى ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ كما مر بنا فى الباب السابق ، وكان قد حكم مصر والشام نحو إحدى عشرة سنة وبلغ من العمر ستة وستين عاماً . ويبدو أنه قضى السنة الأخيرة من حكمه فى الشام يدبر أموراً بعد أن استقر السلام بينه وبين سيف الدولة ^(٤) .

ولما مات الاخشيد قامت الفتنة فى دمشق ونهب العامة خزائن الأمير ولكن الظاهر أن قسماً وافراً من الأموال التى كان يحملها لم تصل إلى أيدي العامة لأن الاخشيد كان يوصى بالأتواضع هذه الأموال فى صناديق ينشدها الثوار واللصوص بل فى أكياس مع الأمتعة لا ينتبه إليها أحد . فلما قامت الفتنة أمر كافور بالقاء هذه الأكياس فى بركة من الماء وظلت فيها حتى سكنت الفتنة ^(٥) .

وإذا صح ما كتبه ابن سعيد نقلاً عن ابن زولاق فإن هذه الفتنة التى اندلعت نارها بعد وفاة الاخشيد شغلت رجاله عن دفنه ثلاثة أيام . قال ابن سعيد : « فلما سكنت الفتنة .

(١) الكندى : اولاة والقضاة ص ٦٨ هـ

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦

(٣) المرجع نفسه ص ٤٣

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه ص ٤٤

بعد ثلاث وجد الاخشيد قد انتفخ وأكل الفأر أطراف أصابعه وأكل الذر عينيه^(١)
فغسل صبا^(٢) وطلب له كافور فلم يوجد إلا من السوق مغشوشاً، وطلب له بغل يحمل
تابوته فلم يوجد إلا جمل أعور فحملة عليه الخازن وسار به إلى بيت المقدس . وحدثني
محمد بن المنهال . قال : لقيت تابوت الاخشيد بنواحي طبرية على جمل أعور والذين معه
من السودان يتأذون بريحه وإذا نزلوا بعدوا منه إلى أن وصلوا به إلى بيت المقدس
ودفن هناك^(٣) .

والواقع أن سائر المؤرخين لا يذكرون إلا وفاته في دمشق ونقل جثمانه
إلى بيت المقدس حيث دفن^(٤) ، ولكن ابن زولاق انفرد بذكر ما حل بجثمانه
وما كان في دفنه من مظاهر لا تليق بأمر كبير مثله خلف ملكا وأولاداً وقواداً
وعبيداً ظلوا مخلصين له إلى النهاية . ولعل هذا كله يدعونا إلى أن نأخذ بشيء كثير
من التحفظ والحذر ما رواه ابن زولاق في هذا الصدد . ولو أنه قال ان جثمان
الاخشيد نقل سراً إلى بيت المقدس حيث ووري التراب لأمكن تعليل ذلك بالفتن
التي قامت في دمشق بعد موته وبثورة الشعب واشتغاله بالنهب والسلب قبل أن تقبض
الحكومة على ناصية الأمور . ولكن ليس من السهل أن نوفق بين بقاء جثمان الاخشيد
إلى أن سكنت الفتنة وعجز كافور وأعوانه — بعد أن استقرت الأمور — عن حماية
هذا الجثمان أو نقله بما يليق بالاخشيد من تكريم وما يتفق وجلال الموت . وليس بمستبعد
أن تكون رواية ابن زولاق من الزيادات أو التعديلات التي طرأت على المخطوطة الأولى
من كتابه بعد أن دخل الفاطميون مصر واتصل بهم هذا المؤرخ وعمل على التقرب اليهم .

*
* *

(١) الذر صغار النمل .

(٢) عمله يقصد بصب الماء دون أن يمس جسده .

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٤

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣

ص ١٥٦ والمقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٢٦ — ٢٧

وقد استطاع الاخشيد أن يجمع من مصادرة أموال الوزراء والأعيان وكبار الموظفين وبغير ذلك من الطرق مبالغ طائلة يمكن أن تتصور مقاديرها مما يذكره المؤرخون عما خلفه هذا الأمير . فقد كتب ابن زولاق أن مما خلفه الاخشيد سبع مطامير^(١) في كل مطمورة منها مليون دينار ، كما خلف من الجواهر ما قيمته مائتا ألف دينار ، ومن العنبر ثمانمائة رطل ، ومن العبيد ثلاثة آلاف ما بين روم ومولدين وسود ، وخلف من الخيل لركابه ألفاً ومائتي فرس سوى دواب غلمانة ، وخلف من البغال ثلاثة آلاف ، ومن النوق ثلاثة آلاف ، ومن المراكب مائة مركب سوى العشاريات^(٢) . وكان كل مركب منها يقدر بثلاثة آلاف دينار^(٣) . والراجع أن في حديث ابن زولاق شيئاً من المبالغة ولكنه يدل على ما وصل إليه الاخشيد من ثروة وترف .

(١) المظمورة : الحفيرة في الأرض تحبباً فيها الأشياء أو الاناء تخزن فيه النقود . انظر

Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes.

(٢) العشارى نوع من المراكب كان يسمى في عصر المماليك الحراقة والظاهر من استثناءه في هذا النص أنه كان لعلاحة النيلية أو كان صغير الحجم ، انظر وصفها في رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر ص ٥٤ (فصل فيما شاهد فيها من غرائب الأبنية والسفن) وراجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ١٧٥ ، ومادة « سفينة » في ملحق دائرة المعارف الإسلامية و

Aly Mohamed Fahmy: Muslim Sea—Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century pp. 150-152.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٤

(٢)

كافور وأولاد الاخشيد والأمرء الاخشيديون

عرفنا أن الاخشيد عقد قبل وفاته لولده أونوجور^(١) من بعده . وكان أونوجور أكبر أولاده . ولد بدمشق في ٩ من ذى الحجة سنة ٣١٩ هـ (ديسمبر سنة ٩٣١ م) فكان لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره عندما ولي الحكم . وقد مر بنا في الباب السابق بيان المشاورات التي انتهت بتوليته .

ولسنا نعرف شيئاً يستحق الذكر عن صفاته فقد كان الأمر على عهد يده كافور إذ « غلب كافور على الأمر وبقي الاسم والدست لأبي القاسم (أونوجور) »^(٢) ولم يتح كافور لأبي القاسم أى فرصة ليظهر مزاياه أو عيوبه في الحكم . وزاد نفوذه حتى أصبح يدعى له على المنابر كلها منذ سنة ٣٤٠ هـ^(٣) . وكان على أونوجور أن يكتفى بانفاق « الخصصات » التي حددتها له كافور وقدرها أربعمائة ألف دينار في العام^(٤) وأن يترك تدبير الأمور لكافور وأعوانه .

وظل الحال كذلك إلى سنة ٣٤٣ هـ حين شعر أونوجور بأنه جاوز سن الرشد وبأن من حقه أن يقبض على أزمة الحكم وزين له بعض المتصلين به أن يتنكر لكافور وقالوا له : « قد احتوى كافور على الأموال وانفرد بتدبير الحىوش وأخذ أملاك أبيك وأنت معه مقهور »^(٥) فبدأ أونوجور في إظهار سيخطه على سير الأمور وظهر الجفاء بينه وبين كافور وترك الحاضرة وانصرف إلى الصيد واللهو في الأقاليم ، ولكن يبدو أنه كان يدبر الخروج إلى الرملة والاستعداد لمناوأة كافور وصرفه عن تدبير الأمور .

(١) كتبت في بعض المراجع القديمة أونوجور وفي مراجع أخرى أونجور وقيل إن معناها « محمود » ، أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٢٩ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢

وانضم الحند إلى طائفتين : الكافورية وينصرون كافورا والاششيدية وينصرون أونوجور .

ونسكى والده أونوجور كانت لائق باستناعته لمعاب على كافور وكانت تخشى عليه من بئسه فكثرت إلى ابنها تخوفه من عاقبة الفتنة وأعلنت كافورا بأن ابنها ينوي الرحيل عن مصر فكاتب كافور إلى أونوجور وصالحه ودام الأمر في شئون الدولة على حاله وظل كافور يدير أمورها لأونوجور إلى أن توفي الأخير في ذي القعدة سنة ٣٤٩ هـ ونقل جثمانه إلى بيت المقدس حيث دفن إلى جوار أبيه . وبقي ابنه لم يمض مئة طبيعية بل دس كافور له اسم فسات ^١ . وقد أن ولي حكم مصر نحو أربع عشرة سنة .

ولما مات أونوجور وخلفه في حكم مصر أخوه على بن الاشيد زاد نفوذ كافور ومن الأمير الجديد ينفي : اختصاصات التي كانت لأخيه من قبل وقدرها أربعة أمت ديار في السنة ولا أمر له في شئون الحكم على الرغم من أنه كان عند ولايته الحكم في ثلاثة وعشرين من عمره ^٢ . بل إن كافورا لم يكن يتركه يظهر للشعب أو يجتمع بغير إقامته إلا معه . ويروى أن على بن الاشيد انصرف إلى النهو والشراب فترة من الزمن ثم تاب عن شرب الخمر ولزم الصلاة وقراءة القرآن ^٣ .

١ انقريزى : الخدم ج ٢ ص ٢٧

٢ في مجموعة الأوراق يدوق وين في جزء وثيقة من ورق ورد ذكرها في دين هذه المجموعة . انقريزى : الخدم ج ٢ ص ٢٧ . وتضمن كتابا من الأمير أنى الحسن عزيز خاصة الاششيدية . أشخاص ذكرت أسماءهم بتسجيل ثلاث مفيات سنة ٣٣٩ هـ ويشير الدليل إلى أن أبا الحسن هذا هو أبو الحسن على بن دويج . وقد تفضل الأستاذ جرومان فطمني على صورة هذه الوثيقة وملاحظاته جيدة . ويبدو أنه يوافق على نسبتها إلى على بن الاشيد ويذهب إلى أنها من نظر الخاصة بالأمير الاششيدى . ولكننا لا نقبل إلى الأخذ بهذا الرأي لأن على بن الاشيد كان سنة ٣٣٩ في الثالثة عشرة من عمره وليس من المحتمل أنه كان يشغل منصب النظر الخاصة . والراجح عندنا أن المقصود أمير آخر من أمراء الأسرة الاششيدية . ومن يفت النظر لقب لا عزيز بمعنى أمير أو رئيس . مما يذكر بقب « عزيز مصر » الذي أطلق على محمد على الكبير . ونسكه لقب قديم لرياسة وعظم الشأن . أنظر ابن ياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ هـ وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم (سورة يوسف) بمعنى الملك أو الأمير .

ويبدو أن هذا الأمير حاول سنة ٣٥١ هـ أن ينحى كافورا عن تدبير أمور الدولة فلم يفلح لضعف شخصيته وقلة أنصاره بعد أن قويت شوكة كافور وأصبح صاحب الأمر والنهي في كل شيء . وكان من أثر هذه المحاولة أن فسدت العلاقة بينه وبين كافور ، واستطاع كافور أن يمنع الناس من الاجتماع بابن الاخشيد . ومات الأخير في شهر المحرم من سنة ٣٥٥ وقيل ان كافورا دس له السم كما فعل مع أخيه من قبل . ثم حمل جثمانه إلى بيت المقدس فدفن إلى جوار أبيه وأخيه ^(١) .

أما الأستاذ ^(٢) أبو المسك ^(٣) كافور الاخشيدى فيسمى أحيانا اللابي نسبة إلى إقليم اللاب من بلاد النوبة ، ويتبين ذلك في قول المتنبي من قصيدة في هجائه :

كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومٌ ^(٤)

ويسميه ياقوت في معجم البلدان (مادة بُسُت) الليثى الصورى ولكننا لا نعرف سبب هاتين النسبتين .

وكان كافور عبدا أسود بصاصا ^(٥) خصيا قبيح الشكل بطينا ثقیل البدن قبيح القدمين مثقوب الشفة السفلى . ولسنا ندري في أى سنة ولد ، ولكن الراجح أن مولده كان في الحبشة أو النوبة بين عامي ٢٩٢ و ٣٠٨ هـ (٩٠٥ و ٩٢٠ م) إذ اختلفت الروايات في تحديده اختلافا كبيرا ^(٦) .

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٦ والمقرىزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ — ٣٣٠
وج ٢ ص ٢٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦
(٢) كان لقب الأستاذ في بعض الأحيان لقباً للوزراء فكان ابن العميد يلقب به (أنظر
متز : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٢٧) وكان كافور يلقب به قبل توليته إمارة مصر والراجح
أنه أصبح لقباً له منذ عهد إليه الاخشيد بترية ولديه .
(٣) كنية كناه بها الخليفة : المقرىزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧
(٤) الرخم طائر يشبه النسر . أنظر ديوان المتنبي ص ٢٩
(٥) بصاص وصف من بص إذا برق ولمع وتلألأ .
(٦) نقل ابن خاسكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٤٧) عن الفرغانى أن كافورا مات

سنة ٣٥٧ هـ في الخامسة والستين من عمره فيكون مولده نحو سنة ٢٩٢ هـ وذكر ابن ظافر
الازدى Wüstenfeld : Statthalter IV. p. 59 أن كافورا جاب إلى مصر سنة ٣٢٢ وعمره =

ولا ريب في أن ارتفاعه من عبد حقير لا شأن له إلى منصب الامارة في مصر ثم اتصال المتنبي به ومدحه ثم هجاءه بغير قصائد ، كل ذلك أثار إعجاب المؤرخين المسلمين حتى عدوه من « أعاجيب الدنيا وسيرته من أغرب السير » ^(١) وحفزهم إلى أن ينسجوا حول نشأته قصصا مختلفة لسنا نعرف نصيبها من الصحة ولا سيما أن بعضها يذكر « بالأكليشيات » التاريخية التي رواها المؤرخون العرب عن كثير من أبطال التاريخ الاسلامي . ومهما يكن من الأمر فالراجح أن كافورا جلب إلى مصر مع عبيد آخرين من مواطنيه فبيع لتاجر من تجار الزيت ^(٢) ، وقيل لرجل من أصحاب الضياع في مصر اسمه محمد بن هاشم . وبيع بعد ذلك لرجل يدعى محمود بن وهب بن عباس الكاتب ^(٣) ، ثم اشتراه منه محمد بن طغج الاخشيدي بثمانية عشر ديناراً فرباه وأعتقه . وفي رواية أخرى أن ابن عباس الكاتب أرسل كافورا ذات يوم إلى محمد بن طغج بهدية ، وكان ابن طغج حينئذ أحد قواد تكيين أمير مصر ، فتوسم في كافور الذكاء وأخذته ورد الهدية إلى صاحبها ^(٤) .

ويروون أن كافورا مر بعد جلبه إلى مصر على منجم ذات يوم فرأى له طالعه ونظر له في نجومه وقال له : « أنت تصير إلى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغاً عظيماً » فدفع له كافور درهمين ولم يكن معه سواهما ، فرمى بهما إليه وقال : « أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين » ثم قال له : « وأزيدك . أنت تملك هذه البلد وأكثر منه فأذكرني » ^(٥) . وقيل إن كافورا بعد أن بلغ مرتبة الملك رأى هذا المنجم في المنام وهو يقول له : « لم نفتق على هذا » فسأل عنه كافور وعرف أنه مات منذ سنين وأن له بنتين إحداهما

== أربع عشرة سنة فيكون مولده نحو سنة ٣٠٨ هـ وكتب المقرئ (الخطط ج ٢ ص ٢٦) أن كافورا جلب إلى مصر سنة ٣١٠ هـ وعمره عشر سنين وأنه مات سنة ٣٥٧ وعمره ستون فيكون مولده نحو سنة ٢٩٧ ، أنظر أيضاً ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ١٩٩

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥ والمقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٦

(٤) ابن خلكان والمقرئ وأبو المحاسن ، المراجع السابقة وابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٥) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٦

متزوجة والأخرى فتاة في سن الزواج فاشترى لها كافور دارا بأربعمائة دينار ودفع للفتاة مائتي دينار لتجهز بها ^(١).

ويقال إن كافوراً عند ما جلب من بلاد السودان مر على السوق بمصر ومعه عبد أسود آخر فقال هذا العبد : كنت أتمنى أن أبيع لطباخ حتى أكون طول عمرى شعبان من المطابخ . فقال كافور : وأنا أتمنى أن أملك هذه المدينة . وبعد أن بلغ كافور الملك مر يوماً على السوق فرأى زميله القديم في ثياب الطبّاخين وهو يحرك القدر فضحك وقال : « أدرك كل واحد ما أمله » ^(٢).

وكأنما أراد بعض المؤرخين أن يبينوا إلى أى درجة من البؤس وصل كافور قبل ارتفاعه إلى الشوكة والسلطان فذهبوا إلى أنه في بداية أمره لحقه جرب كثير حتى كان لا يظهر ولا يقابل ، فطرده سيده ، فكان يمشى في السوق ، وحدث أن مر بطباخ فيه فطلب منه بعض الطعام فضربه الطباخ بالمغرفة على يده وهي حارة فوقع منشياً عليه ، فأخذه رجل طيب القلب وداواه حتى شفى فسار به إلى سيده وأخذه سيده وعرض على الرجل أجرأ على إيوائه وعلاجه فرفض الرجل قائلاً : « أجرى على الله » . وكان كافور بعد ارتفاعه يذكر هذا الحادث كلما عزت نفسه . وربما سار إلى السوق وسجد إلى الله شكراً وقال لنفسه : أذكر ضرب المغرفة ^(٣) !

ولاريب في أن الاخشيذ أدرك ما كان يمتاز به كافور من الذكاء والهمة والاخلاص فقربه إليه . وظلت منزلته عنده ترتفع تدريجياً حتى أصبح موضع ثقته وأقرب المقربين إليه . والمؤرخون حريصون على تفسير هذه الخطوة عند الاخشيذ ببعض القصص التي يروونها عن اخلاص كافور . ومنها أن الاخشيذ كان في مجلسه ذات يوم وبين يديه عبيده وجيء بفيل وزرافة وأقبل العبيد على النظر إلى الحيوانين الغريبيين وانصرف انتباههم عن سيدهم

(١) ابن ظافر الازدى في Wüstenfeld : Statthalter IV. p. 60. وانظر أيضاً ابن الزيات :

السكواكب السيارة ص ٢٠٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٣) ابن ظافر الازدى : المرجع السابق ص ٥٩ — ٦٠ وابن الزيات : السكواكب

السيارة ص ٢٠٠

الخشيد، ولكن كافوراً وحده « لم تبرح عينه من عين الخشيد خوف أن يحتاج إليه ويدعوه فيكون مشتغلاً عنه » ^(١) فأعجب الخشيد بيقظة كافور وتقانيه في خدمته .

ومنها كذلك ما رواه طبيب الخشيد من أن هذا الأمير اشتهى يوماً لونا من ألوان الطعام يسمى البقرية فأعد له ، وبادر كافور فحمله بيده إلى سيده . ولم يكن هذا من الأعمال المكلف بها بعد أن ارتفعت مرتبته في بلاط الأمير ، فلما خرج قال له الطبيب : « ما يزيدك الله بهذا إلا رفعة » فقال كافور : « كانت شهوة مولاي لها قوة فأحببت أن أدخل أنا بها » . ولما رفعت المائدة دخل الطبيب على الخشيد وسأله عن أكله فقال ان البقرية كانت طيبة وإن أعجب ما فيها حمل كافور لها . وأضاف الخشيد « وحياتك يا أبا الفرج (أى الطبيب) لا تجلس في هذا المجلس غيره ولا أخذ هذا المال سواه ! » ^(٢) .

ويحرص بعض المؤرخين على أن يفسروا ازدياد ثقة الخشيد في كافور بأنه رأى في المنام كأنه سلم إلى غلام من كبار غلمانه شيئاً فلم يقم به ثم نقله إلى غيره فلم يقم به حتى سلمه إلى كافور وانتبه من نومه وهو في يد كافور . وقص الخشيد هذه الرؤيا على أحد مفسري الأحلام فقال ان هذا الملك يعود إلى كافور . ويرى هذا المفسر أن هذه الرؤيا كانت سبباً في وصية الخشيد بأن يكون كافور مدبراً لشئون ابنه من بعده ^(٣) .

والواقع ان بعض المؤرخين يذكر أن الخشيد كان يتنبأ بأن كافوراً سيرث ملكه من بعده وأنه كان يقول في كثير من الأحيان : « والله لا ورث دولة ابن طنجج إلا هذا العبد » يعنى كافوراً ^(٤) . ولكننا نرجح أن مثل هذا الزعم فيه شيء من المبالغة لأنه لو صح لا نتظرنا ألا يعهد الخشيد إلى كافور بالوصاية على ولده من بعده فيسلمه بذلك مقاليد الأمور منجياً سائر أفراد أسرته . أولعله كان يرى الا مفر من التسليم بما لا بد منه !

(١) ابن سميذ : المغرب ص ٤٧

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٤٦ — ٤٧

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد عنى بترية كافور ثم أعتقه ، وظل كافور يرتقى في بلاط هذا الأمير ويتدرب على مختلف شئون الحكم والادارة حتى أصبح من كبار قواده وذوى الشأن فى دولته ، فعهد اليه الاخشيد بترية ابنه أونوجور وعلى ، كما عهد اليه بقيادة جيشه فى قتال سيف الدولة وبغير ذلك من الأمور الخطيرة الشأن . وتبع كافور سيده الاخشيد إلى النهاية وكان إلى جانبه عندما توفى فى دمشق وعمل على القضاء على الفتنة التى قامت فى هذه المدينة وحافظ على قسط كبير من الأموال التى كانت مع البلاط حينئذ ، ثم كان له بعد ذلك الفضل فى القضاء على ثورة غلبون وفى صد سيف الدولة واعادة دمشق إلى حكم الاخشيديين كما سنرى فى الأبواب القادمة .

وقد مر بنا كيف أصبحت مقاليد الأمور كلها بيد كافور بعد وفاة الاخشيد ، وعرفنا أن أونوجور حاول سنة ٣٤٣ أن ينحى كافورا عن تدبير شئون الدولة ولكنه لم يفلح وقامت « الوحشة » بينهما فترة من الزمن ثم اصطالحا واحتفظ كافور بكل سلطانه . وطبيعى أن هذه الوحشة بين الأمير الاخشيدى ورئيس حكومته الأمر الناهى كانت حديث الناس . ونظم المتنبي قصيدة بعد تمام الصلح بينهما تذكر منها الآيات الآتية لماتدل عليه من طبيعة العلاقة بين الأمير وكافور ولما فيها من اشادة بذكر الصفات التى ساد بها كافور :

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالٍ تَدْبِيرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ
وَأَشَارَتْ بِمَا أُبَيَّتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ^(١)
نَلَيْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالشَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ
فَقَدَى رَأْيُكَ الَّذِي لَمْ تُفَقِّهِهُ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلِّمٍ مُسْتَفَادِ
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَا كَافُورُ وَاقْتَدَتْ كُلُّ صَعْبٍ الْقِيَادِ

(١) لعل فى ذلك إشارة إلى أن كافورا أبى أن يأخذ أونوجور بالشدة والعنف كما أشار عليه بعض ناصحيه .

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَاطِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ
لَا عَدَا الشَّرَّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ
أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجِسْمُ وَالرُّوحُ حُ فَلَا احْتِجَا إِلَى الْعَوَادِ
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي
يَزَحُمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أَذَاهَا بِفَقَى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(١)
مُتَلَفٍ مُخْلَفٍ وَفِيَّ أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ^(٢)

وقد عرفنا أن كافورا ظل الحاكم المطلق في البلاد بعد وفاة أونوجور وتولية أخيه على . ولما توفي على بقيت مصر أياما بغير أمير ، فكان لا يدعى على المنابر إلا للخليفة المطيع . والظاهر أن كافورا استشار بعض ذوى الرأى في البلاد ورأى بعضهم من الواجب أن ينصب أحمد بن على بن الاخشيد وكان في التاسعة من عمره وأن يظل تدبير الأمور بيد كافور ، ولكن كافورا لم يحبذ هذا الرأى محتجا بأن أحمد ابن على لا زال صغير السن ، وانتهى الأمر بتحقيق رغبته في أن يكون له حكم البلاد ومع ذلك فقد احتفظ كافور بقلب « الأستاذ »^(٣) . ولعله كان يرى فيه تكريما واعترافا بالمكانة التي وصل اليها بجهوده . كما كان يتجنب به الاعتراض على شرعية ولايته العرش . بيد أن حكم كافور لم يطل أمده فقد توفي في جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ أى بعد انفراده بحكم مصر زهاء سنتين وأربعة أشهر . وحمل تابوته إلى بيت المقدس فدفن فيها^(٤) . وفي قول آخر أنه دفن في القرافة الصغرى بمصر^(٥) .

(١) المراد بالفقى كافور .

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٩٣ — ٣٩٦

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٧

وقد تهيأ لكافور كثير من صفات الزعامة التي استطاع بفضلها أن يسود على الرغم من أصله الوضيع . وعلى رأس هذه الصفات معرفته الناس وأساليب معاملتهم ، وأخذ بعضهم باللين وبعضهم الآخر بالشدّة ، واصطناع الحلم حيناً وإظهار الغضب حيناً آخر ، والتوفيق بين أصحاب التيارات المختلفة والأهداف المتباينة . ولقد صدق المتنبّي حين قال من قصيدة في مدح كافور :

إِذَا مَنَعْتَ مِنْكَ السِّيَاسَةَ نَفْسَهَا فَقِفْ وَقِفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ^(١)

ومن سياسة كافور في كسب قلوب الشعب أنه كان يحلّ أهل البيت ويكرم العلويين أعظم الإكرام . ويروى في هذا الصدد أنه كان يسير يوماً مع أبي جعفر مسلم ابن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة ، وهو في موكب وبين يديه بعض حاشيته وخلفه بغال عليها بعض الأمتعة والمال ، فسقطت مقرعة كافور ولم يرها أحد من حاشيته وخدمه فنزل العلوي عن دابته وأخذ المقرعة من الأرض ودفعها إلى كافور ، فقال كافور : أيها الشريف ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى تفعل بي أنت هذا ! وكاد يبكي . فقال العلوي : أنا صنيعة الأستاذ ووليه . ولما بلغ كافور باب قصره ودع العلوي ثم أرسل خلفه كل ما كان على البغال من مال ومتاع وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار^(٢) .

ومما يروى في هذا الشأن قصة لكافور مع عبد الله بن أحمد بن علي بن إبراهيم ابن طباطبا ، وكان من أغنياء العلويين في العصر الأخشيدي ومن عاداته أن يبعث إلى كثير من أهل مصر بهدايا من الحلوى في شتى المناسبات . وكان يرسل إلى كافور كل يومين صحنين من الحلوى ورغيفاً في منديل مختوم . فحسده بعض الأعيان وقال لكافور أن إرسال الرغيف إلى الأمير أمر لا يليق ، فأرسل كافور إلى الشريف

(١) يقول إذا كنت لا تحسن السياسة فقف قدام كافور مرة واحدة وهو يتعاضده تتعلم من

« الحاشية ٧ من صفحة ٣٩١ في ديوان المتنبّي » .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ — ؛

العلوى يسأله أن يعفيه من الرغبة ، فأدرك الشريف أنهم حسدوه وقصدوا إبطال عادته فذهب إلى كافور وقال له : « أيدك الله ! إنا لا ننفذ الرغبة تطاولا ولا تعاظا ، وإنما هي صبية حسنة تعجنه بيدها وتخبره فترسله على سبيل التبرك فإذا كرهته قطعناه » فقال كافور : لا والله لا تقطعه ولا يكون قوتي سواه ! « وعاد العلوى إلى ما كان عليه من إرسال الحلوى والرغبة ^(١) .

ومن طريف ما كتبه المؤرخون عن سياسة كافور ما نقله أبو المحاسن عن الذهبي حين قال : « كان خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية . كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر مياله إليه . وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء وتم له الأمر » ^(٢) .

وقد خلف الأمراء الاخشيدون لكافور أموالا طائلة فزاد عليها وأظهر ما طبع عليه من الجود والكرم ، وقيل انه وقع يوما لأحد القواد بعطاء قدره أربعة عشر ألف دينار فما زال عبدا له حتى مات ^(٣) . وذاع صيت بلاطه وعطاياه وقصده أصحاب الحاجات وأعلام الشعراء والأدباء . وحسبنا شاهدا على حياة البلاط في عصره ما قيل من أن سمحاطه كان في اليوم الواحد مائتي خروف كبار ومائة خروف رemis ومائتين وخمسين أوزة وخمسمائة دجاجة وألف طير من الحمام ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال ومائتين وخمسين قربة من شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويسمى أقسما ^(٤) ، ويقال انه كان لكافور خزانة شراب كان يفرق منها في الحاشية كل يوم خمسين قربة من مختلف أنواع الأشربة وأن قاضي أسيوط كان يهدي إلى كافور كل عام خمسين ألف سفرجلة تعمل شراب سفرجل ^(٥) . . وقد يكون في هذا الاحصاء شيء من المبالغة ولكنه يشهد بما عرف عن بلاط كافور من الكرم والعظمة .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٦ وفي الكواكب السيارة لابن الزيات ص ٦١ يقول : « إن له والدته صالحة تعجن بيدها وتقرأ عليه القرآن » .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٣) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٢٠٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ ، أنظر أيضاً ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٥) ابن ظافر الأزدي : المرجع السابق ص ٥٩

وقيل إن كافوراً كان يرسل كل ليلة عيد حمل بغل من المال في صرر مكتوب على كل صرة اسم من جعلت له من بين عالم وزاهد وفقير ومحتاج^(١) . ومن ذكر ذلك من المؤرخين جمال الدين بن ظافر الأزدي وقد فصل الكلام عليه في قطعة طويلة من النبذة التي عقدها للكلام على الدولة الاخشيدية في كتابه « أخبار الدول المنقطعة » وقد وردت هذه القطعة في المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني من هذا الكتاب . وفي دار السكتب المصرية صورة منه مأخوذة بالتصوير الشمسي . ولكنها لم ترد في الجزء الذي نقله وستنفلد عن المخطوط المحفوظ في مكتبة غوطا وهو الجزء الذي نشره في كتابه بالألمانية عن ولاية مصر في عصر الخلفاء . وقد وازنا بين ما نقله وستنفلد عن المخطوط المذكور وما جاء عن الدولة الاخشيدية في مخطوط المتحف البريطاني فوجدنا أن الذي يزيد في المخطوط الأخير هو القطعة الطويلة التي نحن بصددتها وقصتان صغيرتان هما قصة كافور مع العلوي الذي نزل عن دابته وناولوه مقرعة سقطت منه، وقد أشرنا إلى هذه القصة نقلاً عن أبي المحاسن ، ثم قصته بشأن الحلوي والريغيف الذي كان يرسله إليه ابن طباطبا . وقد أشرنا إليها أيضاً معتمدين على ابن خلسكان . ولذلك كله رأينا أن ننقل هنا القطعة الطويلة التي جاءت في مخطوط المتحف البريطاني ولم ينشرها وستنفلد .

قال ابن ظافر الأزدي يتحدث عن كافور :

« وله رحمه الله مع الشيخ أبي عبد الله بن جاباز الصوفي الزاهد شيخ الفقهاء رحمهما الله وكان من كبار المشايخ قصة عجيبة هي من غرر مناقبه . ذكر المسبحي في تاريخه قال : حدثني ابن الدابة كاتب أبو بكر القمني^(٢) عن أبي الحسن البغدادي قال : وردت إلى مصر مع والدي وأنا صبي دون البلوغ في أيام كافور . وكان أبو بكر المحلي يتولى نفقات مصالحه وخواص خدمه . وقد انتسجت بينه وبين أبي مودة . وكان يزوره ويصله . قال : فجاءه ذات يوم فتذاكروا أخبار كافور وطريقته وما هو عليه من الخشوع . فقال أبو بكر لأبي ، وأنا أسمع : هذا الأستاذ كافور

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢

(٢) نسبة إلى قمن ، انظر ابن الجيعان : أسماء البلاد المصرية ص ١٤٥ . أو اعلمها القمني

نسبة إلى قم في فارس .

له في كل عيد أضحى عادة ، وهو أن يسلم إلى بغلا محملاً ذهباً وورقاً وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينهما . ويمضي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل ، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من جعل له وتتضمن اسمه الجريدة . فأطرق منزل كل انسان ما بين رجل وامرأة وأقول : الأستاذ أبو المسك كافور يهنيك بعيدك ويقول لك أصرف هذا في منفعتك ، فادفع إليه ما جعل له . فلما كان هذا العيد جريت على العادة وزاد في الجريدة الشيخ أبو عبد الله بن جاباز مائة دينار . فأنفقت المال في أربابه ولم يبق إلا الصرة فجعلتها في كمي وسريت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة ، فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يزد عليه وقال : ما حاجتك ؟ قلت : الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام . فقال : والى بلدنا ؟ قلت : نعم قال : حفظه الله . الله يعلم أنني أدعوله في الخلوات وإدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومستجيبه . قلت : وقد أنفذ معي هذه الصرة وهو يسألك قبولها لتصرف في نوبة هذا العيد المبارك . فقال نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعة . فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق والتلف واستحييت من الله تعالى أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت . قال فجئت فوجدت الأمير قد تها للركوب وهو ينتظرني فلما رأي قال : هيه يا أبا بكر ! . قلت أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف . فقال الحمد لله الذي جعلني سبباً لا يصلح الراحة إلى عياله . ثم أخبرته بامتناع ابن جاباز فقال : هو جديد لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم . ثم قال لي عد إليه واركب دابة من دواب النبوة فلست أشك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من النعب ، ثم أمعن إليه وأطرق بابه ، فاذا نزل إليك فإنه سيقول . ألم تكن عندنا ! ؟ فلا ترد عليه جواباً ثم استفتح وأقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمُوتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى » يا ابن جاباز يقول لك كافور :

ومن كافور العبد الأسود ؟ ومن مولاه ؟ ومن الخلق ؟ بقي لأحد مع الله تعالى ملك أو شركة ؟ تلاشا الناس كلهم . ها هنا تدرى من معطيك ، وعلى من رددت . أنت ما سألت . هو أرسل اليك يا ابن جاباز ، ما تفرق بين السبب والمسبب ؟ ! قال أبو بكر : فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلى وقال لي مثل لفظ كافور فأضربت عن الجواب وقرأت « طه » ثم قلت ما قال كافور . فبكي ابن جاباز ، وقال ابن ماحمت ؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال : عامنا الأستاذ كيف التصرف . قل له : أحسن الله جزاك ! قال فعدت إليه فأخبرته فسر بذلك ثم سجد لله شكراً وقال : الحمد لله الذي جعلني سبباً لا يصلح الراحة إلى عياله ثم ركب حينئذ « (١) .

وكان لكافور في بلاطه ألف وسبعون من الغلمان الترك والفان من الغلمان الروم وكان له غلمان آخرون من المولدين والسودانيين ، وكان عدد غلمان بلاطه كلهم أربعة آلاف غلام . ويقال إن كافورا خلف في خزائنه بعد وفاته ما قيمته نحو مليون دينار من الجواهر والثياب والسلاح والأمتعة (٢) ، وإنه كان يرسل كل عام المال والطعام والثياب مع ركب الحجاج ليوزع في الحجاز على أولاد رسول الله (صلعم) (٣) .

وكان كافور كريماً حتى مع أعدائه ومن لا يستحقون منه العطف والتقدير . ومما يروى في هذا الصدد أن واعظاً في مصر كان يقص على الناس فقال يوماً في قصصه : انظروا إلى هوان الدنيا على الله تعالى فإنه أعطاها لمقصوصين ضعيفين : ابن بويه ببغداد وهو أشل ، وكافور عندنا بمصر وهو خصى . فنقل إلى كافور قول هذا الواعظ وظنوا أنه يعاقبه ، ولكنه أرسل إليه خلعة ومائة دينار وقال : « لم يقل هذا إلا لجفائي

(١) جمال الدين ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة الورقة ٣٧ و ٣٨ من الصورة المحفوظة في دار الكتب المصرية والمنقولة بالتصوير الشمسي عن المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني .

(٢) ابن ظافر الازدي عن Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59 ، أما المقرئ فقد بالغ في تقدير ما خلفه كافور فذكر أنه قوم بستائة مليون دينار (الخطط ج ٢ ص ٢٧) . أنظر أيضاً ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٢٠٠

(٣) ابن ظافر الازدي في Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59 وأنظر ابن الزيات : الكواكب

له وكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه : ما أنجب من ولد حام إلا ثلاثة ، لقمان وبلال المؤذن وكافور^(١) .

وكان كافور قويا شديدا الساعد لا يكاد أحد يمد قوسه . وكان غروره واعتزازه بنفسه في هذه الناحية من موطن الضعف فيه فكان يرضى عما يظهر العجز عن منافسته في الرمي ويعبس لمن يجرأ على الاستهانة بتفوقه أو يطمع في مساجلته^(٢) . وكان مغرما بالخروج إلى الصيد^(٣) .

وكان لكافور شهرة عظيمة في فنون القتال أشار إليها الشعراء في مدائحهم له . فلا عجب إذا نخر الفاطميون بالاحتفاظ بسيفه في خزانهم^(٤) .

ويقال إن كافورا كان يداوم الجلوس صباحا ومساءً لقضاء حوائج الناس ، وكان يتعبد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول : اللهم لا تسلط على مخلوقا^(٥) .

ويروى بعض المؤرخين أنه كان يحن إلى موسيقى السودانين وإنه مر ذات يوم بجماعة منهم وهم يطبلون الطبل السوداني المعروف بالدبدبة فطرب لذلك كافور ونسى نفسه وحرك أكتافه على أنغام الدبدبة ثم تذكر نقد الناس لحركاته هذه فأخذ يهز أكتافه في مناسبات كثيرة كي يظن الناس أنه لم يهزها في ذلك المكان بسبب الدبدبة بل كان ذلك عادة عنده^(٦) . وقيل إن كافورا كان له في قصره جوار مغنيات^(٧) .

وحرص كافور على أن يكون بلاطه يجمع العلماء والأدباء وأن يفوق في هذا الميدان بلاط الخليفة وبلاط سيف الدولة . فكان الأدباء والمؤرخون يقرأون له كتب السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية ، وكان له نظر في الأدب والعلم وفروع اللغة

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٤١٧ ، وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٥

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٤٨ وابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٣

(٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

العربية^(١) . وسوف نعود الى الكلام على الشعراء والأدباء والعلماء المصريين الذين اتصلوا به ، ولكنتنا نعرض الآن لما كان له بينه وبين المتنبي .

والمعروف أن المتنبي كان متصلاً بسيف الدولة الحمداني وقال في مدحه قصائد خالديات . ولكن أمرا حدث بينهما أدى إلى أن يبحث المتنبي عن سيد آخر يرتاه . ولعله سمع ببلاط كافور وما يلقاه الشعراء والأدباء من تقدير وإكرام فيه فعقد العزم على أن يعم شطر مصر^(٢) . وقيل إن كافورا كتب إليه يستدعيه إلى بلاطه^(٣) .

وقابل المتنبي في الرملة — في طريقه الى مصر — الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله ابن طنج ومدحه بعدة قصائد ، منها القصيدة التي مطلعها :

أَنَا لَا يَمْنِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَامِ عَلمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ^(٤)
ومن أبياتها :

أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ	ضَرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَوَاجِمِ
وَطَعَنَ غَطَارِيفَ كَأَنَّ أَكْفَهُمُ	عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ
حَمَّتْهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	سُيُوفُ بَنِي طُنْجِجَ بْنِ جُفِّ الْقِمَاقِمِ
هُمْ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى	وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٢) قيل ان الذي حسم المتنبي حتى رحل إلى مصر أنه سمع أن محمد بن عاصم الشاعر أنشد كافورا قصيدة على أثر زلزلة عظيمة وقعت بمصر ومن أبياتها :

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله طربا

وأن كافورا أجازته على هذه القصيدة بألف دينار . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١

ص ٤٥ وابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٤

(٣) ابن ظافر الازدي : المرجع السابق ص ٦٠ وديوان المتنبي ص ٣٧٣

(٤) ديوان المتنبي ص ١٧٧

حَيِّثُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ أَقْلٌ حَيَاءٌ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ
وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَبَهُمْ بِهَا وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ

ووصل المتنبي إلى مصر سنة ٣٤٦^(١) ، وقيل إنه صرح قبل قدومه أنه إذا دخل مصر لا يقصد العبد (كافورا) وإنما يقصد مولاه (أونوجور)^(٢) . ولم يكن هذا أول عهد المتنبي بالاخشيدين فالراجح أنه حين اتهم بادعاء النبوة في بادية السماوة قبض عليه ابن لؤلؤ نائب الاخشيد في حمص وحبس به ثم استتابه وأطلقه^(٣) . كما بروى له بعض الشعر في رثاء محمد بن طنج الاخشيد^(٤) .

ومهما يكن من الأمر فإن كافورا رحب بالمتنبي وأخلى له دارا وخلع عليه وحمل اليه كثيرا من المال ، فقال المتنبي في مدحه قصيدته المشهورة التي مطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(٥)
وَمِنْ أَيْبَاتِهَا :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أُخْصَ الْغَوَادِيَا
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِاللَّيْثِي فَاِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
وغير كثير أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مُلْكًا لِلْعِرَاقِينِ وَالْيَا

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥

(٢) ابن ظافر الازدي : المرجع السابق ص ٦٠

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة المتنبي

(ج ٣ ص ٨٣٥ من الطبعة الفرنسية) .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٥) مما يشهد بكافور بسلامة الذوق الأدبي أنه قال معلقاً على طائع هذه القصيدة « ما ينبغي

لمن يقصد الملوك في نجاح حاجة أن يكون خطابه لهم أول ما يخاطبهم به مثل هذا » ابن سعيد :

المغرب ص ٤٧

مَدَى بَلَغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسُ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا
دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَى وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ الشُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيَا^(١)

وظل المتنبي في بلاط كافور يقول في مدحه القصيدة السنية بعد الأخرى .
ومن بعض أبيات تلك القصائد ما يصف كافورا والحالة السياسية على عهده وصفا
قد يكون فيه شيء من المبالغة ، ولكن له معناه على كل حال . ومن ذلك قوله :

تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُمَكْتَهَلًا قَبْلَ اكْتِهَالِ أَدِيْبًا قَبْلَ تَأْدِيْبِ
مُجْرَبًا فَهَمًّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِيبِ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيْبِ
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءَاتِ وَتَشْيِيْبِ
يُدْبِرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالْغُوبِ^(٢)

ومن ذلك قوله في قصيدة أخرى :

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحُهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمَلِّ عَلَى وَأَكْتُبُ
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالُ رَأْيًا وَحِكْمَةً وَنَادِرَةً أَحْيَانًا يَرْضَى وَيَغْضَبُ^(٣)

وهي القصيدة التي جاء فيها :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ

(١) ديوان المتنبي ص ٣٧٣ — ٣٧٧

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨١ — ٣٨٢

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩٨ — ٣٩٩

وقد ليم كافور على قلة إرضائه للمتنبى وكونه لا يوليه ولاية حتى قال هذا البيت فقال كافور : « يا قوم ! رجل ادعى النبوة مع خير البشر صلى الله عليه وسلم كيف يوليه كافور فياأمنه ! » ^(١).

ومن أبيات تلك القصيدة قول المتنبى يخاطب كافورا ويشير إلى أُنوجور :
 وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرَضِعًا وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ
 وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِي مِخْلَبٌ
 لَقِيتَ الْقَنَازَةَ عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَى مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ
 سَأَلْتَ سُيُوفًا عَظَمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ
 وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ
 وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ مَعَهُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ ^(٢)

ولكن المتنبى كان يطمع من كافور بأكثر مما نال من عطاء وكان يرجو أن ينصبه كافور واليا على إقليم من دولته، فلا عجب إذا تضاعل حماس المتنبى لهذا الأمير . والواقع أن آخر قصيدة أنشدها في حضرته ولم يلقه بعدها تنذر بنفاد صبره وتؤذن بالقطيعة بينهما . ومن أبيات هذه القصيدة :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ
 وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحَبِّ رِشْوَةٌ ضَعِيفُ هَوًى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ
 وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَذِلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ
 وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَنَنْتُ وَخَابُوا
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصِحابُ ^(٣)

(١) ابن سعيّد : المغرب ص ٤٧ وابن خنّكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥ ،

(٢) ديوان المتنبى ص ٤٠٠

(٣) المرجع نفسه ص ٤١٠

وقيل ان المتنبي « أقام بعد إنشاء هذه القصيدة سنة لا يلتقي كافورا غضبا عليه لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به ، واستعد للرحيل في الباطن وجهاز جميع ما يحتاج اليه » ^(١) .

وقال المتنبي في يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ قبل مغادرته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية المشهورة التي هجا فيها كافور . ومطلعها :

عِيدُ بَأْيَةٍ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ

ومن أبياتها :

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيَّفُهُمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ
أَكَلًا اغْتَالَ عَبْدُ السَّوءِ سَيِّدُهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرٍ تَهِيدُ
صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْأَبْقِينَ بِهَا فَاحْزَنُ مُسْتَعْبِدُ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسُ مَنْ أَكِيدُ
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُ الصَّيْدُ
أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَاسِينِ مَرْدُودُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ الشُّودُ ^(٢)

ونظم المتنبي قصائد أخرى كثيرة في هجاء كافور ^(٣) . وقيل انه لما فر من مصر كتب ورقة فيها هجو لكافور ووصلت الورقة إلى يد هذا الأمير فأمر بحرقها ولم يقف على ما فيها « فكان ذلك مما استحسن له » ^(٤) .

(١) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦ هـ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٣١ — ٤٣٤

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٧ — ٤٣٧ وانظر أيضاً « المصريات الكافوريات » في ديوان

المتنبي (طبع ديتريش في برلين سنة ١٨٦١) ص ٦٢٣ وما بعدها .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٨

ومما يلتقى بعض الضوء على علاقة المتنبي بكافور ويفسر حذر الأمير وعدم اطمئنانه إلى هذا الشاعر أن كافوراً كان له منافس من بين قواد الاخشيد : هو أبو شجاع فاتك الرومى الاخشيدى . وكانت له حظوة عند الاخشيد ولكن فيه طيشاً وخفة حتى كان يعرف بالمجنون « فكان كلما زائد أمر كافور وعظم يزيد جنون فاتك وحسده فلا يلتفت كافور إليه بل يدر عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية . وكان الفيوم إقطاع فاتك المجنون فاستأذن فاتك كافوراً أن يتوجه إلى إقطاعه بالفيوم ويسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافوراً فأذن له كافور في ذلك وودعه . فخرج فاتك إلى الفيوم فلم يصح مزاجه بها لوخامتها فعاد بعد مدة مريضاً إلى مصر ليتداوى بها ، وكان المتنبي الشاعر بمصر قد مدح كافوراً بغرر القصائد ، فسمع المتنبي بكرم المجنون فأحب أن يمدحه ولم يجسر خوفاً من كافور . وكان كافور يكره فاتكاً في الباطن ويخافه . وصار فاتك يرسل المتنبي ويسأل عنه إلى أن اتفق اجتماعهما يوماً بالصحرَاء وجرت بينهما مفاوضات ، فلم يرجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي بهدية قيمتها ألف دينار ثم أتبعها بهدايا أخر . فاستأذن المتنبي كافوراً في مدح فاتك فأذن له خوفاً من فاتك وفي النفس شيء من ذلك ، فمدحه المتنبي بقصيدته التى أولها :

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنَّ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ^(١)

إلى أن قال :

كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنَقَصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

فخقد كافور على المتنبي لذلك «^(٢) .

وقد رأينا فى الباب السابق أن أولى الأمر فى مصر اتفقوا بعد وفاة كافور على تولية أبى الفوارس أحمد بن على الاخشيد وكان فى الحادية عشرة من عمره . ودعى له

(١) ديوان المتنبي ص ٤١٤ — ٤١٥

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤ — ٥

على المنابر ثم من بعده للحسن بن عبيد الله . ثم عقد للحسن بن عبيد الله على بنت عمه فاطمة بنت الاخشيد بوكيل سيرة من الشام^(١) .

وعاد الحسن بن عبيد الله من الشام وقبض على مقاليد الامور في البلاد بعد أن سجن الوزير جعفر بن الفرات وصادر أملاكه^(٢) . ولكنه ما لبث أن أطلق هذا الوزير وفوض إليه تدبير الامور ثم سافر ثانية إلى الشام .

بيد أن الجيوش الفاطمية كانت لمصر بالمرصاد واستطاعت أن تدخلها فاتحة ، وقبض على أحمد بن علي الاخشيد ومات بعد قليل . ولكن المؤرخين لم يعنوا بالتحدث عن مصيره اما لصغر سنه أو احتقارا لشأنه لأنه لم يكن له من الأمر شيء^(٣) . وعلى كل حال فإن ابن سعيد لم يذكر عن نهايته أكثر من الإشارة إلى أنه « مات من علة صادفت وقتنا ظن الناس فيه أنه قتل »^(٤) .

بقى علينا أن نذكر القليل الذي نعرفه عن أمراء البيت الاخشيدى الذين لم يتولوا حكم مصر .

ولا ريب في أن أعظم هؤلاء الأمراء هو أبو المظفر الحسن بن طغج . وقد كان أميراً جليلاً عرف بالشجاعة والكفاية في الأعمال التي عهد بها إليه . وكان أخوه الاخشيد يستخلفه على حكم مصر حين يغادرها إلى الشام ، ففعل ذلك حين خرج لقتال ابن رائق سنة ٣٢٨ هـ^(٥) ، وكذلك حين خرج إليها سنة ٣٣٠ هـ^(٦) ، وحين خرج للقاء الخليفة المتقي سنة ٣٣٢ هـ^(٧) وإن كان ابن سعيد يذكر نقلاً عن ابن زولاق أن الاخشيد استخلف

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠

(٢) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٣

(٣) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٤

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٩ وابن سعيد : المغرب ص ٢٥ وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤

هذه المرة ابنه أونوجور واستخلف له عمه الحسن بن طنج^(١) ، وكأنا أراد الاخشيد أن يحدد نظام وراثة العرش بعده ، وأن يثبت البيعة التي أخذها لابنه بولاية العهد سنة ٣٣١ فجهله نائبه الرسمي في مصر ولكنه استخلف له عمه الحسن بن طنج لتكون بيده مقاليد الأمور في غيبة أخيه الاخشيد . والراجح أن هذا هو الذي حدث سنة ٣٣٣ حين خرج الاخشيد لقتال سيف الدولة ، فابن سعيد ينقل عن ابن زولاق أن الاخشيد استخلف على مصر ابنه أبا القاسم واستخلف له عمه الحسن بن طنج^(٢) . أما أبو المحاسن فلا يحفل بهذا « البروتوكول » إنما يذكر أن الاخشيد استخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طنج على مصر^(٣) .

وكان الاخشيد يعتمد على أخيه الحسن بوصفه قائدا من كبار قواده ذوى الخبرة والشجاعة . ومن المهمات الحربية التي بعثه فيها ما حدث سنة ٣٢٤ هـ حين بعثه ومعه القائد صالح بن نافع الى الاسكندرية لقتال جيش المغاربة^(٤) . كما كان للحسن بن طنج فضل كبير في القضاء على ثورة غلبون التي سيأتى الكلام عليها . فان الحسن بن طنج ، بعد أن رجع من عند ابن أخيه الأمير أونوجور من الشام ، طارد غلبون حتى ظفر به وقتله^(٥) .

وقد ولى الحسن بن طنج امرة دمشق من قبل أخيه الاخشيد فترة من الزمن ثم عزله الاخشيد وولى أخاه عبيد الله بن طنج مكانه . ثم ولى الحسن هذا امرة دمشق مرة أخرى من قبل ابن أخيه أونوجور سنة ٣٣٧ ، ثم نقل الى امرة اقليم الرملة ومات بها سنة ٣٤٢ هـ وودفن بالقدس^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٢) المرجع نفسه ص ٤٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢

(٦) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٧ و ص ٣١٠

وفى مجموعة الارشيدوق رينر فى ثينا وثيقة على ورق تتضمن سجلا من الحسن ابن طنج الى رجلين أحدهما اسمه محمد بن ربيعة بشأن تأجير ستة أفدنة بخمسة عشر دينارا وهى بالعربية واليونانية ^(١) . وقد تفضل الأستاذ أدولف جرومان فأطلعنى على صورة هذه الوثيقة ورأيت أن اسم المسنأجر الثانى لم يبق منه الا كلمة « الوارث » ولعلها جزء من اسم « عبد الوارث » .

أما أبو النصر الحسين بن طنج فكان من قواد أخيه الاخشيد وكان على رأس جنده فى الشام حين باغتهم ابن رائق وقتل أبا نصر الحسين . وأراد ابن رائق مسالمة الاخشيد فخط جثة الحسين بن طنج وجعلها فى تابوت وأنفذه الى الاخشيد معزيا ومعتذرا بأنه ما أراد قتله وأرسل معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق عارضا أن يكون فدية للقتيل اذا أراد الاخشيد ذلك ^(٢) . وقد مر بنا أن الاخشيد أكرم مزاحما وجنح الى السلم مع ابن رائق .

ومن اشتهر من أسرة الاخشيد أخوه عبيد الله بن طنج وقد كان من كبار أعوانه فى الادارة وقيادة الجند . والظاهر أنه كان شديد الاعتداد بنفسه حريصا على كرامته فهو مرة يرفض ألا يسير بين يدي أخيه الاخشيد كاحد الحجاب ويحرص على أن يركب خلفه حين ركب لأول مرة الى الجامع العتيق ^(٣) . وزاه مرة أخرى لا يقبل أن يترجل للاخشيد عند رؤيته إلا بعد أن ألح عليه كاتبه الخاص الحسن بن جابر وأفهمه أن الاخشيد هدد بقتل هذا الكاتب اذا لم يترجل صاحبه عبيد الله بن طنج عند رؤيته ^(٤) .

وكان عبيد الله بن طنج يعاون أخاه الاخشيد فى قتال أعدائه ^(٥) . وعرض الاخشيد بعد اتمام الصلح بينه وبين ابن رائق أن يكون عبيد الله رهينة عند ابن رائق

(١) Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung No. 967 p. 253.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٣

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٤) المرجع نفسه ص ٣٨

(٥) المرجع نفسه ص ١٤ و ٢٥

ومزاحم بن محمد بن رائق رهينة عند الاخشيد ليقوم كل منهما بما تعهد به في هذا الصلح ، ولكن الظاهر أن عبيد الله بن طغج لم يقبل هذه المهمة فاحتج الاخشيد بأن غلمان أخيه كرهوا مفارقتهم ومنعوه من مغادرتهم وعرض أن يرجع مزاحم إلى أبيه محمد بن رائق إلى أن يرسل الاخشيد ابنه أو نوجور ليكون رهينة بدلا من عمه عبيد الله . بيد أن هذا التبادل لم يتم ^(١) .

ويبدو أن عبيد الله بن طغج كان ذا ثروة كبيرة في حصص مشاركة مع أخيه الاخشيد ^(٢) وأن اقليم الشام كان ميدان نشاطه بوجه عام فقد كان يقيم في الرملة وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٣٢

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢

(٣)

موظفو البلاط

الحاجب

كانت وظيفة الحاجب من الوظائف السامية في بلاط الخلفاء والأمراء ^(١) . ولم يكن عمله وقفا على إدخال الناس على الأمير في مواعيد محددة ، بل كان يشبه عمل كبير الأمانة في عصرنا الحالى .

ويقال ان الاخشيد اتخذ عمران بن فارس حاجباً له . وكان عمران حاجباً لتكوين والى مصر قبيل العصر الاخشيدى . ويروون أن لاستحجاب الاخشيد إياه قصة طريفة . ذلك أن الاخشيد كان فى دار تكوين ذات يوم وكان هناك عدد من الأتراك والقواد ووجوه القوم ينتظرون الاذن للدخول على والى . ولما أقبل حاجبه عمران بن فارس حيا الناس ودخل على تكوين ليستأذن لهم فى الدخول . فقال جماعة منهم تعريضا بعمران : أى كبش ما أسمنه ليت شعرى من يحزره ! فقال محمد بن طنج : « أنا أجزره » .

ومرت الأيام وولى ابن طنج حكم مصر وكان عمران بن فارس بالشام ، فاستدعاه الاخشيد واتخذة حاجباً له . ولكنه ما لبث أن صدر أمواله وأخذ منه عدداً كبيراً من العبيد والخيل والأتباع ^(٢) .

وقد يكون لهذه القصة نصيب من الصحة . ولكن الراجح أن الاخشيد استحجب عمران لاعجابه بجلال مظهره وحسن درايته . ومهما يكن من الأمر

(١) راجع ابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون فى مراتب الملك والساطان وألقابهما . . . الحجابة) والمقرئى : الخطاط ج ٢ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ، والقلقشندي : ضوء الصبيح المسفر ص ٢٤٧ و Van Berchem ; Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte 1, pp. 567-568; Zaky Hassan : Les Tulunides p. 193 ; Wiet : Précis de l'histoire d'Egypte 11, p. 245.

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

فان عمران بن فارس جمع ثروة طيبة كما يتبين من ذكر ما صدره الاخشيد حين انقلاب عليه ^(١).

ويقال ان الذي خلف عمران بن فارس في منصب الحجابة للاخشيد هو غلامه فاتك الرومي ^(٢)، الذي علا شأنه في بلاط الاخشيديين حتى ولى امرة دمشق حيناً من الزمن . وقد مر بنا أن المتنبي مدحه بقصيدة عصماء أوغرت صدر كافور على أمير الشعراء . ونضيف هنا أن أبا شجاع فاتكاً توفي سنة ٣٥٠ هـ وأن المتنبي رثاه بعد خروجه من مصر بقصيدتين جاء في إحداها :

قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهُ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ
أَيُّمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخِصِيُّ الْأَوْكُعُ
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفْنَا يَصِيحُ بِهَا الْأَمَنُ يَصْفَعُ ^(٣)

والظاهر أن فاتكاً الرومي كان عظيم الشأن في بلاط الاخشيد وكان أكبر منافس لكافور ، ولكن تم النصر للأخير بعد وفاة الاخشيد فاعتزل فاتك الحياة العامة وعاش في اقطاعه بإقليم الفيوم عيشة أمراء الاقطاع ، ولا عجب فقد كان كافور « يخافه ويكرهه » كما يقول أبو المحاسن .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق من تولوا منصب الحجابة لأمراء مصر بعد الاخشيد ولكن كافورا كان شديد الحرص على مظاهر البروتوكول في بلاطه حتى قيل « إنه كان عظيم الحرمة وله حجاب يمتنع عن الأمراء » ^(٤).

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٩

(٣) ديوان المتنبي ص ٤٢١

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

الحرس الخاص

رأينا عند الكلام على الاخشيد أنه اتخذ بضعة آلاف من المماليك حرسا خاصا له وأن الفين منهم كانوا يحرسونه كل ليلة . ولا شك أن في هذه الرواية شيئا من المبالغة ، ولكن لعل المقصود أنهم كانوا يحرسون قصر الأمير وتكنات حرسه . والراجح أن الأمراء الاخشيديين -- ولا سيما محمد بن طغج ثم كافور -- كانوا يؤلفون حرسهم الخاص من آلاف من الجند نشبها بالخلفاء والملوك وكبار الأمراء في أنحاء العالم الاسلامي .

الحازن

ومن وظائف البلاط في العصر الاخشيدى وظيفة الحازن، والراجح أنه كان يتولى أمر خزانة الأمير ويشرف على ما في قصره فضلا عن ادارة ممتلكاته الخاصة . ولعله يشبه صاحب بيت المال في العصر الفاطمي^(١) والحازن دار في العصر المملوكي^(٢) وناظر الخاصة في عصرنا الحالي . ومن شغل هذه الوظيفة محمد بن عبد الله الحازن ، وقد شغلها على عهد الاخشيد نفسه . وكان عظيم السلطان وله عدد من الأعوان والمساعدين^(٣) . ولسنا نعرف هل هو محمد الحازن الذي أشار إليه أبو صالح الأرمي وذكر أنه كان يعيش في أيام كافور الاخشيدى^(٤) .

طبيب البلاط

ومن الوظائف الرئيسية في بلاط الاخشيديين وظيفة طبيب الأمير . وقد وصل إلينا اسم طبيب الاخشيد . وهو أبو الفرج الباسي ، وعرفنا أنه كان يقيم في قصر الأمير دائما وكان يصحبه في أسفاره^(٥) ويشرف على ألوان الطعام الذي كان يقدم إليه ويمنع مالا يصلح منها لحالة الأمير الصحية^(٦) .

(١) راجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ١٨٥

(٢) المرجع نفسه ج ٥ ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ، وعلى ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ

المماليك ص ٢٠١

(٣) ابن زولاقي : أخبار سيويو به المصري ص ٣٠ — ٣١

(٤) تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمي ص ١٢٢

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

(٦) المرجع نفسه ص ٣٦

سائر الوظائف

وطبيعي أن بلاط الأمير وقصره كان يضم عددا كبيرا من مختلف الموظفين والخدم والفراشين اللازمين لمطابخه وخزائنه واصطبلاته وأصحاب صيده وما إلى ذلك مما لا حاجة إلى تفصيل الكلام عليه^(١).

(١) راجع في هذه المناسبة ما جاء عن قصر الخليفة وبلاطه ببغداد في هلال الصابي :
الوزراء تاريخ ص ١٥ — ١٩

الباب الخامس

الإدارة والموظفون

الادارة والموظفون

(١)

الوزير ^(١)

لم تعرف مصر منصب الوزارة في عصر الولاة ، وذلك بحكم تبعيتها إلى الخلافة مباشرة . ثم جاء الطولونيون فأتخذوا وزراء لهم تشبها بالخلفاء ^(٢) . وفي عهد محمد بن طنج الاخشيد ولى الوزارة أبو بكر محمد بن علي الماذرائي . وقد مر بنا أن أبا بكر الماذرائي كان في صحبة الفضل بن جعفر بن الفرات مقبوضا عليه . فلما عاد ابن الفرات من العراق وتوفي بالرملة في جمادى الأولى سنة ٣٢٧ استدعى الاخشيد الماذرائي وأطلق سراحه ورد اليه الأمور ، وقد كتب المقرئ في هذا الصدد : « وخلع علي ابنه الحسين بن محمد وقلده السيف وألبسه المنطقة ولزم محمد بن علي الدراعة وسار إلى منزله وخلفه ابنه بالخلع فعادت الأمور كلها اليه ^(٣) » . ولكن ابن سعيد يذهب إلى أن رد الأمور إلى الماذرائي لم يكن إلا في العام التالي . وكتب ابن سعيد في هذا الشأن . « وفي رجب سنة ثمان وعشرين أطلق الاخشيد أبا بكر محمد بن علي الماذرائي واستوزره واستكتب ابنه الحسين بن محمد وخلع عليه وصرفه إلى داره فمضى بين يديه أهل الدولة

(١) راجع عن الوزارة في التاريخ الاسلامي ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية والبولك الاسلامية ص ١١٠ — ١١١ والماردى : الاحكام السلطانية ، الماردى : كتاب أدب الوزير ، وابن عبدوس الجهشياري : كتاب الوزراء ، وابن الصيرفي : الاشارة إلى من نال الوزارة ، و خليل الظاهري : زبدة كشف الممالك ، وابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والسلطان وألقابهما) ص ١٩٧ وحسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ١٤٤ و Zaky Hassan : Les Tulunides p. 194 .

(٢) Zaky Hassan : op. cit. pp. 194-195

(٣) المقرئ : المقفى (النص العربي في رسالة جوتشلك) ص ١٢٣ — ١٢٤ وابن سعيد :

وابنه الحسين خلفه بالخلع ومشى الشريف أبو جعفر مسلم بين يديه حتى حلف عليه فركب ورد إليه الاخشيد التدبير بمصر والشام والرملة ولبس الدراعة ونزع الطيلسان ، وكان (الاخشيد) لا يصدر إلا عن رأيه ولا يخليه من حضور مجلسه ويعول للناس إذا انصرف « كم قبلت يده ووقفت بين يديه » ^(١) .

والراجح عندنا أن الماذرائي قدم إلى مصر بعد وفاة ابن الفرات وأن الاخشيد أطلق سراحه ولسكنه لم يرد إليه تدبير الأمور ولم يتخذ وزيراً له إلا بعد أن عاد من حملته الأولى في الشام لقتال ابن رائق أي في رجب سنة ٣٢٨

ومهما يكن من الأمر فإن هذا النص الذي نقلناه عن ابن سعيد يشير إلى أن الوزير في مصر عندئذ كان يتميز بلبس الدراعة ونزع الطيلسان ^(٢) . ولا عجب فقد « كان الاشتغال في الدواوين يختلف عن عمل الفقهاء والعلماء كل الاختلاف ، فكان المشتغل بإدارة الدواوين هو ممثل الثقافة الأدبية وكان لا يعالج العلوم الشرعية إلا بمقدار ما يتطلبه عمله وثقافته . أما التمايز الظاهري بينهم فكان يتجلى في أن الكاتب يلبس دراعة ، على حين أن العالم يلبس الطيلسان » ^(٣) .

ولما خرج الاخشيد في حملته الثانية لقتال ابن رائق استخلف على مصر أخاه أبا المظفر الحسن بن طنج ومعه الوزير محمد بن علي الماذرائي ^(٤) . واستحق الماذرائي في هذه الفترة تقدير الاخشيد وشكره ، لأنه كان خير عون للحسن بن طنج في تهدئة أحوال الناس والقضاء على الاضطراب الذي قام بسبب وصول أخبار غير مطمئنة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥

(٢) كان الوزير العباسي يلبس دراعة وقيصاً ومبطنه وخفا . أنظر هلال الصابني : تاريخ الوزراء ص ٣٢٥ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٤٥ والدراعة قيص مفتوح من الامام إلى موضع القلب ومزين بالزراير النفيسة والطيلسان شبه طرحة أو شال يلتقي على الكتفين وعلى الرأس في بعض الأحيان أنظر Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes pp. 177, 278-280.

(٣) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣٦ نقلاً عن المقدسي وياقوت .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩ و ٣٨

من ميدان القتال ^(١) . ولما عاد الاخشيد من هذه الحملة وقع له مع الماذرائى حادث كان وخيم العاقبة على هذا الوزير . ذلك أن الاخشيد رأى قبل وصوله إلى النمسطاط وفدا بادرا إلى لقائه وتوقع أن يكون على رأسه محمد بن على الماذرائى وخشى ألا يترجل هذا الوزير عند ما يصل إليه فأرسل الحسين بن محمد الماذرائى — وكان فى صحبته — ليلقى أباه . وأحس الحسين بما فى نفس الأمير فبادر إلى أبيه وقال له :

« الاخشيد قد قرب منك وقد رآك فأخرج رجلك من الركاب فهو يرض منك بها »
فغضب الماذرائى الكبير ورفض أن يترجل أو يخرج رجله من الركاب عند لقاء الاخشيد بل عانقه وهو على ظهر حصانه ، واستاء الاخشيد فأقبل على محادثة كاتبه محمد بن كلا وانصرف عن الماذرائى ، وطلب الأخير إلى غلمانه إخراجه من زحمة الموكب : وفطن الاخشيد إلى هذا وأراد أن يتجنب حدوثه فاستدعى الماذرائى وسأله . ومما يشهد بعلو مكانة هذا الوزير ما يروى عن قوله ، حين فاتحه ابنه باظهار الترحيل للاخشيد :
« ذهاب المال أهون على من هذا » ^(٢) ! ولكن الاخشيد حقق عليه وما لبث أن قبض عليه وعلى ابنه الحسين سنة ٣٣١ هـ .

ومما يستحق الذكر أننا نلاحظ فى ذلك العصر نوعا من الحبس يشبه اعتقال بعض عظماء الرجال فى عصور التاريخ ولا سيما العصر الحديث . فان الاخشيد أعد لاعتقال الماذرائى دارا أسرف فى تزيينها وتأثيثها وزودها بجميع ما يحتاج اليه من ملابس وطيب وطرائف وما كل ومشارب . ولم يعتقله فيها حتى تأكد من أنه لا ينقصها شيء . وقد سئل الاخشيد كيف عمل هذا كله للماذرائى فقال : « هذا ملك ! وأردت أن لا يمتنع بشيء لنا ولا يطلب حاجة إلا ويجدها ، لأنه ان عجز شيء أحضره من داره ونسقط من عينه » ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨ — ٣٩

(٣) المقرئى : الملقى (فى رسالة جوتشك) ص ١٢٤

وهكذا نرى كيف كان هذا الوزير ملكاً غير متوج أو كما أنه أمير كبير من أمراء
الاقطاع يرعى جانبه أمير البلاد ويخشى بأسه .

ثم أطلق الاخشيد سراح محمد بن علي الماذرائي وابنه الحسين في العام التالي .
ولكنه حين عزم على السير للقاء الخليفة المتقي في الشام سنة ٣٣٢ هـ قبض عليه ثانية
وصادر جزءاً كبيراً من أملاكه وحمله معه إلى الشام ^(١) . ويروى أن الخليفة المتقي
طلبه من الاخشيد فأجاب بأنه ليس معه ^(٢) ، وقيل ان الاخشيد عرض على الماذرائي
مقابلة المتقي وان الماذرائي رفض هذه المقابلة ^(٣) . وعلى كل حال فان الماذرائي
عاد مع الاخشيد إلى مصر وظل بها إلى أن توفي الاخشيد سنة ٣٣٤

ويبدو أن مقاليد الأمور كانت حينئذ في يد صاحب الخراج وهو محمد بن علي
ابن مقاتل الذي كان كاتباً لابن رائق ^(٤) ثم ولاء الاخشيد خراج مصر في نهاية
سنة ٣٣٢ أو في بداية سنة ٣٣٣ هـ ^(٥) . وجمع بعد ذلك إلى ولاية الخراج كثيراً
من اختصاصات الوزير حتى صار له هذا اللقب في رأى كثير من المؤرخين ^(٦) .

وقد مر بنا الكلام على اجتماع وجوه القوم بعد وفاة الاخشيد وتبادل الرأى
فيمن يخلفه وعرفنا أن أبا بكر الماذرائي كان له الفضل في تنصيب أونوجور وأنه كوفيء
على ذلك بأن قلد تدبير الأمور . والواقع أنه جمع بين أعمال الوزارة والإشراف
على الخراج بعد عزل محمد بن علي بن مقاتل ^(٧) . ويبدو أنه كان يشعر بتقدمه في العمر

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المقرئى : المتقى (فى رسالة جوتشك) ص ١٢٤

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩ و ٣٨

(٥) كتب ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٣٢ أن ناصر الدولة بن حمدان استعمل فى ربيع
الأول من هذه السنة أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل على طريق الفرات وديار مصر وجند
قنسرين والعواصم وحصن ثم عزله فى شهر رجب . وكتب فى حوادث سنة ٣٣٣ ان ابن مقاتل
كان فى حلب حين قدم إليها الاخشيد فأكرمه هذا الأمير واستعمله على خراج مصر (الكامل
ج ٨ ص ١٤٨) . أنظر أيضاً ابن سعيد : المغرب ص ٤٥ وابن خلدون : المغرب ج ٣ ص ٤١٨

(٦) الكندى : الحولاة والقضاة ص ٤٩١ و ٥٦٧ و ٥٦٨

(٧) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

ويريد أن يهد الوزارة لابنه فرفض في البداية أن يقبل تدبير الأمور حين طلبت منه ذلك أم أونوجور وأيدها رجال الحاشية . ولما ألحوا عليه قال : « على أن لا أنزع الطليسمان ، ولكن ابني أبا على (يعني الحسين بن محمد) يكون وزيرا وأنا أدبر الأمر » ^(١) فأجابوه إلى ذلك .

والظاهر أن الوزير كان يصرف الأمور في داره أحيانا وفي دار الإمارة أحيانا أخرى وأن بعض رجال الحكومة كانوا يركبون معه إذا خرج ويشيعونه إلى داره وإلى المسجد يوم الجمعة ^(٢) .

وقد روى المقرئ في كتاب المقفي أن محمد بن علي الماذرائي بقي في مصر إلى جانب أونوجور يدبر أمور البلاد حين خرج كافور على رأس الجند ومعه الحسين ابن محمد الماذرائي لقتال سيف الدولة بن حمدان ، وأن غلبون ثار في الصعيد سنة ٣٣٥ وقدم إلى القسطنطينية وأفلح في هزيمة أونوجور ففر هذا الأمير ومن معه ومن بينهم أبو بكر الماذرائي وتبعهم أصحاب غلبون فأدركوا الماذرائي وقد سقط عن بغلته فأتوا به إلى غلبون فأكرمهم وفوض إليه تدبير الأمور . وجلس الماذرائي في دار الإمارة ولكن أونوجور وأصحابه عادوا إلى المدينة وتم لهم النصر . ولما رأى أن الماذرائي قبل التعاون مع الثائر غلبون أمر بضربه ونهبت داره ودور أهله وعزله الأمير واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات . ولكن الوزير المعزول مالبت أن عاد إلى منصبه عندما قدم كافور من الشام سنة ٣٣٦ وصار إليه تدبير أمور البلاد . ورد إليه كافور مابقي من ضياعه وضياع ابنه .

وعاش أبو بكر الماذرائي السنوات الأخيرة من حياته بعيدا عن الشؤون العامة إلى أن توفي سنة ٣٤٥ وهو في الثامنة والثمانين من عمره . وحضر أونوجور وكافور الصلاة عليه ^(٣) . وانتهى بموته ما كان للماذرائيين من سلطان في إدارة مصر نحو سبعين عاما .

(١) المقرئ : المقفي (رسالة جوتشلك) ص ١٢٤

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٥ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٦١ — ١٦٤

ولا ريب في أن مادونه المؤرخون من سيرة أبي بكر الماذرائي — على ما فيه من مبالغة ظاهرة — يشهد بما جمعه من أموال ضخمة وما كان له من مظاهر الكرم والعطاء والترف . وحسبنا أن نشير إلى ما يقال عن إنفاقه على ستين ألفا من الناس في مكة كل عام وأنه كان يجري عليهم الرزق من الدقيق والقمح والدراهم . وكان له بمصر من يجري عليهم مائة ألف رطل من الدقيق في كل شهر واجتمع له مائة ألف عبد اعتقهم في طول عمره . وملك بمصر من الضياع الواسعة ما لم يملكه أحد قبله حتى بلغ دخل أملاكه أربعة مائة ألف دينار في كل سنة سوى الخراج . وحج إحدى وعشرين حجة « وكان يقال انه ينفق في كل حجة مائة ألف دينار ويخرج معه تسعين ألف ناقة لنفسه وأربع مائة عربي لجهازه ومؤناته ومعه محامل فيها أحواض البقل ومحامل فيها أحواض الرياحان ومحامل فيها الكلاب للصيد وكان يحمل إلى الحجاز في البر والبحر جميع ما يحتاج اليه يفرقه هناك : الدنانير والدراهم والثياب والطيب والحلوى والحبوب وسائر الأطعمة والقمح والدقيق والشعير والزيت . ولا ينصرف عن الحجاز إلا وجميع من فيه أغنياء » ^(١) .

ويبدو أن الاخشيدي كان له أعوان آخرون يقومون بأعمال الوزير دون أن يكون لهم لقبه في بعض الأحيان . وفضلا عن هذا فقد كان الوزير العباسي الفضل بن جعفر يعاون الاخشيدي في الحكم والادارة على الرغم من أن مهمته الأولى التي ندب لها من قبل الخلافة العباسية هي الاشراف على جمع الأموال للخلافة من خراج مصر والشام . والواقع أن الفضل بن جعفر كان سياسيا ممتازا واستطاع بمرونته وكياسته أن يوفق بين عمله مندوبا ووزيرا للخلافة واتصاله بالاخشيدي ونصحه له وتفهيم وجهة نظره في الاستقلال الذاتي لمصر . وقيل انه لما توفي الفضل بن جعفر بن الفرات حزن محمد بن طفج حزنا شديدا وكان يتقبل فيه العزاء من الناس .

وبعد وفاة الفضل كتب الخليفة الراضى الى الاخشيدي يأمره بانقاذ ابنه جعفر ابن الفضل الى بغداد ليتقلد منصب الوزارة ولكن الاخشيدي لم يستطع أن يجيب هذا الطلب . والظاهر أن صلة النسب بين جعفر بن الفضل بن جعفر والاخشيدي جعلت الأول يؤثر البقاء في مصر بعيدا عن جو الدسائس في بغداد . ومع ذلك فإن بنى الفرات كانت لهم مكانة مرموقة في دار الخلافة فلا عجب إذا نزل الخليفة على إرادة جعفر بن الفضل وأعفاه من الذهاب إلى بغداد وعينه خلفا لأبيه وزيراً للكشف عن أعمال الاخشيدي في مصر والشام^(١) . وطبيعي أن عمل جعفر بن الفضل كان مثل عمل أبيه أشبه شيء بعامل البريد من قبل الخلافة أو بعبارة أخرى كان هو وأبوه من قبله مندوبين للخلافة في مصر والشام يرقبان أعمال الاخشيدي ويتجسسسان عليه إذا أرادا . ولكن الاخشيدي استطاع بسياسته أن يوطد الصلة بهما وأن ينتفع بخبرتهما وبما كان لهما ولأسرتهما من نفوذ في دوائر الخلافة .

والظاهر أن جعفر بن الفضل بن جعفر كان يعد نفسه مصريا اخشيديا ولم تمكن صلته بالخلافة إلا صلة اسمية . فلا عجب إذا اعتبره المؤرخون وزيراً للاخشيديين من سنة ٣٣٤ هـ الى الفتح الفاطمي^(٢) . ويعرف جعفر بن الفضل باسم ابن حنزابة . وحنزابة — بكسر الحاء وسكون النون — اسم جدته ويقال انها كانت جارية رومية^(٣) . وكان جعفر واسع السلطان في ادارة مصر على عهد كافور^(٤) ولكن نفوذه زاد كثيراً بعد وفاة هذا الأمير حتى استطاع في عهد أبي الفوارس احمد بن علي الاخشيدي أن يقبض على نفر كبير من رجال

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٤

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨ وياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ١٦٣ وما بعدها ، والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ و ٥١ ، وأبو الهاسن : ج ٣ ص ٢٩٢ و ج ٤ ص ٦

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٩ وابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٠

(٤) قيل ان المتنبي نظم في جعفر بن الفرات قصيدته التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يحجر دمعك أو جرى

ولكنه لم يظفر منه بالمطاء المنتظر فلم ينشده إياها ، ولما خرج إلى إيران صرفها إلى ابن العميد فأعطاه ثلاثة آلاف دينار . أنظر ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٢ وديوان المتنبي ص ٤٤٣

مصر وأن يصادر أموالهم . وكان من بينهم يعقوب بن كلس الذي استطاع أن يخرج خلصة إلى الفاطميين في إفريقية وكان عوناً كبيراً في وضع الخطط لفتح مصر كما سنرى في نهاية هذا الكتاب .

ولم يكن جعفر بن الفضل موفقاً مع الجند ، فقد عجز عن إرضاء مختلف طوائفهم بعد أن طالبوه بما لا طاقة للحكومة بأجابه ، فناروا عليه ونهبوا داره ودور أصحابه حتى اضطر إلى الاختفاء فترة من الزمن .

ولما قدم الحسن بن عبيد الله بن طنج من القرامطة في الشام قبض على هذا الوزير وصادر أمواله وتولى تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر واستوزر كاتبه الحسن بن جابر الرياحي ^(١) . ولكنه ما لبث أن أطلق سراح جعفر بن الفضل بوساطة الشريف أبي جعفر الحسيني وفوض إليه أمر مصر ثانية . ثم سافر الحسن بن عبيد الله بن طنج إلى الشام في ربيع الآخر سنة ٣٥٨ ، وقدمت جيوش الفاطميين إلى مصر بعد مسيره بمدة يسيرة ^(٢) .

ومما يشهد بمكانة جعفر بن الفضل أن اسم كافور لا يذكر مع اسمه في الكتابة التاريخية التي أشار إليها المقرئ ^(٣) . والتي وجدت بعض آثارها تخليداً لبناء بئر الوطاويط ^(٤) . وسوف نعود إلى الكلام على هذه الكتابة التاريخية .

وقد وصل إلينا اسمان لرجلين من رجال العصر الاخشيدى قيل إنهما وليا منصب الوزارة . والراجح عندنا أن الاخشيد فوض إليهما تدبير الإدارة في فترتين قصيرتين خلا فيهما منصب الوزارة من صاحبه الماذرائي أو ابن الفرات . وأول هذين الرجلين أبو الحسن علي بن خلف بن طباب . وقد ذكره المسعودي وأشار إلى أن الاخشيد

(١) كان هذا الوزير ممن وقعوا بعد ذلك في أسر جوهر القائد وأرسلوا إلى القيروان أنظر المقرئ : اتعاظ الخفاص ١٧١

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣ — ٢٤

(٣) الخطط ج ٢ ص ١٣٥

(٤) Wiet:Corpus, Egypte 11. pp 91 et suiv.

استوزره حين كان أبو بكر محمد بن علي الماذرائي معتقلاً^(١) وكان الاخشيد عندئذ في الشام ولما عاد إلى القسطنطينية قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن خلف . والظاهر أنه ظل محبوساً إلى أن توفي الاخشيد وتولى أونوجور وآل تدبير الأمور إلى أبي بكر محمد الماذرائي فأمر باطلاق سراحه^(٢) . ومهما يكن من الأمر فإن أبا الحسن علي بن خلف ابن طباب كان وزيراً للقائد التركي بحكم في بغداد^(٣) ثم ولاء ناصر الدولة على أعمال الحراج والضيايع بديار مصر والشام^(٤) ولجأ بعد ذلك إلى الاخشيد سنة ٣٣١ هـ واتخذ الاخشيد وزيراً له .

أما الوزير الثاني فهو أبو الحسن أو أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب . وقد ذكره المسعودي أيضاً وأشار إلى أن الاخشيد استوزره بعد أن حبس على بن خلف بن طباب^(٥) وإذا صح ما ذكره ابن سعيد نقلاً عن ابن زولاق فإن محمد بن عبد الوهاب هذا كان شيعياً واعتقله الاخشيد سبع سنين ثم أطلق سراحه واصطفاه فصار من خاصته وإليه يرجع الفضل في اقناع الاخشيد بالعدول عن الدعاء في الخطبة للخليفة الفاطمي حين كان حانقاً على الخليفة العباسي بسبب عدوان ابن رائق^(٦) . وقد جاء ذكر محمد بن عبد الوهاب في ملحق أخبار القضاة الذي طبع مع كتاب الكندي نقلاً عن رفع الاصر لابن حجر العسقلاني وعن النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة لابن شاهين . ووصف محمد بن عبد الوهاب هذا بأنه كان عامل مصر ومدير أمرها نحو سنة ٣١٣ هـ^(٧) . ولسنا نستطيع الجزم بأن هذا العامل الذي كانت بيده مقاليد الأمور بمصر في فترة وجيزة جداً من ولاية تكين هو الذي حبسه الاخشيد بعد ذلك ثم استوزره زمناً قصيراً .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٥

(٤) المرجع نفسه ج ٨ ص ١٣٦ و ١٣٩

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٢٧

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٣٢

وذكر ساويرس بن المقفع أن كافورا الاخشيدى كان له وزير قبلى اسمه أبو اليمان قزمان بن مينا وأن الفاطميين أبقوه على حاله « ناظراً في كورة مصر » ^(١) والراجح أن قزمان بن مينا هذا لم يكن وزيراً وإنما كان من كبار الموظفين في الشؤون المالية بحاضرة مصر حينئذ . وعلى كل حال فالمعروف أنه ندب في بداية العصر الفاطمى لبعض الدولة في فلسطين وأنه جمع لنفسه مالا كثيراً ^(٢) .

وصفوة القول أن معالم منصب الوزير في العصر الاخشيدى غير واضحة تماماً وإنما لا نعرف اختصاصاته على وجه التحقيق . ومن المحتمل أن هذا اللقب كان يطلق في بعض الأحيان على أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه . ولكن الراجح أن هذا المنصب كان يشغله في معظم الأحيان شخص يفوض إليه الأمير معاونته في تدبير كافة الأمور في البلاد مستعيناً بطائفة من كبار الموظفين وإن منزلة بعض هؤلاء الموظفين كانت ترتفع حتى أنه ليوصف في بعض الأحيان بأنه من وزراء الأمير ^(٣) .

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، المجلد الثانى الجزء الثانى

ص ٨٧ — ٨٨

(٢) تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ٤٦

(٣) أشار ابن الزيات (فى السكواكب السيارة ص ٢٠٠) إلى سبع قبور فى القرافة

قيل انها قبور وزراء كافور . ولعلها قبور بعض كبار الموظفين فى العصر الاخشيدى .

(٢)

· السكاتب

كانت وظيفة السكاتب من الوظائف الرئيسية في مصر الاخشيدية وفي الخلافة بوجه عام . إذ كان السكاتب يساعد الوزير في عمله ويحرر الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى الخليفة أو إلى غيره من الملوك والأمراء ^(١) . ولذا كان السكاتب يختار ممن نالوا قسطاً كبيراً من الثقافة الأدبية وعرفوا بأصالة الرأي ، حتى يستطيع القيام بعمله على الوجه الأكمل . وكان من دواوين الإدارة ديوان خاص تصدر عنه الرسائل والمكاتبات .

والمواقع أن ديوان الانشاء أو ديوان الرسائل ازدهر نشاطه وظهرت الحاجة إليه منذ العصر الطولوني . وقد كتب القلقشندي في هذا الصدد أن الحالة الأولى لديوان الانشاء في مصر « ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة الطولونية ونواب الخلفاء تتوالى عليها واحداً بعد واحد فلم يكن لهم عناية بديوان الانشاء ولا صرف همّة إليه ، للاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة والنزول اليسير من الولايات ونحو ذلك ، ولذلك لم يصدر عنهم ما يدون في الكتب ولا يتناقل بالأسنة » . أما الحالة الثانية . « فما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية من ابتداء ولاية أحمد بن طولون واستفحال ملك الديار المصرية في الاسلام وترتيب أمرها وإلى حين انقراض الدولة الاخشيدية ، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الانشاء بها وانتظم أمر المكاتبات والولايات » ^(٢) .

ويبدو أن الأمير الاخشيدى كان له ديوان للانشاء على رأسه كاتب أو أكثر من كاتب واحد . وأن السكاتب لم يكن يعمل في تحرير الرسائل فحسب بل كان يقوم بما يدخل في عصرنا الجالى في أعمال رئيس الديوان أو السكرتير الخاص .

(١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٥ ص ١٠٦

(٢) القلقشندي : صبيح الأتشي ج ١ ص ٩٥ و Zaki Mubarak : La Prose Arabe au IVe

وأول من نعرفه من كتاب الاخشيد على بن محمد بن كلا . وقد كان كاتبه في دمشق قبل قدومه إلى مصر . وهو الذي أوفده الاخشيد إلى بغداد ليلتمس من الخليفة القاهر ولاية مصر فرد القاهر بأنه قد ولى عليها محمد بن تكين^(١) . وكان الاخشيد عظيم الثقة بابن كلا . وقد مر بنا أنه أوفده إلى الرملة سنة ٣٢٨ هـ وفوضه في عقد الصلح بينه وبين ابن رائق ، بعد أن أفلحت وساطة الحسن بن طاهر العلوي بينهما^(٢) .

والظاهر أن ابن كلا لم يكن من رجال القلم فحسب ، بل كان من رجال السيف أيضا أو لم يكن بعيداً عنهم كل البعد . فقد نقل ابن سعيد عن ابن زولاق أن الاخشيد أوفد ابن كلا على رأس عساكره إلى الشام بعد قتل ابن رائق^(٣) . ويبدو أن الاخشيد لاحظ في سنة ٣٣٣ هـ أن هذا الكاتب جمع ثروة كبيرة فشك في أمره وصادر أمواله وقبض عليه^(٤) ، ولكنه أطلق سراحه بعد ذلك .

وكان ابن كلا بين الحاضرين في الاجتماع الذي عقد بدار الإمارة في مصر لما ورد نعي الاخشيد^(٥) .

وكان الأمير يعتمد على كاتبه كل الاعتماد بوصفه « رئيس ديوانه » ، فكان يشاوره في معظم الأمور حتى خلط الناس في هذا العصر بين الوزير والكاتب في بعض الأحيان .

ومن ذلك أن أم أونوجور طلبت من أبي بكر الماذرائي أن ينوب عن ابنها وأن يدبر الأمور فقال : « على ألا أنزع الطيلسان ، ويكون ابني أبو علي (يعني الحسين ابن محمد) كاتبه ، فاتفقوا على ذلك »^(٦) أي أنه قبل أن يكون تدبير الأمور بيده .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٠

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ص ٢٩

(٤) المرجع نفسه ص ١٧ و ٤٠

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥

(٦) المرجع نفسه

دون أن يكون هو وزيراً بل يكون ابنه كاتباً (أو وزيراً) لأنونجور^(١). ومما يؤيد ذلك أيضاً أن جمال الدين بن ظافر الأزدي ختم النبذة التي كتبها عن أنونجور بقوله : « وكاتبه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة »^(٢).

ومن كتاب العصر الاخشيدي محمد بن عبد الرحمن الروذباري . وكان يعاون الفضل بن جعفر بن الفرات ، وقد خلفه في أعماله حين سافر ابن الفرات إلى بغداد^(٣) . ومنهم علي بن صالح الروذباري ، وقد كتب المقرئ أنه كان كاتباً لكافور وأنه حسن له أن يوفر من « ميزانية » الرواتب بخفضها وأن الله ابتلاه بمرض قضى عليه سنة ٣٤٧ هـ وأن « هذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء »^(٤).

ويبدو من الموازنة بين النصوص التاريخية المختلفة أن طائفة الكتاب في العصر الاخشيدي كانت تنقسم قسمين : الأول الكتاب السياسيون وهم الذين كانوا مجال حديثنا في السطور السابقة وكان القوم يخلطون بينهم وبين الوزراء . أما القسم الثاني فالكتاب الذين كانوا يشتغلون بتحرير الرسائل ويؤلفون ديوان الانشاء بالمعنى الذي ذكره القلقشندي وأشارنا إليه في بداية هذا الفصل .

وكان زعيم أولئك الكتاب المحررين في العصر الاخشيدي ابراهيم بن عبد الله بن محمد النجيري^(٥) . وسوف نعود إلى الكلام عليه حين نتحدث عن الأدباء والعلماء .

وذكر المؤرخون أن من كتاب الاخشيدي أبا جعفر بن المتفق وابن توماس^(٦) ، ولكننا لم نستطع أن نعثر في المراجع التاريخية على شيء من سيرتهما ، اللهم إلا مارواه

(١) نص المقرئ صراحة على أن الماذرائي قال : « على أن لا أنزع الطليسان ، ولكن ابني أبا علي يكون وزيراً وأنا أدبر الأمر » . أنظر المقي في رسالة جوتشك ص ١٢٤
(٢) ابن ظافر الأزدي (في وستنفلد) ص ٥٨

(٣) ابن سميذ : المغرب ص ٢٥

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) نسبة إلى نجيرم وقد قال السمعاني إنها محلة بالبصرة وخالفه ياقوت فقال إنها بلدة صغيرة على مقربة من سيراف على ساحل الخليج الفارسي . أنظر ياقوت : معجم البلدان : مادة نجيرم

وياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩

(٦) ابن ظافر الأزدي (في وستنفلد) ص ٥٨

ابن سعيد نقلا عن ابن زولاق بشأن نفي ابن توماس إلى الاسكندرية بعد وفاة الاخشييد
وقبض الماذرائى على مقاليد الأمور^(١) ثم ما رواه عن اشتراك ابن المتفق بثلاثمائة
دينار في نفقات منزله أقامه الاخشييد^(٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٥ ؛ أنظر أيضا ص ١٧ من المرجع نفسه . وقد ورد هذا الاسم
في ابن سعيد ابن ترماقس وابن ترماقس .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢

(٣)

ولاية الأقاليم

من المعروف أن العرب لم يغيروا كثيرا في الأساليب الإدارية البيزنطية بمصر ولا في تقسيم البلاد الإداري على عهد البيزنطيين . فظلت البلاد تنقسم إلى أقسام يعرف كل منها باسم « كورة » وعلى رأسه حاكم يسمى صاحب الكورة وله اختصاصات تشبه إلى حد ما اختصاصات المديرين الحاليين ، كما كانت لأصحاب الكورات إمامة الصلاة في المساجد الجامعة بحواضر كوراتهم ^(١) . وفضلا عن ذلك فقد كانت البلاد تنقسم أحيانا إلى عدة أقسام كبرى بحسب موقعها الطبيعي ، فكانت هناك مصر العليا ومصر السفلى ومصر الوسطى . وتسمى مصر السفلى « أسفل الأرض » ومصر الوسطى « الصعيد الأوسط » . وكانت السلطة المركزية في الفسطاط تعين في بعض الأحيان حاكما عاما على كل إقليم من هذه الأقاليم الكبرى . ولكن أصحاب الكورات كانوا مسؤولين أمام أمير البلاد مباشرة ، ولسنا نعرف تماما اختصاص حاكم الإقليم الذي يتألف من عدة كورات . والواقع أننا لا نستطيع أن نؤكد أن البلاد كانت تشتمل دائما على أقاليم كبرى تضم عددا من الكورات ، ولكن المراجع التاريخية تشهد بوجود هذا التقسيم أحيانا . وكان لكل من المدن الساحلية والواحات وبرقة وسينا حاكم يعينه الأمير أو يعينه الخليفة مباشرة . ومع ذلك فقد كان بعض المناطق كورة قائمة بذاتها أو كان يضم عدة كورات ^(٢) . والراجح أن مصر كان بها نحو ثمانين كورة تضم كل منها عددا من القرى والعزب ، يرأس كل منها « مازوت » ، وهو العمدة الحالي وقد عرف منذ العهد الطولوني باسم « العميد » ^(٣) .

(١) أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٨ — ٢٩ وما ذكر فيهما من المراجع القديمة .

(٢) المقترزي : الخطط ج ١ ص ٧٣

(٣) Ibn Said-Vollers ; Fragmente p. 34

ومن المحتمل أنحكام الأقاليم أو الكورات المهمة كانوا يختارون من كبار قواد الأمير وأعوانه . أما اختيار المازوت أو العمدة فلسنا نعرف قواعده تماماً ، ولكننا نرجح أن المازوت كان من أهل القرية نفسها وأن رؤساء الكورات كانوا يحتفظون بقوات من الشرطة يعتمدون عليها في إقرار النظام . ولسنا نعرف شيئاً عن رواتب رؤساء الكورات وحكام الأقاليم . وبالنظر إلى أن الحكومة كانت تعتمد عليهم في جمع الضرائب المقررة فالراجح أنهم كانوا يحجزون من الضرائب رواتبهم والأموال اللازمة لإدارة كوراتهم . أما المدن والأقاليم التي كان الأمراء يفتحونها في الشام فكان على رأس كل منها حاكم يعينه الأمير .

وقد ظل هذا النظام قائماً في عصر الولاة وفي العصر الطولوني^(١) وفي الفترة التي تفصل العصرين الطولوني والاخشيدي . والراجح أن قصر العصر الاخشيدي وطبيعة البلاد وأصالة هذا النظام كل ذلك كان من شأنه أن يبقى هذا النظام في العصر الاخشيدي نفسه . والواقع أن النصوص التاريخية التي وصلت إلينا عن حكم الأقاليم وتقسيمها الإداري في العصر الاخشيدي قليلة .

ومن ذلك ما رواه المقرئى نقلاً عن وثيقة بخط كاتب قبضى كان من ولاية الحراج في العصر الاخشيدي . وقد جاء في هذه الوثيقة أن قرى مصر كانت سنة ٣٤٥ هـ ألفين وثلاثمائة وخمسة وتسعين قرية ، منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الأرض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية^(٢) .

ويبدو أن حاكم الأقاليم في العصر الاخشيدي كان يعرف أحياناً باسم والى الحرب^(٣) . وقد ذكر الكندي عند الكلام على ثورة غلبون والى إقليم الأشمونين ، أنه كان والى الحرب في هذا الإقليم^(٤) .

(١) Zaki M. Hassan : Les Tulunides pp. 196-199 وما جاء فيها من المراجع القديمة .

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٧٣

(٣) يذهب بعض المستشرقين إلى أن والى الحرب هو صاحب الشرطة ولكننا نرجح أن والى

الصلاة والحرب هو الحاكم العام للأقاليم . أنظر Wiet : Corpus, Egypte 11. p. 54.

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٥ و Maspero et Wiet : Matériaux pour servir à la géographie d'Egypte p. 21.

ومن وصل إلينا أسماءهم من ولاية الأقاليم فاتك الاخشيدي الذي ولى دمشق^(١) ،
وشعلة بن بدر الاخشيدي الذي وليها أيضا سنة ٣٣٨ هـ^(٢) . وذلك فضلا عن الحسن بن
طغج وعبيد الله بن طغج وقد بنا أنهما ولياها من قبل أخيهما الاخشيدي^(٣) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٩ — ٣٣٠ وج ٤ ص ٤ — ٥

(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٩ و ٣١٣

(٣) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣١٠

(٤)

صاحب الشرطة ^(١)

كانت الشرطة في التاريخ الاسلامي نخبة من الجند يتبعون الخليفة أو حكام الأقاليم وبعدهم إليهم بأعمال البوليس وحفظ النظام ورعاية الأمن . ويسمى رئيسهم صاحب الشرطة أو صاحب الشرط أو غير ذلك مما يفيد هذا المعنى ^(٢) وكان صاحب الشرطة هو الحاكم الفعلي للمدينة التي يرأس شرطتها ^(٣) ، وكان له سلطان واسع مستمد من الخليفة أو الأمير ^(٤) وكان صاحب الشرطة في مصر الى عهد قيام ابن طولون يعين من قبل الوالى . ولما أنشأت العسكر على يد أول الولاة العباسيين في مصر أنشئت في حاضرة مصر الاسلامية شرطة جديدة سميت الشرطة العليا ^(٥) ، وكان مقرها دارا جنوبي المكان الذي شيد فيه ابن طولون مسجده الجامع ^(٦) . ولا ترجع تسميتها الشرطة العليا الى أنها أعظم شأنًا من شرطة الفسطاط كما قد يتبادر إلى الذهن ^(٧) . ولكن هذه التسمية مشتقة من الموقع .

(١) راجع عن الشرطة في الاسلام مقال «شرطة» الأستاذ تزترشتين Zetterstein في دائرة المعارف الاسلامية وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ١٥٤ و Wiet : Corpus Egypte II. pp. 51-62

(٣) مما يؤيد ذلك ما كتبه الكندي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب الشرطة في ولاية يزيد بن حاتم المهاجى على مصر سنة ١٤٥ هـ فقد قال انه «على الفسطاط» . والواقع أن عبد الرحمن هذا جمع بعد ذلك بين القضاء وولاية الشرطة فسكرتبه الكندي أنه جمع بين «القضاء وخلافة الفسطاط» ، أنظر الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٢٤ والمقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٣٣٨ فضلا عن أن صاحب الشرطة كان يسمى في عصر المماليك «الوالى» أو صاحب العسس . أنظر المقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٣ وكان يسمى عند الموحدين في المغرب «الحافظ» أنظر القاشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٣٩

(٤) اقرأ في القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٢٠٢ و ٢١٥ ما جاء بشأن ما يجب أن يكون عليه صاحب الشرطة في وصايا كتبها عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن الخليفة الأموى مروان بن محمد لبعض من ولاة .

(٥) المقرئزى : الخطط ج ١ ص ٣٠٤

(٦) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٦٤

(٧) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٣

وحدود الاختصاص وتشهد بأن تقسيم الفسطاط الى « عمل فوق » و « عمل أسفل » يرجع الى عهد انشاء العسكر سنة ١٣٣٣ هـ^(١). بل ان صاحب الشرطة السفلى في الفسطاط كان أعلى شأنًا وأعظم اختصاصا من زميله بوصفه حاكم القسم الرئيسي الأصيل في الحاضرة. وتري أن الكندي يذكرها معاً مرة واحدة^(٢)، ولكنه لا يذكر بعدها إلا صاحب شرطة الفسطاط^(٣).

ومن المحتمل أن صاحب الشرطة في الحاضرة كان له أعوان في سائر أنحاء البلاد ولكن الراجح عندنا أن ولاية المدن والأقاليم في ريف مصر كان لكل منهم شرطة يتخذها لإقرار الأمن والمحافظة على النظام في منطقة حكمه.

ولما قدم محمد بن طنج الى مصر واستقر له الأمر عين على الشرطة سعيد بن عثمان غلام الأحول في رمضان سنة ٣٢٣، وكان سعيد هذا صاحب الشرطة على عهد أحمد بن كيغلق ولكنه لحق بابن طنج عند قدومه فكافأه على ذلك بتعيينه في هذا المنصب^(٤).

وتوفي سعيد بن عثمان في صفر سنة ٣٢٨ هـ فقام غلامه بدر مقامه الى شهر جمادى الأولى. ثم عين شادن مولى الفضل بن جعفر بن الفرات^(٥) وما لبث أن عزل في شعبان من السنة نفسها، وخلفه على الشرطة علي بن سبك الى ربيع الآخر سنة ٣٢٩ هـ ثم الحسين بن علي بن معقل الى رجب ثم ينال الحماكي الى ذى الحجة من السنة نفسها حين أعيد علي بن سبك. وظل ابن سبك في هذا المنصب الى رمضان سنة ٣٣٠ حين صرف عنه وعين احمد بن موسى بن زغلان^(٦). وعزل ابن زغلان في جمادى الأولى

(١) كتب المقدس (أحسن التقاسيم ، طبعة دي غويه ص ١٩٩) ان جامع عمرو كان يسمى الجامع السفلاى وجامع ابن طولون الجامع العلياى . راجع عن هذا التقسيم خطط المقرئى ج ١ ص ٢٩٩ و ٥

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٠٢

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٨

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ — ٢٨٦ وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة

ج ٣ ص ٢٥١ — ٢٥٢

(٥) الراجح أنه غير شادن الصقلى غلام الاخشىد . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ١٤ — ١٩

و ٢٨ و ٣٣ و ٣٤

(٦) كان من قواد الاخشىد . أنظر المغرب : ابن سعيد ص ١٨

سنة ٣٣١ وعين على الشرط محمد بن داوود وكان ممن عملوا مع ابن رائق ثم تركه وقدم الى مصر^(١) . وتوفي ابن داوود في جمادى الأولى سنة ٣٣٢ خلفه مظفر بن العباس الجيشاني الى ذى القعدة سنة ٣٣٣ وبعده لؤلؤ النورى الى ذى الحجة سنة ٣٣٤^(٢) ثم أعيد على بن سبك . وتوفي الاخشيد بعد ذلك ببضعة أيام .

أما أصحاب الشرطة في عهد خلفاء الاخشيد فان أسماءهم وتواريخ تعيينهم لم تصل إلينا كاملة ، وسبب ذلك أن الكندى وقف في كتابه عن ولاية مصر عند وفاة الاخشيد وأن هذا المؤرخ دون غيره من سائر المؤرخين في مصر الاسلامية كان يعنى بذكر أصحاب الشرطة عند الكلام على ولاية مصر .

ومهما يكن من الأمر فقد جاء في تذييل كتاب الكندى اسم صاحب الشرطة تكين الخاقاني . وكان تكين هذا من قواد الاخشيد^(٣) ويبدو أنه ولى الشرطة على عهد اونوجور ثم عزل وخلفه عليها جندى اسمه نصر وقد أظهر الظلم والقسوة وعزل سنة ٣٤٤^(٤) .

ومن أصحاب الشرطة على عهد خلفاء الاخشيد بدر غلام يانس وقد وليها سنة ٣٥١ هـ .

وإذا حكمنا بما نعرف عن عصر الاخشيد نفسه فقد كان عدد أصحاب الشرطة في الدولة الاخشيدية كبيراً . والراجح عندنا أن ذلك كان وفقاً لسياسة محكمة تقضى بتغيير كبار الموظفين من حين إلى آخر ابعاداً لهم عن توطيد نفوذهم في أى مرفق من مرافق الدولة وتشجيعاً للتنافس بين الطامعين في الوظائف .

والمعروف أن صاحب الشرطة كانت له صفة سياسية في عصر الولاية وكان بمثابة نائب الوالى في حكم البلاد ، يحل محله إذا مرض أو تغيب ويحكم البلاد إذا توفي الوالى ،

(١) الكندى : الولاية والقضاة ص ٢٩١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩١ — ٢٩٣

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

(٤) الكندى : الولاية والقضاة ص ٢٩٦

إلى أن يصل الوالى الجديد . وكثيراً ما كان الخليفة يعين صاحب الشرطة والياً على البلاد إذا مات الوالى أو عزل أو استقال ^(١) .

أما في العصر الطولونى ثم في العصر الاخشيدى من بعده فلا نلاحظ وجود هذه الصفة السياسية . وكان الأمراء في الدولتين لا يستخلفون صاحب الشرطة ، فكانت مهمة الأخير تقف عند المحافظة على الأمن ومساعدة الأمير والموظفين القضائيين في إقرار النظام بتنفيذ قراراتهم وأحكامهم والعمل على منع الجرائم والمخالفات .

ومما يلاحظ في وظيفة صاحب الشرطة وفي بعض الوظائف الإدارية بوجه عام أن معظم الذين كانوا يعينون فيها كانوا من الوافدين على مصر أو من المتصلين بالأمراء والجند الترك ولم يكونوا من أفراد الشعب المصرى ، الذى كان يعيش فى الغالب على هامش الأحداث السياسية ولا يشترك فى إدارة البلاد اشتراكاً مأموساً ^(٢) .

(١) أنظر سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤ وما ذكر فيها من المراجع القديمة .

(٢) G. Wiet : Le Mosquées du Caire 1 pp. 66-70 : Zaky M, Hassan : Les Tulunides (٢) pp. 212 — 222.

(٥)

عامل الخراج ^(١)

من مظاهر استقلال مصر في العصر الاخشيدى أن اجتمعت لمحمد بن طنج ولاية الصلاة وولاية الخراج والأموال كما اجتمع لابن طولون من قبله ^(٢) . والراجح أن عامل الخراج في الدولة الاخشيدية كان رئيس الهيئة التي تشرف على جمع الخراج وعلى تدبير نفقات الإدارة في البلاد أي أنه كان بمثابة وزير مالية للأئمة .

ومما يؤسف له أن المراجع التاريخية لم تحفظ لنا شيئاً كثيراً عن عمال الخراج في مصر الاخشيدية ولا عن أساليبهم في جباية الضرائب وتنظيم مصروفات الدولة .

وقيل ان أبا الحسين الفرغانى كان على الخراج عندما دخل الاخشيد مصر ^(٣) . وكتب أبو المحاسن أن كافورا قبض على أبي بكر محمد بن علي بن مقاتل صاحب خراج مصر سنة ٣٣٥ وولى مكانه أبا بكر محمد بن علي الماذرائى ^(٤) . وقد مر بنا أن الماذرائى كان وزيراً وأن ابن مقاتل كان يقوم بأعمال الوزارة حتى حسبته بعض المراجع القديمة وزيرا . والواقع أن بعض وزراء هذا العهد ، كان لهم الاشراف على الشؤون المالية في البلاد وكان يطلق على الوزير في بعض الأحيان « صاحب الخراج » أو « متولى ديوان الخراج » .

ويبدو أن الاشراف على ديوان الخراج كان يدر على صاحبه مالا كثيراً فقد كتب الذهبي أن أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل — متولى ديوان الخراج — لما توفي سنة ٣٣٥ هـ وجدوا في داره ثلاثمائة ألف دينار مدفونة ^(٥) .

(١) أنظر ابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والساطان وألقابهما . ديوان الأعمال والجبليات) ص ٢٠٣

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٣) المرجع نفسه ص ١٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ص ٨٢ . وقد روى أبو المحاسن هذه القصة في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٨ ولكنه ذكر ابن مقاتل في وفيات سنة ٣٥٠ هـ . والواقع أننا لم نستطع تحقيق السنة التي توفي فيها ابن مقاتل لأننا لا نعرف شيئاً من سيرته بعد سنة ٣٣٥ هـ .

وإذا صح ما ذكره ابن زولاق فقد كان من عمال الخراج في عهد الاخشيد
موظف كبير اسمه على بن محمد الكرخي^(١).

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أنه كان يحدث أحيانا أن يصبح
النظر في الشئون المالية لموظف كبير من موظفي ديوان الخراج ، ففي فترة من عهد
كافور كان يعقوب بن كلس قابضاً على مالية البلاد . وقيل ان كافورا أمر رؤساء
جميع الدواوين ألا يصرف درهم أو دينار بغير توقيع ابن كلس . ومع ذلك
فان ابن كلس لم يكن وزيراً في عهد كافور^(٢) . ويروى أن كافوراً كان يقول عنه : « لو كان
مسلماً لصح أن يكون وزيراً ! » . والظاهر أن ابن كلس اعتنق الاسلام عندما تبين
أن دينه اليهودي يحول دون وصوله إلى منصب الوزارة . غير أن اسلامه سنة ٣٥٦ هـ
جاء متأخراً ، فقد كانت الوزارة حينئذ لأبي الفضل جعفر بن الفرات وكان يحسد
ابن كلس ويكرهه فقبض عليه ولكنّه أفلح في الهرب إلى بلاد المغرب^(٣) .

والظاهر أن أهل الذمة كانوا لا يزالون يعملون في جباية الخراج في البلاد بوصفها
من الأعمال التي لم يكن ميسوراً أن يستغنى عنهم في أداؤها ، ففي الأوراق البردية
المحفوطة بمجموعة الأرشيدوق رينر في فيينا وثيقة من البردى تتضمن إيصالاً مؤرخاً
من سنة ٣٣٥ هـ (٩٤٢ م) يثبت أن بكام بن دنيال دفع الجزية المقررة عليه وهي
ثلث دينار وثلثاً قيراط في حضور أبي الحسن بن عيسى لعامل الجباية تيودور
ابن خايل^(٤) .

ومن أشرفوا على الشئون المالية في العصر الاخشيدى الكاتب القبطي ابن عيسى
بقطر بن شغا . وقد كتب المقرئزي أنه تولى خراج مصر للدولة الاخشيدية^(٥) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ص ٢٧

(٢) نقل السنيوطي عن ابن زولاق ان ابن كلس « كان من جملة كتاب كافور » أنظر حسن
الماضرة ج ٢ ص ١٢٩ (ذكر وزراء مصر) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤٤ وأبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ج ٤ ص ٢١

(٤) Papyrus Erzherzog Rainer, Führer durch die Ausstellung p. 243 No. 916

(٥) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٧٣ . وأنظر أيضاً ترتون Tritton : أهل الذمة

في الاسلام ص ٢٧

وقد وصل إلينا اسم موظف كبير من عمال الدولة الاخشيدية في عهد أونوجور .
وسمه ابراهيم بن مروان . وكان نصرانياً والراجح أن عمله كان متصلاً بالشئون المالية
في البلاد ^(١) . ومن القبط الذين اشرفوا على إدارة الشئون المالية على عهد
الاخشيدين جرير بن الحصان ^(٢) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيمويه المصري ص ٣٦ و ٤٣

(٢) المرجع نفسه ص ٤٣

(٦)

ممثل الأمير في بغداد

كان للاخشيد ممثل في بغداد يرقب عن كئيب ما يجري في بلاط الخليفة ودواوين حكومته وينقل إلى الأمير في مصر ما يعنيه من الأمور ويعمل على الدفاع عن مصالح الأمير ويتلقى أوامره في هذا الشأن . فهو أشبه شيء بالمندوب السامي في لندن لحكومات الدومينيون أو الحكومات المستقلة في مجموعة الأمم البريطانية . وكان الاخشيد في هذا الصدد ينسج على منوال ابن طولون الذي كان له ممثلون وعيون في سامرا^(١) . ولم يكن عمل ممثل الاخشيد يقف عند تمثيله رسميا في بلاط الخليفة ودواوين حكومته ولكنه كان يمتد إلى التجسس وما إلى ذلك مما يلزم لخدمة قضايا الاخشيد بوجه عام .

وقد كتب ابن سعيد أن « خليفة » الاخشيد في بغداد هو علي بن أحمد العجمي . وأن الاخشيد كتب إليه عند هجوم ابن رائق على أملاكه في الشام وطلب منه أن يرفع الأمر إلى الخليفة الراضي ليتبين رأيه ويشير بما يجب على الاخشيد أن يفعله^(٢) . والراجح أن كافورا كان له ممثل في بغداد وإن كانت المراجع القديمة لم تحتفظ لنا باسمه .

(١) راجع Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 104-105 وما ذكر فيهما من المراجع

القديمة . وانظر البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٦٠ و ٦١ و ١٠٩ و ١٣٩ و ١٥١ و ١٦٧ و ٢٨٦ و ٢٩٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٦

(٧)

صاحب الطراز

عنى المسلمون فى مصر بصناعة النسيج منذ الفتح العربى . ولا غرو فقد حذقها المصريون منذ العصور القديمة ثم تقدمت على يدهم فى العصر القبطى ، وإن تكن قد تأثرت بالأساليب الزخرفية البيزنطية وما تمثلته بزنطة من الموضوعات الزخرفية الساسانية . وظل التقدم مطردا فى العصر الاسلامى ، إذ بقيت هذه الصناعة فى يد أهل البلاد سواء منهم من اعتنق الاسلام أو تمسك بالمسيحية .

واحتكرت الحكومة صناعة النسيج الى حد كبير . فكانت هناك مصانع حكومية تسمى طراز ، وهى نوعان : الأول طراز الخاصة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة أو للأمير والأقشة التى كان يخلعها على كبار رجال الدولة . والثانى طراز العامة وكان يشتغل فضلا عن هذا بنسج الأقشة اللازمة للشعب ^(١) وكانت تسير مع الطراز الحكومى جنباً إلى جنب مصانع أهلية تثقلها الحكومة بضرائب فادحة ورقابة شديدة ^(٢) .

وظل نظام الطراز يتطور حتى بلغ فى العصر الأخشيدى حدا كبيرا من الجودة فى الإنتاج مما مهد لعصره الذهبى فى عهد الفاطميين . وكان يشرف على الطراز موظف كبير يسمى صاحب الطراز أو ناظر الطراز . ولسنا نعرف مدى سلطانه وحقوقه فى العصر الأخشيدى ؛ ولكننا نستطيع أن نتصوره مما نعرفه عن حاله فى العصرين الفاطمى والمملوكى حين كان من أعلى الموظفين مقاما وأحسنهم راتبا وأوسعهم سلطانا وكان لصاحب الطراز

(١) راجع مقال « طراز » الذى كتبه الأستاذ جرومان فى دائرة المعارف الاسلامية (فى الجزء الرابع وفى الملحق) .

(٢) أنظر زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ص ٨٣ — ٩٠ وكنوز الفاطميين للمؤلف نفسه ص ١١٠ وما بعدها .

مساعدون في مصانع النسيج بالبلاد المصرية كلها كما كان له مقر رسمى في الحاضرة ومراكب حكومية ينتقل بها في النيل ^(١).

وكان يعاون صاحب الطراز في الاشراف على المصانع في كل إقليم من الأقاليم المصرية في فجر الاسلام موظف يسمى المتوكل بطراز الإقليم ، كما يتبين من وثيقة بردية في دار الكتب المصرية نشرها الأستاذ جرومان وترجع الى القرن الثالث الهجرى وقد جاء فيها « قبض حسين ^(٢) بن يحنس من رماح بن يوسف المتوكل بطراز أشمون وأنصنى ^(٣) »

ومن أصحاب الطراز في العصر الاخشيدى جابر وشفيع وبكير وأبو يزيد وعبيد وفائز . أما جابر فقد وصل إلينا اسمه على قطعتين من نسيج الكتان محفوظتين في دار الآثار العربية بالقاهرة وعليهما كتابة بالخط الكوفي مؤرخة سنة ٣٢٣ هـ ^(٤) . وعلى قطعة أخرى من نسيج الكتان محفوظة في متحف بنا كي بأثينا ومؤرخة سنة ٣٢٤ هـ ^(٥) وعلى قطعتين من النسيج إحداها من الحرير والأخرى من الكتان محفوظتين في متحف بنا كي أيضا وعليهما اسم جابر بعد اسم الوزير الفضل بن جعفر . ^(٦) كما نجد اسمه أيضا على قطعة نسيج من الكتان محفوظة في متحف بنا كي ومؤرخة سنة ٣٢٨ هـ ^(٧) وعلى قطعة أخرى من الكتان كانت في مجموعة تانو تاجر العاديات بالقاهرة وهى مؤرخة سنة ٣٣٠ هـ وعليها اسم جابر بعد اسم الخليفة المتقى ^(٨) . كما نجده على قطعة نسيج من الكتان محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ٩٣٨٦) ^(٩) .

(١) راجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٢ — ٤٩٤ والمقرئى : الخطط

ج ١ ص ٤٦٩ — ٤٧٠ وزكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٢ — ١١٤

(٢) الراجح عندنا أن قراءتها « حنين » وليست « حسين » .

(٣) A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library vol. 11. p. 153 and plates 17

and 19

(٤) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV No. 1260 p. 28

ibid t. IV No. 1266 p. 32 (٥)

ibid t. IV Nos. 1294 et 1295 p. 47 (٦)

ibid t. IV No. 1304. p. 53 (٧)

ibid t. IV No. 1360 p. 76 (٨)

ibid t. IV No. 1420 p. 106. (٩)

وثمة قطعة نسيج أخرى من الكتان محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف الدولة في برلين وعليها كتابة بالخط الكوفي البسيط . وقد قرأها الأستاذ الدكتور كونل على النحو الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين بركة من الله لعبد الله أبي العباس الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أمر الوزير (أبو) الفضل جعفر أيداه الله بعمله في طراز الخاصة بمصر على يدى خالد (؟) مولى أمير المؤمنين سنة ثلث وعشرين وثلثمائة » ^(١) .

وبالنظر إلى أننا لم نر هذه القطعة من النسيج فالتنا لا نستطيع أن نجزم بصحة قراءة اسم « خالد » لنحسبه اسما جديدا من أسماء أصحاب الطراز في العصر الاخشيدى . إذ من المحتمل أن تكون القراءة الصحيحة « جابر » وهو الذي نحن بصددده من أصحاب الطراز .

أما شفيح فقد جاء اسمه على قطعتين من نسيج الكتان احدها في دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ١٠١٠٠) والأخرى محفوظة في متحف بناكى ومؤرخة من سنة ٣٢٦ ^(٢)

وجاء اسم بكير على قطعة من نسيج الكتان كانت في مجموعة تانو تاجر العاديات بالقاهرة ومؤرخة سنة ٣٢٥ ^(٣) . كما جاء اسم أبي يزيد على قطعة من نسيج الكتان محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ٩٧٨٤) ^(٤) . وجاء اسم عبيد على قطعة من الكتان كانت في مجموعة تانو ^(٥) .

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV No. 1260 A p. 206-207

هكذا قرأها الأستاذ كونل ووضع لفظ « أبو » بين قوسين لأنه غير ظاهر في الكتابة ولكن الصحيح هو (أبو الفتح الفضل بن جعفر) لأنه الوزير في السنة المذكورة .

(٢) ibid t. IV. Nos. 1267 et 1276 pp. 32 et 38

(٣) ibid t. IV. No. 1271 p. 34

(٤) ibid t. IV. No. 1283 p. 42

(٥) ibid t. IV. No. 1290 p. 45

أما فائز فقد جاء اسمه على قطعة من نسيج الكتان كانت في مجموعة تانو أيضا وهي مؤرخة سنة ٣٣٨^(١) وعلى قطعة أخرى محفوظة في متحف بنا كي ومؤرخة سنة ٣٤٧^(٢) وعلى قطعة ثالثة من نسيج الكتان كانت في مجموعة تانو ومؤرخة سنة ٣٥١^(٣) وعلى قطع أخرى ، بعضها مؤرخ سنة ٣٥٧ أى قبل الفتح الفاطمي بعام واحد^(٤) . ولا يفوتنا في مناسبة الكلام على صاحب الطراز أن نشير إلى أن أسماء الخلفاء كانت تنسج في الأقمشة الثمينة بلحمة^(٥) من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان تمجيذا لهم ودليلا على أنها صنعت في عصرهم ووثيقة لمن خلعت عليه تدل بنوعها على درجته ووظيفته وتشير إلى رضا الأمير عنه^(٦) .

ولكننا نلاحظ أن أسماء الأمراء الاخشيديين لم تظهر في كتابات المنسوجات كما ظهر اسم خارويه وهارون من أمراء الدولة الطولونية^(٧) . ولسنا نستطيع أن نعال ذلك على وجه التحقيق ، ولكننا نرجح أن الاخشيد لم يعن بهذا المظهر من مظاهر الاستقلال — ونقص ذكر اسم الأمير في الطراز — لأنه كان شديد العناية بتقليد ابن طولون . وابن طولون لم يحرص على ذكر اسمه في الطراز ، لأنه كان يعمل على أن يظل ولاؤه للخليفة نفسه — وليس لأخيه الموفق صاحب الأمر في الحكم — غير مشكوك فيه . أما خلفاء الاخشيد فلم لهم لم يذكر اسماءهم في الطراز لأن كافورا كره أن يغتصب حق الخليفة في هذا الميدان فوق اغتصابه السلطان من ذرية الاخشيد . ومهما يكن من الأمر فإن الكتابات التي وصلت إلينا من العصر الاخشيدى تشمل عادة على اسم الخليفة والوزير وقد تشمل تاريخ النسيج أيضا . وفيما يلي بيان بتلك القطع وما تسجله من الأسماء .

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV No. 1442 p. 118 (١)

ibid t. IV. No. 1493 p. 146. (٢)

ibid t. IV, No. 1555 p. 180 (٣)

ibid t. V, Nos. 1639, 1641, 1642, 1644 (٤)

(٥) اللحمة : ما نسج عرضا وهو خلاف سداه .

(٦) أنظر ابن خلدون : المقدمة (الفصل السادس والثلاثون في شارات الملك والسلطان

الخاصة به) ص ٢٢٢

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. II Nos. 731, 757, 785, 788 et t. (٧)
111 Nos. 805, 813, 815, 818, 847.

رقم القطعة في السجل (١)	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٢٦٠		محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٣	
١٢٦١	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٣	
١٢٦٦	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة) وعلى ابنه	٣٢٤	كان ابن مقلة وزيرا للمرة الثالثة من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ إلى جمادى الأولى سنة ٣٢٤ أما ابنه علي فإنه لم يتقلد الوزارة إلا في رمضان سنة ٣٣١
١٢٦٧		سليمان بن الحسن		تقلد سليمان بن الحسن بن مخلد الوزارة للمرة الثانية في رجب سنة ٣٢٤
١٢٧٠	الراضي بالله		٣٢٥	
١٢٧١	الراضي بالله	سليمان بن الحسن	٣٢٥	
١٢٧٦	الراضي بالله	محمد (ابن مقلة)	٣٢٦	تقلد محمد بن علي (ابن مقلة) الوزارة للمرة الرابعة في ربيع الآخر سنة ٣٢٦
١٢٧٧	الراضي بالله		٣٢٦	
١٢٧٨	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٦	
— ١٢٨٢ ١٢٩١	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)		

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٢٩٢		الفضل بن جعفر (ابن الفرات)		تقلد الوزارة في عهد الراضي مرتين : الأولى من ذي الحجة إلى ربيع الآخر سنة ٣٢٦ والثانية من شوال سنة ٣٢٦ إلى رجب سنة ٣٢٧
١٢٩٣		الفضل بن جعفر (ابن الفرات)		
١٢٩٤		الفضل بن جعفر		
١٢٩٥		الفضل بن جعفر		
١٢٩٦	الراضي	أبو الفتح (الفضل بن جعفر)		
١٣٠٩		أبو عبد الله أحمد ابن محمد		هو أحمد بن محمد البريدي تقلد الوزارة للاراضي من رجب سنة ٣٢٧ إلى ذي القعدة سنة ٣٢٨
— ١٣١٠ — ١٣١٦	الراضي			
— ١٣١٩ — ١٣٣٠	الراضي			
١٣٣١	الراضي	علي بن عيسى		تقلد الوزارة مرتين للخليفة المقتدر سنة ٣٠١ وسنة ٣١٤ ولم يتقلدها للاراضي . وإنما تقلدها له أخوه عبد الرحمن بن عيسى بن دارود الجراح من منتصف جمادى الأولى إلى بداية جمادى الآخرة سنة ٣٢٤

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٣٣٢ — ١٣٥١	الراضي			
١٣٥٢	المتقي	محمد بن أحمد		لعله محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي . وقد تقلد الوزارة للمتقي من شوال إلى ذي القعدة سنة ٣٢٩ ثم تقلدها له مرتين افترتين قصيرتين في سنة ٣٣٠ وسنة ٣٣١
١٣٥٣	المتقي	محمد بن أحمد		
١٣٥٥	المتقي	سليمان بن الحسن	٣٣٠	هو سليمان بن الحسن بن مخلد . أقره المتقي في الوزارة من ربيع الأول إلى شعبان سنة ٣٢٩ ولعل هذه المنسوجات تمت قبل أن يصل إلى مصر خبر عزله
١٣٥٧ — ١٣٦٨	المتقي	سليمان بن الحسن	٣٣٠	
١٣٧٠ — ١٣٧٣	المتقي	محمد	٣٣١	لعله محمد بن أحمد القراريطي . تقلد الوزارة للمرة الثالثة عشرين يوما في رمضان سنة ٣٣١
١٣٩٣ — ١٤٠٥	المتقي			
١٤٠٦	المتقي	محمد بن علي	٣٣٣	الصحيح علي بن محمد (ابن مقلة الاصغر) تقلد الوزارة للمتقي في رمضان سنة ٣٣١
١٤٠٧	المتقي	علي بن محمد (ابن مقلة)		

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٤١٠	المستكفي	محمد بن علي (السامري)	٣٣٣	هو أبو الفرج محمد بن علي السامري تقلد الوزارة للمستكفي في ٢٩ من صفر سنة ٣٣٣
— ١٤١١ ١٤١٢	المستكفي			
١٤١٣	المستكفي	محمد بن علي (السامري)		
— ١٤١٦ ١٤٢٠	المطيع		٣٣٥	
١٤٢٣	المطيع	سليمان بن الحسن	٣٣٦	
— ١٤٢٧ ١٤٢٩	المطيع		٣٣٧	
١٤٣٠	المطيع	محمد بن علي	٣٣٧	
١٤٣١		محمد بن علي		
١٤٣٢	المطيع	محمد بن علي		
— ١٤٣٣ ١٤٣٤		محمد بن علي		
— ١٤٤٠ ١٤٤١	المطيع		٣٣٨	
١٤٤٤	المطيع		٣٣٩	
— ١٤٤٩ ١٤٥١	المطيع		٣٤٠	
١٤٥٢	المطيع	سليم بن الحسن	٣٤٠	

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٤٥٣ — ١٤٥٦	المطيع	سليم بن الحسن	٣٤٠	
١٤٥٧				
١٤٦٥	المطيع		٣٤٢	
١٤٧٠ — ١٤٧٢	المطيع		٣٤٣	
١٤٨١	المطيع		٣٤٥	
١٤٨٣ — ١٤٨٤	المطيع	سليم بن الحسن	٣٤٥	
١٤٩٣	المطيع		٣٤٧	
١٥٢٢ — ١٥٢٣	المطيع		٣٥٠	
١٥٥٥	المطيع		٣٥١	
١٥٦٠	المطيع		٣٥٢	
١٥٦٨ — ١٥٦٩	المطيع		٣٥٣	
١٥٧٠ — ١٥٧١	المطيع			
١٥٧٢	المطيع			
١٥٧٣ — ١٥٧٥	المطيع			
١٥٧٦	المطيع			

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٥٧٧	المطيع	سليم بن الحسن		
١٦٠٨ (١)	المطيع		٣٥٤	
— ١٦١١ ١٦١٢	المطيع		٣٥٤	
١٦٢٢	المعز		٣٥٥	<p>مما يلفت النظر وجود هذه القطعة باسم المعز لدين الله الفاطمي وتاريخها ٣٥٥ أي قبل الفتح الفاطمي بثلاثة أعوام .</p> <p>ولسنا نستطيع أن نجزم بصحة التاريخ المكتوب عليها ، فقد يكون ثمة خطأ فيه . وإلا فلا مفر لنا من القول بأنها صنعت في مصر للمعز وإن كافورا كان يسمح بمثل هذا الامتياز مهادنة للفاطميين .</p>
— ١٦٢٣ ١٦٢٥	المطيع		٣٥٥	
— ١٦٢٩ ١٦٣٠	المطيع		٣٥٦	
١٦٣٧	المطيع		٣٥٧	
١٦٤٠	المطيع		٣٥٧	
— ١٦٤٢ ١٦٤٧	المطيع			
— ١٦٦٠ ١٨٠٩	المطيع			

وانستطيع أن نستنبط من البيانات التي ذكرناها الحقائق التاريخية الآتية :

(أولاً) أن أسماء الخلفاء العباسيين ظلت تذكر في الطراز بمصر إلى الفتح الفاطمي ،
دليلاً على سيادتهم على البلاد .

(ثانياً) أن أسماء الأمراء الاخشيديين لا تذكر في الطراز . مما يشهد
بأن الاستقلال الذي نالته مصر على يدهم كان استقلالاً تقيد به الولاية العامة للخليفة .

(ثالثاً) أن أسماء الوزراء العباسيين كانت تذكر كثيراً في الطراز إلى خلافة
المطيع . وأما منذ ولاية هذا الخليفة فقد ازداد ضعف الخليفة وصار الوزير لمعز الدولة
ابن بويه ، أما الخليفة فأصبح له كاتب^(١) لا يرقى إلى رتبة الوزارة .

(رابعاً) أن أسماء الوزراء الاخشيديين لا تذكر في الطراز . ولا عجب فإنهم
كانوا يشدون أزر الأمير ويعاونونه في الحكم ويعملون عمل الوزير في دار الخلافة ،
بل كان يطلق عليهم هذا الاسم ، ولكنهم مع ذلك كانوا لا يقرنون بالوزراء في دار
الخلافة أو في مصر الفاطمية ، لأن الأمراء الاخشيديين الذين كانوا يستعينون بهم
كانوا من الناحية الرسمية على الأقل عمّالاً للخليفة العباسي وإن تمتعوا بقسط كبير
من الاستقلال .

(١) لابن الأثير نص مشهور في هذا الشأن . قال يصف خلافة المطيع ، « وازداد أمر الخلافة
ادباراً ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة . وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة
قائمة بعض الشيء . فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير إنما
كان له كاتب يدير اقطاعه وإخراجاته لا غير ، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد .
وكان من أعظم الأسباب في ذلك ان الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون
ان العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقها . حتى لقد بلغنى أن معز الدولة استشار
جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة المعز لدين الله العلوي . . الخ » .

(٨)

متولى دار الضرب

روى ابن سعيد عن ابن زولاق قصة تحدث فيها عن جشع الاخشيذ وحبه المال وأشار إلى حادث وقع له مع صدقة بن الحسن متولى دارالضرب^(١) حين قدم إليه ومعه دنانير وسبيكة وأحضر السباكين ليقوموا عيار الدنانير .

والواقع أن مصر أسست فيها دار لضرب النقود على يد أحمد بن طولون^(٢) حيث ضربت الدنانير التي عرفت بالأحمدية وامتازت بعيارها الجيد^(٣) . ولا عجب فإن السكة كانت تعتبر في العالم الإسلامي من شارات الملك^(٤) . ويبدو أن دار الضرب لم تكن كبيرة أو معقدة في نظامها . وقد كتب ابن خلدون أن السكة هي « الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خاوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر أشخاصها يكون بها وزنا . ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديد المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المسائلة على الدنانير والدرهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول . وهي وظيفة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٢) راجع المقرئى : كتاب النقود القديمة الاسلامية (فى النقود العربية وعلم النيات الذى عني بنشره الألب انستاس مارى السكرملى) ص ٤٥ وأنظر البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ١٩٦ و Zaky M. Hassan : Les Tulumides pp. 210-211

(٣) المقرئى : المرجع نفسه ص ٥٧

(٤) ابن خلدون : المقدمة (الفصل السادس والثلاثون فى شارات الملك والسلطان

الخاصة به) ص ٢١٨

ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات .
ويتقنون في سلامتها الغش بجثم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ^(١) .

ويبدو أن الحتم على الدنانير والدراهم وعيارها كان يقوم به نفر قليل من الموظفين يعرف بعضهم باسم المعدّلين ^(٢) ويعرف الآخرون باسم السباكين ^(٣) . ويشرف عليهم متولى دار الضرب ^(٤) . ولكن الأمير كان يعنى بأعمالهم ويطلب أن يطلع عليها وأن يقوموا ببعضها في حضرته بين وقت وآخر . وكان الأمير في بعض الأحيان يعهد بالإشراف على دار الضرب إلى القاضي ^(٥) .

ويبدو لنا أن موظفي دار الضرب كانوا يتنقلون مع الأمير في بعض الأحيان أو يطلبون طلبة في موافاته إلى حيث يكون خارج مصر . فإن النقود التي نعرفها من العصر الطولوني مثلاً ضربت في مدن مختلفة مثل مصر ودمشق وحران وحمص وحلب وانطاكية . والراجح عندنا أن هذه المدن لم يكن في كل منها دار مستقلة لسبك النقود وإنما كان الأمير يعتمد على الإخصائيين عنده في هذا الميدان اللهم إلا إذا فوض نائبه ببلد من البلاد في الإشراف على ضرب النقود فيها أو كان البلد مشهوراً بدار للضرب فيه . والنقود الاخشيدية التي نعرفها ضربت في مصر (الفسطاط) وفلسطين (الرملة) ودمشق ويمكن أن نستنبط منها الحقائق التاريخية الآتية :

(أولاً) أن الدنانير التي ضربت بمصر في عهد الخليفة الراضى وولاية محمد بن طنج من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٩ كان يذكر فيها اسم الخليفة وحده ^(٦) مما يشهد بأن الاخشيد كان لا يزال يخضع كل الخضوع للخلافة العباسية التابع لها .

(١) المرجع نفسه ص ٢١٨

(٢) أنظر انستاس مارى الكرملى : المرجع السابق ص ٣٧

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٤) وصلت إلينا عن دار الضرب بایران في العصر الصفوى بيانات طيبة في كتاب تذكره

الملوك الذى نشره الاستاذ مينورسكى (V. Minorsky: Tadhkirat al-Mulûk : A Manual of Safavid Administration ، وانظر أيضاً :

II. L. Rabino di Borgomale : Coins and Seals of the Shahs of Iran pp. 1-5.

(٥) الكندى : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٢ — ٥٦٣

(٦) Lane-Poole : Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in the Khedivial Library at Cairo Nos. 694-706 pp. 89-99

(ثانياً) أن الدنانير التي ضربت بمصر في عهد الخليفة المتقي وولاية محمد بن طنج سنة ٣٢٩ كان يذكر فيها اسم الخليفة وحده مما يشهد أيضاً بأن الاخشيد كان في بداية حكم المتقي لا يزال يدين للخلافة بالطاعة النامة والتبعية الظاهرة ^(١).

(ثالثاً) أن سنة ٣٢٩ كانت فاصلاً بين عهدين ، فقد وصل إلينا دينار منها لم ينقش عليه اسم الخليفة وإنما نقش اسم محمد بن طنج وحده ومعه لقب الأمير الاخشيد ^(٢) . (أنظر اللوحة رقم ١ شكل ١) ^(٣) . ولسنا ندري هل حذف اسم الخليفة مقصوداً أو أن ثمة خطأ في كتابة هذا الدينار . وإذا كان الحذف مقصوداً فلسنا نستطيع تفسيره إلا بأن الاخشيد فكر في الاستقلال النام عن الخلافة بعد صاحبه مع ابن رائق ثم تبين صعوبة تحقيق ذلك فرجع إلى الوقوف عند الاستقلال الذاتي .

(رابعاً) أن السكة التي ضربت للاخشيد بعد سنة ٣٢٩ كان ينقش عليها اسمه واسم الخليفة المتقي ^(٤) (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٢) ^(٥)

ibid No. 725 p. 102. Lane Poole : History of Egypt in the Middle Ages p. 81. (١)

Lavoix: Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Egypte (٢) et Syrie No. 50 pp. 22-23.

(٣) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب سنة تسع وعشرين وثلثمائة » . وفي الوسط عبارة « لله الأمير الاخشيد » . وعلى ظهره كتابة دائرية نصها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وفي الوسط عبارة « بالله محمد بن طنج » .

Lavoix : op. cit. No. 48 et 49 pp. 21-22, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) No. 936 & (٤) 937 p. 113.

(٥) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة اثنين وثلثين وثلثمائة » وفي الوسط عبارة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له أبو منصور ابن أمير المؤمنين » وكتابة دائرية خارجية نصها « لله الأمر من قبل ومن بعد وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

وعلى ظهره كتابة دائرية نصها « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وفي الوسط « لله محمد رسول الله . المتقي لله الاخشيد » .

(خامساً) أن السكة التي ضربت في عهد اونوجور من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٧ كان ينقش عليها اسم الخليفة المطيع واسم « أبو القاسم بن الاخشيد »^(١) (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٣^(٢)) .

(سادساً) أن السكة التي ضربت لعلى بن الاخشيد من سنة ٣٥٠ إلى سنة ٣٥٥ كان ينقش عليها اسمه واسم الخليفة المطيع^(٣) . (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٤^(٤))
(سابعاً) أن كافوراً لم ينقش اسمه على السكة^(٥) . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه في التكييف القانوني للفترة التي حكم فيها مصر بعد وفاة على بن الاخشيد حين كتبنا أنه كان يشعر بما نكاد نصل اليه من النصوص وهو أنه وسط بين الأمير والوصى على العرش .

(ثامناً) أن السكة الاخشيدية بعد وفاة كافور كانت تضرب باسم الخليفة المطيع واسمى الأمير احمد بن على بن الاخشيد وعمه الوصى عليه الحسين بن عبيد الله بن طغج^(٦) (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٥^(٧) وشكل ٦^(٨)) .

(١) Lavoix : op. cit. Nos. 51-56 pp. 23-25, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) Nos 938-942 p. 144. Lane-Poole : History of Egypt p. 86-87.
(٢) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة سبع وثلاثين وثلثمائة » وفي الوسط « أبو القاسم بن الاخشيد » وعلى ظهوره « لله محمد رسول الله صلى الله عليه المطيع لله » .

(٣) Lavoix : ibid No. 57-62 pp. 26-28, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) No. 943-947 p. 145, Lane-Poole : History of Egypt, p. 86-87.

(٤) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة خمسين وثلثمائة » وفي الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك له . على ابن الاخشيد » وعلى ظهوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع لله » .

(٥) Lane-Poole : op. cit. (Catalogue)

(٦) Lavoix ; ibid No. 63-64 pp. 28-29

(٧) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة ثمان وخمسين وثلثمائة » وفي الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحسين بن عبيد الله » . وعلى ظهوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع لله احمد بن على » .
(٨) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بفلسطين سنة ثمان وخمسين وثلثمائة » وفي الوسط « الحسين بن عبيد الله » وعلى ظهوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله . المطيع لله . أحمد بن على طغج » .

وهكذا نرى أن دراسة السكة^(١) قد تكشف عن أشياء كثيرة توضح الاحداث التي نعرفها من المراجع التاريخية . ولكن مما يؤسف له أن مانعرفه عن السكة في العصر الاخشيدي ليس كثيراً . وحسبنا أن نذكر ما اشتهر عن ضرب الدينار الاخشيدي على عيار كامل وعن صلاح النقود في عهد الاخشيد بعد فسادها^(٢) . وكانت العملة الذهبية شائعة في ديار الاسلام التي كانت في الجاهلية تحت حكم الرومان^(٣) ، وان تكن قد انتشرت في العراق وشرقى العالم الاسلامي منذ القرن السابع . وكان الدينار في القرن الرابع يساوى نحو الأربعة عشر درهماً^(٤) والدرهم ستة دنانق والدانق إثني عشر قيراطاً^(٥) وكانت للمعاملات الضخمة وسائل للدفع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص كالسفاتيح والمستندات . وقد مر بنا أن الاخشيد أرسل إلى نائبه ببغداد سفاتيح بثلاثين ألف دينار ليسامها للوزير ابن مقلة^(٦) .

(١) أنظر فضلاً عن المراجع التي مر ذكرها عن السكة: استانبول موزه ي هايون مسكوكات قديمة إسلامي كستالوجو و

O. Godrington : A Manual of Musulman Numismatics, L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismatics, India excepted., Lane-Poole : Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, H. Nützel : Königliche Museen zu Berlin : Katalog der Orientalischen Münzen.

C. J. Tornberg: Mémoires sur les monnaies des Ikhschidites (dans Nova acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3e série, vol. 11 p. 48).

(٢) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٢ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحدائق (برلين) ورقة ٢٠٩ ب .

(٣) لعل ذلك يرجع إلى أنه كان بين البيزنطيين وبين الدولة الساسانية معاهدة خاصة بالعملة تقضى بأن يضرب الساسانيون نقوداً من الفضة فقط وأن يتخذوا العملة البيزنطية الذهبية عملة لهم ، ولذلك كانت الدراهم الفضية هي العملة الجارية في العراق وإيران . أنظر متر : المرجع السابق

ج ٢ ص ٣١٦

(٤) متر : المرجع السابق ج ٢ ص ٣١٨

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣١٩

(٦) ابن سديد : المغرب ص ٣٢ ومتر : المرجع نفسه ج ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠

ولسنا نعرف مكان دار الضرب في العصر الاخشيدى^(١) . ويبدو أنها كانت معطلة حين فتح الفاطميون مصر فأمر جوهر القائد بفتحها وضرب فيها سكة باسم المعز لدين الله^(٢) . وقد ظلت هذه الدار تؤدي مهمتها إلى أن أنشئت دار ضرب جديدة في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله^(٣) .

(١) وصل إلينا من أسماء الموظفين فيها يحيى بن بكر بن رجا الممدك . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٢) المقرئى : اتعاظ الخنفا ص ١٦٤

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٥٣ وابن سعيد : أخبار مصر ص ٦٢ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٤٥ والقلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٩

(٩)

وظائف أخرى وملاحظات عامة على الإدارة

لسنا نريد أن نعرض هنا للوظائف القضائية فسوف نعتد لها باباً مستقلاً نتحدث فيه عن القضاء والنظر في المظالم والحسبة .

ولكننا ننتين من المراجع القديمة والوثائق التاريخية وجود بعض وظائف غير التي تحدثنا عنها . ومن ذلك الوظائف التي تتعلق بالمساجد وإقامة الشعائر الدينية فيها . فكان لكل مسجد إمام معين . ولسنا ندرى هل كان يعينه الأمير أو القاضي . ومن أئمة الجامع العتيق في العصر الاخشيدى عمر بن الحسن الهاشمي الذي ولي القضاء فترة من الزمن بعد أن كان إماماً لجامع عمرو^(١) . ومنهم أيضاً سليمان بن محمد بن رستم ويبدو أنه كان واسع السلطان في الشئون القضائية والدينية على عهده^(٢) . ومنهم الحسن بن موسى الحياط^(٣) .

وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة وثيقة على ورق مؤرخة من ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) وتتضمن استئجار خادم لمسجد وتنص على أن أجرته في السنة ثلاثة دنانير ونصف يقبض في كل شهر سبعة قرايط وان عليه تنظيف المسجد وإضاءة قناديله وجلب الماء له والقيام بجميع ما يحتاج إليه المسجد . وقد أعطى فضلاً عن أجرته مسكناً من بيوت المسجد بالمجان^(٤) (أنظر شكل ١) . والمعروف أن أجور المؤذنين

(١) السكندى : الولاية والقضاة (المالحق) ص ٥٧٤ — ٥٧٥

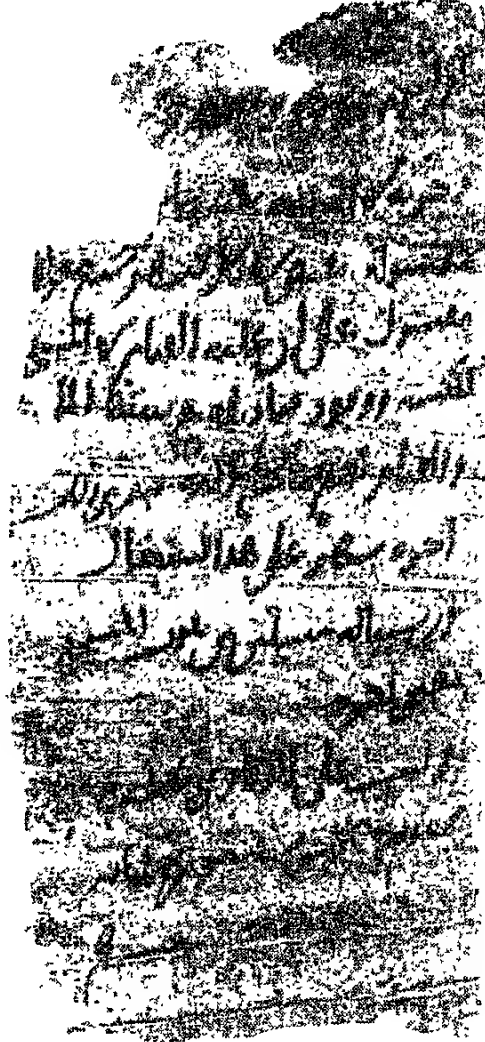
(٢) المرجع نفسه ص ٥٤٣ و ٥٥٢ و ٥٦١ و ٥٦٨ ، أنظر أيضاً ابن زولاق : أخبار سيويه

المصرى ص ٤٣

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ١٩

(٤) Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library 11 pp. 104-105.

وخدم المساجد والكنائس كانت تدفع من إيراد بيوت وحوانيت يوقفها أهل الخير لهذا الغرض^(١).



شكل (١) وثيقة بردية من سنة ٣٥٦ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]

وثمة وظائف لا تتحدث عنها المراجع التي كتبت عن العصر الاخشيدى ولكن الراجح عندنا أنها كانت موجودة في ذلك العصر .

ومن ذلك الموظفون الذين ينظرون في جوازات السفر والجمارك ، فقد عرفتهم مصر قبل العصر الاخشيدى . وقد كتب ابن الداية أن موسى بن طولون عندما غضب من أخيه أحمد ذهب إليه حانقا وطلب منه جوازا للسفر حتى يترك الديار المصرية^(٢) . كما كتب المؤلف

Grohmann : op. cit. 11, p. 88. (١)

Ibn Said—Vollers : Fragmente p. 13. (٢)

نفسه أن تاجراً كان قد اشترى من أحد أتباع ابن طولون عبداً بمائتي دينار ثم حصل على جواز سفر له ولخادم معه . وكان في العريش على الحدود بين مصر وفلسطين موظف مختص بفحص جوازات السفر والأمتعة التي يحملها المسافرون . ولما رأى الموظف جواز سفر التاجر اعتقد أن الخادم يلزمه جواز سفر مستقل وقام بذاته ولم يقبل أن يسمح بالمرور للتاجر وتابعه إلا بعد وصول البيانات التي طلبها عن موضوعهما من الفسطاط . والواقع أنه كتب إلى ابن طولون نفسه بشرح له المسألة . وأمر الأمير باستدعاء التاجر وسأله عن مصدر العبد وعرف أنه اشتراه من أحد أتباعه فأمر باعطائه جواز سفر قانوني . وطالب التاجر بنفقات قدومه من الحدود وعودته إليها قائلاً أنه انفق في ذلك عشرة دنانير فأمر ابن طولون بدفعها إليه ^(١) .

وفضلاً عن ذلك فقد كان الجيش الاخشيدى يحتاج إلى دار كبيرة للصناعة تمدّه بالمعدات اللازمة وكان لهذه الدار مدير وموظفون . وكان للأمرء الاخشيديين سجون يتولى إدارتها موظفون موثوق في إخلاصهم . ومع أن الإدارة في العصر الاخشيدى لم تكن في حاجة إلى إدارة حكومية معقدة فالراجح أنه كان للأمرء الاخشيديين كل ما يلزمهم لاستغلال البلاد والعمل على استقرار الأمن فيها . ولكن ليس من اليسير دراسة الوظائف العامة في ذلك العصر دراسة دقيقة لنقص البيانات التي نجدها في المراجع التاريخية . وعلى كل حال فإن السلطة التنفيذية كانت في يد الأمير أو من يفوضه في القيام بعمل من الأعمال العامة بإشرافه أو تحت مراقبة من يندبها الأمير لهذا الإشراف وكان الأمير مصدر السلطات يعين الموظفين ويعزلهم حين يشاء .

وطبيعي أنه كان للموظفين دواوين يديرون منها دفة أعمالهم . وفي مجموعة الارشيدوق رينر في فينا وثيقة من ورق مؤرخة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) تتضمن استدعاء رجل اسمه جورجوس للقدوم إلى الديوان قبل مضي ساعة من الزمن ^(٢) .

(١) المرجع نفسه ص ٥٢ — ٥٣ ، ومتر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٣٤ — ٢٣٥

و Zaky Hassan : Les Tulunides p. 207-209

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer, Führer durch die Ausstellung No. 1059 p. 257

وأكبر الظن أن المقصود هنا ديوان الخراج وأن الرجل كان مطلوباً لسؤاله عن مال متأخر عنده من الضرائب المفروضة عليه .

وقد كتب ابن سعيد والمقرئ أن الاخشيد أول من رتب الرواتب في مصر ^(١) .
ولسنا نظن أن المقصود بذلك أن الاخشيد أول من جعل للموظفين رواتب يتقاضونها من الدولة ؛ لأن مثل هذا الزعم بعيد عن الدقة ، فقد كان لكثير من الموظفين في فجر الإسلام أرزاق ورواتب من بيت المال ^(٢) . والراجح عندنا أن متز ^(٣) وغيره ممن فهموا النص على هذا النحو قد أخطأهم التوفيق وأن المراد بالرواتب هنا ما كانت الدولة تجريه على الفقراء والمحتاجين ، وكان من بينهم طائفة من الأشراف والذين حل بهم الفقر بعد النعمة ، وذلك على نحو ما فعله وزارة الأوقاف وبعض جهات البر في زماننا هذا .

والواقع أن نص المقرئ في هذا الشأن يفهم منه التفسير الذي نذهب إليه . فقد كتب هذا المؤرخ « والاخشيدي أول من عمل الرواتب بمصر . وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرًا عجزيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار . فقال الاخشيد : كيف نعمل ؟ قال : حط من الجرايات والأرزاق فليس هؤلاء أولي من الواجب . فقال : غداً تجيئني وندبر هذا . فلما أتاه من الغد قال له الاخشيد : قد فكرت فيما قلت ، فاذا أصحاب الرواتب الضعفاء ومنهم المستورون وأبناء النعم ، ولست آخذ هذا النقص إلا منك . فقال ابن كلا : سبحان الله ! فقال : تسبيحاً ! وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك » ^(٤) ثم كتب المقرئ بعد ذلك : « بلغت الرواتب في أيام كافور الاخشيدى خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الأعمال » ^(٥) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩ والمقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٣١٧ و ٣٥٤ و ٣٦٩ و ٤٢١ و ٤٣٥

(٣) ساق متز هذا النص عند الكلام على رواتب الموظفين في العالم الاسلامي في القرن

الرابع الهجري (الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣٤ — ١٣٥) .

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) المرجع نفسه ج ١ ص ٩٩

ولسنا نعرف عدد الأيام التي كان يعملها الموظفون في الأسبوع في العصر الاخشيدى .
ونذكر في هذه المناسبة أن الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) أمر بتعطيل
دواوين الحكومة يومى الجمعة والثلاثاء، لأن يوم الجمعة يوم صلاة، ولحاجة الناس في وسط
الأسبوع إلى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم^(١) . ولكننا لم نستطع
أن نتبين في المراجع التاريخية التي بين أيدينا هل كان هذا النظام مطبقا في مصر على عهد
الاخشيديين أو كانت العطلة الأسبوعية في يوم الجمعة فحسب .

والراجح عندنا أن الأمراء الاخشيديين كانوا يولون بعض المناصب لمن يدفع
لهم في بعض الأحيان من المال والهدايا ما يؤيد به ترشيحه . ولم يكن هذا غريبا على الإدارة
الإسلامية عامة في هذا العصر ، فقد عرفنا أن معز الدولة في بغداد كان يبيع مناصب
الحسبة والشرطة سنة ٣٥٠ هـ بل انه قلده عبد الله بن الحسن بن ابي الشوارب القضاء
بعد أن تعهد هذا القاضى بأن يحمل كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتى ألف درهم
وكتب على نفسه بذلك سجلا أو وثيقة^(٢) .

بقى أن نذكر أن دار الإمارة على عهد الاخشيديين كانت في العسكر . والواقع
أن العسكر كانت مقر الحكم في مصر منذ شيدها أبو عون الوالى العباسى سنة ١٣٣ هـ
إلى أن شيد ابن طولون القطائع . ولما سقطت الدولة الطولونية وخرب محمد بن سليمان
القطائع أقام الولاة بعد ذلك في العسكر . ويقال إنه كان بالعسكر دار عظيمة بناها بدر
الحنفي غلام احمد بن طولون . وقد نزل فيها محمد بن سليمان ومن خلفه من الولاة
ثم سكنها الأمراء الاخشيديون ووسعها محمد بن طنج ونزل فيها أيضا الخلفاء الفاطميون^(٣) .

(١) هلاك الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢٢

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٨

(٣) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٠ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

البَابُ السَّادِسُ

القضاء، والمظالم والمحاسبة

القضاء والمظالم والحسبة

كان القضاء في الدولة الإسلامية من الأمور الخاصة بالخلافة^(١) ، فكان الخليفة هو الذي يعين القاضي في مصر منذ فتحها العرب إلى العصر الطولوني^(٢) ، وفي بعض الأحيان كان والى مصر يعين القاضي ثم يقره الخليفة على ذلك^(٣) .

ولما قدم ابن طولون الى مصر وجد بكار بن قتيبة قاضياً فيها منذ أرسله الخليفة المتوكل سنة ٢٤٦ هـ^(٤) ، فاستمر على القضاء . وحين طالبه ابن طولون بلعن الموفق على المنابر وامتنع بكار عن ذلك عزله ابن طولون وسجنه في سنة ٢٧٠ هـ^(٥) .

ويظهر أن ابن طولون فعل ذلك بموافقة الخليفة ، لأن المعتمد كان قد أرسل كتاباً إلى ابن طولون وهو بدمشق يذكر فيه خلع الموفق من ولاية العهد . وأجاب القضاء كلهم إلى خلعه إلا بكاراً فإنه سمي الخليفة « الناكث » . ويقال ان ابن طولون أرسل إلى بكار مرة وهو في السجن يقول : « كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهى ولا تصرف في نفسه ! ولا تزال هكذا حتى يرد على كتاب المعتمد باطلائك »^(٦) .

وهكذا نرى أنه بالرغم من استقلال مصر الذاتي في عهد الطولونيين فإن أمر القضاء كان لا يزال مرجعه إلى الخلافة . وقد توفي بكار بعد وفاة ابن طولون بعدة أيام ، وذلك في سنة ٢٧٠ هـ وخلفه في القيام بأعمال القضاء ابن شاذان الجوهري نحو ثلاث سنين

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٨٢ — ١٨٣ (الفصل الحادى والثلاثون في الخطط الدينية الخلافية) .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٣ و ٣٤٠ و ٣٦٨

(٣) المرجع نفسه ص ٣٤١ — ٣٤٣ و ص ٣٨٥

(٤) المرجع نفسه ص ٤٧٦

(٥) المرجع نفسه ص ٤٧٧ و ٤٧٨

(٦) المرجع نفسه ص ٥١٢ — ٥١٤

دون أن يكون له لقب القاضى . ثم عين خمارويه محمد بن عبدة للنظر فى المظالم . وكان له كل اختصاص القاضى . وظل محمد بن عبدة بن حرب ينظر فى المظالم نحو أربع سنين ثم ولى القضاء فى سنة ٢٧٨ هـ من قبل الخليفة المعتمد . وذلك بعد أن تعطل منصب القضاء نحو سبع سنين ^(١) .

وقام ابن عبدة بمنصب القضاء حتى قتل خماروية وخلع ابنه جيش وقتل فى سنة ٢٨٣ هـ . وحينئذ اختفى ابن عبدة ولم يظهر فى الحياة العامة إلا بعد سقوط بنى طولون . وظلت مصر بغير قاض إلى أن ولى هارون بن خمارويه أبا زرعة محمد بن عثمان الدمشقى القضاء فى سنة ٢٨٤ هـ . ويقال ان الذى ولاه هو الخليفة المعتضد ^(٢) .

ولما سقطت الدولة الطولونية اتصل محمد بن عبدة بالقائد محمد بن سليمان فولاه القضاء والمظالم فى ربيع الأول من سنة ٢٩٢ هـ ^(٣) ثم خلفه آخرون فى هذا المنصب إلى أن تقلده محمد بن موسى السرخسى فى وبة تكين .

ولما عزل السرخسى عن القضاء فى شوال من سنة ٣٢٣ هـ تقلده محمد بن بدر الصيرفى من قبل الخلافة ، وبمعنى أدق من قبل قاضى القضاة فى بغداد ، وهو فى ذلك الحين محمد بن الحسن بن أبى الشوارب ، وكان الراضى قد ولاه قضاء بغداد وسائر الممالك فكان ينيب عنه من يشاء .

ثم ولى القضاء بعد ذلك من قبل قاضى القضاة فى بغداد أيضا عهد الله بن احمد بن زبر ولكن هذا الأخير كتب إلى أبى الحسن على بن احمد بن اسحق وإلى أبى العباس يحيى بن الحسن بن الأشعث لينظرا فى قضايا الناس بالنيابة عنه . فتسلم هذان الاخيران القضاء فى شوال من سنة ٣٢٤ هـ ^(٤) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٥١٣ و ٥١٥ و Zaky M. Hassan : les Tulunides p. 224

(٢) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٥١٨ و ٥١٩

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٠ و ٤٨١

(٤) المرجع نفسه ص ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٥٥٠

وكان في مصر حينذاك الحسين بن محمد بن أبي زرعة الدمشقي وكان يطمع في قضاء مصر ، فسأل الاخشيدي في ذلك . ويبدو أنه قدم له بعض المال أو الهدايا ^(١) فأوقف الاخشيدي خليفته عبد الله بن احمد بن زبر من النظر في القضاء في ذي القعدة من سنة ٣٢٤ هـ وولى الحسين بن أبي زرعة على أن ينظر محمد بن احمد بن الحداد في القضاء حتى يرد الكتاب من بغداد بولاية ابن أبي زرعة ^(٢) . والراجح أن اختيار ابن الحداد للنيابة يرجع الى أنه كان معروفا بالعلم الواسع حتى سمي « فقيه الديار المصرية » ^(٣) .

وظل أبو بكر بن الحداد ينظر في قضايا الناس في داره وفي الجامع حتى ورد تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة ٣٢٥ هـ ^(٤) .

وكانت المدة التي قضى فيها ابن الحداد بين الناس ستة أشهر وقد أنشد بعض الشعراء أبياتاً يتكلمون فيها على ابن الحداد ويشيرون إلى قيامه بأعمال القضاء دون تقليد رسمي . ومن تلك الأبيات :

قولوا لحدادنا الفقيه العالم النابه الوجيه
والمسقع المستطيل لولا ما فيه من نخوة وتيه
حكمت حكما بغير عقد وغير عهد نظرت فيه ^(٥)

وظل الحسين بن أبي زرعة ينظر في القضاء إلى أن توفي في ذي الحجة من سنة ٣٢٧ هـ .

(١) أو « بذل له » على حد قول ابن برد في ذيل الولاية والقضاة للكندي ص ٨٧

(٢) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٨٧

(٣) المرجع نفسه ص ٦٣ ، راجع عن تقوى ابن الحداد وورعه ، ابن سعيد : المغرب

ص ١٨

(٤) وقيل ان هذا التقليد جاء في شوال من سنة ٣٢٤ هـ ، أنظر الكندي : الولاية

والقضاة ص ٦٢

(٥) الكندي : الولاية والقضاة ص ٨٧ و ٨٨

والظاهر أن ابن أبي الشوارب قاضى قضاء بغداد عُزل فى سنة ٣٢٧ هـ وولى بدلا منه أبو نصر يوسف بن عمر بن أبي عمر — وكان فى نحو العشرين من عمره — فكتب هذا الأخير إلى ابن أبي زرعة يقره على قضاء مصر . فقرأ الحسين بن أبي زرعة كتابه على الناس فى داره .

ثم ولى قضاء مصر محمد بن بدر الصيرفى مرة ثانية من قبل ابن أبي الشوارب الذى كان قد عاد إلى منصب قاضى القضاء فى بغداد وظل ابن بدر فى منصبه من ذى الحجة سنة ٣٢٧ هـ إلى صفر من سنة ٣٢٩ وأقر ذلك محمد بن طنج^(١) .

وفى هذه الأثناء سعى عبد الله بن شعيب ، المعروف بابن وليد أو ابن أخت وليد ، فى ولاية قضاء مصر واستعان للوصول إلى غرضه بمال قدم لابن أبي الشوارب ، فكتب ابن أبي الشوارب بولايته القضاء وذلك فى شهر رمضان من سنة ٣٢٨ هـ ، ومن ثم توجه ابن وليد إلى الحسين بن عيسى بن هروان من وجهاء القوم ، وكان بمصر حينذاك ، فأقرأه عهد القضاء وطلب منه أن يعينه على تولى هذا المنصب^(٢) .

وهكذا نرى أن منصب القضاء أصبح ، كمنصب الولاية والامارة ، لا يكتفى فيه بعهد الخليفة أو من يفوض إليه الخليفة هذا الأمر ، بل يبقى على القاضى الجديد أن يتمكن من مباشرة عمله . ولذا نرى عبد الله بن وليد يطلب معونة الحسين بن عيسى بن هروان كما نراه يستعين بأبى المظفر الحسن بن طنج ، وكان يخلف أخاه الاخشيذ مدة غيبته لقتال ابن رائق .

ولسكن الظاهر أن عبد الله بن وليد لم يستطع بالرغم من هذا كله أن يتسلم القضاء من محمد بن بدر . وظهر فى ذلك الوقت طامع آخر فى القضاء : هو الحسين بن عيسى ابن هروان الذى عمد إلى رشوة الحسن بن طنج كي يساعده فى تولى القضاء وليكانب الاخشيذ فى ذلك على أن يخلفه محمد بن بدر فى مباشرة القضاء . ووافق الاخشيذ

(١) السكندى : الولاية والقضاء (الملحق) ص ٤٨٨ و ٥٦٣ و ٥٦٤

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٤

على أن يتولى القضاء محمد بن بدر نيابة عن الحسين بن عيسى فوافق ابن بدر على ذلك .
ويقال ان هذا الأمر شق على ابن وليد حتى مرض وأشرف على الموت ^(١) .

وهكذا نتبين أن الاخشيد استطاع أن يتحدى قاضى قضاة بغداد وهو المفوض من قبل الخلافة في تعيين قضاة مصر . كما نلمس أن منصب القضاء أصبح مجالاً للتنافس وصارت تبذل في سبيل توليه الأموال والرشاوى . والواقع أن هذا التحدى لم يستطع مثله الأمراء في عصر بنى طولون . وهو يرجع قبل كل شيء الى الفوضى التى كانت تسود الخلافة في بغداد والى أن قاضى القضاة فيها لم يعد فوق الشبهات ، بل كان تقلده هذا المنصب محلاً للظن والشكوك فى بعض الأحيان ، ولذلك كان تفويضه وتوليته غيره من قبله أمراً يمكن تحديه ووقف تنفيذه .

ثم ولى القضاء بمصر عبد الله بن أحمد بن زبر من قبل قاضى القضاة فى بغداد .
فدخل الفسطاط فى سنة ٣٢٩ هـ وأقر الاخشيد ولايته ولكنها لم تدم إلا شهراً واحداً وأياماً ، مرض بعدها وتوفى فى سنة ٣٢٩ هـ ^(٢) . وكانت هذه هى المرة الرابعة التى ولى فيها ابن زبر قضاء مصر والمرة الثانية التى ولى فيها قضاء مصر فى عصر الاخشيديين .

وبعد وفاة ابن زبر قلده الاخشيد الحسين بن عيسى بن هروان القضاء وفى بعض الروايات أن عبد الله بن وليد سعى ليتولى قضاء مصر بعد وفاة ابن زبر وأنه تقلد هذا المنصب من قبل الحسين بن عيسى بن هروان ثم عزل فى شوال من سنة ٣٢٩ هـ ^(٣) .
وفى رواية أخرى أن ابن وليد تقلد قضاء مصر فى سنة ٣٢٩ هـ وعزل فى سنة ٣٣٠ هـ ^(٤) .

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦١

(٢) المرجع نفسه ص ٤٨٨ و ٤٨٩ ، و ص ٥٦١ ، وأنظر فى هذا المرجع (ص ٥٤٢ و ٥٤٣) قصة تشير إلى أن ابن زبر تقلد قضاء مصر للمرة الأخيرة بحيلة احتالها على الاخشيد وذلك بتزوير كتاب تفويض للقضاء من ابن أبى الشوارب إلى عبد الله بن أحمد بن وليد .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٥٦٤ و ٥٦٥

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٥

وبعد ذلك ورد كتاب من الحسين بن عيسى بن هروان إلى الاخشيد يذكر فيه أنه ولي القضاء محمد بن بدر الصيرفي . ويقال ان ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد عزل حينئذ عن القضاء وخلفه أحمد بن عبد الله بن اسحق فأقر الحسين بن عيسى على القضاء ، على أن يكون محمد بن بدر نائباً عنه بمصر ^(١) فكانت هذه هي المرة الثالثة التي ولي فيها محمد بن بدر قضاء مصر في عصر الاخشيديين . وقد ظل محمد بن بدر أحد عشر شهراً في ولايته حتى توفي في شعبان سنة ٣٣٠ هـ ^(٢) .

أما عن الحسين بن عيسى بن هروان الرملي فالروايات بشأن توليته القضاء متضاربة . وقد ذكرنا أن الاخشيد ولاء القضاء في سنة ٣٢٨ هـ وولاه أيضاً بعد وفاة ابن زبر . ولكن في بعض الروايات أنه ولي القضاء من قبل الخليفة أو قاضي القضاة في بغداد ^(٣) .

والراجع عندنا أن الاخشيد هو الذي ولاء قضاء مصر . فكان يستخلف من يشاء ، لأنه لم يكن فقيهاً ولم يكن يصلح لتولي الأحكام ، وإنما سعى إلى المنصب طلباً للجاه ولا سيما أنه كان غنياً عظيم الثروة ^(٤) . وكان بعد تقلده القضاء حريصاً أشد الحرص على الاحتفاظ بهذا المنصب .

ويقال انه لما مرض محمد بن بدر الصيرفي مرضه الأخير استخلف أبا الذكر محمد بن يحيى الأسواني ^(٥) في النظر في الأحكام . ولما مات ابن بدر في شعبان سنة ٣٣٠ استبقى الاخشيد أبا الذكر للقيام بأعباء منصب القضاء بضعة أيام إلى أن جاء كتاب الحسين بن عيسى بن هروان باستخلاف الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق الجوهري على القضاء . وذلك في رمضان سنة ٣٣٠ هـ ^(٦) .

(١) الكندي : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٦

(٢) المرجع نفسه ص ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٥٦١

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٤

(٤) الموضع نفسه ص ٥٦٤

(٥) أنظر الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٤

(٦) الكندي : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٣٣

وما لبث الحسن بن عبد الرحمن الجوهري أن أبعد عن القضاء . ويقال إن السبب في عزله خلاف وقع بينه وبين بكران الصباغ . وكان بكران من الشهود العدول ^(١) . فذهب الأخير إلى الاخشيد في دمشق واتفق معه ومع الحسين بن عيسى بن هروان على عزل الحسن بن عبد الرحمن الجوهري عن القضاء وعن تولى الأحباس . فاستخلف الحسين ابن عيسى بن هروان أبا الفضل السكشي على الأحكام وفوض أمر الأحباس وتولية قضاء النواحي إلى بكران الصباغ ^(٢) .

ولكن الاخشيد أبعد السكشي عن النظر في الأحكام بعد ثلاثة أشهر وولى عبد الله ابن أحمد بن وليد خليفة للحسين بن هروان وذلك في رجب سنة ٣٣١ هـ ^(٣) . وسبب هذا العزل المنافسة القوية التي قامت بين بكران الصباغ وبين السكشي وأسفرت عن اضطراب الأمور . فشكا الناس إلى الاخشيد فاستاء وأمر باحضار بكران ووجّهه على ذلك ثم عزله هو والسكشي عن الحكم . واستشار وجوه الناس فأشاروا عليه بتولية عبد الله بن وليد فولاه الاخشيد خلافة للحسين بن عيسى ^(٤) .

ولم يزل ابن وليد يتولى القضاء حتى جاء ابن هروان نفسه إلى مصر ويقال إنه قدم مصر في آخر رجب من سنة ٣٣٣ هـ ^(٥) . واصبح ابن وليد في بعض الأحيان ينظر في الأحكام في حضرة ابن هروان نيابة عنه . ثم بلغ ابن هروان أن ابن وليد كان يذكر أن ولايته على القضاء من قبل الخليفة المستكفي نفسه وليست من قبل ابن هروان ، فعزله عن القضاء في جمادى الأولى من سنة ٣٣٣ هـ ^(٦) . وفي بعض الروايات أن الحسين ابن عيسى بن هروان علم أن عبد الله بن وليد أرسل يلتمس من بغداد كتابا بولايته

(١) السكندی : الولاية والقضاء (الملاحق) ص ٥٧٢

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٣

(٥) يروى أن وفاته كانت في دمشق سنة ٣٣٤ هـ أنظر السكندی : الولاية والقضاء (الملاحق)

ص ٥٦٤ و ٥٦٥

(٦) السكندی : الولاية والقضاء (الملاحق) ص ٤٩١

قضاء مصر استقلالا من قبل الخليفة . فقال له الحسين بن هروان « ما هذا الذى بلغنى عنك ! ؟ والله لونازعنى أحد فى القضاء لبذلت فى إتلاف روحه مثل هذا الجرن ذهباً! ^(١) » ثم استخلف ابن هروان الحسن بن عبد الرحمن الجوهرى على القضاء ولكن الأخير مرض بعد أيام فعزله ابن هروان وولى القضاء محمد بن احمد بن الحداد فى جمادى الأولى من سنة ٣٣٣ هـ ^(٢) .

ولما غادر ابن هروان مصر أظهر عبد الله بن وليد كتابا من الخليفة المستكفى بتوليته قضاء مصر . وقد ساعده على تولية القضاء محمد بن على بن مقاتل وزير الاخشيد ، فعزل ابن الحداد عن القضاء فى أواخر المحرم من سنة ٣٣٤ هـ .

والظاهر أن ولاية عبد الله بن وليد القضاء من قبل الخليفة المستكفى جاءت من بغداد قبل هذا الوقت ولكنه أخفى كتاب التقليد خوفا من ابن هروان لأنه كان خليفته . ولما غادر ابن هروان مصر إلى الشام أظهر عبد الله بن وليد الكتاب وعضده فى موقفه هذا ، الوزير ابن مقاتل ^(٣) .

ويقال ان سعيد بن عبدان التاجر هو الذى سعى لابن وليد فى ولاية القضاء لدى الخليفة المستكفى . وقد ظل ابن وليد يخشى الحسين بن هروان برغم خروجه من مصر . ولم يأمن على نفسه ويطمئن إلى استقرار الأمر له إلا بعد أن جاءه الخبر بموت ابن هروان ^(٤) .

ويقال فى استقلال ابن وليد بالقضاء إنه أخرج « كتابا زعم أنه من المستكفى » . أى أن كتاب الخليفة مشكوك فى صحته .

ومهما يكن من الأمر فان ابن وليد استطاع أن يحصل على مساعدة من الوزير محمد بن على بن مقاتل فى تقليد القضاء واستعان ابن وليد على ذلك بالأموال والرشوة .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٦ و ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٢

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٧ و ٥٦٨

وأفصح هو وإن مقاتل في إقناع الاخشيد، فأمر الاخشيد بتقليده القضاء من قبل الخليفة وتسلم له أخو الاخشيد أبوالمظفر الحسن من ابن الحداد^(١) .

وقد شق ذلك على ابن الحداد ، فكتب إليه الحسين بن عيسى بن هروان يهون عليه الأمر ووعد بالانتقام من ابن وليد^(٢) .

ثم ولي الخليفة المطيع محمد بن الحسن العباسي الهاشمي منصب قاضي القضاة ببغداد وقضاء مصر والرملة وطبرية والاسكندرية . وكتب محمد بن الحسن الهاشمي إلى ابن وليد يقره على القضاء ، ولكنه ما لبث أن أناب عنه أخاه عمر بن الحسن الهاشمي ليتولى قضاء مصر وذلك في رجب سنة ٣٣٦ هـ . ويقال إن الشهود وعلى رأسهم يحيى بن مكي بن رجاء حسنوا لعمر الهاشمي ولاية القضاء نيابة عن أخيه . ويبدو أن كافورا وافق على ذلك بعد أن قدم إليه الهاشمي مبلغا من المال . وقد ظل عمر بن الحسن الهاشمي قاضيا لمصر مدة ثلاث سنوات ونصف أي إلى ذي الحجة سنة ٣٣٩ هـ ، ثم عزل بعدها عن القضاء . ويقال انه لم يعزل بل طلب أن يعفى من المنصب فأجيب إلى طلبه .

وحدث بعد ذلك في بغداد أن قلد الخليفة المطيع قضاء مصر وأعمالها والرملة وبعض الشام لمحمد بن صالح بن أم شيبان ، فعين هذا الأخير عبد الله بن محمد بن الحصيب أو الحصبي خليفة له بمصر فولى قضاءها في النصف من ذي الحجة سنة ٣٣٩ هـ . وظل الحصبي ينظر في القضاء هو وابنه إلى أن مرض وتوفي في المحرم سنة ٣٤٨ هـ .

وبعد وفاته حل ابنه محمد بن عبد الله بن الحصيب محله في القضاء خليفة لابن أم شيبان أيضاً وبأمر كافور الاخشيدى ولكنه توفي بعد شهر وبضعة أيام^(٣) .

(١) الكندي : الولاة والقضاة (المالحق) ص ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٧

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٢ و ٤٩٣ و ص ٥٦٨ و ٥٦٩ و ص ٥٧٣ — ٥٧٦

ومما يلفت النظر في ولاية عبد الله بن محمد بن الحصب وبنيه ما يقال من أن عبد الله الحصبى أحضر عهداً من الخليفة فحواه أن يكون ولده محمد بن عبد الله نائباً عن محمد بن صالح ابن أم شيان ، وأن يكون العهد باسمه ، أما هو فيكون ناظراً على ابنه ^(١) .

ولما مات محمد بن عبد الله الحصبى سعى ابن وليد لدى كافور لتولى منصب القضاء وبذل لكافور مالا في هذا السبيل ، ولكن مستشارى كافور نصحوه برفض طلبه فعين كافور على القضاء أبا الطاهر الذهلي ^(٢) . ونلاحظ أن تولية أبي الطاهر كانت باتفاق أهل الرأى في الدولة أو أهل الشورى الذين أثتوا عليه عند كافور ^(٣) .

ويظهر أن كافورا لم يكن يرغب في توليه القضاء بادىء ذى بدء ، إذ أنه قبل أن يأتى إلى مصر في سنة ٣٤٠ هـ كان قاضيا في دمشق وشكاه أهلها إلى الخليفة المطيع وأيدهم كافور في ذلك فعزل الخليفة هذا القاضى . ولذا رفض كافور أن يقلده القضاء في مصر ، وعين عثمان بن محمد بن شاذان قاضى الرملة بعد أن سعى له في ذلك الوزير جعفر بن الفضل وفي تلك الأثناء أشيع أن ابن شاذان توفى فسعى عبد الله بن وليد للحصول على هذا المنصب كما ذكرنا . ويقال أنه بذل لكافور نحو ثلاثة آلاف دينار . ولكن كافورا لم تلن قناته بل رضى لتوصية أهل الشورى وعين أبا الطاهر الذهلي ^(٤) . وظل أبو الطاهر على القضاء حتى فتح الفاطميون مصر ^(٥) .

وهكذا يتبين لنا أن أمر القضاء في مصر كان إلى الخليفة أو إلى قاضى القضاء في بغداد وهو الذى يفوض إليه الخليفة تعيين القضاة في الأقاليم ولكننا نلاحظ أنه كان لا بد للقضاة — فضلا عن ذلك — من الحصول على موافقة الأمير الاخشيدى . وكان الأمير الاخشيدى في بعض الحالات يولى القضاء لمن شاء بدون موافقة الخليفة .

(١) الكندى : الولاية والقضاة (الملاحق) ص ٥٧٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٠

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٣

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٣

(٥) المرجع نفسه ص ٤٩٣

ومما يستحق النظر أن العلماء والفقهاء — ببله من دونهم مرتبة في العلم أو من لا علم عنده مثل ابن هروان — كانوا يتهافون على ولاية القضاء في هذا العصر حتى أنهم كانوا يعمدون في سبيل الوصول إلى هذا المنصب ، إلى رشوة الأمراء الاخشيديين وذوى النفوذ في الدولة الاخشيدية ، وإلى رشوة أولى الأمر في الخلافة ولا سيما قاضى قضاء بغداد وهذه ظاهرة لم نعرفها قبل العصر الاخشيدى ولا نستطيع تعليلها تعليلًا واضحاً ، ولعلها ترجع إلى أن منصب القضاء كان من المناصب الخطيرة في الدولة ، فضلاً عن أن القاضى كان يستطيع أن يستغل منصبه في جمع الثروة وذلك بقبول الرشوة او بوضع يده على ما يريد من أموال الاحباس .

وقد رأينا كيف كان التهافت على هذا المنصب . ونضيف هنا عدة حوادث تؤكد الاقبال على تولية القضاء والسعى إلى ذلك بكافة الوسائل ، فقد مر بنا أن عبد الله بن وليد القاضى كان يتهافت على هذا المنصب وعرفنا أنه شغله ثلاث مرات . ويقال انه عند ما سعى اليه للمرة الأولى ولم يفلح شق عليه ذلك ومرض حتى أشرف على الموت . ووصلت تلك الأخبار إلى العامة فكانوا يتندرون بحالته وينظمون الكلام في التهمك عليه ومن ذلك قولهم : « عبد الله بن وليد أبرد من حديد ! عبد الله بن وليد هو وارب^(١) شهيد ! »^(٢) .

ورأينا أيضاً كيف عمل بكران بن الصباغ على اقضاء الحسن بن عبد الرحمن الجوهري عن ولاية القضاء والتمس لنفسه ولاية الاحباس . ولما أجابه الحسين بن هروان إلى طلبه ، بدأ بكران بن الصباغ يعمل على الايقاع بأحمد بن عبد الله الكشى الذى فوض اليه ابن هروان النظر في الأحكام . ويقال إن هذه الحالة بلغت حداً من السوء « اضطرر معه أمر البلد » وطبيعى أن المقصود بالاضطراب هنا اضطراب الأحكام واضطراب أمور القضاء بسبب التنافس بين الرجلين . وقد عرفنا أن الاخشيد استاء من هذه الحالة وعزل بكران بعد أن وبخه على تصرفه كما أبعد الكشى أيضاً عن القضاء^(٣) .

(١) الوارب الخاتل الداهية .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٦١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٧٣ .

وعرفنا أنه عندما تقلد عمر بن الحسن الهاشمي القضاء بعد عزل عبد الله بن وليد في رجب سنة ٣٣٦ هـ تخاصم الرجلان ووصل حديث النزاع بينهما إلى الأمير أبي القاسم أرنؤجور وإلى الأستاذ كافور . وادعى عمر الهاشمي أن ابن وليد يتصرف في أموال كثيرة لا صاحب لها فاعتقله كافور، ولكن الهاشمي ووجوه الناس شفعوا فيه حتى أطلق سراحه ^(١) .

وحينما تولى محمد بن صالح بن أم شيبان قضاء القضاة ببغداد استخلف عبد الله ابن وليد على قضاء مصر وكتب إليه بذلك . ولكن بقي الحصول على موافقة كافور على هذا النعيين ، فذهب جماعة من الفقهاء والعلماء إلى هذا الأمير وحسنوا له ولاية ابن وليد فوعدهم خيرا . ثم تبعهم جماعة آخرون من بينهم ابن الحداد والهاشمي وأبو جعفر مسلم العلوي وتقدموا إلى الأمير بالأا يوافق على تولية ابن وليد . و انتهى الأمر بأن ولي كافور عبد الله بن محمد بن الحصيب القضاء نيابة عن محمد بن صالح ابن أم شيبان ^(٢) . ويظهر أن الحصيب استطاع أن يتقرب إلى كافور بما كان يقدمه له من المال ^(٣) .

والغريب في ولاية هذا القاضي ما يقال عن ورود كتاب من الخليفة المطيع بتولية محمد بن عبد الله بن الحصيب القضاء من قبل محمد بن صالح بن أم شيبان وأن يكون الأب ناظرا على ابنه . ويقال ان الحصيب نفسه كان يقول : « العمل لابني محمد وأنا له معين » ^(٤) .

وقد بلغ التنافس في القضاء أشده بين الأب والابن فكان الابن يريد أن يوقع كل التوقيعات باسمه ويعزل ويولى دون أن يرجع إلى أبيه ويشترط على الكتاب ألا يكتبوا

(١) السكندی : الولاية والقضاة (المالحق) ص ٥٧٥

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٦ و ٥٧٧

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٨

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٨٠ . وفي روايات أخرى أن محمد بن عبد الله كان ينوب عن أبيه أو انه كان يقضى بمصر خليفة لأبيه في حياته وأبوه يحضر معه ، المرجع نفسه ص ٥٨١

إلا للقاضي « محمد بن عبد الله » . ويقال ان الخلاف زاد بين الأب والابن ، فإذا قرب الأب أحدا أبعداه ابنه ^(١) .

وهكذا كان محمد بن عبد الله بن الخطيب يحرص على أن يستقل بالقضاء كما كان يحرص على ألا يظهر له أي منافس في هذا المنصب . ويقال انه بلغه أن أحد الشهود بمصر، واسمه أحمد بن ابراهيم الاندلسي ، سعى من بغداد لتولي القضاء فأوقع به عند كافور وقبض عليه كافور وكاد يقتله . وكذلك فعل بمنافس آخر : هو أبو بكر محمد بن طاهر النقيب .

وكان مسعى أحمد بن ابراهيم الاندلسي قد نجح في بغداد فوصل كتاب بتقليده القضاء ولكنه توفي قبل وصول هذا التقليد بخمسة أيام وكان ذلك في سنة ٣٤٢ هـ . وتوفي محمد بن طاهر أيضاً في سنة ٣٤٦ هـ فاستراح ابن الخصيبي من الاثنين ^(٢) .

وهكذا نرى أن القضاء قد فقد استقلاله في هذا العهد فكان لا بد للقاضي من التقرب إلى الأمير للوصول إلى هذا المنصب ثم كان لا بد له من مداراة الأمير وطاعته ليستطيع الاحتفاظ بمنصبه . وكان لا بد له في كثير من الأحيان من تقديم الرشوة والهدايا ليمتدد المنصب أو يبقى فيه . وهكذا بطلت القاعدة المعروفة وهي أن طالب القضاء لا يولي وكثيراً ما كان القضاء يحضرون مجالس الأمراء ويبحثون بعض المسائل في حضرة ^(٣) . كما كان الأمراء يتدخلون أيضاً في بعض شئون القضاء ، فيقال ان كافوراً الاخشيدى كلف يعقوب بن كاس بأن يقول للقاضي أبي الطاهر الذهلي : « بلغني أنك تتبسط مع جلسائك ، وهذا الانبساط يذهب هبة الحكم » ، فلما أبلغه ذلك ابن كاس رد القاضي بأن قال : « قل للأستاذ لست ذا مال أفيض به على جلساءي . فلا يكون أقل من خلقي » ^(٤) . ويقال أيضاً عن أبي الطاهر الذهلي أنه كار

(١) السكندی : الولاية والقضاة (الملاحق) ص ٥٧٨ و ٥٨٠

(٢) المرجع نفسه ص ٥٨٠

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٦ و ٥٦٩ و ٥٧٥

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٢ و ٥٨٣

« كالحجور عليه في أحكامه » ، وذلك لأن كافوراً كان يجلس كثيراً للمظالم في أيام السبت ^(١) ، كما أنه لم يجعل إليه النظر في الأحباس منذ سنة ٣٥٠ هـ ^(٢) .

وكان القاضي حين يتسلم عمله يلبس السواد شعار العباسيين ويركب إلى الجامع العتيق في موكب من الشهود وأصحاب الشرطة والأمناء ^(٣) ووجوه أهل البلد ، وكان يقرأ عهد القضاء له في الجامع ^(٤) . وكان القاضي الجديد يتسلم أوراق القضايا من القاضي السابق ويختم عليها بختمه ويكسر ختم من سبقه . ولكنه كان يعهد أحياناً إلى أحد الثقة ليتسلم له من القاضي السابق . ويبدو أن أوراق القضايا في العصر الاخشيدى كانت تحفظ في سلال وتختم ^(٥) مع أننا نعلم أنه منذ ولاية محمد بن مسروق الكندي على قضاء مصر في فجر الإسلام (١٧٧ — ١٨٤ هـ) كانت أوراق القضايا تختم وتوضع في قنطرة ^(٦) .

والظاهر أنه كان من عادة قضاة ذلك العصر إذا انصرفوا من مجلس الحكم من المسجد الجامع أن ينصرفوا وبين يديهم الحجاب وسللة القضاء ^(٧) .

وكان القضاة في العصر الاخشيدى من مذاهب مختلفة ، فكان القاضي محمد بن بدر الصيرفي حنفياً ^(٨) ، وكان احمد بن عبد الله الكشي حنفي المذهب أيضاً ^(٩) ، بينما كان

(١) ومثل هذا التعطيل حدث لبكار بن قتيبة في عصر احمد بن طولون فيقال ان احمد بن طولون « قد داوم النظر في المظالم حتى استغنى الناس من الشرطتين عن القاضي حتى كان بكار ربما نعى في محله وانسكأ ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه اثنان » المرجع نفسه ص ٥١٢ وقارن

Zaky M. Hassan : Les Tulunides p. 223

(٢) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٨٤

(٣) كانت هناك وظيفة في القضاء يعرف أصحابها باسم الأمناء (المرجع نفسه ص ٣٣٣ و ٥٦٩ و ٥٧٥) ولكننا لا نعرف على وجه الدقة ماهية وظيفتهم وربما كانت مهمتهم المحافظة على أوراق القضايا أو الاشراف على أموال الاحباس .

(٤) المرجع نفسه ص ٦٢ و ٥٧٥ و ٥٧٧

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٠ و ٥٦٠ و ٥٦٩

(٦) الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٩١ و ٣٩٢

(٧) ابن زولاق : أخبار سيويو المصري ص ٣٧

(٨) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥٧

(٩) المرجع نفسه ص ٥٧٢

عبد الله بن زبر والحسين بن أبي زرعة بن عثمان الدمشقي وابن الحداد وعمر بن الحسن الهاشمي وعبد الله بن محمد الحصب بن أتباع المذهب الشافعي^(١) . أما أبو الذكر محمد ابن يحيى الأسواني والحسن بن عبد الرحمن الجوهري وأبو الطاهر الذهلي فكانوا يتبعون مذهب مالك ، إلا أن أبا الطاهر كان لا يتقيد بمذهب مالك في أحكامه^(٢) . وكان عبد الله ابن وليد القاضي يميل الى الاعتزال^(٣) .

وكان بعض القضاة مصرياً مثل أبي الذكر بن يحيى الأسواني وابن الحداد ومحمد بن بدر الصيرفي . وكان البعض الآخر أجنبياً عن مصر أي من الشام أو العراق مثل الحسين ابن عيسى بن هروان والحسين بن أبي زرعة الدمشقي والكشي وبكران بن الصباغ . وكان سلطان القضاة في مصر لا يمتد إلى الشام أو الحجاز إلا في حالات معينة ، ومن ذلك أن القاضي الحسين بن أبي زرعة تقلد قضاء مصر والاسكندرية^(٤) والشام وحمص وفلسطين والرملة وطبرية وأعمال ذلك^(٥) .

ويقال إن عمر بن الحسن الهاشمي بعد ما تولى قضاء مصر أضيف إليه قضاء الاسكندرية والرملة وطبرية وأعمالها^(٦) .

وبعد ما ولى عبد الله بن محمد بن الحصب قضاء مصر أضيف إليه قضاء دمشق والرملة وطبرية^(٧) . ونعرف أيضاً أن أبا الطاهر الذهلي أضيف إليه قضاء دمشق بعد أن ولى قضاء مصر^(٨) .

(١) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٣٩ و ٥٦٢ و ٥٧٥ و ٥٧٦

(٢) المرجع نفسه ص ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٧١ و ٥٨١ و ٥٨٤

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٥

(٤) نلاحظ أنه منذ العهد اليوناني حتى ذلك العصر الذي نحن بصددده كانت الاسكندرية تعتبر في معظم الأحيان جزءاً مستقلاً عن مصر .

(٥) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٢

(٦) المرجع نفسه ص ٥٧٥

(٧) المرجع نفسه ص ٥٧٧

(٨) المرجع نفسه ص ٥٨٢

وكان القاضى يولى قضاة فى البلاد المختلفة فى مصر أو فى غيرها من البلاد التابعة
لنفوذه القضائى . وكان نواب القاضى يكثر أو يقلون بحسب البلاد التابعة له وأعمالها^(١) .
أما الاختصاص النوعى للقاضى فكان غير محدود . والراجح أنه ظل كما كان عليه
منذ فجر الاسلام فى مصر فكان إلى القاضى الأحكام الخاصة بالمنازعات المختلفة والمسائل
الشرعية والأحباس ونفقة الأيتام ، كما كان القاضى يخرج لرؤية هلال رمضان .

وكانت كل هذه الأمور تجتمع إلى قاض واحد أو توزع بين قاضيين أو أكثر ،
فكان الحسين بن أبى زرعه القاضى يتولى بالإضافة إلى النظر فى الأحكام الموارث
والأحباس ويشرف على دار الضرب^(٢) . وكان بكران بن الصباغ ينظر فى الأحباص
ينما ينظر الكشى فى الأحكام^(٣) . وفى ولاية أبى الطاهر الذهلى أبعد كافور عنه النظر
فى الأحباص منذ سنة ٣٥٠ هـ وسامها إلى الحسن بن أيوب ويحيى بن مكى^(٤) .

والراجح أن القضاة فى ذلك العصر كانوا يتقاضون مرتبات أو أرزاقا كبيرة .
وقد يفسر هذا تكالب بعض العلماء على هذا المنصب . وقد رأينا أن مرتبات القاضى فى فجر
الإسلام فى مصر تدرجت من مائتى دينار فى السنة (٦٩ — ٨٣ هـ) إلى ١٦٨ ديناراً
فى كل شهر (١٩٨ — ١٩٩ هـ)^(٥) ، ونعرف أن القاضى بكران بن قتيبة كان يتقاضى
فى العصر الطولونى ١٠٠٠ دينار سنوياً^(٦) . ويقال ان خمارويه كان يمنح القاضى
محمد بن عبدة بن حرب ثلاثة آلاف دينار كل شهر^(٧)

ولعل المقصود هنا كل سنة وليس كل شهر أو لعلها ثلاثة آلاف درهم^(٨) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٥٢ و ٥٦٢ و ٥٧١ و ٥٧٢

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٢ و ٥٦٣

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٠ و ٥٧٣

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٤

(٥) المرجع نفسه ص ٣١٧ و ٤٢١

(٦) المرجع نفسه ص ٥١٢

(٧) المرجع نفسه ص ٥١٦

(٨) راجع عن مرتبات القضاة G. Wiet : The Governors and Judges of Egypt (Journal of

وكان بعض قضاة العصر الاخشيدي مترفا . ومن ذلك أن الحسين بن أبي زرعه الدمشقي كان ينفق على مائتته أربعمائة دينار كل شهر ^(١) وهناك نصوص كثيرة تشهد بكرمه وسخائه مما يدل على وفرة ماله بالإضافة إلى كرمه ^(٢) .

وكان القضاة في هذا العصر يقضون بين الناس في جامع عمرو بن العاص أو في بيوتهم ^(٣) . والظاهر من النصوص التي وصلت إلينا أن القضاة كانوا يذهبون إلى الجامع للقضاء في أيام معلومة من أيام الأسبوع ، فكان الحسين بن أبي زرعه يجلس في الجامع كل سبت ^(٤) ، ولما استخلف القاضي عمر بن الحسن الهاشمي الفقيه ابن الحداد كان ابن الحداد يجلس للقضاء في دار العباسي يومى الخميس والسبت وفي داره هو يوم الاثنين ^(٥) .

وكان القضاة يشيرون عنهم من يساعدهم في أعمالهم القضائية وغيرها مما يدخل في اختصاص القاضي . فقد رأينا أن عبد الله بن أحمد بن زبر استخلف أبا بكر بن الحداد ويقال أيضاً انه ولاء النظر في وقف المارستان وكان يعطيه كل شهر ثلاثين ديناراً . كما استخلف أيضاً أبا بكر محمد بن علي العسكري ، ومحمد بن بدر الصيرفي ^(٦) ، وعرفنا أيضاً أن الحسين بن أبي زرعه أناب عنه في الحكم أبا بكر بن الحداد ^(٧) . ولما ولي عمر بن الحسن الهاشمي القضاء استخلف ابن الحداد ، فكان ابن الحداد يجلس في دار العباسي يومى الخميس والسبت وفي داره هو يوم الاثنين . وكان إذا خرج العباسي للحج يجلس ابن الحداد في الجامع ^(٨) . ولما ولي عبد الله بن وليد القضاء في سنة ٣٢٩ هـ

(١) السكندی : الولاية والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٧ و ٥٣٩ و ٥٥٢ و ٥٦٦

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٣

(٦) المرجع نفسه ص ٥٤٠

(٧) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٨) المرجع نفسه ص ٥٥٣

أُتَاب عنه في الأحكام ابن الحداد أيضاً . ثم وقع خلاف بينهما فاستخلف ابن وليد أحمد ابن محمد بن شعيب الداودي^(١) .

ونلاحظ بوجه عام أن الفقيه الذي اشتهر في معاونة القضاة في ذلك العصر هو ابن الحداد . ولعل ذلك يرجع إلى ثقة القضاة في أحكامه وفي نشاطه وعمله .

وكان يعاون القضاة طائفة من الشهود كانوا بمثابة موظفين دائمين ، وكان الشاهد المعترف به يسمى الشاهد العدل ، ويعرف الشهود أيضاً باسم العدول . وكان القضاة بمصر في فجر الإسلام يعنون بالسؤال عن الشهود ومعرفة مدى أمانتهم ونزاهتهم . ولكن عبد الرحمن بن عبد الله العمري الذي تقلد القضاء بمصر بين عامي (١٨٥ و ١٩٤ هـ) أثبت الشهود العدول في كتاب خاص . وتبعه في ذلك القضاة من بعده^(٢) .

والراجح أن الشهود كانوا يشبهون من بعض الوجوه مشايخ البلاد أو مشايخ الحارات في عصرنا الحالي^(٣) . فكان على كل شاهد أن يعرف أحوال أهل الحى الذى يسكنه ومنازعاتهم وخصوماتهم ، ومن أجل ذلك كان لشهادة هؤلاء الشهود قيمتها الخاصة في القضاء . وطبيعى أن المفروض فيهم النزاهة وحسن السيرة .

ونرى طوال العصر الاخشيدى أن كل قاضٍ في مصر كان يعنى بأمر الشهود عقب توليه هذا المنصب فيوافق على بعض شهود القاض السابق أى يعدلهم أو يعدل شهودا جددا ويوقف من يرى ضرورة إيقافهم أى يسقطهم^(٤) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٥

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧١ و ٥٧٢ و ٣٨٦ و ٣٩٤

(٣) راجع عن الشهود السكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ج ٦ ص ٢٦٦ — ٢٩٠

ومنز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٨ (Journal Omedroz : The Office of Kadi Roy As. Soc. 1910 p. 779 & seq. Van den Berg : Principes du droit musulman (Alger 1896)

pp. 216 et suiv.

(٤) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٥٨ و ٥٦٣ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٥

ويظهر أن كثيرا من هؤلاء الشهود كانوا من الأسرات الكبيرة في البلاد أو من وجوه القوم^(١) . وكان رئيس الشهود يعرف باسم مقدم الشهود^(٢) .

وكثيرا ما كان للشهود أثر في تولية بعض القضاة ، وذلك بتشجيعهم بعض الطامعين على السعى لهذا المنصب أو بالشهادة بكفائتهم أمام الأمير^(٣) .

ولا نعرف على وجه التحقيق عدد الشهود الذين كان يعدلهم كل قاض ، وهل كان يضمهم إلى من عدلهم سلفه أو يعيد النظر في أمر الشهود جميعا . ويقال إن القاضي عبد الله بن وليد عدل في ولاياته الثلاثة على القضاة أربعين شاهدا أو يزيد^(٤) .

والظاهر أن ابن وليد استكثر من الشهود^(٥) . ويبدو أن القاضي في العصر الاخشيدي كان يجلس للحكم وعن يمينه ويساره أربعة شهود^(٦) .

ويظهر أن اسقاط أحد من الشهود المعروفين أو ذوى المسكنة منهم كان يحدث أزمة ، فعند ما أسقط القاضي عبد الله بن وليد مقدم شهوده سليمان وسجل هذا الاسقاط وأشهد عليه الشهود ، رضى جماعة ورفض آخرون . وذهب سليمان إلى دار الاخشيد ليشتكى ابن وليد . ورفض هذا النزاع سماية القهرمانة وذلك بأن طلبت من ابن وليد السجل ولما أحضره منزقته وأصلحت بينهما^(٧) .

وحدث أن تقلد بعض الشهود منصب القضاء ، كما أن بعض القضاة صاروا شهودا بعد صرفهم عن القضاء ، ومن أمثلة ذلك أبو الذكر بن يحيى الأسواني ومحمد بن بدر الصيرفي وأبو بكر بن الحداد والحسن بن عبد الرحمن الجوهري .

(١) نرى في نصوص هذا العصر تكرار هذه العبارة عن القضاء « وعدل جماعة من الـ ومن وجوه مصر » انظر السكندى : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٣ و ٥٨٤

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٨ و ٥٦٩

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦١ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٦ و ٥٨٣

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٠

(٥) المرجع نفسه ص ٥٦٩

(٦) المرجع نفسه ص ٥٥٢ و ٥٦٠

(٧) المرجع نفسه ص ٥٦٨

وكان للقضاء كتاب يساعدونهم . ومن ذلك أن الحسين بن أبي زرعه الدمشقي اتخذ الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق الجوهري كاتباً له ^(١) ، ولما تقلد هذا الكاتب القضاء بعد ذلك اتخذ ابنه الحسين كاتباً له ^(٢) .

وكان للقاضي عبد الله بن وليد كاتب اسمه حماد ، وقد هجا محمد بن بدر الصيرفي القاضي ابن وليد في قصيدة طويلة منها :

يا ابن الوليد تدبر ما أتيت به ولا تكن للهوى مستكملاً عمماً
لو كنت تسمع قول الحق معتقداً أو كنت تخشى عذاب الله معتصماً
لما استغنت بحماد اللعين وما رأيت انت له في صالح قدماً
جعلته كاتباً يمضي الأمور ولم يمس في العلم قرطاساً ولا قلماً ^(٣)

ويبدو من هذه الأبيات أن كاتب القاضي رجل ينتظر أن يكون على شيء من العلم بأمور الدين . ولا عجب فإن بعض الكتاب تولوا منصب القضاء في هذا العصر مثل محمد بن بدر الصيرفي القاضي الذي كان كاتباً للقاضي محمد بن عبدة بن حرب ^(٤) قاضي خمارويه بن احمد بن طولون . كما أن القاضي الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق الجوهري كان كاتباً للحسين بن أبي زرعه ^(٥) .

ولسنا نعرف على وجه التحديد عمل كاتب القاضي ، ولكن يبدو أن بعض الكتاب كانوا يعاونون القضاء في كتابة الأحكام ^(٦) ، بل وفي تصريف الأمور كما يستنبط من الأبيات السابقة التي قيلت في هجاء القاضي ابن وليد وكاتبه حماد .

ويظهر أن بعض القضاء كان يعهد الى كاتبه بعمل معين من أعمال القضاء ، فيقال ان عبد الله بن محمد بن الحبيب ، استكتب ابنه ينظر في الأحباس ^(٧) ، كما أن بعض

(١) الكندي : الولاة والقضاء (الملحق) ص ٦٣ هـ

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧١

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٥٨

(٥) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٦) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٧) المرجع نفسه ص ٥٧٧

النصوص الخاصة بالقضاء في هذا العصر تشير إلى فريق من الكتاب يعرفون باسم «كتاب الشروط»^(١) . ولعلمهم كانوا ينصرفون إلى تسجيل ما يتفق عليه الخصوم .

وكان للقضاة في العصر الاخشيدى حجاب يستأذنون للناس وللشهود في الدخول إلى القاضى^(٢) .

وكان بعض القضاة في هذا العصر شديداً في الحق بينما كان بعضهم ظالماً مستهتراً . ومن عرفوا بالعدل محمد بن بدر الصيرفى . ويقال انه دخل مرة على الوزير أبى الفضل جعفر بن حنابة « وكان عنده أبو بكر محمد بن على الماذرائى مقبوضاً عليه في المصادرة ، فقال الوزير لمحمد بن بدر : هذا اسماعيل بن بنان وكيل جارية محمد بن على ، فمهما جاءك فيه فامضه ، فقال : حتى يثبت وكالته عندي بشاهدين عليها . فقال له : أنا أقول لك هو وكيل تقول لى « حتى يثبت عندي » ! وخبرك عندي بالتفصيل . وليس هذا موضعك وإنما تريد أن يشيع هذا القول ! أقيموه ! . فأقيم واعتقل ساعة في داره . ثم خطب فيه فأطلق ثم أرسل إليه . من تريد من الشهود ؟ وقال : من شهودى الذين أقبلهم . فقبل الوزير ذلك وعظم محمد بدر في عينه وحسن موقع فعله عنده »^(٣) .

وعنى محمد بن بدر بأمر اليتامى وبالأحباس عناية زائدة ويقال انه اشترى — وهو قاض — للاثام دورا أو رباعا بسبعة عشر ألف دينار . وفضلا عن ذلك فقد كان يخصص صباح كل يوم جمعة للنظر في أحوال اليتامى^(٤) .

ومن الذين عرفوا بالعدالة أيضا أبو بكر بن الحداد^(٥) . ومع ذلك يقال إن الأمراء الاخشيديين كلهم كانوا يكرهون ابن الحداد لسكراهم للشافعيين ولأنه كان متشدداً عليهم . ولسكنهم كانوا يحترمونهم وكان كثير التردد عليهم^(٦) .

(١) الكندى : الولاة والقضاة (المحقق) ص ٨٠

(٢) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٦٩

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٥٩

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٢

(٦) المرجع نفسه ص ٥٥٥

وقد رويت عن ابن الحداد قصة تشهد بشدته في الحق برغم تدخل أبي المظفر الحسن ابن طنج أخى الاخشيد ^(١) .

ومن الذين اشتهروا أيضا بحسن السياسة والعدل الحسين بن أبي زرعه الدمشقي ^(٢) ، وعمر بن الحسن الهاشمي ^(٣) ، وعبد الله بن محمد بن الخصيب ^(٤) .

أما القضاة الذين اتخذوا القضاء سبيلا لجمع الأموال فمنهم عبد الله بن أحمد بن زبر . ويقال عنه انه « كان عارفا بأخذ الدراهم والدنانير والهدايا ، وكان مع ذلك لا يقبض درهما ولا يضم هدية حتى يقضى حاجة صاحبها » ^(٥) . والواقع أن في المراجع المختلفة قصصا تشهد باستهتاره في هذا الميدان حتى ليبدو أنه كان لا يحرص على أن يخفى عن الناس سوء خلقه وقبوله الرشوة ^(٦) . ومع ذلك فقد كان هذا القاضى فقيها عالما حتى قال فيه أحد ذوى رأى « لو كان ابن زبر عادلا ما عدلت به قاضيا » ^(٧) . ومن اشتهر أيضا بقبوله الرشوة والبعد عن العدل القاضى عبد الله بن احمد بن شعيب المعروف بابن وليد ^(٨) .

وكان القضاة في ذلك العصر ونوابهم الذين ينوبون عنهم في الحكم بين الناس يلبسون طيلسانا أسود وعمامة سوداء فوق القلنسوة ^(٩) .

وكان العامة يشيرون على القضاة في بعض الأحيان . ومن ذلك أن جماعة من الفرماشكوا الخصبى ونائبه ، ولكن كافورا نصره عليهم فأمر بضربهم وطيف بهم

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٢

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٥

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٧

(٥) المرجع نفسه ص ٥٤١

(٦) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٤١

(٧) المرجع نفسه ص ٥٤١

(٨) المرجع نفسه ص ٥٦٥ و ٥٦٨

(٩) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٧٨ والملحق ص ٥٤٠ و ٥٥٢ و ٥٦٥

على الجمال . فتثار القوم على الخصبي في الجامع ^(١) . ولما استقل ابنه محمد بن عبد الله ابن الخصبي بولاية القضاة بعد وفاة أبيه وركب الى الجامع ثار الناس عليه وحصبوه (أى رموه بالحصباء) فصاح قائلاً : « ما الذى يُنقم على وقد عمرت الاحباس ووفرتها وفرقت فى مستحقها وما ضبط أحد قط أنى ارتشيت أنا ولا أبى ؟ ! » . ولما علم كافور الاخشيدى بذلك أرسل اليه غلاماً من غلمانه يسأل عنه ^(٢) .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق أسباب سخط الناس على الخصبي وابنه . وحسبنا أنهما كانا مكروهين وأن ذلك لا يشهد لهما بالتوفيق فى اقامة العدل بين الناس .

وكان فى مصر الاخشيدية — كغيرها من أنحاء العالم الاسلامى — ما يسمونه النظر فى المظالم . ويعد الناظر فيها أشبه شىء بمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض ومجلس الدولة فى عصرنا الحالى . فكانت تعرض عليه القضايا « اذا عجز القاضى عن تنفيذ حكمه فى قضية رجل من عليّة القوم أو اذا لجأ اليها المتقاضون اذا اعتقدوا أن القاضى لم يحكم بينهم بالعدل . وكان الغرض الاساسى من إنشائها هو وقف تعدى ذوى الجاه والحسب . ولهذا كانت تسند رئاسة ديوان المظالم لرجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم قاضى المظالم » ^(٣) .

ولكن الواقع فى مصر الاسلامية يخالف ما تكتبه المراجع النظرية فى هذا الشأن . فان اختصاص الناظر فى المظالم كان غير محدود ، فكان دون اختصاص القاضى فى بعض الأحيان وفوقه فى أحيان أخرى . وقد كتب المستشرق فون درهايدن Vonderheyden أن منصب الناظر فى المظالم كان أول مناصب الدولة ، لأن صاحبه كان يراقب

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٧٨

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٩

(٣) حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٣٥٢ — ٣٥٣ وراجع

المأوردى : الأحكام السلطانية ص ٦٤ — ٧٦ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٠٧

سائر الموظفين ، وبذلك كان يشبه بمفرده كل ما تقيمه الأمم الحديثة من مجالس ولجان لضمان العدالة ومحاربة الاوتقراطية^(١) . ولكننا نرى أن هذا القول مبائع فيه . ولا ريب في أن أساسه ما جاء في الاحكام السلطانية للمساوردي عن الناظر في المظالم . والحق أن هذه الاختصاصات كانت نظرية الى حد كبير . وسلطان الناظر في المظالم لم يكن واسعا إلا حين كان هو الخليفة أو الأمير أو من يقرب من مرتبتهما أو من كان مؤيدا من الأمير حائزا لثقتهم التامة . وفضلا عن ذلك فإن اختصاص الناظر في المظالم واختصاص القاضي كانا يلتقيان في كثير من الأحيان وكان يصعب أحيانا أن نتبين أيهما أوسع سلطانا^(٢) . وفي معظم الأحيان كان المرجع النهائي للبت في المظالم الخطيرة الشأن هو الخليفة أو الأمير نفسه .

وفي بداية العصر الأخشيدى كان القاضي ينظر في المظالم^(٣) . وفي سنة ٣٣١ أفرد للناظر في المظالم قاض مستقل^(٤) . وبعد مقتل ابن رائق وعودة الاخشيد من الشام سنة ٣٣١ هـ كان هذا الأمير يجلس للنظر في المظالم بنفسه في أيام الأربعاء^(٥) . وبعده كان كافور يجلس كل سبت ويحضر عنده الوزير وسائر الفقهاء والقضاة والشهود ووجوه البلد^(٦) « وكان القاضي كالمجور عليه لكثرة جلوس كافور للمظالم »^(٧) .

M. Vonderheyden : La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'el-Arab p. 178 (١)

(٢) راجع بحث الأستاذ امدرود عن المظالم في مجلة الجمعية الاسيوية الماسكية سنة ١٩١١

ص ٦٣٥ وما بعدها ، وفتز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨٦ و G. Von Grunebaum : Medieval Islam pp. 164-165

(٣) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥٢ ، والسبكي : طبقات الشافعية ج ٢

ص ١١٣ — ١١٤

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٧٢

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

(٦) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٨٤ ، والمقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٠٧

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٨٣ — ٥٨٤

بقى أن نتحدث عن المحتسب . ولسنا نريد هنا أن تفصل الكلام على اختصاصاته كما تبينها المراجع الفقهية والتاريخية ^(١) . وحسبنا أن نذكر أنه كان يراقب مراعاة أحكام الشرع ويسهر على حسن السلوك العام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويشرف على نظام الأسواق والطرقات وعلى الباعة والعمال ، ويعمل بوجه عام على حماية الناس من غش التجار والصناع ^(٢) .

وأقرب المحتسبين عهدا ببداية العصر الاخشيدى هما ابو مقاتل صالح بن محمد الذى تقلد منصب الحسبة قبيل ولاية الاخشيد على مصر ^(٣) ، ثم محمد بن جعفر القرطى الذى قلده مؤنس الخادم هذا المنصب قبيل ولاية الاخشيد أيضا ^(٤) .

ومن المحتسبين فى العصر الاخشيدى محمد بن جعفر بن سلام . وقد روى ابن زولاق أن بعض حيران سيديويه المصرى ساءه ولاية ابن سلام على الحسبة فشكاه الى سيديويه فركب معه الى أبى الفضل جعفر بن الفضل فقال له : « أبا الفضل حفظك الله ورعاك وصانك وأبقاك وليت علينا محتسبا قليل الوفا كثير الجفا طويل القفا فأما ان كفيناه أو أبدلته لنا بسواه . . . » ^(٥) . ويبدو من هذا النص أن الوزير كان صاحب رأى الأعلى فى اختيار المحتسب وفى عزله .

وكان المفروض دائما أن يكون المحتسب « رجلا عفيفا خيرا ورعا عالما غنيا نبیلا عارفا بالأمور محسنا فطنا لا يميل ولا يرتشى فتسقط هيئته ويستخف به » ^(٦) . ولكن

(١) راجع الماوردى : الأحكام السلطانية (الباب العشرون) ص ٢٠٨ وما بعدها والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٦٣ — ٤٦٤

Von Grunbaum : op. cit. pp. 165-167. Levi-Provengal : Le Traité d'Ibn Abdun p. 210

E. Tyan : Histoire de l'organisation Judiciaire en pays de l'Islam,

(٢) أنظر متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ والشيزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . وزكى محمد حسن : دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ص ١٧٣ — ١٧٤ وما ذكر فيها من مراجع

(٣) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٣٩

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٥) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٥٣ — ٥٤

(٦) Levi-Provengal : op. cit. p. 210.

الظاهر أن بعض الذين تقلدوا الحسبة في العصر الاخشيدي كانوا بعينين عن هذه الفضائل . وحسبنا ما رواه ابن زولاق في هذا الشأن . قال إن سيبويه المصرى لقي الختمب والحراس بن يديه فقال: « ما هذه الأجراس يا أنجاس ! والله ما ثم حق أقتموه ولا سعر أتدبتموه ، ولا جان أدبتموه ، ولا ذو حسب وقرتموه ، وما هى إلا أجراس تسمع الباطل يوضع وأقفاء تصفع وبراطيل تقطع ! . لا حفظ الله من جعلك محتسبا ! ولا رحم لك ولا له أما ولا أبا ! »^(١) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٢٩

الباب السابع

دراسات في المجتمع المصري على عهد الأخشيدين

دراسات في المجتمع المصري على عهد الاخشيديين

(١)

طبقات المجتمع

(١) الاشراف

أوجد الاسلام نوعاً من شرف الدم لا يزال باقياً إلى عصرنا هذا ، وذلك في ذرية أهل بيت رسول الله . وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة النبي راتباً من الحكومة ، وكان لهم قضاء مستقل بهم يتولاه نقيبهم الذي يعينه الخليفة ^(١) . وكان لهم نقيب في دار الخلافة ونقباء في المدن الكبرى من ديار الاسلام يعينهم الخليفة أو من فوض الخليفة إليه تدبير الأمور كوزير التفويض وأمير الاقليم . وكان كل من العباسيين والطالبين أو العلويين يخاطب بالشریف ^(٢) . ومن ولى نقابة الطالبين بمصر على عهد كافور الاخشيدى الشاعر أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل طباطباً المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ^(٣) .

والواقع أن أسرة طباطبا كان لها شأن عظيم في المجتمع المصري منذ قدم إلى مصر القاسم الرسى من أولاد السيد ابراهيم طباطبا . وقد توفى القاسم هذا سنة . وفي قرافة مصر مشهد كبير لكثير من أفراد هذه الأسرة ^(٤) . ومن أعلامها في الاخشيدى عبد الله بن طباطبا ، وكان « شريفاً عفيفاً فصيحاً جميلاً وكان له رابع و

(١) أنظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٨٢ — ٨٦ (الباب الثامن في ولائ على ذوى الانساب) .

(٢) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦١

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٩ — ٥١ وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١

(٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٥٩ — ٦٤

واعمة ودائرة متسعة ، وكان كثير الافتقار للفقراء والأرامل والمنقطعين » ^(١) . وتوفي عبد الله بن طباطبا سنة ٣٤٨ . ومن أعلام أسرة طباطبا في العصر الاخشيدى أيضاً الحسن بن علي بن محمد بن احمد بن علي الحسن بن طباطبا وكان من الزهاد وتوفي سنة ٣٥٤

وكان الاشراف في مصر موضع الاحترام والتكريم من الشعب والحكومة في العصر الاخشيدى . وقد مر بنا أن الحسن بن طاهر العلوى سفير بين الاخشيد وابن رائق حينما جاء ابن رائق مهاجماً مصر سنة ٣٢٧ هـ ^(٢) . والمعروف أيضاً أن الاخشيد أرسله إلى سيف الدولة ليفاوضه من أجل السلام وتحديد الحدود بين أملاكهما ^(٣) .

وقد مرت بنا بعض قصص عن كافور تشهد بتكريمه العلويين . ونضيف هنا قصة تروى عما حدث لكافور ذات مرة مع سيدة علوية . فقد قيل ان امرأة وقفت له في طريقه وصاحت به : ارحمني يرحمك الله ! فدفعها أحد رجاله فسقطت فاغتاز كافور وأمر بقطع يده فقامت تشفع له فتعجب من مكرمتها وقال : أسألوها عن أصلها فما تكون إلا من بيت عظيم . فسئلت فاذا بها علوية فعظم الأمر على كافور وقال : قد أغفلنا الشيطان عن نساء الأشراف . وأحسن إليها وتفقد سائر نساء الأشراف وأدر عليهن الاحسان والجرايات ^(٤) .

وكانت وساطة العلويين وشفاعتهم مقبولة عند الأمراء الاخشيديين ^(٥) . وكانت لهم منزلة سامية عند كبار القوم وأفراد الشعب . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن الحسن بن طاهر العلوى توسط في صلح بين القاضى الحسين بن ابى زرعة والفقيه

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢

(٤) المرجع نفسه ص ٤٨

(٥) الكندى : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٧٦ هـ وأنظر أيضاً ابن الزيات : الكواكب

السيارة ص ٦٠ — ٦٤ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨

أبي بكر بن الحداد وذهب ومعه ابن الحداد إلى دار أبي زرعة ووجده في الطابق العلوي بها. ونزل ابن أبي زرعة « وصر عليهما فسلم ولم يجلس عندهما وتوجه إلى مكان آخر فجلس فيه واستدعاها ، فلما دخلا عليه قام وتلقاها . وفعل ذلك أدبا مع الشريف لئلا يقوم إليه . واستحسن من رأى ذلك عنده وعدوه من آدابه » ^(١) .

وروى أن أبا بكر محمد بن علي الماذرائي لما عاد من معتقله في الرملة بعد وفاة الفضل بن جعفر بن الفرات وخرج من دار الاخشيدي بعد أن خلع عليه الأمير سار الشريف أبو جعفر مسلم بين يديه ولم يعلم به الماذرائي إلا في سوق السراجين ^(٢) خلف عليه حتى ركب ^(٣) .

والظاهر أن بعض أوساط الناس كانوا ينقدون — فيما ينقدون من أحوال البلاد بوجه عام — ما كان للعلويين من مكانة وسلطان . ومن ذلك ما حدث بين الشريف أبي محمد عبد الله أخى مسلم والأديب سيبويه المصرى . فقد قيل إن هذا الشريف جاء يوما إلى سيبويه وقال : سلام عليكم ! فقال سيبويه : السلام على من اتبع الهدى وتجنب الردى وسلك الطريقة المثلى ولم يتشبه بكسرى وبهرام وسابور وشهرام ! ارجع إلى مص النوى فهو أصلح لك وأولى ! ^(٤) .

وجاء سيبويه المصرى يوما إلى الشريف أبي جعفر مسلم وقال : « جئت يا أيها الشريف في حاجة . أريد قبة على بغل نقل يحمل جميع آلة السفر من وطاء وغطاء ومستعمل فاني خارج في غد إلى مسجد موسى أصلى فيه وأدعو ، فقال له مسلم : السمع والطاعة

(١) السكندى : الولاة والقضاة (المحقق) ص ٥٦٣

(٢) السراجون صانعوا السروج : ولم يذكر المقرئى بين أسواق مصر والقاهرة (الخطط ج ٢ ص ٩٤ وما بعدها سوقاً للسراجين في عصره . بل أشار إلى صناعة السروج في سوق اللجيمين) والراجح عندنا أن لفظ السراجين كان أكثر شيوعاً في المغرب ، ومن ثم استعماله ابن سعيد الذى ننقل عنه القصة التى نحن بصددنا أنظر A. Cherbonneau : Dictionnaire Arabe-Francais t. I p. 449. Kasimirski : Dictionnaire Arabe-Francais t. II

كان يطلق أحياناً على النقاش بيوية الأخشاب أنظر Dozy : Supplément t. I. P. 645

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٤

(٤) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٣١ ؛ أنظر أيضاً المرجع نفسه ص ٣٥

ما تفتح باب دارك غدا إلا والجميع على الباب . ثم دعا بالفراشين فأخذوا فيما يحتاجون إليه فقال له سيبويه : وحقتك يا شريف ما أخرج إلا للصلاة والدعاء للمسلمين أن يريحهم الله من هذا الأسود الحصى فقد كدر الحياة وأطاب الولاية وأفسد الصلاة وما الله عنه بساه . ثم قام منصرفا وبقي مسلم مطرقا ثم قال في مجلسه : ألا ترون أى بلية ؟ ! ان أرسلت إليه خفت من الأستاذ . وأن لم أرسل إليه وقعت في لسانه وفي سبه ^(١) . والواقع أن الشريف لم يستطع الخروج من هذا المأزق إلا بفضل حيلة جعلت سيبويه يسعى إليه ويطلب منه أن يرحى تنفيذ كل ما تقدم به .

(ب) عليّة القوم

وطبيعى أن كان بمصر على عهد الاخشيديين طائفة من عليّة القوم أنهضهم اليسار . وكان منهم كبار الموظفين والملاك والتجار . وكان على رأس هذه الطائفة أسرة الماذرائيين ، وقد فصلنا الكلام عليهم في غير موضع من هذا الكتاب . ولـكننا اضيف هنا بعض الأخبار التى تشهد بعلو مكانتهم فى مصر إلى حد جعل ابن زولاق يخصهم بكتاب من تأليفه ^(٢) ، فضلا عما ذكره عنهم فى كتبه : سيرة محمد بن طغج الاخشيد ، وتنمة أمراء مصر ، وتنمة قضاة مصر للـكندى ، وسيرة سيبويه المصرى ، وسيرة جوهر ^(٣) .

وكان للماذرائيين فى مصر الضياع الواسعة ، وكان كبار هذه الأسرة يتخذون الحجاب تشبها بالأمراء . وكان لمحمد بن على الماذرائى ديوان كبير يشرف على نحو ستين ألف محتاج كانت تجرى عليهم الأرزاق ^(٤) . وكان الاخشيد ينكب الماذرائيين أحيانا ويصادر كثيرا من أملاكهم وكانت العامة تحرق دورهم وتنهب ضياعهم ، ولكنهم كانوا ينهضون وتعود اليهم مكانتهم وثرواتهم فى فترة قصيرة جداً ، ويبدو أن سلطانهم كان يمتد إلى كثير من نواحي النشاط الاقتصادى فى البلاد حتى ليصعب تجريدهم من أموالهم تماماً .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٥٥ — ٥٦

(٢) « كتاب سيرة الماذرائيين كتاب مصر » .

(٣) راجع ما كتبناه عن ابن زولاق فى تصدير هذا الكتاب وما أشرنا إليه من المراجع .

(٤) المقرئى : المقفى (فى رسالة جوتشك) ص ١٢٥

بل إن الاخشيد كان حين ينكب الماذرائى ويأمر باعتقاله يحرص على أن يكون هذا الاعتقال فى قصر يليق بمكانة الماذرائى . وقد مر بنا أنه قال مرة عن ترف دار أعدها لاعتقال محمد بن على الماذرائى : « نعم هذا ملك ! وأردت أن لا يحتقر بشيء لنا ولا يحتاج أن يطلب حاجة إلا وجدها ، فانه ان فقد عندنا شيئاً مما يريد استدعى به من داره فنسقط نحن من عينه عند ذلك » ^(١) .

وكان الماذرائيون يعيشون فى ترف ظاهر ولكنهم كانوا إلى جانب هذا يغدقون الخير والاحسان على الفقراء والمحتاجين . وكان لهم جوسق عظيم بنى على هيئة الكعبة « وكان أهل الرياسة يجتمعون عنده فى الأعياد ويوقدون فيه الشموع الكثيرة ويجتمع عنده القراء ويتلون فيه القرآن وتأتى الماذرائيون ويفرقون الجوائز فى ذلك اليوم رغبة لما فى ذلك المسكان من الخير والبركة : وقال الكعبى . ما رأيت من بكا حوله الفقراء والارامل والأيتام كالماذرائى لمات » ^(٢) .

ومن وصلت إلينا أسماؤهم من عليّة القوم فى العصر الاخشيدى أبو جعفر أحمد ابن نصر . ولعله أحمد بن نصر الذى قلده الفضل بن جعفر الخراج بمصر قبل دخول الاخشيد ^(٣) . ومهما يكن من الأمر فان أبا جعفر بن نصر كان من دعاة المعز لدين الله فى مصر قبيل الفتح الفاطمى ^(٤) . وكان يبر سيبويه المصرى وحدث أن أبطأ عليه بره ومسى سيبويه بدار شيدها أحمد بن نصر فقال : « كافور الأسود غداً يؤخذ بأذنه . إنما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعة على كل تابع ومتبوع وذليل ومرفوع . تغير فيها الأحوال وتحمل اليها الأموال » ^(٥) فلما بلغ ابن نصر هذا التهديد أرسل اليه ما أرضاه .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦

(٢) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٥٥ أنظر أيضاً ابن كثير : البداية ١

ج ١١ ص ٢٣١

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١١

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٣

(٥) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٤٠

ومن عليّة القوم في العصر الاخشيدي أيضاً أبو الحسن محمد بن عبد القاهر
وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن اسحق الجوهري^(١) وابن اريخا^(٢) وابن برك
التاجر^(٣).

(ج) سواد الشعب

يخبر عن الفضل بن يحيى أحد رجال الحاشية في العصر العباسي أنه قال : « الناس
أربع طبقات » :

١ — ملوك قدمهم الاستحقاق .

٢ — ووزراء فضلتهم الفطنة والرأى .

٣ — وعلمية أنهضهم اليسار .

٤ — وأوساط ألحقهم بهم التأديب ، والناس بعدهم زبد جفأ وسيل غشاء ،
لكن ولكناع ، وريطة اتضاع هم أحدعهم طعمه ونومه^(٤) .

والحق ان المؤرخين المسلمين لم يعنوا بغير الطبقات الأربع التي أشار اليها الفضل
ابن يحيى^(٥) ، أما سائر الناس من سواد الشعب فلا نكاد نعرف عنهم من المراجع القديمة
ما يناسب نسبتهم الكبيرة بين سكان البلاد . وإذا صح أننا نعرف شيئاً عن حياة العامة
من كتب الأدب وبعض كتب الفقه ، فأننا لا نكاد نعرف شيئاً خاصاً عن حياتهم في العصر
الاخشيدي إلا ما سيأتى ذكره في الصفحات القادمة حين نعرض للاعياد والعادات
وما إلى ذلك .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ص ٣٨

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٣) ابن زولاق ، أخبار سيبويه المصري ص ٤٠

(٤) الحمداني ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١

(٥) كتب المقرئ في فصلا « في ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جل من أحوالهم وأوصافهم »

وهو غني ببيانات تكشف عن حال المجتمع في عصر المايك . انظر المقرئ : اغانة الأئمة بكشف

الغمة ص ٧٢ — ٧٤

(د) أهل الذمة

كان في مصر على عهد الاخشيديين كثير من المسيحيين ، أغلبهم من القبط الذين ظلوا على دينهم ، كما كان بها بضعة ألوف من اليهود . وليس في الشريعة الاسلامية ما يغلّق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال العامة التى لا شأن للدين بها ولذا كان نشاطهم ملحوظا فى الأعمال التى تدر الأرباح الوفيرة . فكان منهم أصحاب الضياع والأطباء^(١) ، والصيارفة والتجار .

وكان لأهل الذمة محاكمهم الكنسية الخاصة بهم ، ولكنهم كانوا يستطيعون أن يحتكموا إلى القضاة المسلمين^(٢) ، وكانوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التى ينتمى اليها . ولسنا نعرف تماما عدد الطبقات التى كانوا ينقسمون اليها فى حساب الجزية فى العصر الاخشيدى ولكن الراجح أنهم كانوا ثلاث طبقات : دنيا وعلى أفرادها دينار فى السنة ، ووسطى يدفع أفرادها دينارين ، وعليا يدفع أفرادها ثلاثة دنانير فى السنة^(٣) .

ولا نسمع فى العصر الاخشيدى شيئا عن التزام أهل الذمة القوانين الخاصة بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى اللباس والركوب^(٤) . والراجح أن القبط كانوا لا يزالون يحتفظون بملبستهم القبطية وأنهم لم يتركوها إلا حوالى أواخر القرن الرابع الهجرى^(٥) .

(١) روى ابن زولاق فى كتاب أخبار سيبويه المصرى (ص ٣ :) قصة يمكن أن يستنبط منها أن من بين أسماء الأطباء النصارى فى العصر الاخشيدى هاشم وابن توفيل وارسانه وقوريل ومرجب وابن عثمان . ولكنه نص غامض ولم نجد ما يؤيده فى طبقات الأئمة لابن أبى أصيبعة .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٥١ و ٣٩٠ .

(٣) أنظر أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٦٩ ، ويحيى بن آدم القرشى : كتاب .

ص ٥١ ، والمازردى : الأحكام السلطانية ص ١٢٨ ، وسيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام

ص ٣٨ — ٤١ ، ومنز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٧٤ — ٧٥

(٤) راجع الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ١٠٠ و ج ١١ ص ٣٦ ، وأبو يوسف

كتاب الخراج ص ٧٢ — ٧٣ ، والمازردى : الأحكام السلطانية ص ١٢٩ ، وسيدة كاشف

مصر فى فجر الاسلام ص ٢٠٣ — ٢١٥ ، ومنز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٨٢

(٥) راجع منز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٨٩ وما أشار اليه من المراجع القديمة

وكانت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة في العصر الاخشيدى طيبة في معظم الأحيان . وكانت المشاغبات بين الفريقين تنشأ حين يقصد الشعب أن يحارب تسيطر أهل الذمة على الشؤون المالية في البلاد وحين ينتصر البيزنطيون على المسلمين في أطراف الشام وحين يحتج المسلمون على السماح للمسيحيين بتعمير الكنائس .

ومن ذلك ما يروى عن هياج العامة وتخريب الكنائس في مصر حين ورد الخبر بأن البيزنطيين دخلوا الشام سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) وقتلوا وخربوا ^(١) . ولما غزا الامبراطور نقفور جزيرة اقريطش في العام التالي وخرب ما فيها من المساجد وسبي من أهلها خلقا كثيرا ووصل خبر ذلك إلى مصر ثار العامة وخربوا احدى الكنائس في مصر القديمة ^(٢) .

ومما روى ابن زولاق قصة لسيدويه المصرى مع موظف كبير من الموظفين في العصر الاخشيدى كان قد قطع عطاءً يتناوله سيدويه من ديوان الاحباس فشتمه سيدويه وعيره بأنه « عمار الكنائس » ^(٣) .

ويبدو أن أولى الأمر كانوا يستكتبون الشعراء المسلمين قصائد ينسبونها إلى المسيحيين ويذكرون فيها ما فعلوه في المدن الاسلامية وأهلها وذلك استنهاضا لهم المسلمين وحشا لهم على الأخذ بالتأثر . ومن ذلك القصيدة المعروفة باسم القصيدة الأرمنية التي تنسب إلى شاعر ارتد عن الإسلام واتصل بالامبراطور نقفور ونظم هذه القصيدة حول منتصف القرن الرابع الهجرى وزعموا أنه أرسلها إلى الخليفة المطيع لله . ومن أبياتها :

ثَغُورُكُمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا — لَوْ هُنَّكُمْ وَضَعْتُمْ إِلَّا رَسُومُ الْمَعَالِمِ
فَتَحْنَا الثَّغُورَ الْأَرْمَنِيةَ كُلَّهَا بَفَتَيَانِ صَدَقِ كَاللُّيُوثِ الضَّرَاغِمِ
وَاقْرِيطِشُ قَدْ جازَتْ إِلَيْهَا مَرَاكِبِي عَلَى ظَهْرِ بَحْرِ مُزْبِدٍ مُتَلَاظِمِ

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١١٦

(٢) المرجع نفسه ص ١١٧

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المعري ص ٥٠ — ٥١

فَحَزَمَهُمْ أُسْرَى وَسِيقَتِ نِسَاؤُهُمْ ذَوَاتُ الشُّعُورِ الْمُسْبِلَاتِ الزَّوَاعِمِ
إِلَى حَلَبٍ حَتَّى اسْتَبَحْنَا حَرِيمَهَا وَهَدَّمْ مِنْهَا سُورَهَا كُلَّ هَادِمِ
أَخَذْنَا النِّسَاءَ ثُمَّ الْبَنَاتِ نَسُوْقُهُمْ وَصَبِيَّاتَهُمْ مِثْلُ الْمَالِكِ خَادِمِ
وَمَصْرُ سَأَفْتَحَهَا بِسَيْفِي عَنُودَ وَأَخُذُ أَمْوَالَهَا بِهَا وَبِهَائِمِ
وَأَجْزَى كَافُورًا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ بِمِشْطٍ وَمَقْرَاضٍ وَقَصٍّ مُحَاجِمِ

وهكذا تسير أبيات هذه القصيدة معددة الأقاليم الإسلامية وما فعله المسيحيون في الانتصار عليها وما يريدون إتمامه للقضاء على الإسلام وأهله ، إلى أن تنتهى بهذه الأبيات :

هَنَالِكَ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ لِكُلِّ نَقِيٍّ الدِّينِ أُغْلِفَ زَاعِمِ
سَأَفْتَحَ أَرْضَ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَأُنْشِرَ دِينًا لِلصَّليبِ بِصَارِمِ
فَعِمِيسَى عَلَا فَوْقَ السَّمُوتِ عَرْشُهُ يَفُوزُ الَّذِي وَالَاهُ يَوْمَ التَّخَاصُمِ
وَصَاحِبُكُمْ بِالتَّرْبِ أَوْدَى بِهِ الثَّرَى فَصَارَ رِفَاتًا بَيْنَ تِلْكَ الرَّمَائِمِ^(١)

ولا شك في أن انتصارات البيزنطيين في شمالي الشام ومثل هذه القصائد وما إليها من الأخبار التي كانت تروى استنهاضا لهم المسلمين ، كل ذلك كان يؤدي في بعض الأحيان إلى توتر العلاقات بين المسلمين والنصارى في مصر والشام وغيرهما من ديار الإسلام .

وكان يحدث أحيانا أن يتدخل الأمير الاخشيدى بين المسيحيين لفض الخصومات التي تقوم بين الشيع والطوائف المختلفة . وقد انقسم المسيحيون على أنفسهم في تنيس انقساما كبيرا بدأ قبيل ولاية الاخشيد واستمر حتى تدخل فيه هذا الأمير . ففي سنة ٣٢٢ مات أسقف تنيس وكان بينه وبين البطريك وحشة وولى الأخير على تنيس أسقفاً من بين أنصاره من أهلها يسمى تاوفيلس ، ولكن أهل تنيس خاصة والأقباط

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤٤ — ٢٤٧

عامة انقسموا حزبين: أحدهم مع البطريك والأسقف تاوفيلس والآخر عليهما ، واجتمع إلى تاوفيلس بنوه واخوته وجماعة من أهل البلد « وقصد استصلاح من كان نافراً وجعل يقصد منازلهم راجلاً وخفض جناحه لهم ولاطفهم فلم يغنه ذلك شيئاً وقام لكل من الحزبين غرض في نصرة هواه حتى كان الأب لا يكلم ابنه ولا المرأة تخاطب بعلمها وانتشت الحرومات بينهم وصارت القرايين تنقل من هيكل إلى هيكل وتكسر على المذابح ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان ، وخرج جماعة من النافرين عنه من أهل تيس من النصارى إلى الاخشيد محمد بن طنج بمصر^(١) . فأرسل الاخشيد معهم قائداً على رأس جماعة من الجند وقبض على البطريك وعلى الأسقف تاوفيلس وختمت الكنيسة ومنع الناس من الصلاة فيها وحمل ما في خزائنها من الأموال والتحف إلى الاخشيد ولم يأمر باعادته اليها إلا بعد وساطة طائفة من وجوه القبط وكتابهم .

وليس في النصوص التاريخية والأدبية التي وصلت إلينا من العصر الاخشيدى ما يشير الى وجود أحياء مخصصة لأهل الذمة في الفسطاط بحيث لا يتعدونها . وإن كان طبعياً أن يؤثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين . وكان في الصحراء الغربية والصحراء الشرقية أديرة لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم .

(هـ) الرقيق

كانت مصر في العصر الاخشيدى من أعظم أسواق الرقيق الأسود وكانت القوافل تجلب اليها العبيد من الجنوب . وكان الرقيق الأبيض يصل الى أسواقها من بزنطة وارمينية وثغور البحر الأبيض المتوسط ومن أسواق الرقيق في سائر ديار الاسلام . وكان تجار اليهود يستأثرون بحلب الغلمان والجواري من أوروبا^(٢) .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٩٤ و ٩٥

(٢) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣١٥

وكان المسلمون يحسنون معاملة عبيدهم وإمائهم في معظم الأحيان ، وذلك عملاً بروح الاسلام وتعاليمه . وكان من البر والعادات المحمودة أن يعتق السيد كثيراً من العبيد الذين يملكهم . ومن ذلك ما يقال عن عتق محمد بن علي الماذرائي مائة ألف مملوك في حياته ^(١) . وفي هذا مبالغة واضحة ، ولكنه يشهد باقبال هذا الوزير على مرضاة الله بمثل هذا العمل النبيل . وكانت لهذا الماذرائي جارية عالية القدر رفيعة المنزلة ، اسمها ست الناس ^(٢) . ولعلها المقصودة في نص جاء في ابن زولاق عن جارية الماذرائي كانت تجلس في شباك من شبائك قصره وحولها جوارها قيام بالمذاب ^(٣) .

ويلوح أن السيد الذي كان يعتق عبداً أو جارية له كان يحرر وثيقة بذلك . وقد وصلت إلينا وثيقة من هذا النوع محفوظة في دار الكتب المصرية ، ولكنها لا ترجع إلى العصر الاخشيدى نفسه بل إلى سنة ٣٩٣ هـ . (١٠٠٣ م) ^(٤) ونرجح أن ذلك كان متبعاً في العصر الاخشيدى أيضاً .

وكان كثير من العبيد المعتقين يحملون السلاح وينخرطون في سلك الجيش ، وكان بعضهم يصل إلى مكانة عالية فيه ، وقد يعده ذلك لتقلد بعض الوظائف الرئيسية في الإدارة ، وفضلاً عن ذلك كان لبعض الغلمان والجواري سلطان كبير على سادتهم . ولكن المعتقين كانوا لا ينجحون تماماً في التخلص من وصمة الرق ، ولا ريب في أن قصائد المتنبي في هجاء كافور تفصح عن احتقار الرأي العام للأرقاء المعتقين ، وحسبنا قوله .

فَلَا تَرْجَ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَاسِ فِي رَأْسِهِ ^(٥)

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٢

(٢) المقرئ : المقفي (النص العربي في رسالة جوتشك) ص ١٢٦

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٤) A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library 1. p. 61

(٥) ديوان المتنبي ص ٤٣٠

وقوله أيضا :

العبدُ ليسَ حرٌّ صالحٌ بأخٍ لو أنَّه في ثيابِ الحرِّ مَولودٌ^(١)

وكانت مصر في العصر الاخشيدي غاصة بالعبيد الأُباق ، شأنها في ذلك شأن سائر ديار الاسلام في القرن الرابع الهجرى . وكان معظم العبيد الأُباق يشتغلون في الأعمال الزراعية .

(٢)

الجيش والبحرية

(١) الجيش

عرفنا أن الجيش والاسطول كانا عدة الاخشيد في دخول مصر والتمكين لنفسه فيها بالقضاء على سلطان المعارضين لإمارته . وكان الجيش فضلا عن ذلك عدته في صد غزوات أعدائه كابن رائق وسيف الدولة والفاطميين .

والمعروف أنه حين قدم الاخشيد إلى مصر كان الجند فيها قد انقسموا طائفتين : أهل الشرق أو المشاركة وعلى رأسهم قائد يدعى حبكويه ، والمغاربة وعلى رأسهم حبشى ابن احمد . وكان بين الطائفتين منازعات كثيرة أدت إلى نشوب القتال بينهما ^(١) . وأكبر الظن أن أساس تلك المنازعات تعدد الاجناس والطوائف التي كان يتألف منها الجيش في ذلك الوقت .

وكذلك كان الجيش على عهد الاخشيد يتألف من ترك وسودانيين ومغاربة ومماليك من اجناس مختلفة . ويقال إن الجيش الاخشيدى بلغ اربعمائة ألف مقاتل في مصر والشام ^(٢) . ولكن علينا أن نقبل هذا الرقم بتحفظ كبير لأن المبالغة فيه واضحة ، وحسبنا أن نفكر في أن مثل هذا العدد لم يكن من السهل تموينه أو تدبير الشككات له فضلا عن أنه لا يتناسب مع عدد سكان البلاد في ذلك الوقت ولا مع القوة اللازمة للدفاع عنها . ويقال ان جيش الاخشيد كان أعظم جيوش عصره فلما استدعاه المتقي واقترب من مدينتي الرقة والرافقة أشرف أهلها على السواحل والأسوار ونظروا من عظم العسكر وحسن عدته ما لم يشاهدوا مثله ^(٣) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٢ و ٢٨٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٤

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٥٢ وابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣
(٣) متر : الحصار الاسلامى ج ١ ص ٥٢ نقلا عن كتاب العيون والحدائق (مخطوط
برلين رقم ٩٤٩١ ص ٢١٣ ب) .

ولما توفي الاخشيدي واستبد كافور بالأمر ولم يبق شيء من الأمر لأونوجور ولا لأخيه من بعده ضم إلى جيشه عدداً كبيراً من السودانيين^(١) . والراجح أنه فعل ذلك ليكونوا عدة له ولا سيما بعد أن انقسم الجند إلى طائفتين: الاخشيديّة والكافورية .

ولسنا نعرف من النصوص التاريخية ما يعيننا على البحث في نظام الجيش الاخشيدي وعدده ورواتب القواد والجند وعنادهم وما إلى ذلك مما يعنى به المؤرخون المحدثون ، بعد أن كان المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى يهملونه إلى حد كبير .

والراجح أن حفظ النظام بين الجند في العصر الاخشيدي كان أمراً شاقاً وذلك لكثرة العناصر التي كان يتألف منها الجيش . ولكن الاخشيدي وفق في هذا الميدان بفضل حزمه وبعد نظره وما تهيأ له من صفات القيادة والزعامة . ولا شك في أن الرواتب والمنح والعطايا التي كانت تغدق على القواد والجند كان لها أثر طيب في كسب رضا الجيش وبت الطاعة والاخلاص بين صفوفه . فضلاً عن أن الحروب المتصلة والأخطار التي تعرضت لها الدولة ، كل ذلك جعل القواد والجند أمام أهداف يجب الوصول إليها وأعداء يجب التغلب عليهم فكان لا بد لهم من نظام يعينهم في هذا السبيل .

وعلى الرغم من مهارة كافور وبعد نظره وخبرته في القيادة والزعامة فإن فريقاً من الجند ساءهم استبداده بالأمر فانقسم الجيش ، كما مر بنا ، إلى جند ينصرون أبناء الاخشيدي وآخرين ينصرون كافوراً . ويبدو أن كافوراً كان يعتمد على المال والعطايا في القبض على زمام الجيش . ويقال ان القواد كانوا يجتمعون في داره فيخلع عليهم ويمنحهم الهبات الكبيرة . ويروى أنه أمر لأحد القواد من أنصار أولاد الاخشيدي بأربعة عشر ألف دينار في يوم واحد فظل هذا القائد عبداً له حتى مات^(٢) .

أما بعد وفاة كافور فقد دبت الفوضى إلى صفوف الجيش وثار كثير من الجند على رؤسائهم وطالبوا بأرزاقهم ، وكان هذا كله من الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٤

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧

الآخشيدي ونجاح الغزو الفاطمي^(١) . وذلك أن تدبير أمور الجند بعد وفاة كافور أصبح لسمول^(٢) الآخشيدي^(٣) ولكنه لم يكن موفقاً في قيادته . ولا سيما بعد أن تعود الجند أن يشتري الأمراء طاعتهم بالمال والعطايا . وهكذا نراهم يطلبون إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات من الأموال ما لم يستطع دفعه ، فلمّا تبين لهم عجزه نهبوا داره ودور نفر من أتباعه وكتب فريق منهم إلى الخليفة الفاطمي يزبنون له فتح مصر^(٤) .

ومن البيانات التي نعرفها عن الجيش في العصر الآخشيدي أن محمد بن طنج كان يستعرض الجيش في أيام الأعياد وفي بعض المناسبات الأخرى ، كما كان يفعل ابن طولون من قبله^(٥) . وكان قواد الجيش يشتركون مع وجوه البلاد في التشاور بشأن تولية الأمراء وإعلان الولاء لهم^(٦) .

وكان محمد بن طنج الآخشيدي وكافور يخرجان على رأس الجيش في المعارك المختلفة في معظم الأحيان . ولكن الآخشيدي أناب عنه على بن محمد بن كلا على رأس الجيش الذي أرسله إلى الشام بعد مقتل محمد بن رائق^(٧) . كما أرسل فاتكا وكافورا على رأس جيوش إلى الشام سنة ٣٣٣ هـ^(٨) ، وكان يرسل اخوته في بعض الأحيان على رأس المعارك الحربية المختلفة .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢٩

(٢) في بعض الروايات سمول بالشين المعجمة . أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠ حاشية

(٣) ينسب في بعض الأحيان إلى كافور فيقال سمول الكافوري ، أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦

(٤) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٠٣ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣ و ٢٤

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٧

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٨) المرجع نفسه ص ٢٩٢

وكان من عادات الجند في المعارك أن يرسلوا الأسرى إلى الحاضرة ومعهم رؤوس الجند القتلى للدلالة على ما أحرزوه من النصر والظفر ولتطمئن النفوس . وذلك أن ورود أى أخبار غير مطمئنة من ميدان القتال كان من شأنه أن يثير الذعر بين الناس حتى لقد يضطر أولو الأمر إلى الطواف في الحاضرة لتهدئة الخواطر ومنع السكان من مغادرة المدينة ^(١) .

وقد وصلت إلينا وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الأرشيدوق رينر في فيينا تتضمن تقريراً مقدماً من قائد فرقة من الجند قامت برحلة استطلاعية على حدود البلاد استغرقت اثني عشر يوماً . وحدث أثناء عودتها إلى الفيوم أن أراد القائد اختصار الطريق فقاد الجند في الصحراء وضل بهم الطريق ثلاثة أيام بلياليها وكاد الجند يموتون من العطش ولكن الله هياً لهم النجاة فوصلوا إلى الفيوم سالمين ^(٢) .

(ب) البحرية

ومما يؤسف له أن النصوص التاريخية التي وصلت إلينا عن البحرية الاخشيدية نادرة جداً ، مع أننا نعلم أن صناعة السفن في مصر وخاصة السفن الحربية كانت من أهم الصناعات في فجر الإسلام ، كما أن المصريين كان لهم الفضل الأكبر في عظمة البحرية الإسلامية ، إذ كانت الخلافة تعتمد عليهم في إنشاء أسطولها الحربي . بل المعروف أن بناء السفن كان في البداية بمصر فقط وظل كذلك إلى زمن معاوية بن أبي سفيان . وكان اسم « الصناعة » في مصر يدل على المسكان الذي تبنى فيه السفن الحربية وكانت صناعة السفن مزدهرة في جزيرة الروضة وفي القلزم (السويس) وفي الاسكندرية ^(٣) . وكذلك اهتم الطولونيون بالبحرية . ولكن السيادة في البحر في ذلك العهد كانت قد عقدت لبني الأغلب الذين هزموا الاسطول البيزنطي واستولوا على صقلية ومالطة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung p. 255 No. 986

(٣) أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٩٠ — ٩٢ و ٩٤ وما ذكر فيه

من المراجع القديمة و Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea-Power in the Eastern Mediterranaen

ونهبوا السواحل الإيطالية بل وصلوا أحياناً إلى روما . وكان هناك أيضاً ركن من الإمبراطورية الإسلامية اقتضى موقعه الجغرافى أن يكون له أسطول كبير . وهو منطقة الثغور بين أملاك الروم والمسلمين . والمعروف أن أسطول الخلافة فى طرسوس هو الذى قام بقيادة دميانة لمساعدة القائد محمد بن سليمان فى حملته على مصر ونجح فى القضاء على الأسطول الطولونى فى تيس حين تعرض لمنعه من التقدم فى مياه النيل ^(١) .

ولما تقلد الاخشيدي إمارة مصر دخل البلاد وأقبل معه أسطول بقيادة صاعد ابن كلم ودخل هذا الأسطول ثغر دمياط وسارت سفنه فى النيل بعد أن هزمت السفن المصرية فى شعبان سنة ٣٢٣ هـ . ووصل الأسطول إلى جزيرة الروضة واستولى على ما فيها من السفن فى رمضان من السنة نفسها ^(٢) .

وقد عرفنا فى الفصول السابقة أن ابن طنج بعد أن دخل مصر ونزل بدار الإمارة فيها ، ثار عليه بعض الثوار واشتبكوا مع جيوشه وأسطوله واستطاع هؤلاء الثوار قتل صاعد قائد أسطول الاخشيدي ، كما أنهم أحرقوا كل ما فى جزيرة الروضة من السفن . ووقف ابن طنج تجاههم بحيشه ولكنه لم يستطع أن يقوم بأى عمل حاسم ^(٣) .

وكان هذا الحادث سبباً فى أن فكر ابن طنج فى نقل « الصناعة » من مكانها إذ قال : « صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء » ^(٤) . ويقال انه بدأ فى نقلها سنة ٣٢٥ من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة احمد ابن طولون وكانت هذه الدار بساحل القسطنطينية . أما موضع الصناعة بالجزيرة فأقام مكانه البستان المختار ^(٥) وأصبح يطلق على دار خديجة اسم « الصناعة الكبرى » ^(٦) .

(١) أنظر Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 174-175 وما ذكر من المراجع القديمة .

(٢) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ و ٢٨٦ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٢

والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٣) السكندى الولاة والقضاة : ص ٢٨٦ و ٢٨٧ ، والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩٧

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩٧ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٨١ و ١٩٧ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٨ ، وعلى مبارك :

الخطط التوفيقية ج ١٨ ص ٨ وعلى بهجت والبير جبريل : كتاب حفریات القسطنطينية ص ٣٢ ،

و Omar Tousson : Mémoires sur l'histoire du Nil t. 2 p. 351

(٦) ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ١٢

ولكن الظاهر أن انشاء هذه « الصناعة الكبرى » لم يقض تماماً على « الصناعة » في جزيرة الروضة . إذ يقول المقرئى : « وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها »^(١) .

ويقال ان تكيين حينما كان يلى مصر فكر في نقل الصناعة من الجزيرة ، واستشار بعض خاصته ، وكان من بينهم محمد بن طنج ففكر إذ ذاك في دار خديجة ولكنه لم يذكر لتكيين هذا الرأى . وتحدث الاخشيدي بعد ذلك عما دار في نفسه حينئذ فقال : « وقلت أدع هذا الرأى لنفسى إذا ملكت مصر ، فبلغت ذلك والحمد لله »^(٢) .

ويشهد ذلك بأن الاخشيدي كان يتطلع إلى حكم مصر ، فلا عجب إذا عمل على تحقيق هذا الهدف بكافة الوسائل .

ومما يؤسف له أننا لا نعرف شيئاً يستحق الذكر عن نشاط البحرية الاخشيدي خارج المياه المصرية وعن رجال الاسطول وروايتهم وعن أنواع السفن التى كانوا يستخدمونها .

والظاهر أن المصريين كانوا يعرفون في العصر الاخشيدي التقليد المتبع في عصرنا الحاضر بشأن الاحتفال بانزال السفن إلى البحر حين يتم بناؤها . فقد كتب يحيى بن سعيد الانطاكى أن كافورا « ركب إلى دار الصناعة ووقف لي طرح مركباً حريباً عظيماً كان بها إلى البحر . وكان على الشط مركب آخر مرسى فاجتمع الناس فيه وجلسوا على حافته وتزاحوا عليه لينظروا نزول المركب الآخر إلى البحر فانقلت ذلك المركب الذى كانوا مجتمعين فيه بهم ومال عليهم فقتلهم بأجمعهم وغرق عدة من المراكب اللاصقة له في البحر مملوءة أناساً وهلك جميع من كان فيها ومات من الناس زهاء خمسمائة رجل »^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٩٧

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٦ و ١١٧

(٣)

الأعياد

كان الشعب في مصر الاخشيدية يحتفل بأعياد المسلمين وأعياد النصارى ، فضلاً عن المناسبات التي تحتفل فيها الأسرات بأعيادها الخاصة .

وكانت الحكومة تشترك في الاحتفال بعيد الفطر، فيقيم الجيش عرضاً كبيراً ويتأهب الناس للاحتفال بالعيد فيقبلون على شراء ما يحتاجون اليه في آخر شهر رمضان ويجلس الأمير في منظره على باب دار الامارة ويمر الجند أمامه في أحسن ملابسهم ثم يتبعهم حرسه الخاص وينصب بعد ذلك السباط لأفراد الشعب فيأكلون ويحملون ما يريدون من الطعام^(١) . ولسمنا نعرف أى نص في وصف هذا السباط ، ولـكنا نقرأ في وصف السباط الذي كان يقام بقصر الخليفة الفاطمي أن طوله نحو ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع^(٢) . وكانت تعمل أسبطة أخرى في عيد النحر .

ومن الأعياد التي كان المصريون يقبلون على الاحتفال بها عيد الغطاس . وقد سمي بهذا الاسم لأن كثيراً من النصارى كان يغطس فيه في النيل . وكان من التقاليد القديمة بمصر الإسلامية أن يركب صاحب شرطة الفسطاط ليلة الغطاس في مركب كبير وتوقد بين يديه الشموع والمشاعل فيطوف الشوارع وينادي في الناس ألا يختلط المسلمون بالنصارى في تلك الليلة واللا يكذبوا عليهم عيدهم . وذلك أن النصارى كانوا في سحر تلك الليلة يخرجون إلى شاطئ النيل ويغطسون فيه . وكانت بعض طوائفهم تخرج من كنيسة ميكايل بقصر الشمع إلى شاطئ النيل في جمع وفير بالقراءة المليحة والصلبان المشهورة وتصلي ويخطب الأسقف فيهم ويدعو للسلطان « وكان لأهل مصر وأهل الملل والمذاهب في هذا العيد من الطيبة والفرح ما لا يكون لهم في غيره من أيام السنة وأعيادها »^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٨٧

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٩٦ — ١٩٧

وقد كتب المسعودى عن الاحتفال بليلة الغطاس بعد أن شاهده بعينه ، قال :
« وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها . وهى ليلة إحدى عشرة
تمضى من طوبة وستة من كانون الثانى . ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر
والاخشيد محمد بن طنج فى داره المعروفة بالختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل
مطيف بها . وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج
أهل مصر من المشاعل والشمع . وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس
المسلمين والنصارى ، منهم فى الزوارق ، ومنهم فى الدور الدانية من النيل ، ومنهم
على الشطوط لا يتناكرون ، ويحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المأكول والمشرب
والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف . وهى أحسن ليلة
تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ، ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون
أن ذلك أمان من المرض ومبرئ من الداء » ^(١) .

وكان القبط يحتفلون بعيد الميلاد فى التاسع والعشرين من شهر كيهك . والمعروف
أن الفاطميين كانوا يشتركون فى الاحتفال بهذا العيد ويفرقون فيه الطعام والحلوى
على كبار الموظفين ^(٢) . وليس لدينا من النصوص ما يؤكد اشتراك الاخشيديين
مع القبط فى الاحتفال بهذه الذكرى . كما كان القبط يحتفلون أيضاً بخميس العهد
— أو خميس العدس كما كان العامة يقولون — وذلك قبل عيد الفصح بثلاثة أيام .
ومن التقاليد التى أدخلتها الدولة الفاطمية — بعد العصر الأخشيدى — ضرب نقود
خاصة توزع فى هذا العيد ^(٣) .

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٤ والمقرئزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٥ و ٩٤ ؛
وج ٢ ص ١٥٤ ، أنظر أيضاً متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ ، وترتون :
أهل الذمة فى الاسلام ص ١١٥ ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٥

(٢) المقرئزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٥ و ٩٤ ؛

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٩٥ ؛ وانظر أيضاً : Silvestre de Sacy : Bibliothèque

وكان المصريون يحتفلون في العصر الاخشيدى بفتح الخليج وتشترك الحكومة في هذا العيد . وقد زادت عنايتها بهذا الاحتفال منذ العصر الفاطمي ^(١) . كما كانوا يحتفلون أيضاً بالنوروز القبطى وهو أول السنة القبطية . ويبدو أن الاحتفال بهذا العيد كان يتميز بإيقاد النيران وصب الماء في الطرق . وقد منع المعز لدين الله الفاطمى هذا العيث عندما بالغ العامة فيه سنة ٣٦٣ وسنة ٣٦٤ هـ ^(٢) .

وكان المصريون يتزاورون للتهنئة في أيام الأعياد . والظاهر من بعض النصوص أن الأثرياء منهم كانوا يقدمون هدية من المال حين يزورون الفقراء من أصدقائهم ^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٧٠ و ٤٩٣ ؛ والقلقشندى ج ٣ ص ٥١٨ — ٥٢١ ج ٨

ص ٣٢٨ — ٣٣٠

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٤٩٣

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٣٣ و ٣٤

(٤)

الأخلاق والعادات

يبدو أن النزعة الدينية في مصر على عهد الاخشيديين وفي القرن الرابع بوجه عام كانت أقوى منها في بلاد الشرق الاسلامى . ولسنا نظن أن كثيراً من عامة المصريين في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أن الدين من شأن الطبقة الارستقراطية وأن الذين يجب عليهم أن يحافظوا على الصلاة هم الأغنياء والأمراء وأصحاب الضياع والأموال . والواقع أن مثل هذه الآراء كانت أكثر انتشاراً في شرق العالم الاسلامى حيث كانت نفوس العامة تثور على ما ينعم به الترك من ترف وما لهم من سلطان في شئون الدولة . وفي ذلك يقول احمد بن محمد الافريقى الشاعر المعروف بالمتيم وهو من شعراء بخارى في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ^(١) :

تلومُ على ترك الصلاة حليقتى فقلت اعزبى عن ناظرى ، انتِ طالقُ
فو الله لا صليتُ لله مُفلساً ! يصلى له الشيخُ الجليلُ وفائقُ
وتاشُ وبِكُتاشُ وكُنُباشُ بَعْدَه ونصرُ بنُ مَلِكٍ والشيوخُ البطارقُ
وصاحبُ جيشِ المشرقينِ الذى له سراديبُ مالٍ حشوها متضايقُ
لماذا أصلى ؟ أين باعى ومنزلى ؟ وأين خيولى والحلى والمناطقُ ! ؟

أما في مصر فكان القوم أكثر خضوعاً لأولى الأمر وانصرفوا إلى شئون دنياهم وآخرتهم . ومع ذلك كان كثير منهم بعيداً عن الدين الصحيح كما سنتبين في الصفحات القادمة .

وكان الاعتقاد بالخرافات والكرامات شائعاً بين مختلف طبقات الشعب . ومن ذلك أنه في سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) « ورد الخبر من دمياط إلى مصر بأن رجلاً أقطع اليد قديماً ممن قد أخذ مع قوم اتهموا بقطع الطريق غاب عن البلد زماناً ثم عاد ويده صحيحة .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ والصفدى : الوافى بالوفيات ج ١ ص ٩٢

وقد ادعى أنها كانت مقطوعة وأنها كانت عند أهله وقال إنه كان في مسجد يتعبد فيه وأن يده عادت صحيحة ، فافتتن الناس به وكثر القول فيه . فوجه الاخشيد من أحضره إلى داره وسأله عن قصته فقال : رأيت في النوم كأن سنف المسجد قد انفتح وزل إلى منه ثلاثة أنفس : النبي وجبريل وعلى عليهم السلام . فسألت النبي صلى الله عليه وسلم رد يدي فردها إلى وانتهت وقد عادت . وورد من دمياط كتاب بأن جماعة من المستورين رأوه مقطوع اليد ، فأوصله الاخشيد اليه وأكبره واستعظم قدرة الله تعالى فيه ثم قيل إن هذا دلس وكذب وزالت الفتنة والله أعلم ^(١) .

وقد روى الفرغانى المتوفى سنة ٣٦٢ هـ قصة عن زاهد ورع اسمه أبو سهل الصدقي توفى سنة ٣٣١ هـ وكان الاخشيد يحله ويتبرك بدعائه قال : « حدثني أبو سهل بن يونس في مسجده سنة ٣٣٠ هـ قال : قدم علينا شيخ كبير راهب كان بميفارقين . فحدثنا أنه كان مترهباً في شبابه في صومعة بميفارقين وأنه أشرف في يوم كثير الضباب فنظر إلى طائر قد سقط بحيث يراه وفي فمه قطعة لحم فتركها ثم طار فأتى بأخرى ثم أخرى إلى أن أتى بعدة قطع ثم أن قطع اللحم اجتمعت حتى صارت شخص رجل . ثم أقبل الطائر عليه ينقره ويقطعه ويأكله وهو يستغيث . قال الراهب : فلمما نظرت إليه صحت به وقلت له : ما قصتك يا إنسان ؟ وما الذى أرى بك ؟ قال : أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب صلوات الله عليه ، قد وكل الله بى هذا الطائر ، يفعل بى ما ترى ، وينقلنى من موضع إلى موضع ، قال الفرغانى : قال أبو سهل : قال لنا الراهب : فلمما نظرت منه مارأيت أنحدرت من الصومعة فأسلمت ^(٢) .

وقد وصلت إلينا وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا وتتضمن طلسماً للدغة العقرب . وهي ترجع إلى العصر الاخشيدى وفيها رسم عقرب حوله علامات ورموز سحرية ^(٣) .

- (١) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٤ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحدائق (برلين) ص ٢٠٩ ب و ١٢١٠ .
(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ١١٥ و ١١٦ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحدائق (برلين) ص ٢٠٨ ا و ٢٠٩ ا .
(٣) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 255 No. 999

وكان الشراب منتشرًا رغم نهى القرآن عنه . ولم يكن وقفًا على الشبان بل كان الشيوخ لا يتورعون عن الإغراق فيه . ويحكى عن ابن طباطبا نقيب الطالبين بمصر (المتوفى سنة ٣٥٢ هـ) أنه كان له شعر في الحمر ، ومن ذلك قوله :

يأبدرُ بادرُ إلى الكأسِ فربَّ خيرٍ أتى على يأسٍ^(١)

ومنه :

أتركُ الشربَ والأنواءَ دائماً والطل منها على الأشجار منشورُ
والغصنُ يهتزُّ كالنشوانِ من طربٍ والوردُ في العودِ مطوىٌّ ومنشورُ
لا والتي تركتني يوم فُرقتِها كأنما الرملُ في عَيْنَيَّ منشورُ^(٢)

ويروى أن لابنه أبي محمد القاسم بن أحمد الرسى شعراً في الحمر ، ومنه :

إذا الكروانُ صاحَ على الرمالِ وحلَّ البدرُ في برجِ الكمالِ
وجعَّدَ وجهَ بركتينا هبوبُ تمر به الجنوبُ مع الشمالِ
وحرَّكتِ الغُصونَ فشابهتِها قدودُ سُقاتِنَا في كل حالِ
فَهَاتِ الكأسَ مُترعةً ودّعني أبادرُ لذتي قبل ارتحالي^(٣)

ويقال ان محمد بن علي الماذرائي كان يشرب الحمر ثم تركها وأقبل على الصلاة والصيام^(٤) .

وكان سباق الخيل كثيراً في مصر منذ القرن الثاني الهجري . وفي سنة ٣٢٤ هـ شرع الاخشيدي في إجراء حلبة السباق تشبهاً بأحمد بن طولون . وانتشر سباق الحمام

(١) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٩

(٣) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠

(٤) المقرئ : المقفى (النص العربي في رسالة جوتشك) ص ١١٧

في عصر الاخشيديين وظل إلى العصر الفاطمي ، و يروى أن الخليفة المعز سابق بحمامه حمام الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس فسبق حمامه حمام الخليفة وعظم ذلك على المعز ^(١) . وكان القمار منتشرأ في مصر على عهد الاخشيديين . وكانت مراقبة دور القمار ومنعها من جملة المهام التي يقوم بها المحتسب . وقد مر بنا أن الاخشيد أمر بفلق المواخير ودور القمار وعرفنا أن هذه الدور كان بها شيوخ يسمون المطمعين ولهم روايب من دور القمار ليحلبوا الناس إليها ويطعمونهم في اللعب ^(٢) . وكذلك عمل أحمد بن علي الاخشيد على تعطيل المواخير ^(٣) .

وليس في النصوص التي نعرفها عن العصر الأخشيدى أي ذكر للبغاء وإن كنا نعرف أن الفاطميين فرضوا الرسوم على بيوت الفواحش ^(٤) ، بعد أن سبقهم إلى ذلك عضد الدولة في فارس ^(٥) . ويبدو أن اللواط كان منتشرا في مصر على عهد الأخشيديين ^(٦) . والواقع أنه شاع في القرن الرابع في كثير من البلاد الإسلامية ^(٧) . ومما يؤسف له أن نظام السجون في العصر الاخشيدى غير واضح في النصوص التاريخية التي وصلت إلينا . والراجح عندنا أن الحكومة كانت تنحمل قسطا من نفقات السجون وثمان أقوات المحبوسين ، فقد كانت الحكومة المركزية في بغداد تعرف هذا النظام في عصر المعتضد بالله (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) وكان يخصص له في الميزانية ألف وخمسةائة دينار ^(٨) . وفي العصر الفاطمي كانت السجون المصرية تضم وكان الاقبال على التزامها عظيما ، لأن متضمنها كان يحصل منها على دخل كبير ،

(١) الغزولى : مطالع البدور ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٥) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٤١ — ١٤٢ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٦) ابن زولاق : أخبار سيدييه ص ٤٠ و ٤٢ و ٥٦

(٧) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٣٤ — ١٤٠

(٨) هلاك الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢١

فقد كان كل من يدخل السجن يدفع ستة دراهم ولو لم يقيم به إلا لحظة^(١). وأكبر الظن أن المسجونين كانوا يستطيعون أن يشتغلوا بصناعة أشياء يبيعونها كما يريدون^(٢). وكان متضمن السجن يمكنه أن يكسب كثيراً من رعاية بعض ذوى المسكنة من المسجونين. ولسنا نظن أن تضمين السجن كان معروفاً في العصر الأخشيدي. فليس في النصوص التاريخية أى إشارة إلى ذلك.

والظاهر أن بعض المذنبين كانوا يجلسون في العصر الأخشيدي في مكان في دار الصناعة على شاطئ النيل يعرف باسم بيت الزيت^(٣).

ويبدو كذلك أن المسجونين كانوا يعطون — أو تحرر لبعضهم على الأقل — شهادة باليوم والساعة التي يطلق سراحهم فيها. ويتبين ذلك من وثيقة من الورق محفوظة في دار الكتب المصرية (رقم السجل ١٧٥)، ونصها^(٤):

« بسم الله الرحمن الرحيم — الساعة التي أطلق فيها أبو السمح عقبة بن خليفة بن محمد الفضالى أيده الله ويتم الله خلاصه بمنه وكرمه على خمسة ساعات بقيت من يوم السبت لأربع عشرة بقية من شعبان الجارى في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة. وكتب عامر بن يزيد بن مجد الله شهادته بخطه ».

وفي ظهرها :

« تذكرة الساعة التي خلى فيها أبو السمح عقبة بن خليفة أيده الله ». ومن المحتمل أن تكون هذه شهادة بتاريخ إطلاقه مؤقتاً للتحقيق معه أو لأى غرض من الأغراض، وذلك لأن عبارة : « ويتم الله خلاصه بمنه وكرمه » قد تحملنا على الظن بأن إطلاق سراحه لم يكن نهائياً. ومهما يكن من الأمر فالظاهر أن هذا المسجون

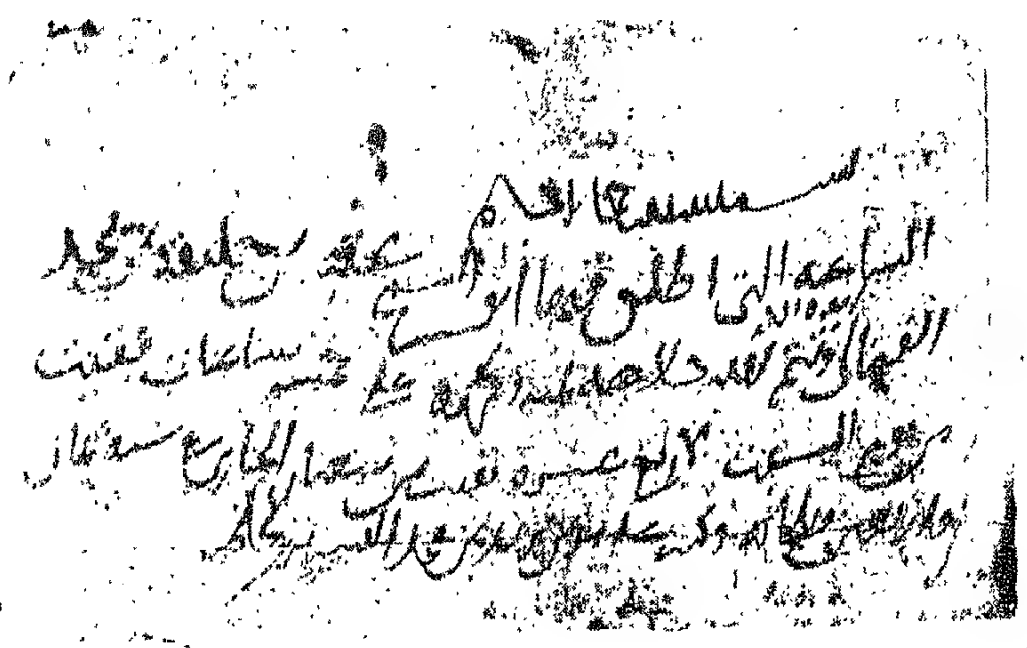
(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٢) وازن ابن الداية : المكافأة ص ٢٥

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه ص ٣٠

(٤) A. Grohmann : Arabie Papyri in the Egyptian Library 11 pp. 197-198

كان من ذوى المسكنة ، كما تشهد بذلك تكنيته بأبى السميع والدعاء له بعبارة « أيده الله » و « يتم الله خلاصه بمنه وكرمه »^(١).



شكل (ب) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية

[عن جرومان]

ومن الطريف أن مصر كانت تعرف في العصر الاخشيدي ما نعرفه ونأسف له في عصرنا الحالى من اعتبار الصعيد الأعلى منفى يرسل إليه المغضوب عليهم . ومن ذلك أن محمد بن تكين نفى إلى اخميم بعد أن هزمه أحمد بن كيغاغ^(٢) .

(١) مما يجدر بنا ملاحظته أن الذين كانوا يتقلدون المناصب الكبيرة لم يكونوا فى مأمن من أن ينكبوا ويلقى بهم فى السجون أو تصادر أملاكهم . وصفوة القول أنهم كانوا تحت رحمة أولى الأمر . ومن طريف ما يروى أن محمد بن على الماذرائى اتخذ رشيقا الخادم حاجبا له فاما مضت عليه سنة فى هذه الوظيفة وشى به بعض الناس إلى الماذرائى واتهموه بأنه كسب من الرشوة عشرة آلاف دينار مخاطبه الماذرائى فى ذلك خلف بلايمان المغلظة على بطلانه . فأقسم الماذرائى قائلا : « لئن خرجت سنتنا هذه ولا تكسب هذه الجملة لا صحبتنى !! » ولم يزل رشيق فى خدمة الماذرائى حتى صودر الأخير وأخذ الأمير منه ومن حاجبه مالا جزيلا . أنظر المقرئى : الخطط

ج ١ ص ٣٣٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١١ و ١٤

ولكن الغريب أن الاسكندرية كانت تعتبر من الأماكن التي ينفي إليها غير المرغوب في بقائهم بالحاضرة ^(١)

وكان الأغنياء من المصريين في العصر الاخشيدى يسرفون في الطعام فكانت مواثدهم عامرة بمالذ وطاب من أنواعه . بل انهم كانوا يحرضون على تقديمها في الأواني الجليلة من الخزف المصنوع في مصر أو المستورد من الخارج . وقد روى ابن زولاق أنه عندما كان محمد بن طنج الاخشيدى يلى الحوفين من قبل محمد بن تكين كانت أمه معه في مصر فسلها خمسمائة دينار لتحفظها له ولم يكن يملك غيرها . وحدث ذات يوم أن كان الاخشيد « يأكل وعنده جماعة وعلى المائدة غضار ^(٢) وطيافير ^(٣) قد تقشرت ، فاغتمت وأخرجت من الخمسمائة دينار مائتي دينار واشترت مائدة حسنة وغضارا صينيا وطيافير جوداء » ^(٤) . والواقع ان هذا النص يصور لنا شيئا من مستوى المعيشة في ذلك العصر ، أساسه ان والده الاخشيد انفقت نحو مائة جنيه في شراء مائدة جديدة مع ما يلزمها من الأواني الخزفية .

ومن ألوان الأطعمة التي كان عليه القوم يقبلون عليها في العصر الاخشيدى الحمضية . وكانت تصنع من عصير البرتقال وماء الورد والمسك والأفوية في الحصرم ^(٥) . وكان الولع بالسكر والحلوى ظاهرا في هذا العصر ^(٦) . ومن لطيف الشعر الذي يشير الى الطعام والولائم في هذا العصر قصيدة للشاعر عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥

(٢) الفصار الصحفة أو الصحن الكبير من الفخار أو الخزف . أنظر Dozy : Supplément

aux Dictionnaires Arabes 11. p. 216

(٣) الطيافير جمع طيفور وهو الصحن المتعمر العميق ، أنظر المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٩

(٥) المرجع نفسه ص ٣١

(٦) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٢

الذى اتصل بالمتنبي وروى عنه . وقد كتبها الى بعض إخوانه يستدعيه لمأدبة طعام وشراب وتحدث في أبياتها عن الشواء والحلوى والحمر الذى أعدها لهذه المأدبة ^(١)

وكان في أسواق الفسطاط كثير من أصناف الأطعمة التى تعد للبيع بعد طهيها ولا سيما الشواء ^(٢) والحمص المسلوق ^(٣) ، وكان بها طبّاخون يبيعون الطبخ ^(٤)

وعرف الأغنياء في مصر الاخشيدية الماء المثلج . وكان الثلج يحمل من الشام الى قصر كافور الاخشيدى بمصر ليستعمل في تبريد الماء والمشروبات . ولكن الظاهر أنه لم يكن يصل الى مصر كل يوم بانتظام ^(٥) .

وكان القوم يقبلون في مجالسهم الخاصة وما دبرهم على سماع المغنين والمغنيات ، ولكن يبدو أن أهل الورع والتقوى من الفقهاء والعمماء كانوا يتخرجون من سماع الغناء . ومما يروى في هذا الصدد أن الاخشيد سيخط مرة على مقبل المغنى فحبسه ، فطلب من الفقيه أبى بكر الحداد أن يشفع فيه عند الأمير ففعل . وقبل الاخشيد شفاعته ووعد بأن يطلق سراح المغنى ويبحث به الى ابن الحداد . فلما انصرف ابن الحداد دعا الاخشيد مقبلاً فقال له : « وتربة طنج لئن خالفتنى لأردنك الى الحبس ! قد شفع فيك ابن الحداد الفقيه فخذ العود فامض وغن له . » فركب مقبل الى ابن الحداد بالعود فدخل اليه فشكره وقال له : « قد أمرت بأمر لا أدرى والله كيف أفعله » فظن ابن الحداد وقال : « والله ما سمعته قط إلا في دور الناس من السطح » . وقام مقبل وجاء الى دار الاخشيد وحلف أنه حمل العود ولكنه وجد عند ابن الحداد جمعا من العمماء والفقهاء وقص على الأمير جواب ابن الحداد ^(١) .

(١) انظر الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٣

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣١

(٤) ابن ظافر الازدى : أخبار الدول المنقطعة (فى وستنفلد) ج ٤ ص ٥٩

(٥) الغزولى : مطالع البدور ج ٢ ص ٧١ ، أنظر أيضاً متز : الحضارة الاسلامية

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد نفسه كان يطرب لسماع المغنين والمغنيات . وقد وصل إلينا حديث مأدبة أقامها محمد بن علي الماذرائي جمع فيها المغنين من الرجال والنساء ^(١) . وكان من عادات القوم في الحفلات والمناسبات السعيدة أن ينثروا النقود على الحاضرين . وكان هذا تقليدا في المآدب التي يقيمها الأمير أو التي تقام له ^(٢) ، ولـكنه تقليد عرفته مصر في العصر الطولوني أيضا ^(٣) .

ويبدو أن بعض الأغنياء من المصريين في العصر الاخشيدي لم يكونوا يتأنقون في ملابسهم فحسب ، بل كانوا يفخرون بالحصول على النادر والتمين منها . وكانت الفراء الغالية معروفة في هذا العصر ^(٤) . ومما يؤسف له أننا لم نستطع أن نعرف كل أنواع الملابس المنتشرة بين المصريين حينذاك ، كما لم نستطع أن نعرف هل كانت لبعض الطوائف — كالجنود والشرطة مثلا — أزياء خاصة تميزهم عن غيرهم . وعلى كل حال فإن أهم ما نعرفه من الملابس في ذلك العصر الدراعة والطيلسان والسراويل والخفقتان ^(٥) .

وكان إقبال وجوه القوم على الروائح العطرية عظيما . وقد روى ابن زولاق أن الحسين بن أبي زرعة قاضى مصر كان يبالغ في التطيب ، ويذكر أن طنج بن جف والد الاخشيد كانت له في دمشق « قبة مشبكة يتطيب فيها ، فاذا تطيب لم يخف على أكثر أهل دمشق بخوره » ^(٦) . وكان الاخشيد يحب العنبر ويجمع منه مقادير كبيرة ^(٧) . وأكبر الظن أن كثيراً من الروائح العطرية كان يستورد من إيران ^(٨) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣١

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٣٤

(٥) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٨٦ — ١٩١ وراجع Dozy : Dictionnaire

des vêtements chez les Arabes

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٧) المرجع نفسه ص ٣٥ — ٣٦

(٨) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٥

وكانت الحمامات العامة معروفة في مصر على عهد الاخشيديين ، ولكن يبدو أن المتزمطين من المسلمين كانوا ينظرون اليها نظرة ارياب^(١) ، ولا عجب فانه يروى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : « بُئس البيت الحمام ! تكشف فيه العورات ، وترتفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله »^(٢) . وكان الغنى يستطيع أن يستأجر الحمام كله فيخلى له ولا يسمح بدخول غيره إلى أن يغادره^(٣) . ويبدو أن مرقعة الثياب من الحمام كانت أمراً شائعاً في ذلك العصر حتى قيل : « دعوتان مغفول عنهما عند دخول الحمام : سلمك الله من الزلق ، وحرس ثيابك من السرقة ! »^(٤) .

والراجح أن عقود الزواج وبعض الوثائق الأخرى في المعاملات بين الناس كانت تحرر من أكثر من نسخة واحدة ، كما يتبين من بعض وثائق وصلت إلينا . ومنها ورقة محفوظة في دار الكتب المصرية وترجع إلى سنة ٢٩٧ هـ أي إلى قبيل العصر الاخشيدى^(٥) .

وقد وصل إلينا عدد من الوثائق يتضمن عقود زواج ، ولسكنها ترجع إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الهجرى ، وليس من بينها ما يرجع إلى العصر الاخشيدى . ولكننا — إذا تذكرنا أن التطور بطيء في مثل هذه الطقوس والتقاليد — عرفنا أننا نستطيع أن نستنبط من هذه الوثائق بيانات كثيرة عن الشؤون المتصلة بعقود الزواج من خطوبة وشهود ومهر معجل ومؤخر ووصايا بحسن الصحبة والمعاشرة والأمر بامساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، واشتراط من جانب الزوجة أن يكون لها حق طلاق أى امرأة يتزوجها الزوج بعدها وبيع أى جارية يتخذها بعد زواجهما^(٦) .

(١) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٥ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

(٢) الفوزولى : مطالع البدور ج ٢ ص ١٧

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٤٠

(٤) المرجع نفسه ص ٤٠

(٥) A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library, 1, p. 119

(٦) أنظر المرجع نفسه ج ١ ص ٦٥ — ١٢١

كما وصلت إلينا وثيقة محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا تتضمن بيان بعض حوائج تتجمل بها إحدى العرائس في القرن الرابع الهجرى . ومن هذه الحوائج الحنا وماء الورد والحروب والدارصينى فضلا عن نعل من نعال السند المشهورة ^(١) .

وكان الصيد من الرياضات المحببة إلى وجوه القوم في مصر على عهد الاخشيديين ولا سيما في اقليم الحوف ^(٢) . ولكن الاقبال على هذه الرياضة في الشام كان أعظم منه في مصر ^(٣) .

« وكان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابه يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعى والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين ومايجرى هذا المجرى . . . وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة ، فيها سلال الحيات ولها قيم فراش حاو من الحواة ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها . وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها وفي السكبار وفي الغريبة المنظر . وكان الوزير يشيهم في ذلك أوفى الثواب ويبدل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها . وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلال وي طرحونه في ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه . فلما كان ذات يوم أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب — وكان من أعيان كتاب آبائه ودولته ، وكان عزيزا عنده وكان يسكن في جوار دار ابن الفرات — يقول له فيها : نُشعر الشيخ الجليل — أدام الله سلامته ! — أنه لما كان البارحة وعرض علينا الحواة الحشرات الجارى بها العادات

(١) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung p. 256. No 1014

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٣) أنظر ديوان المتنبي ص ١٨٤ و ١٨٥ و ٢٠٣ ، والغزولى : مطالع البدور ج ٢ ص ٢١٧

ووازن متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢١٩ و L. Mercier : La Chasse et les Sports chez les Arabes , Zaky M. Hassan : Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages.

انساب إلى داره منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة؛ وما حصلوا لنا إلا بعد عناء ومشقة، وبجملته بذلتها للحواة. ونحن نأمر الشيخ — وفقه الله تعالى! — بالتوقيع إلى حاشيته وصيته بصون ما وجد منها إلى أن تنفذ الحواة لأخذها وردها إلى سلاها. فلما وقف ابن المدير على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: أتاني أمر سيدنا الوزير — أدام الله نعمته وحرس مدته! — بما أشار إليه في أمر الحشرات. والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يازمني ثلاثا إن بت أنا أو أحد من أولادي في الدار، والسلام»^(١).

وكان لبعض الأطباء في ذلك العصر سكرتيرون أو مديرو أعمال كانوا يتسلمون أجور العلاج، كما يتبين من وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا تتضمن أمرا من طبيب إلى سكرتيره بأن يكتب لشخص اسمه حسين بن شعيب وصل بالنقود التي دفعها للطبيب نظير تشريطه^(٢).

وكان استئجار البيوت للإقامة بها معروفا في مصر الاخشيدية. وطبيعى أن الملاحظة في دفع أجورها لم تكن أمرا نادرا^(٣). ولكن ما وصل إلينا من النصوص لا يشهد بأن الفنادق والربط والحوانق كانت معروفة بمصر في ذلك العصر، وإن كانت مألوفة في إيران^(٤).

وكان للأثار المصرية القديمة شأن عظيم في العصر الاخشيدى، فكان القوم يعجبون بها وينسبون لها القوى السحرية ويذهبون في تفسيرها مذاهب شتى. ومن أخبارهم في هذا الشأن صور عديدة دونها المسعودى الذى زار مصر حينذاك. فقد حدثنا عن احدى ملكات مصر القديمة قال انها ملكت ثلاثين سنة «وانخذت بمصر البرابى

(١) ياقوت: معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٠ — ١٧١ والمقرئى: الخطط ج ٢ ص ٣١٩

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung p. 256 No. 1032

(٣) ابن زولاق: أخبار سيدييه المصرى ص ٢٣ و ٢٨ و ٢٩

(٤) وازن متر: الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٤٤ — ٣٤٥

والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي ^(١) صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا ، وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام ، وجعلت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان . وجعلت ذلك في أوقات حركات فلكية واتصالها بالموثرات العلوية . فكانوا إذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصورة التي في البرابي من الابل وغيرها ^(٢) فيتعور ما في ذلك الجيش وينقطع عن مصر أذى جنده . وإذا كان الجيش من جهة الشام أتلفوا الصور التي تمثل أهل هذا القطر فينكب هذا الجيش وتتجو مصر من أذاه ^(٣) .

والواقع أن المصريين في العصر الاخشيدى وفي العصور الوسطى عامة كانوا يرون في الآثار المصرية القديمة كنوزا يسعد بعضهم عند العثور عليها ويمجد آخرون في الكشف عنها حتى كانوا يسمونها « المطالب » . وكان أهم ما ينشدونه التحف المصنوعة من المعادن النفيسة . وفي ذلك يقول المسعودي « ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض وتدعى « المطالب » ^(٤) .

وتحدث المسعودي عن اشتراك الاخشيد في البحث عن بعض هذه الكنوز الأثرية فقال : « وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلبة الكنوز و ذخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الأقاليم السالفة ^(٥) ، فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام المقدم ذكرها بأن فيها مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيد محمد بن طنج بذلك ، فأذن لهم

(١) جمع برابي وهي كلمة من القبطية ومعناها المعبد . انظر Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes 1. p. 63.

(٢) راجع عن الصور وأثرها السحري عند الساميين تعليقات الدكتور زكي محمد حسن على كتاب التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا ص ١٣٦ — ١٣٨

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٩ — ٤٠٠ والمقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٩

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٤ والمقرئزي : الخطط ج ١ ص ٤٠

(٥) أي الكتابات والحروف القديمة .

في حفره وأباح لهم أعمال الحيلة في استخراجِه . فحفروا حفرا عظيما الى أن انتهوا إلى أزج وأقباء^(١) وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من نوع الخشب قد طلى بالأظلمة المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال ، أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهاها ذهب وفضة . فكسر بعض تلك التماثيل فوجد في أجوافها رما بالية وأجساما فانية . وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية كالبرابي وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الإناء . والطلاء دواء مسحوق وأخلط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع التي للطيب . وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم . وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر والمرمر أو من الرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل . والصور عليها أنواع من الكتابات لم يفهم على استخراجها أحد من أهل الملل . وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك القلم من حين فقد من الأرض أعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة^(٢) .

وأكبر الظن أن هذه الاستكشافات التي أشار إليها المسعودي كانت في مقبرة من مقابر الدولة القديمة وأن التماثيل التي ذكرها يشبه بعضها ما نعرفه من تماثيل هذا العصر في تاريخ مصر القديم كتمثال شيخ البلد والكتاب الجالس القرفصاء والأميرة نفرت والأمير رع حوتب^(٣) ، كما أن بعضها الآخر نواويس على هيئة تماثيل .

(١) الأزج البيت يبنى طولا والقبو البناء المعتقد بعضه إلى بعض على هيئة القبة .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٧ — ٤١٩

(٣) انظر Denison Ross : The Art of Egypt through the Ages pp. 97—115

وكان اكتراء الحمير في العصر الاخشيدى وسيلة عادية للانتقال بين سكان المدن ولا سيما الفسطاط . أما في الريف فكان معظم أهل الطبقة الوسطى يمتلكون حميراً لهذا الغرض . وكان في الفسطاط موضع لاكثرء الحمير في مكان يعرف باسم دار الحرم^(١) . وكان لكثير من أهل الطبقة الوسطى في المدن حمير ينتقلون بها ويعيرونها أصدقاءهم في بعض الأحيان^(٢) .

والراجح أن الاستئجار لم يكن للمساكن أو الحمير فحسب بل كان الناس يستأجرون الأثاث أيضاً^(٣) .

ومن العادات الطريفة التي عرفت في مصر في العصر الاخشيدى جمع المال من الناس تبرعاً للشئون الدينية والأهداف الوطنية بوساطة صندوق يوضع في الجامع ليطرح الناس فيه ما يتبرعون به . ولكن الاقبال على مثل هذا التبرع كان نادراً ، وأكبر الظن أن ذلك يرجع إلى اعتقاد الشعب بأن الأمير والحكومة يستطيعان النهوض من مال الدولة بالمشروعات التي يراى أن يجمع لها المال من الشعب . وقد حدث أن وردت كتب أهل الثغور إلى الاخشيد تستحثه على فداء الأسرى المسلمين عند الروم فأمر الاخشيد بصندوق فجعل في الجامع العتيق ليطرح الناس فيه ولكنهم لم يطارحوا شيئاً يستحق الذكر ، فأنفذ الاخشيد السفن والمال لفدية الأسرى من جيبه الخاص أو من مال الدولة بمعنى آخر^(٤) .

والراجح أن الصياع على الجنائز كان مألوفاً بمصر في العصر الاخشيدى ، وإن كنا لا نعرف نصوصاً تاريخية صريحة في هذا الشأن . ولكن القرائن تشهد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣٢

(٢) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٥٠

(٣) متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٢٨ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

بوجوده . فالمعروف أن ولاية مصر قبيل الدولة الطولونية عملوا على منع النداء على الجنائز^(١) ، وعلى سجن النائمات ومنع النساء من زيارة المقابر^(٢) ، وأمر بعضهم بمنع النساء من الصباح على الموتى وبألا يشق على ميت ثوب ولا يسود وجهه ولا يتلق شعر^(٣) . كما نعرف أيضا أن والى مصر عيسى النوشري أمر في سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٧ م) بمنع النواح والنداء على الجنائز^(٤) . ولكن الظاهر أن هذا المنع المتكرر لم يكن ليستطيع القضاء على تلك العادات التي عرفها الشعب المصرى منذ العصور القديمة ، كما يتبين من الرسوم التي نقشت على الآثار الفرعونية ولا سيما في الدولة الحديثة^(٥) . فلا عجب إذا رأينا أن الحاكم بأمر الله « حظر على النساء كشف وجوههن وراء الجنائز ومنع من البكاء والعويل وخروج النوائح بالطبل والزمر على الميت »^(٦) .

وكان وجوه القوم وعلماءهم يدفنون في دورهم ثم ينقلون بعد فترة من الزمن إلى المقبرة . ومن الأمثلة التي نعرفها في هذا الصدد محمد بن على الماذرائى حين توفي سنة ٣٤٥ هـ^(٧) .

وقد خطا المسلمون خطوات واسعة في تنظيم نقل البريد في القرن الرابع الهجرى بواسطة الحمام . ويبدو أن القرامطة كانوا أول من استعملوه في العراق على صورة واسعة النطاق^(٨) . ومهما يكن من الأمر فإن استعماله انتقل إلى مصر والشام أيضا . ومما يروى ابن زولاق أن الاخشيذ خرج يوما للصيد على مقربة من دمشق فرأى

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٠٣

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٠

(٣) المرجع نفسه ص ٢١١ وانظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٦٦

(٥) E. Drioton et Vandier : L'Egypte p. 105

(٦) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٨٦

(٧) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وانظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢

ص ١٩٤ — ١٩٥

(٨) انظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

حماما فأرسل عليه طائر الصيد الجارح فأمسكه فاذا مع الحمام كتاب من غلام للراشدي الذي كان واليا على الرملة ثم على دمشق . وكان هذا الكتاب إلى أحد الدمشقيين ينبئه فيه أن ما عليه ثمانون ألف دينار فانصرف الاخشيد إلى داره وأحضر الرجل وطالبه بالمال وأخذ منه ^(١) .

وقد خلف لنا الجغرافيون المسلمون في القرن الرابع الهجري وصفا لمصر بصورة لنا ما كانت عليه في العصر الاخشيدي ، فان بعضهم زارها قبيل قيام هذا العصر ، كما زارها آخرون قبل سقوط الدولة الاخشيدية أو بعده بقليل .

ولسنا نريد أن نعود الى ما كتبه المسعودي ، فقد مرت بنا مقتطفات كثيرة مما دونه عن هذه البلاد . أما الاصطخري — وقد عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري — فقد أفرد فصلا طويلا عن ديار مصر في كتابه المسالك والممالك . ثم لقي جغرافيا آخر من معاصريه : هو ابن حوقل ، وطلب اليه أن يراجع كتابه المسالك والممالك ففعل ولكنه ما لبث أن أخرج كتابا بنفس الاسم اعتمده في ما كتبه الاصطخري في كتابه .

وقد طاف ابن حوقل في العالم الاسلامي من شرقه الى غربه وكتب عن مصر حين زارها بعد سقوط الدولة الاخشيدية بتسع سنوات ^(٢) . وطبيعي اننا نستطيع أن نستنبط من وصفه ما كانت عليه مصر من العماره في العصر الاخشيدي . ومما كتبه ابن حوقل عن مدينة الفسطاط أنها « مدينة حسنة ينقسم النيل عندها قسمين فيعدي من أحدها الى الآخر فعدوة أولى فيها أبنية حسنة ومساكن جليلة تعرف بالجزيرة يعبر اليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويعبر من هذه الجزيرة على جسر فيه آخر الى القسم الثاني الى أبنية جليلة ومساكن على الشط الثالث تعرف بالجزيرة . والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العماره والخصب والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام ومتاجر نخام . . . وبساتين

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٠

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٧ — ١٠٨

فضرة والدار يكون بها طبقات ست وسبع وخمس طبقات وربما سكن في الدار المائتان من الناس»^(١).

كما تحدث ابن حوقل عن مدينة الاسكندرية وكثرة عمائرها وما فيها من الرخام والمرمر والأعمدة وعن قنارها المشهور^(٢). وتحدث عن تيس ودمياط وما كانتا تنتجان من المنسوجات الثمينة « التي ليس في جميع الأرض ما يداينها في الحسن والقيمة وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتي دينار اذا كان فيه ذهب . وما لا ذهب فيه يبلغ المائة دينار»^(٣). وتحدث كذلك عن شطا وديبق ودميرة وتونة وغيرها من مراكز صناعة النسيج في مصر، وعن الاشمونين واسوان والبلينا والفيوم وغيرها من مراكز العمران في البلاد .

وقد وصل إلينا بعض وثائق من العصر الاخشيدى تكشف عن بعض نواحي المعاملات في المجتمع . ومن هذه الوثائق عقد بيع جزء من منزل محفوظ في دار الكتب المصرية ومكتوب على ورق أبيض ومؤرخ من سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) (انظر شكل ج). وهذا نص هذا العقد كما قرأه واكمل بعض كلماته الناقصة الأستاذ جرومان :

« هذا ما اشترى يحنس بن شنودة بن بطاقس من موسى بن سكريس وسمويل بن شنوده بن قفري من سكان ططون^(٤) من كورة الفيوم اشترى منهما حصتهما من المنزل المشاع بينهما وبين سرماده بن يحنس بن قزمان وهو اثنا عشر سهما من أربعة وعشرين سهما بحده وحدوده وسفله وعلوه وداخل فيه وخارج منه حده القبلى منزل قفري القمبشاوى وحده البحرى طريق المارة وحده الشرقى منزل حرميده بن سسنه وحده الغربى عرصة لورثة بنى ابشاية . اشترى ذلك منهما بهذه الثلاثة الدنانير وثلاث عينا ذهبا وازن بالجديد . قد قبض موسى بن سكريس وسمويل بن شنوده الثلاثة الدنانير وثلاث

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٦

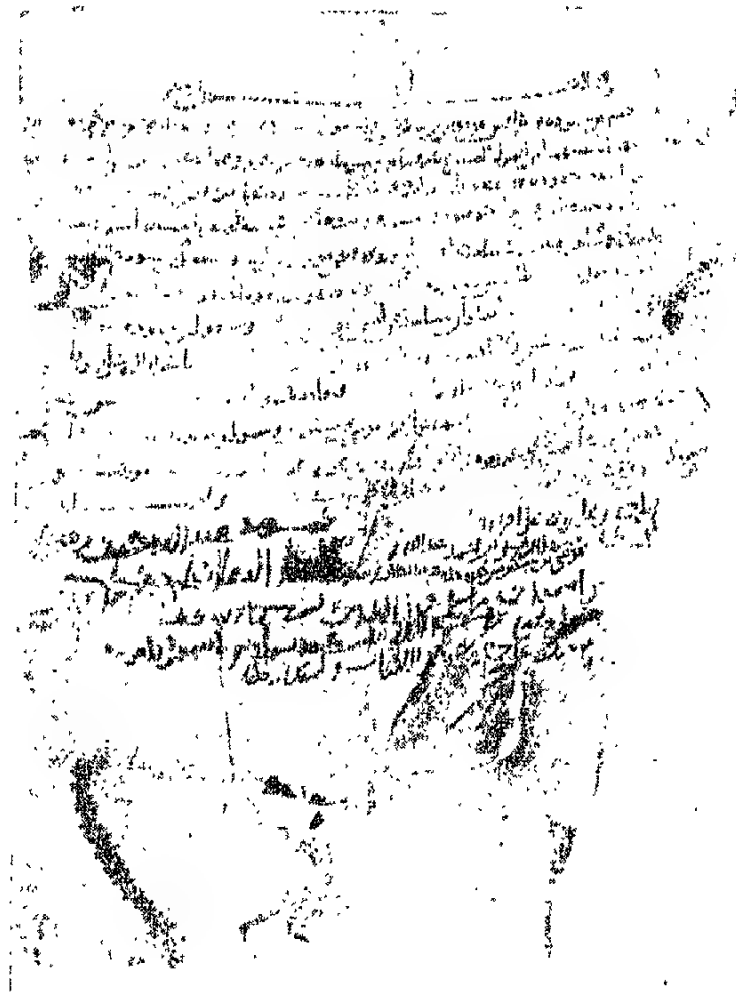
(٢) المرجع نفسه ص ٩٩

(٣) المرجع نفسه ص ١٠١ — ١٠٢

(٤) هى مدينة تطون الحالية من أعمال مركز اطسا . انظر أيضا أبو عثمان النابلسى

الصفدى : تاريخ الفيوم وبلادها ص ٨٦

وثالث وسلم ذلك الى يحنس بن شنوده بطاقس وقبضه وحازه ومملكه وصار ذلك مال من ماله وملك من مملكه إن شاع باع وإن شا بنا وإن شا سكن ، ليس لموسى بن سكريس وصمويل بن شنوده في هذا المنزل بعد هذا الكتاب دعوى ولا طلبه بوجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب ، باعوا ذلك على شرط بيع الاسلام وعهدته فما كان من علقه



شكل (ج) وثيقة بردية من سنة ٣٤١ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]

أو تباعة أو طارى بدين فانقاذ ذلك وخلاصه على موسى بن سكريس وصمويل بن شنوده بالغ ما بالغ من خالص ما لهما . شهد على اقرار موسى بن سكريس وصمويل بن شنوده بجميع ما في هذا الكتاب بعد أن قرئ عليهما وعرفوه وأقروا بفهمه في صحة عقلمهما وبدنهما وجواز أمورها طايعين غير مكرهين ولا مجبرين طالين راغبين . وذلك في جمادى الآخرة من سنة احدى واربعين وثلاثمائة .

شهد محمد بن احمد بن علي بن رجة على اقرارهما بما فيه وكتب بخطه .

شهد عبد الرحمن بن هدى البقار على جميع ما فيه .

شهد ابراهيم بن احمد على اقرار موسى بن سكريس بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه .

شهد خيار بن اسماعيل بجميع ما في هذا الكتاب وكتب شهادته بخطه .

(شهد) جبريل بجميع ما في هذا الكتاب وكتب عنه خيار بن اسماعيل بأمره ومحضره .

(شهد) بن يوسف على جميع ما في هذا الكتاب وكتب شهادته بخطه « (١) .

وفي دار الكتب المصرية وثيقة أخرى من سنة ٣٤١ هـ أيضا (٢) . وتتضمن عقد بيع بين يحنس بن شنودة بطاقس وعبد العزيز بن مقبل ، ولا تختلف عباراته كثيرا عن عبارات العقد الذي نقلناه هنا . ويبدو أن السمسرة كانت أمرا مقرا ومعترفا به وإن كنا لا نجد الإشارة إليها صراحة في الوثائق التي نعرفها من العصر الاخشيدي . ولكننا نجد في العصر الفاطمي في عقد بيع منزل من سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) محفوظ في دار الكتب المصرية وفيه نص على أن على المشتري السمسرة المقررة (٣) . والظاهر أنها أبطلت في عصر الناصر محمد بن قلاوون (٤) .

وقد وصلت إلينا وثيقة أخرى على ورق وهي محفوظة الآن بمجموعة الأرشيديوق رينر في فيينا وتتضمن وصلا باستلام إيجار طاحونة قدره دينار ، تسلمه يوحنا بن فكتور من أبي بكر في مدينة أشمون سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) (٥) .

(١) راجع تعليقات الأستاذ جرومان في A. Grohmann: Arabie Papyri in the Egyptian

Library. I. pp. 174-179 .

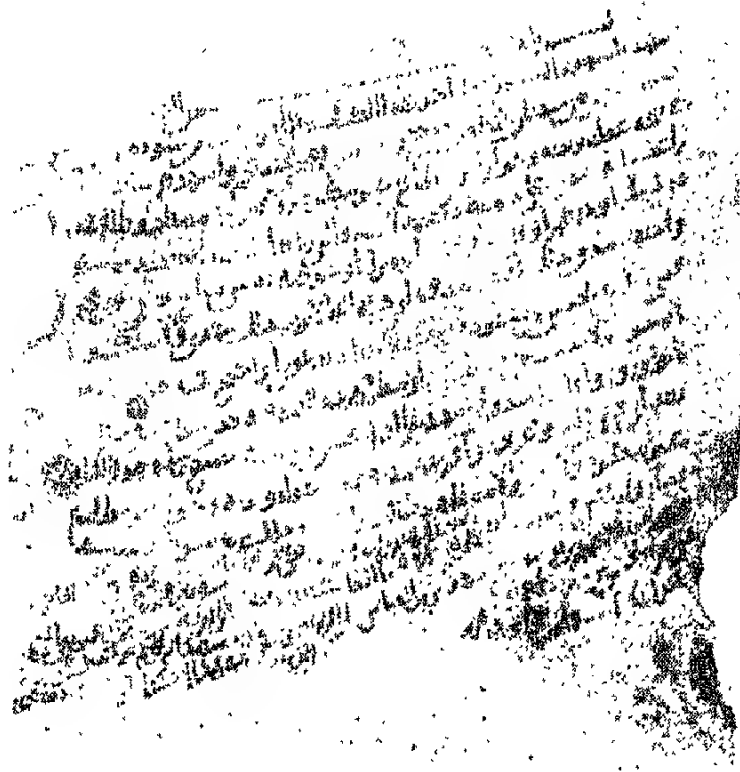
(٢) المرجع نفسه ج ١ ص ١٨٠ — ١٨٥

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٥٨

(٤) المقرئ : الخط ج ١ ص ٨٩

(٥) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung: p. 256 No. 1040

وفي دار السكتب المصرية وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ وتتضمن تسجيل هبة من يحنس بن شنودة بن بطرس بطاقس لصبية رباها . وهبها ثلث ما يملك « من دينار



شكل (د) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار السكتب المصرية

[عن جرومان]

أو درهم أو ثوب أو نحاس أو منزل أو عرصة أو شيء مما يساوى درهم واحد صدق ذلك عليها صدقة لوجه الله لا يريد بذلك جدى ولا شكورا»^(١) (أنظر شكل د).

(١) A. Grohmann : op. cit. 11, p. 157-160

ولكننا لا نتفق مع الأستاذ جرومان في فهم السطور الخامس والسادس والسابع من هذه الوثيقة ؛ لأننا نذهب إلى أن يحنس تصدق على هذه الصبية بثلث ما يملك ، ولا نوافق على ما ظنه من أنه تصدق بهذه الجارية على صبية ثانية وإن تلك الجارية تساوى ثلث ما يملك .

(٥)

الزراعة

كانت الزراعة المصدر الأساسي لثروة مصر في العصر الاخشيدى ، كما كانت في العصور القديمة وفي سائر العصور الإسلامية وكما لا تزال حتى الآن . وكان الفلاحون يزرعون القمح ^(١) ويعنون بزراعة السكتان ويصدرونه كما يصدرون المنسوجات المصنوعة منه إلى الخارج . وقد أُشير إلى زراعته في كثير من الوثائق البردية ^(٢) ، كما ذكرته المراجع التاريخية الإسلامية ^(٣) . وعلى الرغم من أن القطن كان يزرع في مصر في العصور القديمة وفي العصور الوسطى ^(٤) فانما لا نجد له ذكرا في النصوص التاريخية التي نعرفها من العصر الاخشيدى . وكان الفول يزرع بكثرة وقد جاء ذكره في الوثائق البردية وفي المراجع التاريخية ^(٥) ، وكذلك القثاء ^(٦) . أما قصب السكر فان الوثائق البردية تشهد بزراعته في مصر منذ القرن الثالث الهجرى ^(٧) ، ولكن الظاهر أن زراعته لم تنتشر بمصر تماما إلا منذ العصر الفاطمى ^(٨) . ومن حاصلات مصر

(١) A. Grohmann : op. cit. II, p. 48-49

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٦

(٣) ابن ممتاى : كتاب قوانين الدواوين (انظر الفهرس ص ٤٤٧ — ٤٤٨) والسيوطى :

حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥١

(٤) ابن ممتاى : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الإسلامية

ج ٢ ص ٢٩٦

(٥) جرومان : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢ ، وابن ممتاى : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧)

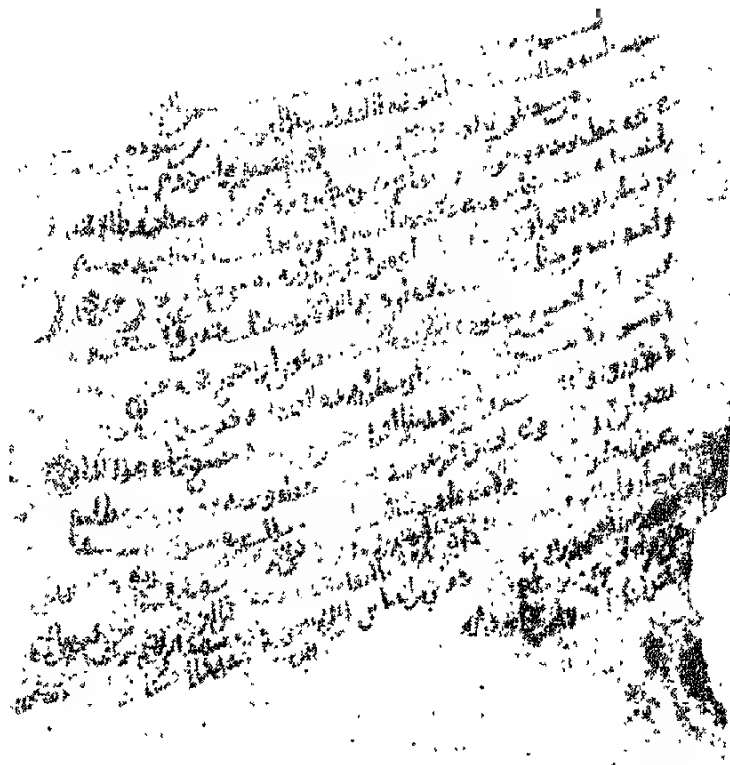
(٦) ابن ممتاى : المرجع نفسه (الفهرس ص ٤٤٧) ، وجرومان : المرجع نفسه ج ٢ ص ١٧٢

(٧) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 183 No. 705

وانظر السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٦

(٨) ابن ممتاى : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الإسلامية

وفي دار الكتب المصرية وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ وتتضمن تسجيل هبة من يحنس بن شنودة بن بطرس بطاقس لصبية رباها . وهبها ثلث ما يملك « من دينار



شكل (د) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية

[عن جرومان]

أو درهم أو ثوب أو نحاس أو منزل أو عرصة أو شيء مما يساوي درهم واحد
صدق ذلك عليها صدقة لوجه الله لا يريد بذلك جدي ولا شكورا» ^(١) (أنظر شكل د).

(١) A. Grohmann : op. cit. II. p. 157-160

ولكننا لا نتفق مع الأستاذ جرومان في فهم السطور الخامس والسادس والسابع من هذه الوثيقة ؛ لأننا نذهب إلى أن يحنس تصدق على هذه الصبية بثلث ما يملك ، ولا نوافق على ما ظنه من أنه تصدق بهذه الجارية على صبية ثانية وان تلك الجارية تساوى ثلث ما يملك .

(٥)

الزراعة

كانت الزراعة المصدر الأساسي لثروة مصر في العصر الاخشيدى ، كما كانت في العصور القديمة وفي سائر العصور الإسلامية وكما لا تزال حتى الآن . وكان الفلاحون يزرعون القمح ^(١) ويعنون بزراعة الكتان ويصدرونه كما يصدرون المنسوجات المصنوعة منه إلى الخارج . وقد أُشير إلى زراعته في كثير من الوثائق البردية ^(٢) ، كما ذكرته المراجع التاريخية الإسلامية ^(٣) . وعلى الرغم من أن القطن كان يزرع في مصر في العصور القديمة وفي العصور الوسطى ^(٤) فأننا لا نجد له ذكرا في النصوص التاريخية التي نعرفها من العصر الاخشيدى . وكان الفول يزرع بكثرة وقد جاء ذكره في الوثائق البردية وفي المراجع التاريخية ^(٥) ، وكذلك القثاء ^(٦) . أما قصب السكر فإن الوثائق البردية تشهد بزراعته في مصر منذ القرن الثالث الهجرى ^(٧) ، ولكن الظاهر أن زراعته لم تنتشر بمصر تماما إلا منذ العصر الفاطمي ^(٨) . ومن حاصلات مصر

(١) A. Grohmann : op. cit. II, p. 48-49

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٦

(٣) ابن مماتي : كتاب قوانين الدواوين (انظر الفهرس ص ٤٤٧ — ٤٤٨) والسيوطي :

حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥١

(٤) ابن مماتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الإسلامية

ج ٢ ص ٢٩٦

(٥) جرومان : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢ ، وابن مماتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧)

(٦) ابن مماتي : المرجع نفسه (الفهرس ص ٤٤٧) ، وجرومان : المرجع نفسه ج ٢ ص ١٧٢

(٧) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 183 No. 705

وانظر السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٦

(٨) ابن مماتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الإسلامية

في العصر الاخشيدى القلقاس^(١) والأترج المدور^(٢) والزيتون^(٣). ولا محل هنا لذكر سائر الحاصلات التي برد ذكرها في الوثائق البردية ولا في النصوص التاريخية المكتوبة في القرن الرابع الهجري^(٤)، فهي معروفة ولا تزال من حاصلات البلاد إلى اليوم .

وقد وصلت النبا وثائق تكشف عن بعض نواحي الزراعة في العصر الاخشيدى . ومنها وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٥٦ هـ وهي محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا^(٥) . وتنضم بالبرية واليونانية وصلا لمزارع اسمه على الخراج الذي دفعه لحساب المالك أبي علي، وهو الخراج المستحق على الأرض التي كان يفلحها بالمزراعة^(٦) . ويبدو من الوثائق البردية أن المستأجر كان يأخذ على عاتقه عمارة الأرض^(٧) أى إصلاح جسورها ومد ترعها وحفر خلجها^(٨) . وتشير بعض الوثائق البردية الأخرى إلى المتقبلين وهم الذين كان يرسي عليهم ضمان الخراج على صفقات الأرض حين ينادى عليها في المسجد الجامع . وكان النقب لأربع سنوات

- (١) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، وما ذكره من المراجع القديمة .
 (٢) جلب إليها من الهند في القرن الرابع الهجري . انظر المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٨ ، والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٨ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .
 (٣) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٦٠ وما يذكره من المراجع القديمة .
 (٤) راجع ابن ممتى : كتاب قوانين الدواوين (الفهرس ص ٤٤٢ وما بعدها) .

(٥) Papyrus Erzherzog Rainer ; Führer durch die Ausstellung p. 257 No. 1061

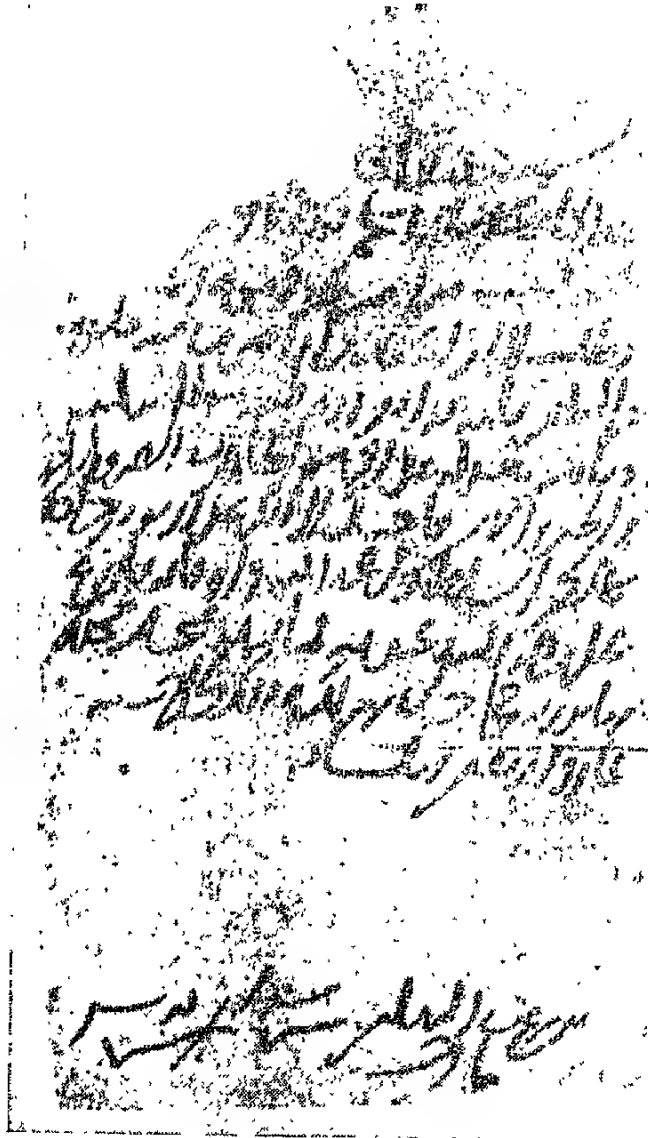
- (٦) إذا أجز المالك جزءاً من أرضه واتفق مع المستأجر على أن يؤدي الايجار من المحصول عرف ذلك باسم المزارعة . وفي القاموس زارع فلان أى حمله على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من مالكها . وتدل الوثائق البردية على أن الجزء الذى كان يأخذه المالك من المحصول كان النصف في بعض الأحيان وكان في أخرى الثلث أو الربع . وكان ينص في عقد المزارعة على الطرف الذى يدفع الخراج أو يقوم بنفد ذلك من النفقات . انظر ص ١٨١ من المرجع المذكور في الحاشية السابقة . وانظر الشروط المختلفة في إيجار الأرض بمصر في فجر الاسلام كما تبدر من الوثائق البردية في Grohmann : Arabic Papyri in the

Egyptian Library II. p. 34.

A. Grohmann : op. cit. II. p. 60 (٧)

(٨) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٢

حتى تتعادل سنو المحصول الضعيف بسني المحصول الطيب ^(١) . وقد وصلت إلينا وثيقة من الورق محفوظة في دار الكتب المصرية وترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) وتتضمن عقد إيجار فدادين ثلاثة بثلاثة دنانير ^(٢) . (أنظر شكل هـ) .



شكل (هـ) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]

وكان المصريون يستخدمون النيلة للتلوين بالألوان الأزرق . وكان شجر النيلة يزرع في الصعيد وفي الواحات . وكان يحصد في كل مائة يوم ويبقى في الأرض الجيدة ثلاث سنين

(١) Grohmann : op. cit. II. p. 39-40

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٥٢

وفي السنة الأولى يسقى في كل عشرة أيام دفعتين ، وفي السنة الثانية ثلاث دفعات ،
وفي الثالثة أربع دفعات ^(١) .

وطبيعي أن الرى في مصر حينئذ كان بطريق الحياض . وقد كتب ابن حوقل
في هذا الصدد : « وزروهم بماء النيل تمتد قنم المزارع من حد اسوان إلى حد
الاسكندرية ويقم الماء في أرضهم بالريف والحواف منذ امتداد الحر إلى الخريف ثم ينضب
فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك ولا يحتاج إلى سقى البتة » ^(٢) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٧٢

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٧

(٦)

الصناعة والتجارة

كانت أهم الصناعات بمصر في العصر الاخشيدى صناعة النسيج وقد أشرنا إليها عند الكلام على صاحب الطراز، وسوف نعود إليها في الفصل الذى نعهده للكلام على الفنون والآثار، لأن هذه الصناعة بلغت من الرقى درجة جعلتها من ميادين الفن التطبيقى .

ومن الصناعات التى عرفتها مصر فى ذلك العصر صناعة الحصر^(١) . وكان يصنع منها أنواع فاخرة تقليدا للحصر المصنوعة فى عبادان^(٢) .

وشهد العصر الاخشيدى تدهور صناعة القراطيس من البردى . وأصبح الورق يرد إلى ديار الاسلام من الصين كما يصنع فى سمرقند ودمشق وطبرية وطرابلس الشام^(٣) .

ويبدو أن المصريين فى القرن الرابع الهجرى تعلموا من الزنوج صناعة بعض أنواع الجلود^(٤) .

وكان لمصر شأن عظيم فى التجارة فى العصر الاخشيدى ، ولا عجب فقد كانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب مختلف البحار والبلاد فى القرن الرابع الهجرى . ولكن المصريين كانوا لا ينزحون عن مصر للتجارة إلا فى الندرة^(٥) . وكان فى مصر جالية كبيرة من الفرس يحترفون التجارة . كما كان لليهود نشاط ملحوظ فى هذا الميدان^(٦) . وبلغت ثروة بعض التجار فى مصر فى بداية العصر الاخشيدى درجة عظيمة ، حتى ان أحدهم

(١) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٢٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧ حيث يجب أن نقرأ العبادان بدلا من العبادات ، وانظر أيضا

متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٥

(٣) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٨ و ٣٠٩ ، وما ذكر فيه من المصادر القديمة .

(٤) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧٩ ، وما ذكر فيه من المصادر القديمة .

(٥) الثعالبي : لطائف المعارف ص ١٠١

(٦) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٢ — ٣٢٣ وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

— وهو عفان بن سلمان البراز — حين توفي استطاع الاخشيدي أن يأخذ من ماله نحو مائة ألف دينار ^(١) .

وكانت الملاحة النهرية على النيل كثيرة جداً في القرن الرابع الهجري حتى تعجب المقدسي وهو بمصر من كثرة المراكب السائرة والراسية هناك ^(٢) ، ولم تكن التجارة مع بلاد النوبة بأيدي المصريين وإنما كان تجار النوبة هم الذين يأتون في النيل حتى منطقة الجنادل ثم ينقلون بضائعهم على ظهور الجمال إلى أسوان .

وكانت مصر تستورد الحيوانات للذبح من برقة ^(٣) . وكانت المدن المصرية غنية بأسواقها كما تتبين من كثرة المدن التي أشار ابن حوقل إلى ما فيها من أسواق عامرة ^(٤) .

وكان الذهب يستخرج من الصحراء الشرقية بين أسوان وعيذاب وكان وادي علاقي مركز الذين يبحثون عن هذا المعدن النفيس وكان لسكان هذا الوادي عبيد من الزوج يعملون في استخراج التبر ^(٥) . وفي سنة ٣٣٢ هـ كان سيد قبيلة ربيعة صاحب السلطان في هذه المنطقة ^(٦) . كما كان معدن الزمرد يستخرج على مقربة من المنطقة نفسها ^(٧) ومن مدينة قفط ^(٨) .

وكان بين المصريين في العصر الاخشيدي ملاحون مهرة في المدن الساحلية وفي بحيرة تيس . وقد أعجب ابن حوقل — مع كثرة ما شاهده في أسفاره الطويلة — بمهارة الملاحين الذين رأهم في تيس فكتب أن « هذه البحيرة قليلة العمق يسار في أكثرها

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٧ ، أنظر أيضاً الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٣ ؛

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٩٨

(٣) البكري : المغرب (طبعة دي سالي) ص ٥

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٩ وما بعدها .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٣٤ وما بعدها .

(٦) المقرئ : الخطط ج ١ ص ١٩٦ — ١٩٧

(٧) المرجع نفسه ج ١ ص ١٩٧

(٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣

بالمداوى وتلتقى السفينتان تحك أحدهما الأخرى هذه مصعدة وهذه نازلة بريح واحدة مملأة شرعها بالريح ومتساوية في سرعة السير»^(١).

وكانت الملاحة في البحر الأحمر صعبة لما فيه من شعاب بارزة ورياح معاكسة . ولهذا كانت الملاحة فيه بالنهار فقط ، فإذا جن الليل أُرست المراكب في مواضع معروفة^(٢) . واحتفظ نهر النيل الذي يسير موازيا لهذا البحر بأهميته الكبيرة بوصفه طريقاً من طرق الملاحة النهرية . وكانت عيذاب الثغر الذي تلتقى عنده تجارة البحر بتجارة النهر ، فكانت البضائع تصل إليه من قوص وأسوان ثم يعبر التجار منه إلى جدة ، كما كانت ترد إليه في البحر الأحمر من الحبشة واليمن وزنجبار ثم تحمل على الابل في الصحراء مسيرة عشرين يوماً إلى أسوان أو قوص^(٣) .

(١) ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ص ١٠٣

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٥٦

(٣) مآثر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٦٨ — ٣٦٩ وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

الباب الثامن

الآثار والفنون

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

2011.01.16

الآثار والفنون

كان العصر الاخشيدى — على قصره — عصر ازدهار فى تشييد العمار وإنتاج التحف والآثار الفنية التى تمثل شتى ميادين الفن الإسلامى . ولكن الذى وصل إلينا من آثاره قليل بسبب تقادم العهد بها من ناحية وبسبب مجيء العصر الفاطمى بعدها من ناحية أخرى . والعصر الفاطمى — كما نعرف — بلغت فيه الفنون الإسلامية فى مصر أوج عظمتها وطفئت آثاره على ما كان فى مصر قبلها من الآثار الإسلامية^(١) . ومهما يكن من الأمر فقد وصل إلينا من العمار الاخشيدية أثران : هما مشهد أولاد طباطبا ومحراب قديم غربى مشهد يحيى الشبيه .

مشهد آل طباطبا

أما مشهد آل طباطبا فيرجع إلى سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٣ م) . ويقع على بعد خمسمائة متر غربى ضريح الإمام الشافعى ونحو مائتين وثلاثين مترا شمالى حمامات عين الصيرة بالقاهرة . ويتألف من مساحة من الأرض شكلها غير منتظم وطولها نحو ثلاثين مترا وعرضها نحو عشرين مترا وفى طرفها الجنوبى قبتان ويحيط بها جدار وتضم عددا من القبور (أنظر اللوحة رقم ٢) . ولكن كثيرا من المباني القائمة فى هذا المشهد حديثة العهد . فلا يكاد يعيننا منها إلا بقايا دعائم صليبية الشكل ومبنية من الطوب القديم وترجع إلى عهد تشييده . ويدل وضعها على أنها كانت تقسم المشهد كله إلى تسعة أجزاء مربعة الشكل وكانت تحمل اثنى عشر عقدا .

(١) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين .

وقد قام الأستاذ كريزويل بدراسة هذه البقايا المعمارية دراسة دقيقة^(١) . وقامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالة الأتربة التي كانت تخفي المعالم القديمة ، فاستطاع الأستاذ كريزويل أن يثبت أن هذا المشهد لم تكن له جدران خارجية بل كان شبه مظلة محمولة على دعائم من الطوب وتضم تسعة أروقة عليها تسع قباب (أنظر اللوحتين رقم ٣ و ٤) .

وقد خلف لنا ابن الزيات وصف هذا المشهد كما كان في بداية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) فتحدث عن مشهد القاضى بكار^(٢) ثم عن مشهد طباطبا^(٣) ثم عن عين الصيرة^(٤) . وهذا هو ترتيب المشهد الذى نحن بصددده : فهو على بعد خمسة وسبعين مترا جنوبى قبر القاضى بكار ومائتين وثلاثين مترا شمالى عين الصيرة . وذكر ابن الزيات أن الذين دفنوا فى مشهد طباطبا هم على بن الحسن بن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٢٥٥ هـ^(٥) وأحمد بن على بن الحسن بن طباطبا^(٦) وعبد الله بن أحمد بن على بن الحسن ابن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٤٨ هـ^(٧) وخديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم الرسى ابن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٢٠ هـ^(٨) وأبو الحسن على بن الحسن بن على بن محمد ابن أحمد بن على بن الحسن بن ابراهيم طباطبا^(٩) وأبو محمد الحسن بن على بن محمد بن أحمد

(١) ستظهر هذه الدراسة المفصلة فى الجزء الثالث من كتاب الأستاذ كريزويل عن العمارة الاسلامية وهو الذى تقوم بطبعه الآن مطبعة جامعة اكسفورد وقد تفضل المؤلف فأطلعنا على هذه الدراسة وله منا وافر الشكر والتقدير .

(٢) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٤٨

(٣) المرجع نفسه ص ٥٩

(٤) المرجع نفسه ص ٦٤

(٥) المرجع نفسه ص ٥٩ — ٦٠

(٦) المرجع نفسه ص ٦٠

(٧) المرجع نفسه ص ٦٠ — ٦١ ، أنظر سيرته فى ابن خاسكان : وفيات الأعيان

ج ١ ص ٣٢٦

(٨) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٦١

(٩) المرجع نفسه ص ٦٢

ابن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ومعه والدته وابنه ^(١) ونفيسة ابنة علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا ^(٢) ثم الشريف طباطبا الأصغر أخو عبد الله بن أحمد وقد توفي سنة ٣٣٤ هـ ^(٣) وأمينة ابنة الحسن بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا ^(٤) والحسين بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن ابراهيم طباطبا والدة ^(٥) ونفيسة ابنة علي الأزرق ^(٦) . وهكذا يتبين أن الذين دفنوا في هذا المشهد أفراد من بين الجيلين الثالث والتاسع من أسرة ابراهيم طباطبا الذي قدم إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد ^(٧) .

ومهما يكن من الأمر فإن الأستاذ كريزويل يذهب إلى أن تاريخ تشييد هذا المشهد يقع حول سنة ٣٣٤ هـ أي سنة وفاة الشريف طباطبا الأصغر ، وذلك بالنظر إلى أن طرازه المعماري فريد في نوعه وأن الأثرين اللذين يشبهانه بعض الشبه يرجع أحدهما إلى القرن الخامس الهجري ويرجع الثاني إلى نهاية القرن الرابع أو إلى القرن الخامس .

محراب قديم ^(٨)

على مقربة من ضريح الإمام الشافعي تربة تعرف باسم تربة يحيى الشبيه . وإلى غربها في حذاء جدارها الخلفي آثار محراب صغير من الجص ، لا يظهر منه إلا الجزء العلوي أما باقيه فمدفون في الأرض . ولكنه لم يكن كذلك منذ نحو خمسين عاما حين رآه

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٦٣

(٣) المرجع نفسه ص ٦٣

(٤) المرجع نفسه ص ٦٣

(٥) المرجع نفسه ص ٦٣

(٦) المرجع نفسه ص ٦٣

(٧) أنظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ٥٠ وابن خلكان : وفيات الأعيان

ج ١ ص ٤٨

Julius Franz : Kairo p. 134 , S. Flury : Ein Stuckmihrab des IV (X.) Jahrhunderts (٨)
(in Jahrbuch der Asiatischen Kunst, 11, 1925) pp. 106-110., J. Strzygowski : Asiens bildende Kunst p. 505.

فرائز باشا مهندس الأوقاف وفطن الى أهميته الأثرية وخشى أن تتفتت أجزائه وتضيع معالمه فعمل على أن تؤخذ له صورة أو نموذج من الجص أودعت دار الآثار العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٠٣^(١) (أنظر اللوحة رقم ٥) .

وباطن هذا المحراب الجصى على هيئة المحار . والراجح أن هذا الباطن قد أضيف الى المحراب الأصلى ، لأن طرازه لم يظهر قبل سنة ٥١٦ هـ^(٢) ولا يمكن أن يكون معاصرا لطراز الكتابة السكوفية أو الزخارف النباتية فى إطار العقد وتوشيحته . وهى زخارف كلها أقرب الى الطراز العباسى الطولونى منها الى أى طراز آخر (أنظر اللوحة رقم ٦) . وقد درسها الأستاذ فلورى دراسة دقيقة ورجح أنها ترجع الى العصر الاخشيدى . ولا يتسع المجال هنا للاسترسال فى وصف الزخارف المذكورة وشرح مميزاتها مما يعنى به الاختصاصيون فى تاريخ الفنون الاسلامية .

ولكن ازدهار فن العمارة فى العصر الاخشيدى تشهد به البيانات التى نقرأها فى النصوص التاريخية عن القصور وشقى العمار التى شيدت فى هذا العصر ثم عفت آثارها فلم يصل إلينا شئ منها .

وأهم هذه المنشآت قصر المختار والبستان الذى شيده الاخشيد فى جزيرة الروضة سنة ٣٢٥ . وقد روى ابن زولاق قصة إنشاء هذا البستان فقال: ان الاخشيد قال لصالح بن نافع أنه أراد منذ تمت له إمارة مصر أن ينقل دار الصناعة من جزيرة الروضة وأن يجعل موضعها بستانا يسميه المختار ، ثم أمره أن يخرج الى الجزيرة ليعد مشروع هذا البستان مع دار كبيرة تقام فيه وان يقدر ما يلزم لذلك من النفقات ، فخرج صالح بن نافع مع بعض من لهم دراية بمثل هذه الأمور وخطوا تصميم البستان والقصر وألحقوا

(١) Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, Exercice 1904 p. 38

ومكس هرتس بك (ترجمة على بك بهجت) : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ص ٢٦٣

(٢) Flury : op. cit. p. 106

بهما دارا للحرس ودارا للغلمان وخزائن للطعام والملابس والفرش وما الى ذلك ، وعرضوا هذا التصميم في رقعة كبيرة من الورق على الاخشيدي فأعجب به وسأل عن نفقاته فقيل له : ثلاثون ألف دينار ، فاعترض الاخشيدي على إنفاق هذا المال الكثير وقال إنه يريد الاقتصاد في نفقات هذا المشروع ، وما زال بهم حتى انخفض رقم المال اللازم الى خمسة آلاف دينار . ومع ذلك فإن الاخشيدي — على عادته في الحرص على المال — أصر على أن تجمع هذه النفقات من تبرع رجال حاشيته ومن اليهم من القادرين على الدفع ، فأخذ صالح بن نافع ورقة وبدأ قائمة التبرعات بأن سجل على نفسه التبرع بثلاثمائة دينار ، وتبعه غيره حتى جمع لهذا المشروع ستة آلاف دينار . وأشرف على تنفيذ المهندسان زقازق وابن ابى الرداد . وكان الاخشيدي بعد ذلك يفاخر أهل العراق بهذا المنزه ^(١) .

ويبدو أن الاخشيدي كان شديد العناية بتجميل حاضرة ولايته ، فقد ذكرت المراجع التاريخية أنه أنشأ بستانا آخر شمالي الفسطاط عرف بعد ذلك باسم البستان الكافورى ^(٢) وأنه عنى به وجعل له أبوابا من حديد وأنه كان ينزل به ويقيم فيه أياما كاملة . وعنى به من بعده ابنه أبو القاسم اونوجور وأبو الحسن على في أيام إمارتهما . وكان كافور كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه ، وكانت خيوله بهذا الميدان . ولما قدم جوهر القائد الى مصر على رأس جيوش الفاطميين نزل بجوار هذا البستان وأصبح البستان جزءا من القاهرة واتخذة الخلفاء الفاطميون متنزها لهم ^(٣) .

وكتب على مبارك باشا أن جوهر القائد لما قدم بحيشه الى ساحل الفسطاط فى شعبان من سنة ٣٥٧ « نزل بحرى الفسطاط التى فيها اليوم الجامع الأزهر وبيت الفاضى وخان الخليلي وبين القصرين وما جاورهما من الأماكن التى بين الجبل والخليج .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٣ — ١٤

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٥٧

وكانت هذه البقعة رمالا فيما بين مصر القسطاط وعين شمس التي تسمى الآن بالمطرية ، يمر بها الناس عند مسيرهم من القسطاط الى عين شمس فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بـخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والخليج المعروف باليحاميم لمروره بجانبهما ، اذ اليحاميم اسم للجبل الأحمر الكائن بشرقي العباسية . وكان ذلك الخليج يمر بقربها ، وقد زال من مدة ولم يبق له أثر . وعند نزول جوهر بهذه الرملة لم يكن بها بنيان غير البساتين وأما كن قليلة منها بستان الاخشيدي محمد بن طغج المعروف بالكافورى . وكان هذا البستان في شرقي الخليج ، محله اليوم فيما بين جامع الشعراى والسكة الجديدة قريبا من قنطرة الموسكى ممتدا في الجهة الشرقية الى النحاسين . وكانت مساحته تبلغ ستة وثلاثين فدانا بمقياسنا اليوم ، وبجانبه من الجهة القبليّة ميدان الاخشيدي ومحله الآن من بر الخليج الشرقي الى شارع السكرية والغورية ^(١) .

وكانت عناية الأمراء الاخشيديين بالمساجد عظيمة فكانوا يطلقون لها النفقات ويأمرون بعمارتها ومدّها بما يلزم من الحصر والمصاييح وما إلى ذلك . وقد وصلت إلينا أسماء عدد من المساجد المعروفة في هذا العصر إلى جانب المسجد العتيق أو المسجد الجامع أو جامع عمرو ، فحفظت لنا النصوص التاريخيّة أسماء مسجدي ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ومسجد عبد الله ^(٣) ومسجد الزمام ^(٤) ومسجد ابن عمرو ^(٥) ومسجد الاقدام ومسجد موسى ^(٦) .

(١) على مبارك : الخطايط التوفيقية ج ١ ص ٤

(٢) ابن زولاق : أخبار سيديويه المعمرى ص ٣٢

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٤١

(٥) المرجع نفسه ص ٤٤

(٦) المرجع نفسه ص ٥٦

وأمر أبو الحسن علي بن الأخشيدي ببناء مسجد في الجزيرة ، ويبدو أن الفضل في بناء هذا المسجد كان لكافور لأن أهل الجزيرة علموا أن الفضاء الذي شيد فيه هذا المسجد كان يراد أن تقام فيه حوانيت وغير ذلك من عمائر الاستغلال ولكنهم كانوا يريدون فيه مسجدا فخطبوا كافورا في الأمر وتم لهم بناء المسجد^(١) .

ومن المساجد التي شيدت في العصر الأخشيدي مسجد الفقاعي في سفح جبل المقطم وقد بناه كافور الأخشيدي^(٢) . ومنها مسجد موسى في المنطقة نفسها وقد بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات^(٣) .

وتذكر المراجع التاريخية أن كافورا شيد بعض القصور الجميلة في مصر مثل دار الفيل التي سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضم عددا من الفيلة . وقد سكنها كافور من سنة ٣٤٦ إلى أن توفي سنة ٣٥٧^(٤) .

ومن العمائر الأخشيدية جوسق كبير شيده في القرافة الوزير أبو بكر محمد بن علي الماذرائي على هيئة الكعبة . وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق في الأعياد ويوقد كله في ليلة النصف من شعبان ويجتمع القراء حوله لقراءة القرآن^(٥) .

ومما ينسب إلى الماذرائي أيضا دار تسمى دار قبر . وقد وقفها هذا الوزير على ولده وبعد انقراض عقبه على الفقراء والمساكين بمدينة الرسول^(٦) . وتنسب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات دار تعرف بدار حنزا^(٧) .

(١) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٢٧

(٢) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٤٥٦

(٣) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٥٦ ، وابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٤

(٤) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٢٥ ، أنظر أيضاً المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٣١

(٥) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٤٥٣

(٦) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ٩

(٧) المرجع نفسه ج ٤ ص ١٠

وأنشأ الاخشيد سنة ٣٣٠ قيسارية^(١) لبيع المنسوجات في سوق كان يعرف باسم سوق الحمام^(٢). ويبدو أنه أنشأ قيساريات أخرى وحوانيت ودورا كان يحبس دخلها على المستشفى الذي شيده^(٣).

ومن العائر الاخشيدية التي تنسب الى الاخشيد مستشفى أو مارستان كان يعرف باسم المارستان الأسفل تميزا له عن المارستان الطولوني^(٤). كما ينسب الى كافور مارستان شيده هذا الأمير سنة ٣٤٦ هـ. والراجح عندنا أنه هو المارستان الأسفل المنسوب الى الاخشيد، لأن المقرئ لم يذكر بين المارستانات أي مارستان شيده الاخشيد نفسه، فضلا عن أن اشارة ابن دقاق الى الاخشيد في نسبة المارستان الأول ليست صريحة تماما، فقد يكون المقصود اونوجور الاخشيد الذي كان أمير البلاد حين شيده كافور المارستان.

ومن المنشآت الرئيسية التي شيدت في العصر الاخشيدى « سبع سقايات » شيدها الوزير جعفر بن الفرات لسكان الفسطاط حين أصبحوا يحتاجون في موسم الجفاف الى جاب الماء من منطقة جزيرة الروضة بسبب جفاف الخليجان وانحسار مياه النيل الى تلك المنطقة^(٥). وقد حفر هذا الوزير بئرا لينقل منها الماء الى سبع السقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بخط الحمراء وكتب عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لله الأمر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسها وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشيء من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق إلا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فأنما أثمه على الذين يدلونه ان الله سميع عليم وذلك في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم » .

(١) القيسارية بمعنى السوق . أنظر Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 11, p. 432

(٢) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٢

(٣) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ٩٩

(٤) المرجع نفسه ج ٤ ص ٩٩

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٤٤

وقد حفظ لنا المقرئ نص هذه الكتابة التاريخية حين تحدث عن بئر الوطاويط^(١).
ومن الطريف إنها وجدت على لوحة كبيرة من الحجر في حى الصليبة عند مدخل
الشارع الصغير الذي يصل شارع الصليبة بجامع ابن طولون والذي كان يعرف باسم
عطفة بئر الوطاويط . ولكن هذه اللوحة كسرت وضاعت بعض أجزائها فلم يبق
منها إلا نحو ثلاثة سطور قرأها فان برشم وثبت^(٢).

وهذه الكتابة وثيقة عظيمة الشأن ، لأنها تشهد بأن المقرئ جدير بالثقة فيما يكتبه
وبأنه يحرص على الدقة فيما يسجله عن الآثار ، ولأنها أقدم «وقفية» وصلت إلينا في تاريخ
مصر الإسلامية : ومهما يكن من الأمر فان هذه البئر لم تكن تعرف عند إنشائها باسم
بئر الوطاويط . وقد ذكر المقرئ أن السقايات خربت بمرور الزمن وبني فوق البئر
وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط .

ومن الآثار التي ترجع الى العصر الاخشيدى مجموعة من شواهد القبور محفوظة
في دار الآثار العربية بالقاهرة^(٣) . وتشهد حروف الكتابة في هذه الشواهد — سواء
منها المحفور والبارز — بأن الزخارف الكتابية دخلت على الخط الكوفي قبل العصر
الفاطمي^(٤) ، فأصبحت هامات الحروف وذيلها تنتهى في بعض الأحيان برسوم
زخرفية تبشر بالزخارف الفنية التي طرأت على الخط الكوفي في العصر الفاطمي حتى
أصبح يعرف باسم الكوفي المزهر^(٥).

(١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ١٣٥

(٢) Wiet : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte 11. pp. 91-94

(٣) G. Wiet : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire. Stèles Funéraires t. 5 (٣) pp. 24-151.

(٤) Ibid pl. 12, 13, 17, 24, 26, 36

(٥) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٣٨ و ١٤ E. Kühnel : Islamische Schriftkunst

وفي اللوحات رقم ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ رسم أربعة من شواهد القبور في العصر
الاخشيدي ، ففي اللوحة رقم ٧ شاهد قبر من الحجر الجيري عليه كتابة محفورة بالخط
الكوفي البسيط ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن
كفوا (هكذا !) أحد اللهم صلى
على محمد النبي وعلى اله الطا
هرين وارحم ام الحسن ابنت
عمر بن احمد بن عيسى بن سابق
بن ابي تراب وارض عنها واغفر لها
وتجاوز عن سيئاتها والحقها بنبيها
محمد (هكذا !) صلى الله عليه واله وسلم
توفيت يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة
خلت من جمادى الأولى سنة اثنين
وثلاثين وثلثمائة وهي تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله وما شرع من دينه وحجته »

وفي اللوحة رقم ٨ شاهد قبر من الرخام عليه كتابة محفورة بالخط الكوفي
وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
كل شيء هالك الا وجهه له
الحكم واليه ترجعون هذا
قبر محمد بن وساس بن محمد
البرزاز توفي رحمه الله يوم

الأربعاء لليلتين خلنا من ذى
الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
وفيه دفن ابنه عبد الله بن
محمد بن فساس توفي رضى الله
عنه يوم الأربعاء لخمس وعشرين
ليلة خلت من ذى القعدة سنة
ثلاث وثلاثين وثلثمائة »

وفي اللوحة رقم ٩ شاهد قبر من الحجر الجيري وله إطار بارز وعليه كتابة محفورة
بالخط الكوفي ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى ا
لارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات
والارض ولا يوده حفظهما وهو العلى
العظيم اللهم صلى على محمد وعلى اله الطا
هرين وارحم محمد بن يسين بن محسن بن محمد
بن محسن الجعفرى توفي يوم الثلاثاء لسبع عشر
خلون من جمادى الأولى سنة خمس واربعين وثلثمائة »

وفي اللوحة رقم ١٠ شاهد قبر من الرخام عليه كتابة بارزة بالخط الكوفي تدل
على أنه لحفيد ابن الجصاص التاجر الجوهري الذى صحب خمارويه بن أحمد بن طولون

والذى سبق الكلام عليه . وقد توفى ابن الجصاص سنة ٣١٥ هـ ، وهذا نص الكتابة على شاهد حفيده :

« بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الله

الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد

هذا قبر عثمان المكنى

بابي عمرو بن عبيد الله

بن الحسين بن عبد الله

الجوهري المعروف بابي

بن الجصاص توفى يوم الا

ربيعاء ليلة (هكذا !)

بقيت من جماد

ى الأولى سنة خمس

وخمسين وثلثمائة

الحق لله بنبيه محمد

صلى الله عليه وعلى اله اسلم (هكذا !)

وقد وصلت الينا بضع أوراق محفوظة الآن فى مجموعة الارشيدوق رينر فى فيينا ، ويظن أنها مما عثر عليه فى الفيوم . وعلى إحداها رسم فارس ذى لحية وقبعة مخروطية الشكل وفى إحدى يديه ترس وفى الآخر رح . وفى الوجه الآخر العبارة الآتية : « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت » ثم « الحمد لله شكرا . الحمد لله وحده مما صور أبو تميم حيدرا »^(١) .

(١) A. Grohmann and Th. Arnold : The Islamic Book fig. 4

وتعليقات الدكتور زكى محمد حسن على كتاب التصوير عند العرب لاجمى تيمور باشا

ويبدو في رسوم هذه الأوراق التأثير بأساليب الفن القبطى وسيادة الألوان البدائية كالأحمر والأصفر والأخضر ، والراجح عند مؤرخى الفنون الاسلامية أنها ترجع إلى العصر الإخشيدى .

أما صناعة النسيج فى عصر الإخشيديين فقد ازدهرت ازدهارا عظيما ، كما عرفنا عند الكلام على وظيفة صاحب الطراز . وكانت الحكومة تراقب صناعة النسيج الأهلية مراقبة دقيقة وتختتم الأقمشة بخاتم رسمى ولا تسمح بأن يتولى التجارة فيها إلا التجار الذين ترخص لهم بمزاولة هذا العمل . وكانت المراكز الرئيسية لهذه الصناعة هى المناطق التى يكث فيها القبط . وكان القطن والكتان ينسجان فى كثير من مراكز صناعة النسيج . ولا سيما بالدلتا فى تنيس وشطا وديق ودمياط فضلا عن الفرما والاسكندرية ، كما كانا ينسجان فى الهنسا والاشمونين واخميم وأسيوط من مدن الصعيد .

وقد كتب ابن حوقل عن تنيس ودمياط وذكر ما بهما من « الحلل السنية التى ليس فى جميع الأرض ما يداينها فى الحسن والقيمة . وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتى دينار إذا كان فيه ذهب ، وما لا ذهب فيه يبلغ المائة دينار » ^(١) كما أشار إلى ما كان يصنع فى الهنسا من « الستور والبسط والمضارب والفساطيط » وذكر أن الزوج من بعض هذه الستور كان يساوى نحو ثلاثمائة دينار ^(٢) .

وكانت المنسوجات المصرية فى العصر الإخشيدى لاتزال متأثرة بالزخارف التى استعملها النساجون فى نهاية العصر القبطى وفى فجر الاسلام « وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة فى جامات بيضية الشكل متعددة الأضلاع أو موزعة توزيعاً غير منتظم . وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة » ^(٣) (أنظر اللوحة رقم ١١)

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٥

(٣) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤٧ .

وقد رأينا كيف ظهرت الكتابة العربية على المنسوجات وتحدثنا عن قطع النسيج التي وصلت إلينا حاملة أسماء الخلفاء العباسيين والوزراء في العصر الاخشيدى ، ونضيف هنا رسم قطعة منها عليها كتابة نقرأ منها « بشطا على يد فائز أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سنة سبع وخمسين وثلثمائة . الخير مقبل إن شاء الله » ^(١) (أنظر اللوحة رقم ١٢) .

ومن المنسوجات التي انتشرت في العصر الاخشيدى مجموعة تنسب إلى الفيوم في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، وقد جاء اسم هذا الإقليم في كتابة على قطعة منها محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة (أنظر اللوحة رقم ١٣) وفي هذه القطعة شريط أحمر به رسوم جمال في أسلوب تخطيطي بسيط دون مراعاة للنسب أو محاكاة للطبيعة . ونحت هذه الرسوم كتابة إما بيضاء أو بنية اللون وحروفها غريبة ولها ذاتية خاصة بما في سياقها من زخارف مدرجة الشكل وبما بين هذه السياقات من شتى الزخارف الصغيرة باللون الأصفر أو الأخضر ونص هذه الكتابة (سعا) دة ونعمة كاملة لصاحبه مما عمل في طراز الخاصة بمطمور (؟) من كورة الفيوم » ^(٢) .

وكان المصريون في العصر الاخشيدى يستوردون من اليمن المنسوجات التي اشتهر بانتاجها هذا الإقليم والتي تمتاز بزخارفها المؤلفة من الخطوط المتعددة الألوان ^(٣) (أنظر اللوحة رقم ١٤) .

ونمت في العصر الاخشيدى صناعة الحزف ذي البريق المعدني ، ولكن زخارفه ظلت بدائية الى أن تم تطورها في العصر الفاطمي ^(٤) .

أما صناعة الحفر في الخشب في العصر الاخشيدى فقد كانت ذليلة وتطوراً للأساليب المعروفة في عهد الطولونيين أي للطراز العباسي عامة وامتازت بأن أساس زخارفها

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 5. p. 20 No. 1639

(٢) أنظر زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٣٧ — ١٣٩

(٣) C. J. Lamm : Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East pp. 151-156, 235-238

(٤) أنظر زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ج ١ ص ١٠٠ — ١٠٨ ، وزكي محمد

حسن : كنوز الفاطميين ص ١٤٧ وما بعدها ، وزكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٠

« حفر منحرف الجوانب » تخلق فيه الزخرفة من بضعة فروع وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها (انظر اللوحة رقم ١٥) وقد تؤلف هذه الخطوط رسماً تخطيطياً محوراً عن الطبيعة لحيوان أو طائر ^(١) (انظر اللوحة رقم ١٦) .

وكانت تصنع من الخشب ألواح صغيرة تحفر فيها كتابات لتسجيل ما يملكه الأفراد من العقار في عبارات قانونية . ومن ذلك لوح مكسور في دار الآثار العربية لا تزال عليه الكتابة الآتية : « بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله ويمن وسعادة

وعشرين سهماً من جميع هذه الدار وحائوتها (من كل حق)

هو لها داخل فيها ومن كل حق هو لها خارج منها (كل قليل)

وكثير هو لها من حقوقها الذي هي لها فيها .

بن هرون بن موسى البراز ملكها من فضل . . . » ^(٢) (انظر اللوحة رقم ١٦)

(١) أنظر زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤٨ و E. Pauty : Catalogue du Musée Arabe. Les Bois Sculptés Jusqu'à l'époque Ayyoubide pl. 18-22.

(٢) J. D. Weill : Catalogue du Musée Arabe. Les Bois à Epigraphes Jusqu'à l'Epoque Mamlouke pp. 60-61.

البَابُ التَّاسِعُ

الفقهاء والعلماء والأدباء

الفقهاء والعلماء والأدباء

نريد أن نتحدث في هذا الباب عن الجوانب الممتازة في الحياة العقلية في العصر الاخشيدي . ولا ريب في أن أهم مظاهرها نشاط الفقهاء والعلماء والأدباء ، وليس من السهل تمييز كل طائفة منها تمييزا خاصا لأنها كانت تلتقي في بعض الأحيان . ولكننا نقصد حملة علوم الشريعة والعبادات حين نتحدث عن الفقهاء ، ونقصد المتخصصين في فن واحد حين نتحدث عن العلماء . أما الباقون ممن تسكلموا في فنون مختلفة فهم الأدباء .

وكان العصر الاخشيدي غنيا بهذه الطوائف جميعها ، وكانت تلتقي في مجالس الأمراء وعلية القوم ^(١) وتحظى بتقديرهم ورعايتهم . ومن ذلك أن الاخشيد أعجب بعلم أحد الفقهاء فولاه على سواحل مصر ^(٢) . كما أن اونوجور كان يجالس سيديويه المصري ويناديه ^(٣) . وكان الوزير محمد بن علي بن مقاتل يجري على هذا الأديب مبلغا من المال في كل شهر ^(٤) . وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين يسعى اليه أهل العلم والأدب ^(٥) . وقيل إن الخليفة عبد الرحمن الناصر أرسل من الأندلس عشرة آلاف دينار لتفرق على فقهاء المالكية فأمر كافور بعشرين ألف دينار لتفرق على فقهاء الشافعية ^(٦) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٣٩ ، والكندى : الولاة والقضاة (الملحق)

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠ — ٣١

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ١٨ و ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٥

(٥) المرجع نفسه ص ٥١

(٦) ابن الزيات : الكواكب السائرة ص ١٩٠ — ١٩١

وكان الفقهاء والعلماء والأدباء يلتقون في المساجد للمناظرة وبحث المسائل
الفقهية والأدبية . ومن المساجد التي كانوا يقبلون على الجلوس فيها لهذا الغرض مسجد
عمرو بن العاص^(١) ، ومسجد ابن عمرو^(٢) ، ومسجد عبد الله^(٣) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ص ٢٢ و ٢٣ و ٤٢ و ٥٢

(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ و ٤٦

(٣) المرجع نفسه ص ٤٦

(١)

الفقه —

ظهر من المحدثين في مصر الاخشيدية أبو بكر أحمد بن عمرو الطحان المتوفى سنة ٣٣٣ ، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ ^(١) . وقد استطاع ابن يونس أن يكون إماما متيقظا حافظا في الحديث وإن كان لم يرحل ولم يسمع الحديث بغير مصر ، وكان العرف قبل القرن الرابع لا يجيز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير إجازة مكتوبة تخوله حق الرواية ^(٢) . وقد ألف ابن يونس كتابا في تاريخ مصر على هيئة سير لعلمائها . وضاع هذا الكتاب ولكننا نجد بعض مقتطفات منه في حواشي المخطوط الذي طبع منه الأستاذ جست كتاب الولاية والقضاة لـالكندى ، كما أن ابن حجر نقل عنه فيما كتبه عن القضاة . ويبدو من هذه المقتطفات أن الكلام على الحديث والمحدثين كان أساس ما كتبه ابن يونس في التاريخ ^(٣) .

ومن المحدثين الذين ظهوروا في عصر الاخشيديين حمزة بن محمد بن علي العباسي الكنتاني وقد توفي سنة ٣٥٧ ، وسعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن وهو بغدادى نرح الى مصر وتوفى سنة ٣٥٣ ، ومنهم محمد بن علي بن حسن المصرى نزىل تقيس وكانت وفاته سنة ٣٦٩ ، والحسن بن رشيق المتوفى سنة ٣٧٠ ، وابن النجاس أحمد بن محمد بن عيسى ابن الجراح وقد قام بأسفار طويلة وتوفى سنة ٣٧٦ عن خمس وثمانين سنة . ومنهم ابن مسرور عبد الواحد بن محمد بن أحمد ، نشأ في بلخ وأقام بمصر وتوفى سنة ٣٧٨ ، وأحمد بن ابى الليث نصر بن محمد النصيبي المتوفى سنة ٣٨٦ ، ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر ابن الفرات المتوفى سنة ٣٩١ ^(٤) .

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤

(٢) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣١٥ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٣) أنظر ص ٤٤ من المقدمة الانجليزية التي كتبها جست لكتاب الولاية والقضاة لـالكندى .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤ — ١٦٥

وعاش بمصر في العصر الاخشيدى نفر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلو الاسناد وقد سرد السيوطي أسماءهم وتاريخ وفاتهم^(١).

استقرت المذاهب الفقهية الكبرى في القرن الرابع الهجرى . وكانت السيادة في مصر للمذهبين الشافعى والمالكي ، وفي سنة ٣٢٦ هـ كان للشافعيين في جامع عمرو خمس عشرة حلقة وللمالكيين مثلها ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط^(٢) . وكانت المنافسة تقوى والنزاع يشتد في بعض الأحيان بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر ، وقد حدث في سنة ٣٢٦ أن « عاد أصحاب مالك والشافعى الى القتال في المسجد الجامع العتيق »^(٣) ويبدو أن الأمراء الاخشيديين وأتباعهم كانوا يكرهون الشافعية^(٤) .

وكان على رأس الفقهاء الشافعية في العصر الاخشيدى ابو بكر محمد بن احمد بن محمد ابن جعفر المعروف بابن الحداد وكان « فقيها محققا غواصا على المعانى تولى القضاء بمصر والتدريس ، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده في الفتاوى والحوادث . وكان يقال في زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجبال ونظافة السباد والرد على ابن الحداد »^(٥) . وكانت ولادته سنة ٢٦٤ ووفاته سنة ٣٤٤ أو سنة ٣٤٥ ، « وكان متصرفا في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة وغير ذلك . ولم يكن في زمانه مثله وكان محببا إلى الخاص والعام . وحضر جنازته الأمير ابو القاسم أوتوجور بن الاخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد »^(٦) وكان أحد أجداده يبيع الحديد فنسب إليه . ولابن الحداد أخبار كثيرة مع الأمراء الاخشيديين تشهد بعلو

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٤

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤

(٤) الكندي : الولاية والقضاء (الملاحق) ص ٥٥٥

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٨٠

(٦) المرجع نفسه .

همته وثقته في نفسه ^(١) . ولا عجب فقد كان « طويل اللسان غير مطعون عليه في قول ولا فعل جموعا على صيانة وطهارة . وكان من محاسن مصر حاذقا بعلم القضاء حسن التوقيعات » ^(٢) .

ومن فقهاء الشافعية الذين أدركوا العصر الاخشيدى ابو عبد الله الحسين بن ابي زرعة الدمشقي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ . وقد عرفنا أنه ولي القضاء في بداية حكم الاخشيد ^(٣) . ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبد الله الزبيري المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ^(٤) ، وابو رجا محمد ابن احمد بن الربيع الأسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، ويقال انه كان أدبيا شاعرا وأنه نظم قصيدة طويلة بلغت ثلاثين ومائة ألف بيت (هكذا !!) ذكر فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة ^(٥) .

ومن فقهاء الشافعية في مصر الاخشيدية عبد الرحمن بن سلمويه الرازي ، قدم الى مصر وتفقها بها ودرس في جامع عمرو وتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، ومحمد بن ابراهيم بن الحسين المعروف بابن سكره ، وهو بغدادى الأصل سكن مصر وتوفى سنة ٣٤٢ هـ ، ومنهم عبد الله ابن محمد الحصري ، وقد عرفنا أنه ولي قضاء مصر وتوفى سنة ٣٤٨ هـ ، ومحمد بن موسى ابن عبد العزيز الكندى ويلقب بسبيويه وكان شاعرا فصيحاً يتظاهر بالاعتزال وتوفى سنة ٣٥٩ هـ وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ^(٦) .

أما فقهاء المالكية فقد أدرك منهم العصر الاخشيدى هرون بن محمد بن هرون الاسواني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ^(٧) ، وعلى بن عبد الله بن أبي مطر الاسكندراني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، ومن فقهاء المالكية في ذلك العصر محمد بن يحيى بن مهدي الاسواني

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥١ — ٥٥٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٥٢

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٥٦٢ — ٥٦٣

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧

(٥) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٦٧ ؛ لعل المقصود ثلاثين ومائة وألف بيت .

(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨

(٧) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٩٣

وقد ولى قضاء مصر ومات سنة ٣٤٠^(١)، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري وأصله من البصرة ثم نزح الى مصر وتوفي بها سنة ٣٤٤^(٢). ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسواني الصواف المتوفى سنة ٣٦٤ أو سنة ٣٧٤^(٣)، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني المتوفى سنة ٣٧٦^(٤). وكان على رأس فقهاء المالكية في فترة من العصر الاخشيدى أبو اسحق محمد بن القاسم ابن شعبان المتوفى سنة ٣٥٥^(٥).

وكان لمصر سبق مذكور في ميدان التصوف وذلك منذ بدء ظهور طوائف الصوفية في مصر مهد الرهبنة المسيحية^(٦). وكان ذو النون المصري المتوفى بالجيزة سنة ٢٤٥ من أكبر النساك في بداية التصوف ويعد من أقطاب الصوفية وله فضل كبير في وضع كثير من التعاليم الصوفية التي نعرفها الآن، بل يقال انه أول شيخ أعلن اعتناقه العقيدة الصوفية^(٧). ومات بمصر قبيل قيام الدولة الاخشيدية قطب آخر من أقطاب الصوفية : هو أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الجمال^(٨).

ومن الصالحاء والصوفية الذين أدركوا العصر الاخشيدى أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينوري المتوفى بمصر سنة ٣٣١، وأبو الخير الأقطع المتوفى سنة ٣٤٣، ومن الصوفية في هذا العصر أبو علي الحسن بن أحمد الكاتب المصري المتوفى سنة ٣٤٣، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن سهل الرملي النابلسي. وكان الأخير يكره الفاطميين حتى روى أنه قال : لو كان معي عشرة أسهم رميت الروم بسهم ورميت بني عبيد بتسعة. فلما فتح الفاطميون مصر قتله المعز سنة ٣٦٣، ويروى أن لهذا الصوفي قصة مع كافور تشبه قصة هذا الأمير.

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٤، والكندى : الولاية والقضاة ص ٥٣٢ — ٥٣٤

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٢

(٣) السيوطي : المرجع نفسه، وقد ذكره الادفوى في الطالع السعيد ص ٧٤ باسم أبي جعفر

أحمد بن محمد بن هارون بن موسى الأسواني.

(٤) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٦

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١

(٦) الكندى : الولاية والقضاة ص ١٦٢، والمقرئى : الخطط ج ١ ص ١٧٣

R. L. Nicholson : Studies in Islamic Mysticism (٧)

(٨) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٣ — ٢٤٤

مع الشيخ أبي عبد الله بن جابز ، وهى القصة التى رويتها عند الكلام على أخلاق كافور^(١) . وبيان ذلك أن كانه را الاخشيدى بعث الى أبى بكر محمد بن احمد بن سهل الرملى بهدية من المال فردها وقال : قال الله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» ، فلاستعانة بالله تكفى ، فرد كافور الرسول بالمال اليه وقال له : قال الله تعالى « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى »^(٢) فأين ذكر كافور هنا ؟ فقال أبو بكر : صدق ، الملك والمال لله ، كافور صوفى لا أنا ، ثم قبل المال^(٣) .

وانتقلت من العراق الى مصر فى القرن الثالث الهجرى صورة من خلافت المتكلمين ، وذلك منذ بعث المأمون الى ولاية الأماص بمنشوره الذى أمر فيه بأخذ العلماء والقضاة بخلق القرآن . وقد ورد كتاب المأمون على كيدر والى مصر سنة ٢١٨ هـ فامتحن قاضيا وفقهاءها وقالوا بخلق القرآن^(٤) . وما لبثت هذه الحركة أن اشتدت فى خلافة الواثق ، وقد كتب الكندى فى هذا الصدد : « أن أمر الخنة كان سهلا فى ولاية المعتصم لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا ، حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر بأن يؤخذ الناس بها ، وورد كتابه على محمد بن ابى الليث بذلك . وكأنها نار أضرمت . . . فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالحنة . فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر الخنة وأمر ابن ابى الليث بالاكتتاب على المساجد : لا اله الا الله رب القرآن المخلوق . فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه »^(٥) .

(١) أنظر صفحة ١٣٥ إلى ١٣٧ من هذا الكتاب .

(٢) قرآن كريم سورة طه ، الآية ٦

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٥

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٣ و ٤٤٥

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥١

وكان المعتزلة في القرن الثالث الهجري يعالجون مسائل كلامية محضة ودفنوا خصومهم في القرن الرابع الى الاجابة عن هذه المسائل ^(١) . وفي مصر أثير الجدل في الاعتزال فاعتنقه قوم ورفضه آخرون . وظلت حركة المعتزلة في مصر حتى بعد أن ورد كتاب المتوكل على الوالى هرثمة بن النضر سنة ٢٣٤ « يأمر بترك الجدل في القرآن » ^(٢) وهكذا شاهدت مصر في العصرين الطولوني والاشعبي بعض من يعتنقون مذهب الاعتزال .

وروى ابن زولاق أن سيديويه المصري كان معتزليا وكان « يظهر الكلام في الاعتزال في الطرق والاسواق » وكان الناس يتحملون ذلك منه لاعتقادهم أنه لم يكن سليم العقل تماما . وقال ابن زولاق أن سيديويه أخذ علم الاعتزال عن أبي على محمد بن موسى القاضي الواسطي وكان وجه المتكلمين بمصر . وروى أن سيديويه كان يوم الجمعة في سوق الوراقين ^(٣) في جمع كبير ، وفي الحاضرين أبو عمران موسى بن رباح الفارسي المتكلم أحد شيوخ المعتزلة المشهورين ، وكان سيديويه بصيح ويقول : الدار دار كفر أحسبكم أنه ما بقي في هذه البلدة العظيمة أحد يقول القرآن مخلوق إلا أنا وهذا الشيخ أبو عمران أبقاه الله ، فقام أبو عمران يعدو حافيا خوفا على نفسه حتى لحقه رجل ببغله ^(٤) .

(١) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣١٣

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٧

(٣) نلاحظ أنه لم تكن هناك مدارس في العصر الاشعبي وإنما كانت الدروس تلقى في المساجد وفي بيوت علية القوم ، ولم تكن سوق الوراقين لبيع الكتب ونسخها فحسب ولكنها كانت مجمعا للأدباء ومحلا للمناظرات .

(٤) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ١٨ — ١٩ وص ٢٣ — ٢٤

(٢)

الأدباء

كان حظ النثر الفنى أعظم من حظ الشعر فى العصر الاخشيدى . وكان فى هذا النثر المسيحة العراقية والميل إلى السجع والمزاوجة مع إطناب فى اللفظ وتكرار المعنى وإقبال على الجمل القصيرة ^(١) .

وكان زعيم الكتاب فى هذا العصر ابراهيم بن عبدالله بن محمد النجيرى . وكان خبيراً بعلوم العربية ، أخذ النحو عن الزجاج وأخذ عنه بعض المصريين ومنهم أبو الحسين المهبلى وجنادة اللغوى . ومن انشائه الكتاب الذى أرسله الاخشيد الى المانوس ملك الروم ^(٢) ، وكان قد ورد الى الاخشيد « كتاب المانوس عظيم النصرانية يفتخر فيه وبزعم أن له المنة عليه فى خطابه إذ جرت عادته ألا يخاطب إلا خليفة » ^(٣) فقرأ هذا الكتاب على الاخشيد فطلب الى كتابه إعداد رد له ، وكتب جماعة منهم ، ووقع اخنيار الأمير على الرد الذى أعده النجيرى فأرسله الى حاكم بيزنطة . وقد أعجب النجيرى نفسه بالكتاب فنسخ منه نسخاً وأنفذها الى العراق يفتخر بها ^(٤) . ولما كان لهذا الكتاب شهرة كبيرة فى تاريخ الاخشيديين والنثر فى عصرهم فانا ننقله فيما يلى ^(٥) :

« من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين ، الى أرماتوس عظيم الروم ومن يليه . سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فانا نحمد الله الذى لا اله إلا هو ونسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر أحمد أمين بك : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧٣ وزكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع .
(٢) هو رومانوس لكابينوس Romanus Lucapenus الذى استولى على عرش بيزنطة من سنة ٩١٩ إلى ٩٤٤ م وكان الأمر الناهى فحجب بذلك الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيريوجينيتوس Constantine Porphyrogenitus الذى امتد حكمه نظرياً من ٩١٢ إلى ٩٥٩ م . (٣٠٠ — ٨٣٤)

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ — ٢٣ ، والقلمشندى : صبيح الأعشى ج ٧ ص ١٠ — ١٨

أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا واسحاق رسوليك ، فوجدناه مفتوحا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نمنى عنا اليك ، وصح من شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل الى تخليص الأبرى الى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سيد القول ، الذي يليق بذوى الفضل والنبل . ونحن بحمد الله ونعمه علينا بذلك عارفون ، واليه راغبون ، وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله ايانا مجتهدون ، وبه متواصون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمرشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما ما نسبته الى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فانا نرغب الى الله جل وعلا الذي تفرد بكمال هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ثم أثابهم عليها ، أن يوفقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، ويسرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعرة القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته ، وموجبات مرضاته ^(١) ، حتى نكون أهلا لما وصفتنا به ، وأحق حقا بما دعوتنا اليه ، ومن يستحق الزلفى من الله تعالى ، فانا فقراء الى رحمته . وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يتهل الى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فان ذلك اليه وبيده : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكتبة لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقي على الدهر ، وانك انما خصصتنا بالمكتبة لما تحققت من حالنا عندك ، فان ذلك لو كان حقا ، وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبنا غنم ورشد ، لكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد وأولى من حبل محلك أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيبا ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور

(١) اعلمها : موجهها لمرضاته .

تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغبار ، ويعرض مهجته ،
 فيما ينفع رعيته . والذي تجشّسته من مكاتبنا ان كان كما وصفته فهو أمر سهل يسير ،
 لأمر عظيم خطير ، وجلّ نفعه وصلاحه وعائده تخصّصكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى
 الحسنيين ، فمن كان منّا في أيديكم فهو على بيّنة من ربه ، وعزيمة صادقة من أمره ،
 وبصيرة فيما هو بسبيله ، وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشده البأساء
 على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه ، وحيد عاقبته ، ويعلم أن الله تعالى قد أعاده من أن يفتنه ،
 ولم يعذه من أن يبئليه . هذا الى أوامر الانجيل الذي هو إمامكم ، وما توجيه عليكم
 عزائم سياستكم ، والتوصل الى استنقاذ أسرائلكم . ولولا أنّ إيضاح القول في الصواب ،
 أولى بنا من المساحة في الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا . إذ رأينا أنّ نفس السبب
 الذي من أجله سما الى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم الى من حلّ
 محلنا في دولتهم ، بل الى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتزمه
 ممن جاوره ، فرأى أن يقصده الخلفاء الذين الشرف كلّهم في اجابتهم ، ولا عار على أحد
 وان حلّ قدره في ردّهم ، ومن وثق في نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل السبيلين
 عليه ، وأدناها الى ارادته ، حسب ما تقدم لها من تقدّم . وكذلك كاتب من حل
 محلّك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فهالكنّا عدة ، كان يتقلد في سالف
 الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنها ملك مصر الذي أطع فرعون على خطر أمره ، حتى ادعى الالهية وافتيخر
 على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة ، والاقبال العباهلة : ملوك حمير ، على عظم
 شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام التي منها جند حمص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم
 الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها جند دمشق على جلالته في القديم والحديث ،
 واختيار الملوك المتقدمين له . ومنها جند الأردن على جلالة قدره ، وأنه دار
 المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين . ومنها جند فلسطين

وهى الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكبرى النصرانية ، ومعتقد غيرها ، ومحج
النصارى واليهود طرا ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره
وقبر اسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح
وأمه وقبرها .

هذا إلى ما تنقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ،
فإننا لو لم تنقلد غيرها لكانت بشرفها وعظم قدرها وما حوت من الفضل توفى
على كل مملكة ، لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وارثه ومهاجرة ومحج سائر الأنبياء
وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام وداره وقبره ومنبت ولده ومحج العرب على مر الحقب
ومحل أشرافها وذوى أخطارها على عظم شأنهم ونخامة أمرهم . وهو البيت العتيق ،
المحرم المحجوج إليه من كل فج عميق ، الذى يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف ،
من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته ، وإنها مهبط الوحي ،
وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر ، والسهل والوعر ، والشرق
والغرب ، وصحارى العرب على بعد أطرافها ، وتنازع أقطارها ، وكثرة سكانها
فى حاضرتها وباديتها ، وعظمتها فى وفودها وشدها ، وصدق بأسها ونجدتها ، وكبر
أحلامها ، وبعد مرامها وانعقاد النصر من عند الله براياتها . وإن الله تعالى أباد خضراء
كسرى وشرذ قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ،
وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسى من أعظم كراسيكم : بيت المقدس وأنطاكية ،
والاسكندرية . مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأنتم العناد . وإذا وفيت
النظر حقه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بجل الممالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض
المخصوصة بالشرف كله دنيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك
فوق كل منزلة ، والحمد لله ولى كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبتها وبعيدها على عظمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه
الينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت الينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف
بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ،
وبوسعها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا على نعمه التي تفوت عندنا عدد العادين ،
وإحصاء المجتهدين ، ونشر النافرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين . ونسأله
أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه الله منها ومن رضى
اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وكان سعيه مشكورا ،
انه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه
الله لنا من شرف الدين الذى كثره وأظهره ، ووعدنا فى عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة
القاهرة ثم الفوز الأكبر يوم الدين . لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن نعدل عنه ،
وقلت قولا لم يسعنا التقصير فى جوابه ، ومع هذا فانا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا
مكائرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضل لنا نعوذ به ، اذ نحن نكرم عن ذلك ، ونرى
أن نكرمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك فى الخير
ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن فى يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك
فى الاحسان اليهم ، جميع من تقدمك من سلفك . ومن كان محمودا فى أمره ، رُغب
فى محبته ، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فان كنت انما تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك
من اتسعت مملكته ، وعظمت دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة
جمة ، وهى أجل الممالك التى ينتفع بها الأنام ، وسر الأرض المخصوصة بالشرف . فان الله
قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذى جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه
مخصوصين بذلك الى مالنا بقديمتنا وحديثنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذى جمع
لنا ذلك بمنه واحسانه ، ومنه نرجو حسن السعى فيما يرضيه بلطفه ولم ينطو عنك أمرنا
فيما اعتمدناه .

وان كنت تجرى في المكتبة على رسم من تقدمك فانك لو رجعت الى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا ، ولا أغنى غناءنا ، ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلدا ، ولا فوض اليه ما فوض الينا . وقد كوتب أبو الحيش خارويه بن أحمد بن طولون . وآخر من كوتب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيرا وآخرا على نعمه التي يفوت عندنا عددها عد العادين ، ونشر الناشئين . ولم نرد بما ذكرناه المفارقة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات : أولها ، التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لما في هذه المسالك . وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى وشكر واف لما توليهم وتمواخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثيب عليه ، ويرفع في الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وإن الملك كله لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شيء قدير . وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك وجبرية الجبارين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين وشفع نبوته بالامامة وحازها الى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والشجرة التي منها غصنه ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقيها ماض الى غابر ، حتى نجز أمر الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ، وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ليحقق ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها واليه يرجعون .

وإن أحق ملك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلقه أن يكفئه الله بحراسته وحياطته ، ويحفه بعزه وأيده ، ويحمله بهاء السكينة في بهجة الكرامة ، ويحجبه بالبقاء والنجاء ملاح فجر ، وكر دهر ، ملك امامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسننها ، وارسمت أمرها ، وأقامت شرائعها ، ودعت الى سبيلها ، مستتصرة بأيدها ، منجزة لوعدها ، وإن يوما واحدا من امامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملكا وجبرية . ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا ، واحسانه الينا بشرف الولاية ثم بحسن العاقبة بما وفر علينا نخره وعلاه ، ومجده واحسانه ان شاء الله ، وبه الثقة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيك في تخليص الأسرى ، فانا وإن كنا واثقين لمن في أيديكم إحدى الحسينين ، وعلى بيذة لهم من أمرهم ، وثبات من حسن العاقبة وعظم المثوبة ، عالمين بما لهم ، فإن فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها ، سكونا الى ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب . ويعلم أن الله قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه ، وقد تبينا مع ذلك في هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون ، والسلف الصالحون فوجدنا ذلك موافقا لما التمسناه ، وغير خارج عما أحبه ، فسررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل الى عمالنا في سائر أعمالنا ، وعزنا عليهم في جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفر الايمان في انقاذهم ، وبذلناهم ، وبذلنا في ذلك كل ممكن ، وأخرنا اجابتك عن كتابك ليتقدم فعلنا قولنا ، وانجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقع منك ان شاء الله .

وأما ما ابتدأنا به من المواصلات ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الاسباب التي تخصنا وإياك . ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك وبسطهم ، والاستماع منهم والاصغاء اليهم والاقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك الينا والطفلك ايانا بالقبول الذي يحق علينا ، ليقع ذلك موقعه . وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت ، على استقلالنا

اياه ، من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفاً ليتشوف اليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعلمارة الدنيا ومعاش أهلها . ونحن نفردك بما سلمناه الى رسولك لتقف عليه ان شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكننا أصحابك منه ، وأذننا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة . وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأتما به ورعايته ، ورُبّ ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك . والله يعين على ما تنويه من جميل ، واعتقده من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتداءً بجميل لزمه الجرى عليه والزيادة ، ولا سيما اذا كان من أهله وخليقاً به ، وقد ابتدأتما بالمؤانسة والمباينة ، وأنت حقيق بعلمارة ما بيننا وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا ، فأبشر بتيسير ذلك ان شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً .

ولم يكن النجيري من كتاب الرسائل والانشاء فحسب ، بل كان ينظم الشعر في بعض الأحيان . وقد قيل في هذا الصدد ان الفضل بن عباس دخل على كافور الاخشيدى فقال له : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بكسر الميم) فتبسم كافور إلى أبي اسحاق النجيري فقال أبو اسحاق :

لا غرّو ان لحنَ الداعي لسيدنا أوغصّ من هيبَةٍ بالرّيق أو بهر
فمثل سيّدنا حالت مهابتُهُ بين البليغ وبين القول بالخصر
فان يكن خفضَ الأيام عن دهش من شدة الخوف لامن قلة البصر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا والفأل مأثورة عن سيد البشر
بأن أيامه خفضٌ بلا نصّبٍ وان دولته صفوٌ بلا كدرٍ

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ولابن عباس بمثلها^(١) .

ومن أدباء العصر الاخشيدى ابن سيديويه المصرى . وهو أبو بكر محمد بن موسى ابن عبد العزيز الكندى الصيرفى المعروف بسيديويه ولد بمصر سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٨ وكتب بن زولاق أن سيديويه كانت فيه « خلال تشبه المتقدمين والمتصدرين ، كان يحفظ القرآن ويعلم كثيراً من معانيه وقرأاته وغريبه وإعراجه وأحكامه عالماً بالحديث وبغريبه ومعانيه وبالرواة ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسيديويه سيديويه . ويعرف صدرا من أيام الناس والنوادر والأشعار ، وتفقه على قول الشافعى »^(٢) .

وكان سيديويه من تلاميذ أبي بكر محمد بن أحمد بن الحداد فقيه العصر الاخشيدى . وبلغ من علو مكانته فى الأدب ومن فكاكته فى المنادمة ان جالساً أو نوجوراً بن الاخشيد والحسين بن محمد الماذرائى ، وقد رأينا فى الصفحات السابقة أنه كان يقول بالاعتزال ومما يروى فى هذا الصدد أنه قال لأستاذه ابن الحداد ذات يوم : أيدك الله امتنعت من القول بخلق القرآن وجعلت الخالق عدد آى المصحف ! وبدا كأن ابن الحداد لم يفهم ما أراد سيديويه فقال : كيف قلت يا أبا بكر ؟ فقال : نعم ! إذا لم تقل أنه مخلوق فهو خالق : فقال له أبو بكر بن الحداد : لا تدخلنى فيما لا أعرف^(٣) .

ويبدو أن أحد الشيوخ الذين درس عليهم سيديويه أدرك أنه يطلب العلم لوجه الله والعلم فقال له يوماً : لو كان كل من سمع منى مثلك لما استحلت أن اكنتم ، وكنت أنا أمضى إليهم !^(٤) . وهذا قول يكشف عن جانب من الحياة العلمية فى هذا العصر . ويشهد بأن كثيراً من طلبة العلم فيه كانوا ينشدون الأهداف المادية حتى اضطر مثل هذا الأستاذ إلى التصريح بأنه لو كان كل تلاميذه مثل سيديويه لسعى إليهم بنفسه ولما استحلت أن يكتم من علمه شيئاً .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة

ج ٤ ص ٣

(٢) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ١٧ — ١٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٩

(٤) المرجع نفسه ص ١٩

وكان سيديويه يحضر مجالس العلم في الجامع العتيق وعند عالية القوم وفي سوق الوراقين. ثم اعتل بمرض السوداء وقيل إنه وقع في بئر فأصابه مس من الحبل أو الشدود وأصبح يمد من عقلاء المجانين حتى عني ابن زولاق — وكان زميلاً له في الدرس — بجمع أخباره وتسجيل جزء من نثره ونظامه المرتجل وأخباره مع الأمراء ووجوه القوم في عصره ، ولا سيما من تناولهم بالنقد اللاذع والتهم المر .

وقيل إن صالح بن نافع — أحد كبار الحاشية في العصر الاخشيدي — مر على سيديويه ذات يوم في موكب كبير بالحجاب والجنود فتذكر سيديويه — وكان زميلاً له في الكتاب — أن أبا صالح كان شيخاً فورياً يسمسّر في العطر وأن صالحاً كان عطاراً مع أبيه وغازله الموكب الذي يتعالى فيه على الناس فصاح به : « أي شيء هذا ! أنت فاسد ابن ضار ! ارجع إلى شد الاشنان والسدر والزرنينخ » فأمر صالح بن نافع بأن يحمل سيديويه إلى المارستان . ولكن الناس غضبوا لذلك فاستدعى الاخشيدي سيديويه وسأله في بعض المسائل العلمية واقتنع بفضله فأطلقه وأمر صالح بن نافع بأن يعتذر ويحسن إليه ^(١).

وكان سيديويه اشتراكى الميول يكره الأغنياء وعالية القوم ، وكان معظمهم يخشونه ويتقون شره ، وله في ذلك نوادر كثيرة . منها أن رجلاً سأله عن رأيه في أصحاب المهن فسأله سيديويه عن مهنته وعلم أنه يصنع الحصر ، فقال : أي حصر ؟ التي تعمل اعتباراً أو تعمل افتخاراً ؟ فقال الرجل : حصر السامان والعبادان ^(٢) ، فقال سيديويه : هذه حصر الافتخار لا تحل لك لأنك سبب الفتنة بعمل الحصر السامان فيستزيد الغني ويقول أنا أجلس على حصر سامان ، وأما حصر الاعتبار فحصر الخلفاء التي يأوى إليها الفقراء والعبدان والمساكين والسودان ^(٣).

وقيل إن سيديويه رأى الناس يوم جمعة قد اجتمعوا في الطرقات فاستظفت بهم فصاح : ماهذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة ؟ ساطع عليهم قاصفة يوم ترجف الراجفة تتبعها

(١) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٢٥ — ٢٧

(٢) كان أشهر الحصر ما يصنع بعبادان وكانت حصرها تقلد في مصر وفارس ، أنظر متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٠٤ وما ذكره من الراجع القديمة .

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٢٧

الرادفة وتغلي قلوبهم واجفة ! فقال له رجل : هو الاخشيد ينزل الى الصلاة . فقال : هذه للأصلح البطين المسمن البدن ، قطع الله منه الوتين ولا سلاك به ذات اليمين ! أما كان يكنيه صاحب ولا صاحبان ولا حاجب ولا حاجبان ولا تابع ولا تابعان ، لا قبل الله له صلاة ولا قرب له زكاة ، وعمّر بحبته الفلاة ^(١) !

وروى أن سيديويه رأي جعفر بن الفرات وقد ركب في موكب عظيم بعد موت كافور فقال : ما بال ابن الفضل ند جمع كتابه ولفق أصحابه وحشد بين يديه حجاجه وشمّر أنفه وساق العساكر خلفه !؟ أبلغه أن الاسلام طرق نخرج ينصره ، أو أن ركن الكعبة سرق نخرج لهذا الأمر يفكره !؟ فقال له رجل : هو اليوم صاحب الأمر ومدير الدولة . فقال : يا عجبا ! أليس بالأمس نهب الأتراك داره ودكدكوا قراره وأظهروا عوارده حتى أصبح عنهم مستترا ومنهم متحججراً ، وهم إذ ذاك يدعونه وزيراً ، صروه اليوم عليهم أميراً !؟ ما عجب فيهم كيف رضوه ونصبوه ، بل عجب فيهم كيف تولى أمرهم وأمس غدرهم ^(٢) . ومما يدعو الى شيء من العجب أن سيديويه المصرى كان يعلم سيخطه على كافور غير هيّاب ^(٣) وكان كافور يعلم ذلك ويأسف لأن بعض عليّة القوم كانوا يشملونه برعايتهم مداراة له وتخلصاً من لسانه ^(٤) . ولكن هذا الأمير لم يتخذ أى إجراء إيجابى لعفا به أو الفضاء عليه أو الانتقام منه .

ومهما يكن من الأمر فإن سيديويه امتاز بنثر غنى بالسجع الذى يشبه سجع الكهان ، ولكن بعض هذا النثر خفيف على السمع وتظهر فيه الصنعة الفنية

وكان لسيديويه شعر سهل ولكنه فقير الى الصور الشعرية العالية ، ومن ذلك قوله :
واختر لنفسك ما زادت فواضله على نواقصه تختار بقسطاس
واقصد إلى العلم لا تطلب به بدلا فالعلم من أجله كؤنت فى الناس

(١) ابن زولاق : اخبار سيديويه المصرى ص ٢٨

(٢) المرجع نفسه ص ٥٣

(٣) المرجع نفسه ص ٣٢ و ٤٠ و ٤٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٤ و ٣٥ و ٤١ و ٤٣

وانبذ مقالة من ينهك عن نظري نبد الطبيب لداء القرحة الآسي^(١)

منه قوله حين حجبه البواب عن أحد معارفه من عليه القوم :

أنا بالبواب واقف من صلاة الصبح في السرج ممسك لعناني

ويعان البواب ما أنا فيه ويراني كأنه لا يراني

واعتمادي أن استخف بمولا وإسقاطه من الإخوان

أو يزيلنه بصفع جميع في قفاه أو يورم الأخدان^(٢)

وكان سيديويه مع ذلك خيرا بنقد الشعر . ويرى أنه لقي المتنبي وأنكر عليه قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقال : هذا كلام فاسد لأن الصداقة ضد العداوة والصداقة مأخوذة من الصدق

ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من مداراته بد

لـكان أحسن وأجود^(٣) .

أما الشعر في العصر الاخشيدي فكان هزيعا ، وهذه ظاهرة تستحق النظر لأن مصر

أخرجت في هذا العصر من الفقهاء والنحويين والمؤرخين من يضاهون نظراءهم في العراق

كما أن فنون العمارة والفنون الزخرفية في هذا العصر كانت تشابه الفنون العباسية

في العراق ، ولكننا لا نجد من الشعراء المصريين فيه من يساوي شعراء العراق أمثال

أبي تمام والبيحري وابن الرومي^(٤) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥

(٣) المرجع نفسه ص ٤٤

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧١ — ١٧٢

ومهما يكن من الامر فقد ظهر بمصر في العصر الاخشيدي طائفة من الشعراء ،
ومنهم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن القاسم بن ابراهيم طباطبا نقيب الطالبين المتوفى
سنة ٣٤٥^(١) أو سنة ٣٥٢^(٢) . وقد كتب ابن سعيد أن له أدبا واسعا وشعرا مليحا
في الزهد والغزل^(٣) ، وروى بعض مقتطفات من شعره^(٤) ، كما روى الثعالبي أبيانا
من مختاراته ومن بينها :

خليلى انى للثريا لحاسدُ وإنى على صرف الزمان لواجدُ
أبقى جميعها شملها وهى سبعةٌ وأقصدُ من أحبته وهو واحدُ
كذلك من لم تختَرِ منه منيةٌ يرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ^(٥)
والملاحظ أن معظم ما روى من شعره في الغزل والوصف^(٦) ، اللهم إلا ثلاثة أبيات
من الشعر السياسى نظمها في الحلاف على ولاية مصر بعد وفاة الاخشيد ، وقد سبق
ذكرها^(٧) .

ومن شعراء العصر الاخشيدي القاسم بن احمد الرسى وهو ابن الشاعر السابق
وقد روى ابن سعيد والثعالبي طائفة من شعره^(٨) . وأدرك القاسم الدولة الفاطمية .
ومن طريف شعره يهجو ابن كلث ويحذر منه المعز الخليفة الفاطمى :

توقَّ معزَّ الدين شؤمَ ابنِ كلثٍ ولا تقبلنَّ منه مُقالَ مُدلسٍ
فانَّا أرَدْنَاهُ لكافورَ شربةٍ فزادَ على تقديرنا ألفَ مجاسٍ^(٩)

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٥١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩

(٤) المرجع نفسه ص ٤٩ — ٥١

(٥) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠

(٦) النواجى : حلبة الكميت ص ٣٣٩

(٧) أنظر صفحة ٩٤ من هذا الكتاب .

(٨) ابن سعيد : المغرب ص ٥١ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠ — ٣٧١

(٩) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١

وكان من أفراد أسرة طباطبا شعراء آخرون مثل إبراهيم بن أحمد الرسى وابنه الحسين بن إبراهيم ^(١) .

ومن شعراء الاخشيد سعيد قاضى البقر . وكان مقربا الى هذا الأمير لما امتاز به من حلو الفكاهة وحسن الحديث ^(٢) . ومن شعراء هذا العصر صالح بن رشدين ^(٣) وأحمد بن صدقة ^(٤) . ومنهم أبو هريرة أحمد بن عصام ، وكان من أصحاب النوادر واللهو والمجون والادمان على شرب الخمر ^(٥) ، وكانت له مجالس شرب فى بعض الأديرة المشهورة بخمرها العتيق ، وقد وصفها فى أشعار رواها المقرئى فى الكلام على الديارات بمصر ^(٦) .

ومن شعراء العصر الاخشيدى أيضاً محمد بن الحسن بن زكريا ، ومهلل بن يموت . وقد روى لهما شعر فى رثاء الاخشيد ومدح ابنه اونوجور ^(٧) . ومنهم عبد الله بن محمد ابن أبى الجوع ^(٨) وصالح بن مؤنس ^(٩) .

ومما يؤسف له أن شعرا كثيرا من العصر الاخشيدى فقد ولم تسجله المراجع التى وصلت إلينا . ولكن ما نعرفه من شعر هذا العصر يشهد باقبال على اللهو والمجون مع وصف للطبيعة وجمالها ^(١٠) ، وحب للفكاهة والدعابة .

ولسنا نريد أن نتحدث هنا عن الشعراء الذين وفدوا على مصر فى العصر الاخشيدى أو أقاموا فيها فترة من الزمن ، لأننا لانرى للطبيعة المصرية أثرا فى شعرهم وحسبنا .

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٣

(٣) المرجع نفسه ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٨١

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٤ والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦١

(٦) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٤

(٧) النويرى : نهاية الأرب ج ٥ ص ١٨٤ و ١٨٦

(٨) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٣

(٩) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٥١

(١٠) أنظر وصف ابن طباطبا للولال فى ابن سعيد : المغرب ص ٥٠

أن المتنبي « يسمى المقطم في مدحه لكافور ويسمى الاهرام في رثائه لابي شجاع ويذكر النواطير في هجائه لكافور ويذكر السواقي في مدحه لكافور وتعريضه بسيف الدولة ولكنه لا يزيد على التسمية والذكر . وقد طلب اليه كافور أن يصف دارا جديدة انتقل اليها فلم يزد على أن وصف كافورا وهنأه بالدار ولم يلهمه موقع الدار من النهر والجبل وما يحف بها من الحدائق والبساتين شيئا ولم ير إلا كافورا الذي يستطيع أن يمنح المال والولاية » ^(١) .

يبد أن أحد هؤلاء الشعراء الوافدين على مصر يجب استثناؤه من هذا الحكم أو يجب أن نحسبه مصريا ، وهو أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم وقد نشأ في اقليم الرملة الذي كان من املاك الاخشيديين في ذلك العصر . ويشهد ديوان هذا الشاعر بأنه وفد على مصر عدة مرات وأنه كلما بعد عنها حن اليها والى ما بها من الرياض وحياة اللهو والمجون .

ومن شعره في هذا الصدد :

قد كان شوقى إلى مصر يُورِّقُنِي	فاليوم عُدْتُ وعادَتْ مصرُ لى دارَا
أغدو إلى الجزيرة الفيحاء مُصْطَحِبَا	طَوْرَاً وطَوْرَاً أُرَجِّى السَّيْرَ أَطْوَارَا
بَيْنَا أَسَامِي رَئِيسَاً فى رِئَاسَتِهِ	اذ رُحْتُ أُحْسِبُ فى الحَانَاتِ خَمَارَا
اما الشَّبَابُ فَقَدْ صَاحَبْتُ شَرَّهُمْ	وقد قَضَيْتُ لِبَانَاتٍ وَأَوْتَارَا
من شَادِنٍ من بَنَى الأقباطَ يَعْزُدُ مَا	بين الكَثِيبِ وبين الخَصْرِ زَنَارَا ^(٢)

ومنه أيضا :

سلامٌ على دَيْرِ القُصَيْرِ وَسِجْنِهِ	فَجَنَاتِ حُلُوانٍ إلى النِّخْلَاتِ
منازلُ كَانَتْ لى بَيْنِ مَآرِبُ	وكانت مواخيرى ومُنْتَزَعَاتِ
هُنَالِكَ تَصَفُّو لى مِشَارِبُ لَدُنِّى	وتَصْحَبُ أَيَّامُ السُّرُورِ حَيَاتِى ^(٣)

(١) طه حسين : مع المتنبي ص ٥٥١

(٢) ديوان كشاجم ص ٦٤

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢

(٣)

العلماء

(١) النحويون

أدرك العصر الاخشيدى من علماء النحو احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢^(١) . وهو من أسرة اشتهرت بالدراسات النحوية . وقال عنه المبرد انه شيخ الديار المصرية في العربية . وقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن الزجاج وعاد الى مصر فألف كتاب « الانتصار لسيبويه » وكتاب « المقصور والممدود »^(٢) . ونبغ من النحويين بمصر في بداية العصر الاخشيدى أيضا أبو جعفر النحاس ، وقد درس النحو في العراق عن الأخفش الصغير والمبرد والزجاج وكان زميلا لابن ولاد في الدراسة بالعراق وفي التدريس بمصر . وقد حذق فضلا عن ذلك علوم القرآن وألف كثيراً في علوم اللغة وفي الأدب وفي تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه ومات سنة ٣٣٨ . وكان له ولابن ولاد الفضل في اطراد نمو الدراسات اللغوية والنحوية بمصر وتلقى العلم عليهما كثير من المصريين ونشطت حركة التأليف^(٣) .

ومن أدرك العصر الاخشيدى من النحويين المصريين محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم المتوفى سنة ٣٣٠ . وقيل انه كان يعلم الأمراء النحو^(٤) .

(ب) المؤرخون

قد يكون أكبر نصيب لمصر في الثقافة الاسلامية ما كتبه أبنائها في التاريخ . وقد نبغ من المؤرخين المصريين في فجر الاسلام ابن عبد الحكم . أما العصر الاخشيدى فقد أخرج من المؤرخين ابن يونس والكندي وابن زولاق .

(١) السيوطي : بنية الوعاة ص ١٠٥ و ١١٢ و ١٦٩

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٠١ — ٢٠٣

(٣) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥ و ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٣٠

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤

أما ابن يونس الصدفي^(١) فقد تحدثنا عنه في الصفحات السابقة عند الكلام على الفقهاء وذكرنا أنه كان يعنى بالتاريخ ولا سيما للبحث في الحديث . وقيل انه جمع لمصر تاريخين: أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين ، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر . ويبدو أن بعض معاصريه كانوا لا يشقون بما يكتبه في التاريخ وأن آخرين كانوا يتصدون للدفاع عنه ، كما يتبين من الآيات الآتية التي قبلت في رثائه سنة ٣٤٧ هـ :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا نَالُوكَ إِنْ نُشِرَتْ	عَنْكَ الدَّوَابُّ تَصْدِيقًا وَتَصْوِيبًا
مَازَلَتْ تَلْهَجُ بِالتَّارِيخِ تَكْتُبُهُ	حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبًا
نُشِرَتْ عَنْ مِصْرَ مَنْ سَكَّانُهَا عُلَمَاءُ	مُبْجَلًا بِجَمَالِ الْقَوْمِ مَنْصُوبًا
كَشَفَتْ عَنْ فُخْرِهِمْ لِلنَّاسِ مَا سَجَعَتْ	وَرَقَّ الْحَمَامِ عَلَى الْأَغْصَانِ تَهْرُيبًا
أَعْرَبَتْ عَنْ عَرَبٍ نَقَّبَتْ عَنْ نَجَبٍ	سَارَتْ مَنَاقِبُهُمْ فِي النَّاسِ تَنْقِيبًا
أَنْشَرَتْ مِثْلَهُمْ حَيًّا بِنَسَبِهِ	حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا ^(٢)

أما الكندي فشيخ المؤرخين المصريين قبل الدولة الفاطمية . وهو محمد بن يوسف ابن يعقوب بن حفص بن يوسف النجيب الكندي، ولد سنة ٢٨٣ وتوفي سنة ٣٥٠ . والراجح أنه تلقى العلم في مصر إذ ليس لدينا ما يشير إلى أنه رحل إلى غيرها من البلاد . ومهما يكن من الأمر فقد درس العلوم الدينية ، ولا سيما الحديث ، ثم انصرف إلى التاريخ والتأليف فيه فكتب طائفة من الكتب لم يصل إلينا معظمها ولكنها كانت أساسا لكتب أخرى ألقت في موضوعها في العصور التالية . ومن ذلك أنه ألف كتابا في الخطط^(٣) . وقد أشار

(١) نسبة إلى قبيلة الصدف .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠

(٣) بدأ المقرئ في الفصل الذي عقده لذكر الخطط التي كانت في مدينة الفسطاط بقوله : « اعلم أن الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة » أنظر المقرئ : الخطط ج ١ ص ٢٩٦ — ٢٩٧

اليه المقرئى حين قال فى مقدمة كتابه « الخطط » ان أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه هو ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ^(١). كما أن أبا صالح الأرمنى أشار فى كتابه كنائس وديور القاهرة ^(٢) الى كتاب خطط مصر للكندى ، فضلا عن أن ابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ نقل فى كتابه الانتصار لواسطة عقد الامصار ^(٣) أخبارا عن الكندى يرجح أنها من كتاب عن الخطط لأنها تتصل بالفسطاط وخرائبها وأزقتها وما الى ذلك .

ويبدو أن الكندى ألف كتاباً عن جامع عمرو وسماه « أخبار مسجد أهل الراية الأعظم » ^(٤). والمعروف أن أهل الراية خليط من القبائل التى لم تكن ممثلة فى جيش عمرو بن العاص تمثيلاً يسمح بأن يكون لكل منها خطة مستقلة فى الفسطاط ، فجمعهم عمرو فى خطة سماها أهل الراية ، كما ألف الكندى « كتاب الموالى » تحدث فيه عن الموالى الذين ارتقوا فى مصر ونالوا المراتب العالية فترجم لهم وكتب أخبارهم ^(٥). وكتب الكندى مؤلفات أخرى ضاع معظمها . ولكن أعظم مؤلفاته هو الكتاب الذى وصل إلينا ووقف على طبعه المستشرق الانجليزى جست ، وهو « كتاب الولاية وكتاب القضاة » وقد أشرنا فى التصدير إلى مكانة هذا الكتاب بين المراجع الأصلية فى تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربى إلى وفاة الأخشيدي . والواقع أن المؤرخين المصريين الذين جاءوا بعد الكندى نقلوا عنه كثيراً . ولا ريب أنه سبقهم إلى الكتابة فى خطط مصر وآثارها وفى تاريخ قضاتها . وقد حذا حذوه فى الموضوع الأول ابن زولاق والقضاة وابن دقاق والمقرئى والأوحدى والسيوطى . ونسج على منواله فى الكتابة عن القضاة ابن زولاق وابن حجر العسقلانى وابن شاهين .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤

(٢) ص ٢٩ و ٣٢ و ١٠٧

(٣) ج ٤ ص ٧ — ٩ و ١١ و ١٣ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ و ٥٣ و ٦٧ و ٨٦ و ١٠٨ و ١٠٩

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٤٦ وابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٤

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٧١ و ج ٢ ص ١٣٧ و ١٦١ وابن دقاق : الانتصار

ومن الأخطاء الشائعة أن الكندي ألف كتاباً في « فضائل مصر »^(١). ولكن الحقيقة أن صاحب هذا الكتاب هو ابنه عمر^(٢). وقد كتب في مقدمته أن الذي أمره بتأليفه هو كافور الاخشيدى وأشار إلى والده الكندي بين العلماء الذين جمع من كتبهم ما أمره به كافور، ثم ذكره ثانية بين علماء مصر « الذين برع كل منهم في مذهبه والذين لكل واحد منهم من الكتب المصنفة ما يعجز عن نظيرها سائر أهل الدنيا ».

أما ابن زولاق فهو الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثى بالولاء^(٣). ولد سنة ٣٠٦ وتوفي سنة ٣٨٧ ودرس على الفقيه أبي بكر بن الحداد، وعلى المؤرخ أبي عمر الكندي، وعنى بتاريخ مصر وكتب ذيلاً لكتاب أمراء مصر وقضاتها للكندي. كما ألف كتاباً في سيرة الاخشيد، وكتاباً في أخبار سيديويه المصري^(٤)، وقد تحدثنا عنهما في التصدير ويبدو أنه ألف كتاباً في سيرة كافور وكتاباً آخر في سيرة الماذرائيين. ولعله صنف كتاباً مستقلاً في سيرة محمد بن علي الماذرائي^(٥). وألف فضلاً عن ذلك كتاباً في « فضائل مصر » وفي خطط مصر وفي تاريخ مصر على السنين، وكتاباً أخرى في سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز^(٦).

ومن المؤرخين المصريين الذين أدركوا العصر الاخشيدى سعيد بن البطريق المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وهو البطريق الرومي المملكاني اقيثيوس وكان طبيباً مشهوراً بالفسطاط^(٧). ثم نصب بطريقاً على الاسكندرية سنة ٣٢١، وقد عني بالتاريخ وكتب فيه مؤلفاً مشهوراً هو « نظم الجوهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » وتحدث فيه عن التاريخ منذ الخليفة إلى العصر الذي عاش فيه.

(١) في دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب (تاريخ ٤٢٢) .

(٢) راجع صفحة ١٤ من المقدمة الانجليزية التي كتبها جست لكتاب الولاة والقضاة .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٧ ، وياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥

(٤) من المحتمل أن مخطوطة أخبار سيديويه المصري التي طبعت في مصر ليست تامة ، لأن

في بعض كتب الأدب قصصاً عن هذا الأديب لا تضمنها هذه المخطوطة ، أنظر مثلاً الحصري

القيرواني : زهر الآداب (طبعة زكي مبارك ص ٢٠٦ — ٢٠٧) .

(٥) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٧

(٦) راجع صفحة ٤٥ من مقدمة جست لكتاب الولاة والقضاة .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٦

البَابُ الْعَاشِرُ

السياسة الداخلية

السياسة الداخلية

(١)

السياسة الدينية

عرفنا في الأبواب السابقة أن الأمراء الاخشيديين كانوا يعظمون العلويين ويظهرون لهم التقدير في شتى المناسبات . وكانت للاخشيد ولـكافور قصص مشهورة في هذا الصدد رويتنا معظمها في مواضع شتى من هذا الكتاب ^(١) .

ومع ذلك فقد كان الجند السودان والترك يتعصبون على الشيعة ، ولا سيما في آخر عهد الدولة الأخشيدية . وقد بلغت الفتنة في يوم عاشوراء سنة ٣٥٠ مبلغا شديدا في القسطنطينية فشب القتال بين الجند السنيين من السودان والترك وبين الشيعة . وكان الجنود يسألون من يقابلونه : من خالك ؟ فان لم يقل معاوية ضربوه . وطاف أحد المتحمسين من السودان يصيح في الطرقات : معاوية خال علي ! وتبعه العامة . وكانت الحكومة تبذل جهودها في المحافظة على النظام ، والظاهر أن زمام الامور أفلت من يدها في هذه المسألة . وأصبح كثير من الناس يرددون تلك الصيحة التي يعرف بها السني : معاوية خال علي ! بل إن شيخين من العامة كانا يقفان على باب جامع عمرو في كل يوم جمعة ويناديان في وجوه الناس : معاوية خالي وخال أمير المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانا يصيحان في وجه أبي جعفر مسلم الحسيني : معاوية خال علي ، ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونههم ، خرج كثير من المصريين فلقوا كافورا الاخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا : معاوية خال علي ، وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج علي الطالبيين ^(٢) .

(١) ابن سعيّد : المغرب ص ٦ و ١٨ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٢ و ٤٧ و ٤٨

(٢) القرطبي : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

وحدث في سنة ٣٥٣ أن أخذ رجل من كبار الشيعة فضرب وعذب حتى مات في السجن ، فحمل ليلاً ودفن فمضى جمع من الناس لينبشوا قبره وأرسلت الحكومة طائفة من الجند لمنعهم من ذلك وقام قتال بين الجند العامة^(١) . واضطر كافور بحافضة على النظام إلى فرض نظام يكاد يشبه نظام منع التجول في عصرنا الحاضر وأمر بتشديد الحراسة على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء ومنع الناس من الخروج^(٢) .

وفي سنة ٣٥٦ كتب الناس على المساجد في مدح الصحابة وتفضيلهم على العلويين فأمر كافور بإزالة ما كتبوا « فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما أحدث في أيامي ما لم يكن . وما كان في أيام غيري فلا أزيله . وما كتب في أيامي أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها^(٣) .

أما السياسة التي كان الأمراء الاخشيدون يتبعونها مع أهل الذمة فلم تكن سياسة ثابتة . ولكن الواضح من النصوص التاريخية أن الاخشيديين كانوا لا يضطهدون المسيحيين وأن سوء المعاملة التي كانوا يشكون منها في بعض الأحيان لم تكن موجهة إليهم بصفته الطائفية وإنما كان الأمراء الاخشيدون ولا سيما الاخشيد نفسه يعملون على مصادرة أموالهم أحياناً كما كانت تصادر أموال كثير من المسلمين في ذلك العصر .

وكان الخلاف بين المسيحيين ينتهي إلى الأمير الاخشيد في بعض الحالات ، فيفصل فيه بشيء من العنف . وقد ينتهز الفرصة فيعمل على أن ينال شيئاً من أموال الكنيسة أو كنوزها^(٤) .

وكان موضوع بناء الكنائس وتعميرها من الموضوعات التي لم يكن للمسلمين فيها سياسة ثابتة . فكان يسمح للنصارى في بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة وأحياناً أخرى كانوا يمنعون حتى من إصلاح الكنائس القديمة^(٥) . وحدث سنة ٣٢٦ أن انهدم جانب

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) المقرئى : اتماط الحنفا ص ١٩٨

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٩٥ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٥

(٥) أنظر متر : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٧٠ والمراجع التي أشار إليها .

من كنيسة أبي شنودة ، بمصر فبذل النصارى للاخشيد مالا كثيرا ليطلق لهم عمارتها فأمر بأن تؤخذ فتوى الفقهاء . فأما ابن الحداد فأفتى بالألا تعمروا وبذلك أفتى الفقهاء من أصحاب مالك . ولكن فقيها اسمه محمد بن علي أفتى بأن لهم أن يرموها ويعمروها . وعرف الناس فتواه فحملوا النار الى داره وأرادوا قتله فاختفى وندم على فتياه . وثار العامة وأغلغفوا الدروب وأحاطوا بالكنيسة ، فأرسل الاخشيد طائفة من الحند فزحف العامة ورموهم بالحجارة فسحب الاخشيد الجند ودعا ابا بكر بن الحداد وأمره أن يذهب الى الكنيسة فيتركها قائمة إذا كانت تبقى ويهدمها إذا كانت توشك على السقوط وتندرب بالخطر . وذهب ابن الحداد ومعه أحد المهندسين واستطاعا أن يدخلوا الكنيسة وطاف المهندس وفي يده شمعة ثم عاد الى ابن الحداد وقال له : تبقى هكذا خمس عشرة سنة ثم يسقط منها موضع ثم تبقى الى تمام أربعين سنة وتسقط جميعها . فانصرف ابن الحداد الى الاخشيد ونقل اليه ما حدث فأمر الاخشيد بتركها من دون عمارة . وكان أمرها كما قال المهندس . فعمرت سنة ٣٦٦ ولو تركت لسقطت ^(١) .

ولم يكن الرهبان يعفون من الجزية في فجر الاسلام إلا إذا كانوا مساكين يتصدق عليهم كباقي المساكين . وليكن الحكومة كانت تتشدد في جباية الجزية أحيانا . وقد حدث في مصر سنة ٣١٢ أن « أخذ الرهبان والاساقفة بأداء الجزية فأخذت الجزية منهم ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد ومن رهبان طور سيناء ، وسافر قوم من الرهبان الى العراق واستغاثوا بالمقتدر فكتب لهم ألا تؤخذ الجزية من الرهبان ولا من الاساقفة . . . وأن يجري أمرهم على ما كانوا عليه ^(٢) » .

وقد وصلت الينا وثيقة من البردى مؤرخة من سنة ٣٣٠ ومحفوطة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا وتنضمن وصلا باستلام جزية قدرها ثلث دينار وثلثا قبطا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢ — ٣٣ والسكندى : الولاية والقضاة (الملحق)

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٣

من بكام بن دانييل ، سامها الى تيود وروس بن خائيل أمام أبو الحسن بن عيسى وقيدت في الورقة الرابعة من سجل الديوان ^(١) . وهذه الوثيقة مهمة لانها من أحدث الوثائق المكتوبة على البردى منذ طغى استعمال الورق العادي فقضى في النهاية على الكتابة على الاوراق البردية .

وحدث بعد وفاة علي بن الاخشيد واستغلال كافور بالأمر أن وقع المسيحيون في بيت المقدس فحمة لموجة من الاضطهاد لم يكن أساسها طائفا ، وإنما كان قوامها رغبة الوالى محمد بن اسماعيل الصناجى في الاستيلاء من البطريك على أكثر ما يمكنه الاستيلاء عليه من المال . والواقع أن هذا الوالى أرهق بطريك بيت المقدس بمطالبه المالية حتى اضطر الأخير الى السفر الى مصر حيث رفع شكواه الى كافور فكتب كافور الى الحسن بن عبيد الله بن طنج خليفته على الشام يأمره بمنع الصناجى عن البطريك وقبض يده عن مطالبته بما لا يجب له عليه . وكتب الحسن بن عبيد الله بن طنج الى الصناجى في هذا المعنى . ولكن الصناجى لم يقلع عن سياسته الغاشمة فذهب البطريك الى الرملة حيث كان يقيم الحسن بن عبيد الله بن طنج فوجه معه الحسن طائفة من الجند ومعهم قائد يسمى تكين . وكانت مهمتهم حماية النصارى ومنع الصناجى من اضطهادهم فكبر ذلك على الصناجى وجمع عشيرته وأتباعه وقبض على تكين وجنوده واعتدى على الكنائس واشترك اليهود مع المسلمين في هذا الاعتداء وقتلوا البطريك ^(٢) .

ومما يؤسف له أن المراجع التاريخية لا تذكر لنا ما فعلته الحكومة المركزية في مصر لرد هذا الاعتداء على طائفة من رعاياها . وأكبر الظن أنها لم تفعل شيئا . ولا عجب فقد كانت الدولة الأخشيدية تسكاد تختصر في هذا الوقت .

(١) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 243 No. 916

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وقد لاحظنا أن الأستاذ محمد كرد علي سمى والى بيت المقدس المشار اليه هنا « الصناجى » بدلا من الصناجى ، أنظر محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ٢١٥

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاخشيدي لخص سياسته الداخلية في الكتاب الذي وجهه الى أرمانيوس في العبارات الآتية :

« وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها ، على عظمها وسعتها بفضل الله علينا واحسانه
الينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت الينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف
بين قلوب سائر الطبقات من الاولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ،
ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة »^(١).

(١) القلقشندي ج ٧ ص ١٤

(٢)

الأمّن

كان الأمّن مستتباً في مصر الاخشيدية استتباً لم تعرفه البلاد في فترات طويلة من تاريخها قبل تولية محمد بن طغج . ولا ريب في أن السبب في ذلك أن الاخشيديين كانوا يحتفظون بجيش كبير لحماية مملكتهم من أعدائهم على الحدود الشمالية الشرقية ومن الفاطميين الذين كانوا يهددونهم من الغرب . وطبيعى أن زمام الأمور لم يفلت من يد الحكومة إلا نادراً ، وكان ذلك حين يشتد الغلاء وينتشر الوباء وبز وجود القمح فيقبل بعض الناس على نهب الضياع والاغارة على المزارع ^(١) .

وقد حدث في سنة ٣٣٠ هـ — حين سار الإخشيد لاسترجاع الشام بعد مقتل ابن رائق — أن خلت الفسطاط من الجند وانتهز هذه الفرصة أحد العلويين ، وهو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن علي بن أبي طالب المعروف بابن السراج وسار إلى قرية شرونة ^(٢) . ثم اتجه منها إلى غربى النيل فنهب سمسطا . ومن الغريب أن المراجع التاريخية لا تشرح أسباب هذه الثورة ولا أهدافها . ويبدو أن هذا العلوى لم تكن له أهداف معينة أو أنه خشى عودة الجند من الشام وإخماد ثورته والتمثيل به فسار إلى برقة حيث دخل في طاعة الخليفة الفاطمي ^(٣) . ولكن هذا التأثير قدم الى مصر ثانية بعد وفاة الاخشيد ، فوصل اليها في ربيع الآخر سنة ٣٣٥ . ويبدو أن أونوجور أخبر بقدومه ، وأنه لم يشأ الانتقام منه ، بل سمح له بالخروج للحاق بالجيش الاخشيدى في الشام فخرج بعد أيام وتوفي بالرملة ^(٤) . ولسنا نعرف من المراجع التاريخية سبب عودته الى مصر ، كما أننا لا نعرف

(١) المقرئى : الخطاط ج ١ ص ٣٢٩

(٢) قرية بالصعيد الأدنى شرق النيل وعلى مقربة من البهنسا ، أنظر ياقوت : معجم البلدان

ج ٥ ص ٢٥٩ وابن الجيعان : التلخفة السنية في أسماء البلاد المصرية ص ١٦٨

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هل هو الذى تقدم بالتوبة وعرض رغبته فى التكفير عن ذنبه فى ميدان القتال أم أن الحكومة الاخشيدية رأت التخلص من وجوده بمصر فأمرته باللاحاق بالجند المصري فى الشام .

وقامت بعد وفاة الاخشيد ثورة أخرى حين كان كافور واونوجور فى الشام ^(١) .

فقد خرج والى الأشمونين المعروف باسم غلبون بعد أن استبد بالأمور فى منطقة نفوذه حتى شكاه منه التجار وأذاعوا أنه يريد أن يشورها . وأعدت الحكومة جماعة من الجند سيرتهم اليه فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ ولكن هذا الثأر دبر كميناً لهم واستطاع أن يقتل كثيراً منهم وأفلت قائدهم شادن الاخشيدى بنفسه . وانظمت الحكومة جيشاً لا خضاع غلبون ولكنه خالف الجيش فى الطريق واستطاع الوصول الى الفسطاط فدخل دار الامارة ويبدو — كما مر بنا — أنه اتفق مع محمد بن على الماذرائى — على أن يقوم هذا الوزير بتدبير الأمور . ولكن الجيش الاخشيدى كر على غلبون فى الفسطاط وهزمه وطرده منها فخرج الى الشرقية ولحقه الجند الاخشيدون وكانت بينهم معركة شديدة انتهت بقتل غلبون فى ذى الحجة سنة ٣٣٦ ، وشغلت الحكومة والناس بهذه الثورة واضطربت الأمور فى تلك السنة حتى أن أحداً من المصريين لم يستطع الذهاب الى الحج فيها ^(٢) .

ويبدو أن بعض رؤساء العشائر البدوية كانوا يشورون على سلطان الاخشيديين فى الشام . ولكن المراجع التاريخية لم تفصل الكلام على هذه الثورات . ولسنا نعرف إلا ما ذكره أبو المحاسن فى حوادث سنة ٣٤٤ حين ذكر وفاة شعله بن بدر الاخشيدى الذى ولى امرة دمشق من قبل أونوجور بن الاخشيد وكان شجاعاً بطالاً قتل فى طبرية

(١) مر بنا فى رواية للحقيرى فى المتقى أن كافورا فقط هو الذى كان فى الشام أنظر

ص ١٥٩

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٩٥ — ٢٩٦ والمقرىزى: الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وأبو المحاسن:

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢ وج ٤ ص ٢ و Wiet: L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation

Egyptienne t. 4.) p. 140

في حرب كانت بينه وبين مهلهل العقيلي^(١) . كما جاء في ديوان المتنبي أنه نظم قصيدة يذكر فيها قيام شبيب العقيلي على كافور وقتله بدمشق سنة ٣٤٨ ومن أبيات هذه القصيدة المشهورة :

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَحِبَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِ^(٢)

وخرج على الحكومة الاخشيدية في سنة ٣٥٢ ثائر في بادية الشراة بالشام . وهو من بني سليم يدعى محمد بن احمد السلمي ، واجتمع اليه أنصار كثيرون فقوى أمره وأرسل كافور الى الشام جيشا لحماية البلاد ولكنه أمر قواده أن يتركوا هذا الخارجى وشأنه والا يبدأوه بالقتال . وظل الفريقان على تلك الحال إلى أن عمل رجل من بني عقيل على أسر هذا الثائر وحمله الى مصر . وقيل إنه اركب فيلا وطيف به في شوارع القسطنطينية شهيرا به واعتقل مدة ثم عفى عنه^(٣) .

وحدث في سنة ٣٥٥ أن خرج بنو سليم على الحجاج السائرين من مصر والشام . فقتلوا منهم عددا كبيرا ونهبوا ما كان معهم من الأموال الطائلة لأن الحجاج في هذا العام كانوا جمعاً غفيراً ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الثغور والشام هربوا خوفاً من الروم وحملوا ما استطاعوا حمله من أموالهم وأرادوا أن يقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق^(٤) .

(١) أبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٤ — ٤٠٦

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢١

(٤) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٢٠٦

(٣)

السياسة المالية

كان « تضيفين » الأراضى لمستعمراتها بمصر الاخشيدية يجرى — كما كان فى فجر الإسلام — فى المسجد الجامع كل أربع سنين فينادى على البلاد صفقات صفقات فى جامع عمرو وأمام صاحب الخراج أو من يقوم مقامه ومعه المختصون من الكتاب والموظفين^(١) .

ومن طريق ما وصل إلينا من أخبار الاخشيد أن الحسن بن طاهر العلوى كان يتخذ أشد الحذر حين يكتب الى مصر فى الفترة التى قضاها فى الشام ليسفر فى الصلح بين الاخشيد وابن رائق — وذلك بعد أن علم أن ابن رائق يراقب ما يكتبه الى مصر^(٢) — فكان اذا كتب الى الاخشيد حرص على أن يرسل كتابه بواسطة حمام الزاجل ، ولكنه لم يكن يستطيع ذلك دائماً فكان فى بعض الأحيان يكتب الى أخيه الحسين بن طاهر لينوب عنه فى ابلاغ الاخشيد ما يريد . وحدث ذات مرة أن ورد الى الحسين بن طاهر كتاب من أخيه الحسن يطلب فيه أن يسأل الاخشيد « أن يعفيه من ضمان بلبليس وفاقوس فانه قد عجز عنهما لقله فأئدتهم وكثرة غشيان البوادرى لهما » وتعجب الحسين ابن طاهر لأن ضمان هاتين الضيعتين لم يكن فى يد أخيه الحسن . فحمل الكتاب الى الاخشيد وقرأه عليه . فاستدعى الاخشيد كاتب ديوان الخراج ، وسأله اذا كان ضمان فاقوس ولبليس فى يد الحسن بن طاهر فأجاب بالنفى . فاستنبط الاخشيد أن الحسن بن طاهر أراد أن ينقل اليه أن ابن رائق عزم على القيام بهجوم مفاجئ على مصر وأن الواجب الاستعداد والاستعانة بحامية قوية للدفاع عن فاقوس ولبليس . وبادر الامير الى ارسال ثلاثة آلاف جندي الى فاقوس ومثلها الى بلبليس . وكتب الحسين ابن طاهر الى أخيه الحسن : « قد أعفأك من ضمان فاقوس ولبليس وضمنهما من يقدر عليهما »^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٢

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٨

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧

وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة وثيقة بردية ترجع الى سنة ٣١٢ هـ ، أى الى قبيل العصر الاخشيدي وتتضمن تقبل أراض من كورة الأشمونين لأربع سنين متواليات أولها سنة ٣١٢ وآخرها سنة ٣١٥ ^(١) . وتشهد وثائق أخرى بأن الخراج كان يدفع على أقساط موزعة على السنة ^(٢) . وكانت جباية الضرائب على الأرض الزراعية تتمشى مع حال الزراع وأوقات الغرس والحصاد أى أنه لم يكن بد من السير طبقا للسنة الشمسية . ولما كان القوم لا يستطيعون ترك السنة الهلالية بما لها من علاقات بأمور الدين من عبادات ومعاملات فقد سارت السنتان الهلالية والخرجية مع اختلافهما جنبا لجنب ، وحدث اضطراب كبير بسبب تفاضل السنين حتى صارت الجباية الخراجية فى السنة التى تلتها تنسب فى التسمية الى ما قبلها . ولما لم يكن من الجائز كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر « لأنهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الأشهر الحرم عن مواقعها وانحرقت المناسك عن حقائقها » لذلك كله « رأى أمير المؤمنين نقل سنة ٣٥٠ الخراجية الى سنة ٣٥١ الهلالية جمعا بينهما » ^(٣) .

وكان خراج مصر فى عصر الاخشيد مليونين من الدنانير فى السنة ^(٤) . وكتب ابن زولاق أن الاخشيد استخرج من مصر فى احدى عشرة سنة اثنين وعشرين ألف ألف دينار سوى خراج الرملة وطبرية ودمشق والسواحل ^(٥) . ولسنا نعرف هل كان الاخشيد يرسل كل هذا الخراج الى الحكومة المركزية فى بغداد أم كان يحتفظ بقسط كبير منه . والراجح عندنا أنه كان يرسل منه الى بغداد ما يزيد على نفقات دولته ، ولا سيما حين لم يكن مشغولا بحروب دفاعية . تقتضيه النفقات الكبيرة . ولم يكن هذا عسيرا عليه فقد كانت مصر تحمل الى بيت المال فى دار الخلافة قبيل الدولة الاخشيديّة

(١) Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library. 11. pp. 57-64.

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣٨

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٩ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ٩

ص ١٨١ — ١٨٣

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦

نحو مليونين ونصف مليون من الدنانير في بعض الأحيان^(١)، ويبدو أن زيادة الإيرادات على المصروفات كان متوسطها في عصر الاخشيد نحو مليون دينار في السنة، حتى اعتبر ابن اياس أن هذا الرقم هو خراج مصر في أيام الاخشيد^(٢).

وإذا صح ما ذكره أبو صالح الارمني في تاريخه (الكنايس ص ٣٠) فقد بلغ خراج مصر في سنة من حكم كافور ثلاثة ملايين ومائتي وسبعين الفا من الدنانير. وكتب ابن زولاق أن كافورا جى سنة ٣٥٦ من اقليم الفيوم وحده ستمائة وعشرين ألف دينار^(٣). وقد ذكر ابن حوقل أن خراج مصر بلغ في سنة ٣٥٩ — أى بعد سقوط الدولة الاخشيدية مباشرة على يد جوهر القائد — ثلاثة ملايين ومائتي ألف دينار^(٤).

وليس في المراجع التاريخية ما يفصل الكلام على أنواع الضرائب بمصر في العصر الاخشيدى^(٥). ولكن المعروف أن الضرائب كانت ثقيلة وأن نظام الاحتكار كان لا يزال سائداً بعض مرافق الحياة. وقد زار المقدسى مصر في بداية العصر الفاطمى، ولا ريب في أن قسماً كبيراً من حديثه عنها ينصرف إلى العصر الاخشيدى. ومما كتبه عن المكوس: «أما الضرائب فتثقل بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل.

وأما ثياب الشطوية فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئاً منها إلا بعد ما يختم عليها بخاتم السلطان، ولا تباع إلا على يد سماسرة عقدت عليهم. وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقشر ثم إلى من يشدها في السفت وإلى من يحزمها. وكل واحد منهم له رسم يأخذه، ثم على باب الفرضة يؤخذ

(١) قدامة بن جعفر: كتاب الخراج ص ٢٥١، متر: الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢١٩

(٢) ابن اياس: نشق الأزهار ص ٣٧؛ أنظر أيضاً عمر طوسون: مالية مصر من عهد

الفراعنة إلى الآن ص ٥٢

(٣) المقرئى: الخطط ج ١ ص ٢٤٩

(٤) ابن حوقل: المسالك والممالك ص ١٠٧

(٥) أنظر ما كتب عن الضرائب في فجر الاسلام في جرومان: المحاضرة الرابعة عن الأوراق

البردية العربية (دار الكتب المصرية) ص ٥ وما بعدها. وسيدة كاسف: مصر في فجر الاسلام

ومن صادرهم الاخشيد أبو بكر محمد بن علي الماذرائي ^(١) ، ومحمد بن كلا ^(٢) ، وبارشكور ^(٣) وعمران بن فارس ^(٤) . ولسكن الواقع أن معظم من كانوا يصادرون كانوا من كبار موظفي الدولة أو ممن كانت لهم معاملات معها أصابوا منها مالا وفيرا . وكما كان الناس في دار الخلافة يتوقعون المصادرة ويعملون على إخفاء أموالهم وخداع أولى الأمر ^(٥) ، كذلك كان القوم في مصر الاخشيدية يبتدعون الوسائل لإخفاء ثرواتهم ومن بينهم من اتخذ له فسقية دس فيها مائة ألف دينار دون أن ينتبه البناء ^(٦) .

وكان الاخشيد لا يعدم الحجج ليبرر أمام الناس ما يقوم به من المصادرات من وقت الى آخر . فكان يذهب إلى أنه إنما يفعل ذلك لسد نفقات دولته والاتفاق على جيوشه ، ولمعاقبة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوطنهم من النفوذ والجاه . بل إن الاخشيد سبق ما نعرفه الآن من ضرائب التركات فكان يعمل على الاستيلاء على جزء من تركة كبار التجار والموظفين ^(٧) . ومن ذلك أن عثمان ابن سليمان البراز توفي سنة ٣٢٣ هـ فأخذ الاخشيد من ميراثه نحو مائة ألف دينار ^(٨) ومع ذلك كله فقد كان الاخشيد رقيقا في معاملة الذين يصادرهم فلم يعذب أحدا ، بل كان يأبى أن يرى الذين يأمر بمصادرتهم إلا بعد أن تنتهي المصادرة ^(٩) .

ولم يؤثر عن كافور أنه مال إلى مصادرة عماله وأغنياء البلاد في عصره . أما بعد وفاته فقد قبض الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات على كثير من وجوه القوم في مصر ، ومنهم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٤ — ١٦ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٧

(٣) المرجع نفسه ص ١٦

(٤) المرجع نفسه ص ٨

(٥) أنظر مثز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٤ — ١٩٦ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٧

(٧) المرجع نفسه ص ٣٦

(٨) المرجع نفسه ص ١٧

(٩) المرجع نفسه ص ١٥ و ٣٧

يعقوب بن كاس ، وصادر منهم أموالا كثيرة^(١) . ولما قدم من الرملة الحسين ابن عبيد الله بن طنج قبض على جعفر بن الفرات وصادر أمواله .

وقد اشتد الغلاء بمصر في عصر الدولة الاخشيدية مرات عدة . وكانت الحكومة تبذل كل الجهد في تخفيف ويلاته . فقد انتشر في سنة ٣٢٩ غلاء عظيم واختفت الاقوات من الأسواق وعز القمح وسائر الحبوب وتبعه وباء شديد^(٢) . ووقع الغلاء في سنة ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٣^(٣) . ثم وقع الغلاء الشديد في مصر من سنة ٣٥٢ واستمر تسع سنين متتابعة وكان من الأسباب التي أضعفت الدولة الاخشيدية وعجلات سقوطها . وكان سببه الرئيسي يرجع إلى النقص في فيضان النيل ، مما أدى إلى اختفاء القمح واضطراب الاحوال وكثرة الفتن ونهب الضياع^(٤) .

« ثم مات كافور ، فكثرت الاضطرابات وتعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجنيد والامراء قتل فيها خلق كثير وانتهبت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة فاشتد خوف الناس، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر وتمذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وية بدينار . واختلفت العسكر ، فلاحق الكثير منهم بالحسن بن عبيد الله بن طنج ، وهو يومئذ بالرملة ، وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمي ، وعظم الارجاف بمسير القرامطة إلى مصر . وتواترت الاخبار بمجيء عساكر المعز من المغرب إلى أن دخلت سنة ٣٥٨ ودخل القائد جوهر بعساكر الامام المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية . وكان مما نظر فيه أمر الاسعار ، فضرب جماعة من الطحانين وطيف بهم وجمع سماسرة الغلات بمكان واحد وتقدم ألا تباع الغلات إلا هناك فقط ، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب^(٥) . »

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٩٧

(٣) المقرئ : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص ١١ — ١٢

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢٩ — ١٣٠ ، والمقرئ : إغاثة الأمة ص ١٢ — ١٣

(٥) المقرئ : إغاثة الأمة ص ١٣ — ١٤

الباب الحادي عشر

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمي

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمي

(١)

مع الحمدانيين

عرفنا أن الخليفة المتقي غادر بغداد وأقام عند الحمدانيين سنة ٣٣٢^(١) . ثم استدعى الإخشيد لمقابلته في مدينة الرقة لعله يجد فيه عوناً على أمير الأمراء في بغداد . وعرفنا أن اللقاء لم يسفر عن أي نتيجة إيجابية فعاد الإخشيد إلى مصر . وكان سيف الدولة يرقب الحالة عن كثب ورأى أن الفرصة سانحة لمحاولة الاستيلاء على الشام التي كان الحمدانيون يتطلعون إلى انتزاعها من أيدي الإخشيديين . فسار إلى حلب وقنسرين وحمص وأنطاكية والثغور الشامية وسائر الولايات والمدن الشامية فاستولى عليها وأقام الدعوة فيها للمستكفي — الذي خلف المتقي — ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه^(٢) .

وقيل في هذا الصدد إن الإخشيد عاد من الرقة إلى حلب ثم غادرها إلى مصر بعد أن ولى عليها من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد الكلابي . ولكن عشرته من الكلابيين حسدوه على هذه الولاية وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليساموا إليه حلب ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية فقال له ناصر الدولة : الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وضعف أبي الفتح عن مقاومته فسار إلى حلب ودخل أبو الفتح في طاعته^(٣) .

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٤٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤١

(٣) كمال الدين عمر بن العديم الحلبي : زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ٣٦٥ — ٣٦٧

(في Sayf al-Daula edité par Marius Canard) .

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد كتب إلى المستنفي يشكو إليه سيف الدولة .
ولكن أمير المؤمنين لم يملك إلا أن يرسل الخلع النفيسة إليه وإلى ابنه اونوجور . وبلغ
الاخشيد أن سيف الدولة سار إلى حمص يريد دمشق ^(١) فأرسل إلى الشام جيشاً ^(٢)
مر بدمشق وسار إلى حمص فالتقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن ^(٣) . وكان النصر
لسيف الدولة وفتح الجيش الاخشيدى إلى دمشق ثم خرج منها قاصداً الرملة ليعود
إلى مصر . وسار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها
كتاباً قرأ على منبر المسجد الجامع فيها وحملت نسخته إلى الاخشيد ، وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من سيف الدولة ابى الحسن إلى جماعة الأشراف
والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق أطال الله بقاءكم وأدام عزكم وسعادتكم
وكفائتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجر ^(٤) عن سلامة
وجميل كفاية لمولانا خالص الدعاء والشكر . وقد علمتم — أسعدكم الله — تشاغلي
بجهاد أعدائي وأعداء الله الكفرة وسبيلهم ^(٥) وقتلى فيهم وأخذى أموالهم وتخربى ديارهم
وقد بلغكم خبر القوانين في هذه السنة وما أولانا الله وخولناه ، وأظفرننا به واستعملت
فيهم السنة في قتال أهل الله فما اتبعت مدبراً ولا دفعت إلى جريح حتى سلم من قد
رأيتكم ^(٦) . وقد تقدمنا إلى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم وحوط أموالكم وفتح
الدكاكين وإقامة الأسواق والتصرف في المعاش إلى حين موافاتنا إن شاء الله » ^(٧)

(١) ولكن كمال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٦٨) ذهب إلى أن الاخشيد
هو الذى بدأ بارسال الجيش إلى الشام .

(٢) أنظر الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ ، والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩
وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥

(٣) عند المكان الذى يعبر فيه نهر العاصى الطريق من حمص إلى حماه ، أنظر ياقوت : معجم
البلدان ج ٤ ص ٢٤٩

(٤) موضع بين بعلبك ودمشق ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٥٤

(٥) لعلها وسبيلهم .

(٦) إشارة إلى ما فعله سيف الدولة فى الرستن حين أمر جنوده أن لا يقتلوا أحداً من الجيش
الاخشيدى المنهزم وقال لجنده : الدم لى والمالك لكم ! ثم أطلق سراح الأسرى وعددهم نحو
أربعة آلاف ، أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٨

(٧) ابن سعيد : المغرب ص ٤١ — ٤٢

فلمّا وصلت نسخة هذا الكتاب إلى الاخشيد عزم أن يسير بنفسه للقاء سيف الدولة. فاستخلف على مصر ابنه اوتوجور وسار على رأس جيشه إلى دمشق، وكان سيف الدولة قد دخلها بجنده ومعه أهله^(١). ويبدو أن أحد قواد الاخشيد — واسمه عيسى كيل — كان قد انضم إلى سيف الدولة واتصل به في دمشق، فكتب الاخشيد من الرملة إلى عيسى كيل يعده بالأموال الطائلة والمسكافاة الطيبة ويمنيه بتقليده الوظائف السامية وأرسل إليه خاتمه ليثبت الدعوة له بين أهل دمشق ويحضهم على الترحيب به وطرده سيف الدولة. والطريف أن عيسى هذا « شرب وسكر ودعا الناس إلى الاخشيد »^(٢) ثم أفاق من سكره وهرب ليلاً إلى الاخشيد فأحسن هذا الأمير جزاءه وأفلح في دخول دمشق بعد أن فر منها سيف الدولة^(٣). وطارد سيف الدولة الاخشيد إلى حمص ففتن سرين حيث نشب القتال بينهما. وكان النصر في البداية لسيف الدولة ولكن نصره انقلب إلى هزيمة^(٤). ومع ذلك فإنه لم ينصرف بل عسكر مواجهاً للاخشيد^(٥). ولم تكن هزيمته حاسمة بما دعا الاخشيد إلى أن يحنح للسلم ويعمل على الصلح، وقد سفر الحسن بن طاهر بين الأميرين، وتم الصلح بينهما في ربيع الاول سنة ٣٣٤ على أن يكون لسيف الدولة من جوسية^(٦) إلى حمص إلى سائر أعمالها، وأن يكون للاخشيد من دمشق وما بين يدها

(١) في بعض الروايات أنه حاصرها فقط ولم يفلح في دخولها، أنظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢

(٣) قيل ان سيف الدولة كان قد غادرها فترة قصيرة للقاء الاعراب الضاربين حولها وأنه لما عاد إليها منعه أهلها من دخولها. وربما كان ذلك بتأثير عيسى بن كيل. أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٩

(٤) أنظر وصف هذه الموقعة في كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٩
(٥) وفي رواية أخرى أن سيف الدولة هرب إلى الرقة : وقيل إنه أراد دخول حاب فنعه أهلها وان الاخشيد دخل حاب وعاث أصحابه فساداً في أرجائها، ثم عاد إلى دمشق وانتهت المفاوضات بينه وبين سيف الدولة إلى « أن أفرج الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية وقرر عن دمشق ما لا يحمله إليه في كل سنة » أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧٠ والذهبي : تاريخ الاسلام ص ٦٥

(٦) بلدة على خمسة وثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من حمص : أنظر ياقوت : معجم

إلى آخر أعمالها ، وزوجه فاطمة بنت أخيه عبيد الله بن طنج^(١) . وسار سيف الدولة إلى حلب واستقر الاخشيد في دمشق إلى أن مات في نهاية سنة ٣٣٤ هـ .

والراجح أن الاخشيد سعى الى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستدوم الى أن يتم النصر لسيف الدولة . وكان قواد الاخشيد وجنده يكرهون هذا الصلح ويودون مواصلة القتال . للقضاء على سيف الدولة ، وقد طلبوا من شيخ من شيوخ دمشق كان الاخشيد يأنس به أن يلومه على ما تم بينه وبين سيف الدولة من الصلح والمصاهرة . فلما حدثه الشيخ في ذلك أجاب بقوله : « اعلم أن علي بن حمدان (سيف الدولة) كاتبناه من الرملة فبذلنا له فلم يفعل وكاتبناه من طبرية فامتنع ثم سرنا اليه ورزقنا الله تعالى النصر عليه وعلى أصحابه الظفر فلم ينصرف وخيم حذاءنا بوجه صفيق وقلة حياء فتوقفت عنه . فقال لي الغلمان : دعنا نمضي تلقاه ففكرت في قولهم ولم أخل من أحد وجهين : إما أن يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة وإما أن نرزق عليه النصر فنأخذه فايش أعمل به ؟ هلا هو أكثر من أن أنزله في مضرب يشبهه وأنفق عليه ما يصلح له ثم أجهزه وأرده لأخيه وأهله لأنهم لا يتركونه ؟ وأقل ما كان يكفيناه مائتا ألف دينار . ثم لا أطيق غلمانى من ادلالهم والتسحب على بما عملوا ويطلبون منى الأعمال والولايات . فرأيت أن مسالته ومصالحته أفضل وأصلح^(٢) ، وأرسلت اليه الحسن بن طاهر أعده بالأموال والخروج عن أعماله فلما رأوا الحسن بن طاهر قد مضى ازدحموا على يسبوني ويشتموني ويسألون الله الراحة منى^(٣) . »

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢ . وقد ذكر ابن سعيد أن فاطمة هذه ابنة الاخشيد نفسه . ولكن الصحيح أنها ابنة أخيه عبيد الله كما ذكر كال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٧٠) .

(٢) كان الحمدانيون يعرفون ذلك حق المعرفة ، وحسبنا قول شاعرهم أبي فراس الحمداني :
فلما رأى الاخشيد ما قد أظله تلافاه يثنى غربه ويكاشر
رأى الصهر والرسول الذى هو طاقده ينال به ما لا تنال العساكر

أنظر ديوان أبي فراس الحمداني ج ٢ ص ١١٧ و ١٤١ — ١٤٢

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

وهكذا نرى كيف كان الاخشيد بعيد النظر لا يلقى بنفسه في مغامرات يعرف أنها لا تؤدي الى نتائج عملية . كما نرى أنه كان يؤثر أن ينال بالمسال ما يعجز عن الحصول عليه بحد السيف . ويبدولنا فضلا عن ذلك أنه كان يعلم تمام العلم أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام كان لا بد أن ينتهى بانتصارهم عليه ، لبعده الشقة بين مصر وبين هذا الاقليم ، ولأنه كان المجال الحيوى لتوسع الحمدانيين . ومن المحتمل أن الاخشيد كان لا يكره أن تظل دولة الحمدانيين دولة حاضرة بينه وبين البيزنطيين تكفيه مئونة التعرض لهجومهم من وقت الى آخر .

ولما مات الاخشيد وخلفه ابنه أونوجور وسار كافور بجند مولاه من الشام الى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها الحمدانيين ، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه اليها وسقطت في يده بعد أن استسلم اليه حاكمها الاخشيدى . وقيل ان سيف الدولة كان يسير يوما في الغوطة بظاهر دمشق ومعه كبير من وجوه القوم فيها ، اسمه الشريف العقيقى ، فقال له سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد . فقال له الشريف العقيقى : هي لأقوام كثيرة ، فقال له سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين ليتبرؤن منها ^(١) . فأسرها الشريف في نفسه وأعلم أهل دمشق بذلك . وألح سيف الدولة في مطالبة الدمشقيين بودائع الاخشيد فكانوا كافورا يستدعونهم ^(٢) . فجاءهم ومعه سيده أونوجور ، وخرج سيف الدولة الى اللجون ^(٣) ، وأقام قريبا من معسكر الاخشيديين . ثم نشب القتال بين الجيشين ، وكان النصر للمصريين فتقهقر سيف الدولة الى دمشق فخمص . وهنا أمداد تنظيم صفوفه وجمع جيشا كبيرا من الأعراب وكر على المصريين شمالى دمشق وكان النصر له فى البداية ولكنه انهزم وتفرقت جيوشه .

(١) فى تاريخ المسكين ص ٢١٥ : « ان أخذتها النواب واستولى عليها الدرايين لتبرز عنها أهلها » .

(٢) ابن سعيد ص ٤٥ — ٤٦ ، وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٦٤ وكال الدين

ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧١ — ٣٧٢

(٣) الى الجنوب الشرقى من حيفا ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٢٣

وطارده الاخشيدون الى حلب فهرب الى الرقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين و انتهت الى الشروط التي كانت بين الاخشيد وسيف الدولة ^(١) . ولكن يبدو أن الاخشيديين لم يقبلوا هذه المرة أن يدفعوا جزية سنوية لسيف الدولة عن احتلالهم دمشق ^(٢) . وعاد اوتوجور وكافور الى مصر بعد عقد هذا الصلح وظل السلام قائما بين سيف الدولة والاخشيديين منذ سنة ٣٣٦ هـ .

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١ و ٢٩٢

(٢) كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧٣ و ٣٧٤

(٢)

مع البيزنطيين

كان الاخشيدي يعنى بما يجرى في الثغور وعلى الحدود بين أملاك المسلمين وأملاك بيزنطة في آسيا الصغرى ، وكانت أعماله الخاصة لا تشغله عن ذلك ، وكان البيزنطيون يحترمونه ويخشون بأسه ، فلا عجب إذا راسله الإمبراطور رومانوس وكتب إليه — متخطياً الخليفة — يتودد إليه ^(١) ويطلب تبادل الأسرى ^(٢) وتنظيم الفداء . وبادله الإخشيد ودأ بود ، فأكرم رساله وحملهم إلى ملبسهم هدايا من طرائف مصر ، كما سمح لبعض أتباع الإمبراطور ببيع ما قدموا به من البضائع واتباع ما أرادوه من منتجات مصر ^(٣) .

وقد عرفنا أن الفداء الذي وقع بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣٣٥ شرع فيه الاخشيدي « أمير مصر والشام والثغور الشامية » وكان قد قدم إليه بدمشق في ذي الحجة سنة ٣٣٤ أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي الأذنى ومعه رسول إمبراطور بيزنطة لتنظيم هذا الفداء . وكان أبو عمير من شيوخ الثغور وقد سبق أن أوفد في سفارة إلى القسطنطينية ، كما رافق السفراء البيزنطيين الذين قدموا إلى بلاط المقتدر سنة ٣٠٥ هـ ^(٤) . واسكن الاخشيدي كان مريضاً وما لبث أن توفي فرجع كفور بالحيش إلى مصر وصحب معه إلى فلسطين أبا عمير ورسول الإمبراطور فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء . وسارا الرسولان إلى مدينة صور ثم ركبا البحر إلى طرسوس وكاتب نصر التملى أمير الثغور الشامية

(١) يشهد بذلك ما جاء في الرد الذي كتبه النجيري على اسان الاخشيدي : « وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المسكاتبة لما يقتضيه عظم ملككم وأنه الملك القديم الموهوب من الله الباقي على الدهر وأنت إنما خصصتنا بالمسكاتبة لما تحققت من حالنا عندك . . . الخ » .

(٢) يبدو من الرد الذي كتبه النجيري على اسان الاخشيدي أن البيزنطيين كانوا حينذاك يحسنون إلى أسرى المسلمين .

(٣) يبدو ذلك أيضاً من الرد المشار إليه في الحاشية السابقة .

(٤) انظر صفحة ٨٤ حاشية (١) من Canard: Sayf al.—Daula .

سيف الدولة « ودعاه على منابر الثغور الشامية ^(١) فجد في إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب إليه » ^(٢) .

وكان نصر الثملى قد دخل سنة ٣٣٠ هـ من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبي وغنم وعاد سالماً بعد أن أسر عدداً من عليّة القوم بين البيزنطيين في هذا الاقليم ^(٣) .

وقيل ان من الأسباب التي حملت نقفور فوكاس البيزنطى على الرحيل عن حلب سنة ٣٥١ — بعد أن فتحها وعاث فيها فسادا — أن سيف الدولة استنجد بأهل الشام فسار إليه جيش من دمشق على رأسه ظالم بن السلال العقيلي الذي كان يليها من قبل الدولة الاخشيدية ^(٤) . ولا عجب ان هب الاخشيديون لنجدة سيف الدولة فقد كان نقفور قد دوخ بلاد الاسلام وانتزع من أيدي المسلمين كثيراً من المدن والحصون والمعقل .

والواقع أن المسلمين في القرن الرابع لم يهملوا واجب الجهاد . وكان الغزاة منهم يتدفقون من كل أنحاء البلاد الإسلامية إلى إقليم الثغور ، ولا سيما مدينة طرسوس التي كتب عنها ابن حوقل : « عليها سوران من حجارة ، كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع . وكان بينها وبين الروم جبال متشعبة من الاسكام كالحاجز بين العاملين ، ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار إليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم يذكر أن بها مائة ألف فارس . وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها وشاهدها . وكان السبب في ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والحيال وطبرستان والجزيرة واذريجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا وبها (أى بطرسوس) لأهلها

(١) مما يشهد بأن الثغور الشامية كانت حتى ذلك الوقت تابعة للاخشيد وأنه هو الذى بدأ هذا الفداء وأن أمير الثغور من قبله لم يدخل في طاعة سيف الدولة إلا بعد وفاة الاخشيد .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥

(٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٢٧

(٤) كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٣٩١ — ٣٩٢

دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها وتكثر لديهم الصلوات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة، إلى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات أو مسقف من فنادق»^(١).

(٣)

مع النوبيين

من المعروف أن الحملة التي قام بها على بلاد النوبة عبد الله بن سعد والى مصر سنة ٣١ هـ انتهت إلى عقد اتفاق بين مصر وبين ملك النوبة يعرف باسم البقط . وهو بمثابة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية ، قوامها ألا يعتدى أحدهما على الآخر وأن تؤدى النوبة إلى مصر عدداً معيناً من الرقيق كل سنة وأن تؤدى مصر إلى النوبة قدرأ معيناً من منتجات مصر^(١) .

ولكن هذه المعاهدة كانت تنقض بين حين وآخر ، وكان ملوك النوبة يقدمون على غزو الصعيد الأعلى كلما أحسوا من أنفسهم القوة على هذا الغزو ، وظنوا أن الحكومة المصرية لن تستطيع أن تصدهم إلا بعد فترة يتاح لهم فيها أن يظفروا بما يريدون من السلب والنهب .

ومع ذلك فقد كانت تجارة الرقيق زاهرة بين مصر وبلاد النوبة . وحسبنا أن نذكر عدد الجند السودان في جيش الطولونيين والاشيدين .

وقد كتب المسعودى حين زار مصر في سنة ٣٣٢ أن النوبيين كانوا لا يزالون يقدمون السبي الذى اتفق عليه في البقط وكان يتسلمه نائب أمير مصر في أسوان^(٢) .

وحدث في سنة ٣٣٩ أن أغار ملك النوبة على إقليم الواحات بمصر فقتل عدداً من سكانها وسبي وأحرق وخرب^(٣) .

كما حدث في ذى الحجة سنة ٣٤٤ أن أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من سكانها ونهب قراها ، فخرج إليه جيش من قبل أوتوجور وعلى رأسه محمد بن عبد الله

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٨ — ١٨٩ ، والسكندى : الولاية والقضاة ص ١٢ — ١٣ ، والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠٠ ، وسيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ١٥ — ١٦ ، و J. Spencer Trimingham : Islam in the Sudan, pp. 61-76 .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩ — ٤٠

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١١٢

الخانزن واستطاع هذا الجيش أن يصد النوبيين وأرسل بعض أسراهم إلى مصر فضربت أعناقهم . ثم طارد الجيش المصرى ملك النوبة وفلول جيشه واستطاع أن يفتح مدينة إبريم وعاد إلى مصر فى منتصف جمادى الأولى سنة ٣٤٥ ومعه مائة وخمسون أسيراً وعدد من رعوس القتلى^(١) .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٤ ، والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٤)

مع الفاطميين

عرفنا كيف استطاع الاخشيد — بعد أن ولى على مصر — أن يهزم الجند المغاربة الذين كرهوا الخضوع له واتصلوا بالفاطميين في المغرب . ورأينا أنهم فروا من الاسكندرية إلى الرمادة في طريقهم إلى برقة . وهناك توفي زعيمهم في صفر سنة ٣٢٤ هـ . وكانوا قد كتبوا إلى القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي يسألونه أن يبعث إليهم بجيش يفتحون به مصر . وقد لبى الخليفة الفاطمي دعوتهم وأنفذ إليهم جيشاً أمره بالمسير معهم إلى الاسكندرية فبلغوها في شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٤ هـ . وبعث إليهم الاخشيد جيشاً على رأسه أخوه الحسن بن طنج وقائده صالح بن نافع ، والتقى الجيشان في قرية من قرى البحيرة وحلت الهزيمة بالمغاربة وفرت فلولهم إلى برقة ^(١) .

ويبدو أن الخليفة الفاطمي أدرك أن الافضل لتحقيق أهدافه وسياسته أن يأخذ الاخشيد باللين وأن يعمل على كسب صداقته ، فكتب إليه كتاباً قرأه على خاصته وأرفق به رقعة كتبها بخطه ولم يقرأها على أحد من مستشاريه ، فكانها رسالة ملكية خاصة . وهذا نصها : « قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يحز لي فيه عقد الدين وما جرابه الرسم من سياسة أنصار يستجلبون وضمنت رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي وذوى المكانة عندي . وأرجو أن تردك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه ، فقد شهد الله على ميلي إليك وإيثاري لك ورغبتى في مشاطرتك ماحوته يميني واحتوى عليه ملكي ، وليس يتوجه لك العذر في التخلف عن إجابتي لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك لم يعتقد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة . وليس ينبغي لك أن تعدل عن منهج من نصحك وإيثار من آثرك إلى من يجهل موضعك ويضيع

حسن سميك . وأنا أعلم أن طول العادة في طاعتهم قد كثره إليك العدول عنهم ، فإن لم نجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق فاني ارضى منك بالموعدة والامر والطاعة حتى تقيمى مقام رئيس من أهلك تسكن إليه في أمرك وتعمل عليه بمثل ذلك . وإذ اتدبرت هذا الامر علمت أن الذي يحملنى على التناطى لك وقبول الميسور منك انما هو الرغبة فيك وأنت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته والله بريك حسن الاختيار فى جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل » ^(١) .

ولكن الاخشيدي رأى أن يترك لنفسه فرصة التفكير فى الامر فلم يكتب رد هذا الكتاب لتسليمه إلى رسول الخليفة الفاطمى بل « احتج إليه بأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يجوز له أن ييوح بما فى نفسه إلى كاتب ، إذ كان الصواب يقتضى ذلك . ثم قال : وأنا أتدبر الجواب وأجيب عنه ويصل مع من أثق به وأسلك من حسن الموالة ما لم يكن غيرى يسلكه » ^(٢) .

ولاريب فى أن الاخشيدي كان يفهم أن الخليفة الفاطمى يدعوه الى الدخول فى طاعته . وكان الاخشيدي يخشى أن يخرج على الخلافة العباسية فقد كان ضعفها يسمح له بأن ينعم بقسط وافر من الاستقلال ، وفضلا عن ذلك فان من المحتمل أنه كان يكره أن يتخلى عن مذهبه السني ويلتقى بنفسه فى أحضان الدولة الفاطمية الشيعية . ومع ذلك فالتا لانظن أن هذا الاحتمال الأخير كان له وزن كبير عند الاخشيدي . فقد عرفنا أنه لما وجد أن الحكومة المركزية فى بغداد لم تنصره على ابن رائق فـكر فى الدعوة للخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعة وفى قطع صلته بالخليفة العباسى ^(٣) . ولكن بعض أخصائه نصحوه بالعدول عن ذلك .

(١) ابن سميدي : المغرب ص ٢٦

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦ — ٢٧

وقيل ان الاخشيدي بعث بكتاب الى الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله يعرض عليه زواج ابنته من ولي عهد الخليفة . وقرأ القائم بأمر الله هذا الكتاب على مستشاريه فأشاروا عليه باجابة هذا الطلب، وبعث الخليفة الى الاخشيدي: ^(١) «وصل كتابك وقد قبلنا ما بذلت . وهي وديعة لنا عندك وقد منحناها من بيت مالنا قبلك مائة ألف دينار فتوصل ذلك اليها » ^(٢) . ولكن الاخشيدي كان يظن أن القائم سيرسل اليه من الهدايا والاموال ما يفخر به فلما خاب ظنه وقف مشروع المصاهرة .

ومهما يكن من الامر فقد نظم الاخشيدي علاقته بالحكومة المركزية في بغداد، وأدرك أن الافضل له البقاء تحت لوائها ^(٣) . واضطر الفاطميون الى مراقبة الحالة في مصر عن كثب على الرغم من أن مطامعهم في فتح هذه البلاد كانت تشتد سنة بعد أخرى . فقد كان يجذبهم اليها رخاؤها وثروتها ومركزها الجغرافي في قلب العالم الاسلامي ، فضلا عن يأسهم من استقرار الأمور في المغرب ورغبتهم في التقدم نحو الشرق لعلمهم يستطيعون من مصر أن يسيطروا على الشرق الادنى ويسقطوا الخلافة العباسية .

وكانت سياسة كافور أن يبقى على حسن العلاقة بالخلفاء العباسيين من ناحية وبالفاطميين من ناحية أخرى . وقد عرفنا أن أبا المحاسن بن تغرى بردى كتب في هذا الصدد أن كافورا كان « خيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية . كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميلا اليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويدارى ويخضع هؤلاء وهؤلاء » ^(٤) .

(١) ابن سعيد : المغرب ٢٧

(٢) إذا صح ما نفهمه من هذا النص فإن القائم كان يفرض ان الاخشيدي دخل في طاعته . وان للقائم في ذمته جزية أو مالا للخزانة الفاطمية وان القائم منح ابنة الاخشيدي مائة ألف دينار من هذا المال المستحق للفاطميين .

(٣) ومع ذلك فإنه لم يعلن أى عداوة للفاطميين . ومما يستحق الذكر أنه أثناء قتال ابن رائق كان يفكر في الهرب إلى بلاد الروم أو المغرب إذا حلت به الهزيمة . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

وكان الفاطميون يسفرون في بعض الأحيان عن نيّتهم العدائية نحو مصر في عصر كافور . وحدث أن أطلق الخليفة المعز جموعاً من عساكره في المغرب هجمت على الواحات المصرية فأعد كافور جيشاً أجلاهم عنها ويبدو أنه قام بشبه « تعبئة » جزئية في هذه المناسبة « وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والليلة وعدتها مائة طبلية من نحاس »^(١) .

ولكن الفاطميين عملوا على نشر الدعوة لأنفسهم في مصر . بل قدم رسل المعز الفاطمي الى كافور يدعونه الى الدخول في طاعته فلاطفهم ولم يعط أي رد حاسم . بينما استطاع دعاة الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز من كثير من وجوه القوم ورؤساء الجند الاخشيديين من الطوائف المختلفة^(٢) .

والحق أن الفاطميين كانوا يلمسون أن استيلاءهم على مصر كان قريب الوقوع ولم يعد إلا مسألة وقت فحسب . ولا عجب فقد كان دعايتهم يعملون في مصر منذ سقوط الدولة الطولونية . وزاد اتصالهم بوجوه مصر منذ قيام الاخشيد . ومن الأمثلة على هذا الاتصال في العصر الاخشيدى أن الوزير محمد بن علي الماذرائي اتهم — حين كان معز ولا في قبضة الفضل بن جعفر بالشام — بأنه كاتب الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله وزين له فتح مصر^(٣) . ومن ذلك أن أبا الطاهر الذهلي الذي تولى قضاء مصر سنة ٣٤٨ ناظر رسولا قدم إلى مصر من قبل الفاطميين^(٤) . ومنه أيضا ما عرفناه من أن أبا جعفر أحمد ابن نصر شيد دارا كبيرة وكانت تؤخذ فيها البيعة لصاحب المغرب^(٥) .

بل قيل ان المعز لدين الله الفاطمي قدم إلى مصر في زمن كافور وان كافورا خرج اليه هو وعبد الله بن طباطبا « فقال عبد الله : ما نسبك ما حسبك !! فرجع المعز وهذه هي المرة الأولى »^(٦) . والراجح عندنا أن من المحتمل أن يكون المعز قد قدم

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦

(٤) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٦٣

(٥) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٤٠

(٦) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ١٧٥

إلى « مكان ما » على الحدود المصرية وأن يكون كافور قد خرج للقائه ومعه ابن طباطبا للمفاوضة في مصير البلاد . ولا ننسى في هذه المناسبة قطعة النسيج المصرية التي كانت في مجموعة تانو المؤرخة من سنة ٣٥٥ وعليها عبارة « بسم الملك الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه سنة خمس وخمسين وثلثمائة »^(١) . فمن المحتمل أنها من مجموعة صنعت لاهدائها للمعز ، وأنها تشهد بأن كافورا كان حريصا على وده وصداقته وأنه كان « يكسب الوقت » ويرى أن مصر آيلة للاحالة إلى الفاطميين . ومن المحتمل أيضا أن في تاريخها خطأ كتابيا . ولكننا على كل حال لانميل إلى أن نستنبط منها أن مصر كانت قد دخلت في طاعة الفاطميين في ذلك التاريخ .

ولما مات كافور واستقل جعفر بن الفضل بن الفرات بالوزارة وتدير المملكة لأحمد بن علي بن الاخشيد اضطربت الأمور لأنه قام بشبه انقلاب سياسي ، فقبض على طائفة من كبار الموظفين وذوى الرأى وصادر أملاكهم . وكان من بينهم يعقوب ابن كلس ، ولكن أبا جعفر مسلم بن عبيد الله الشريف الحسينى شفع له عند ابن الفرات فأطلق سراحه وبقي ابن كلس مختفيا عند مسلم الحسينى ثم هرب إلى بلاط المعز في المغرب^(٢) .

وقد أخفق ابن الفرات فى القبض على زمام الأمر ، فقد كانت الحالة المالية فى البلاد سيئة إلى أبعد حد وكانت المجاعة والأوبئة واضطراب الأمن قد أفقدت الحكومة كل هبة واستقرار ، ولا سيما حين عجزت عن دفع رواتب الجند وعن جمع الضرائب^(٣) . وزاد الطين بلة أن « طمع أهل القرى فى الجند »^(٤) . ثم هزم القرامطة

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 5 p. 11 No. 1622

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ و ج ٢ ص ٤٤٠

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٨

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٤

الحسن بن عبيد الله بن طنج في الشام وسقطت في يدهم الرملة وانسحب الحسن بن عبيد الله إلى مصر وقبض على ابن الفرات وأراد أن يتولى تدبير الأمور . ولكنه ما لبث أن أطلق سراحه وفوض إليه الحكم وعاد إلى الشام .

وصفوة القول أن سوء الحالة الاقتصادية والاضطراب السياسي الذي حل بالبلاد والدعوة الفاطمية التي انتشر أمرها كل ذلك حمل كثيرا من أولى الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز لدين الله يطلبون إليه القدوم إلى مصر لإتقانها من الفوضى التي دبت إليها منذ اختفت شخصية كافور .

والواقع أن وجود كافور كان السبب الأساسي في تأخير الغزو الفاطمي . ومن الطريف في هذا الصدد أن في بعض المراجع روايات خيالية عن تخييط جثته بعد وفاته وإيهام الناس أنه لا يزال حيا ودوام الحال على هذا المنوال إلى أن كشفت الحقيقة بعد ثلاث سنين فكتب الناس إلى المعز ^(١) . كما أن دعاة المعز في مصر كانوا يقولون : « إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود — يعنون كافورا الاخشيدي » ^(٢) .

أما الفاطميون فكانوا يستعدون لغزو مصر قبيل وفاة كافور . ففي سنة ٣٥٥ أمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر وفي نهاية جمادى الآخرة من سنة ٣٥٧ هـ وردت الأخبار من مصر إلى المغرب بموت كافور ^(٣) . فبدأ المعز في إعداد المال اللازم للحملة التي سيرها لفتح مصر سنة ٣٥٨ ^(٤) .

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المجلد الثاني الجزء الثاني ص ٨٧

(٢) المقرئ : اتعاظ الخنفا ص ١٤٦ — ١٤٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة

ج ٤ ص ٧٢

(٣) المقرئ : اتعاظ الخنفا ص ١٣٨

(٤) المرجع نفسه ص ١٣٩

ومن الوسائل التي استعملها المعز في حث شيوخ دولته على استنهاض الهمم لهذا الفتح أن اسمعهم قصة قال إنها تشهد بترف المصريين وضعف نفوسهم وذهاب الغيرة منهم ، وقوام هذه القصة أن ابنة الاخشيدي خرجت الى السوق لتشتري جارية تتمتع بها ^(١) .

ومما يذكر بوسائل الدعاية والفتح في أيامنا هذه أنه لما مات كافور أرسل المعز الى دعاة في مصر أعلاما أمرهم أن يفرقوها على من يبايع من الجند لينشروها عند وصول جنوده الى مصر ^(٢) .

ولما قرب الجيش الفاطمي من الاسكندرية كان للوزير جعفر بن الفرات شأن ظاهر في مشاورة أهل الرأي واستقر رأيهم في النهاية على مفاوضة جوهر القائد في شروط التسليم واتفق القوم على تأليف وفد للمفاوضة كان على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم الحسيني وأبو اسماعيل الرسي والقاضي أبو طاهر الذهلي . والتقى الوفد بالقائد الفاطمي عند تروجة وانتهت المفاوضات بعهد الأمان الذي كتبه واعلنه للمصريين وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من جوهر الكاتب ، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم ، انه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي ، وهم : أبو جعفر مسلم الشريف — أطال الله بقاءه — وأبو اسماعيل الرسي — أيده الله — وأبو الطيب الهاشمي — أيده الله — وأبو جعفر أحمد بن نصر — أعزه الله — والقاضي — أعزه الله — وذكروا عنكم أنكم التستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم — فعرفتهم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وحسن نظره لكم ، فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا الى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم وبالسلامة لكم ، وهو أنه — صلوات الله عليه — لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، والجيش المظفرة

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ١٤٣ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٦٦

(٢) المقرئى : اتعاظ الخنفا ص ١٤٧

إلا لما فيه اعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تخطفتمكم الأيدي ، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاعتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد عزمه ، واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — بإخراج العساكر المنصورة ، وبإدراك الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمهم الحزى ، وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا وانصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم وعظم فجيحتهم وعلاصراخهم ، فلم يغفهم إلا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم وأسهرها ما حل بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فرجا ، بفضل الله عليه ، واحسانه لديه ! وما عوده وأجراه عليه ، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم ، وعذاب أليم ، وأن يؤمن من استولى عليه المهمل^(١) ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل ، وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه للخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفظوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه — صلوات الله عليه — انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

ثم تجويد السكة ، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة ، وقطع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا اصلاحها ، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ، ورفع المؤن ، والقيام في الحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والاحسان وجميل النظر ، وكرم الصحبة ، ولطف

(١) لعالمها الوهل بمعنى الفرع .

العشرة ، واقتقاد الاحوال وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على ما لَمَّ شعهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم وجمع قلوبهم وألف كلهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضى — صلوات الله عليه — بإبائها عليكم .

وأن أجريكم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه — وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال .

وأن أتقدم في رم مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والايقاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا باحالة على من يقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — مما ضمنه كتابه هذا ما ذكره من ترسل عنكم ، أيدهم الله ، وحباكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها في كتاب أمانكم ، فذكرتها إجابة لكم ، ونطمينا لأنفسكم ، وإلا فلم يكن لذكرها معنى ، ولا في نشرها فائدة ، إذ كان الاسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض في العلم ، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة — رضى الله عنهم — والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله في كتابه ، ونصه نبيه — صلى الله عليه وسلم — في سنته ، واجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل السكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام ، وفي أنفسكم وأموالكم وأهاليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم ، وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويذب عنكم ، ويمنع منكم ، فلا يتعرض الى أذاكم ، ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ، ولا في الاستطالة على قوكم — فضلا عن ضعيفكم — وعلى أن لا أزال مجتهدا فيما يعمكم صلاحه ، ويشملكم نفعه ، ويصل اليكم خيره ، وتعرفون بركته ، وتغبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه .

ولكم على الوفاء بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهد الله ، وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ، ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين — قدس الله أرواحهم — وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله — صلوات الله عليه — فتصرحون بها ، وتعلنون بالانصراف اليها ، وتخرجون إلى ، وتسلمون على ، وتكونون بين يدي ، إلى أن أعبّر الجسر ، وأنزل في المناخ المبارك ، وتحفظون وتحافظون — من بعد — على الطاعة ، وتناهبون عليها ، وتسارعون إلى فرضها ، ولا تأخذون وليا مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين .

وكتب جوهر القائد الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار .

وكتب بخطه في هذا الكتاب .

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين — صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين — « كتبت هذا الأمان على ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وعلى الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين » (١) .

وهكذا نرى أن هذا الأمان هدف إلى إيهام المصريين أن جيوش الفاطميين قدمت لحمايتهم ، وعرض ، فضلا عن ذلك ، لبرنامج من الإصلاح كاقامة شعائر الحج وإصلاح الطرقات والعمل على استتباب الأمن وتوفير الأقوات وإصلاح العملة وقطع الغش منها ونشر العدل . ونلاحظ أنه قد نص على العدول عما كان متبعاً في العصر الاخشيدى من أخذ جزء لبيت المال من تركات الموتى من غير وصية من المتوفى . كما وعد بترميم المساجد وتأثيثها وأن تدفع للمؤذنين فيها والقومة والأئمة روايتهم من بيت المال لا بإحالة على من يقبض منهم . كما نص العهد على إقامة أهل مصر على مذهبهم في العبادة أى أنهم لا يلزمون بالتحويل إلى المذهب الشيعى . ونص كذلك على تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وضياعهم . وصفوة القول أن هذا الكتاب لم يكن أماناً ومعاهدة فحسب بل كان أشبه شيء بخطاب عرش يرسم الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة الجديدة .

ورجع الوفد بهذا الأمان إلى الوزير ابن الفرات وتبين في الوقت نفسه أن طائفة كبيرة من الجند غير راضين عن عقد الصلح كما رفضه بعض وجوه القوم^(١) . وقال الجند : « ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » وأقروا عليهم قائداً من بينهم اسمه نحرير شوزان ، وبقي أحمد بن على بن الاخشيد لا يفكر فيه .

ووصل جوهر بجيشه إلى الحيزة وأفلحت بعد ذلك فرقة من جيشه في عبور النيل عند منية شلقان شرقى القناطر الخيرية الآن . ووقع القتال بينها وبين الجند المصريين فقتل منهم عدد كبير ثم استقر رأى المصريين على مطالبة الشريف مسلم الحسينى بالكتابة إلى جوهر فى إعادة الأمان ، ولجى القائد دعوة الشريف فأعاد الأمان . وخرج أبو جعفر مسلم وجعفر بن الفرات وسائر الأشراف والقضاة والعلماء ووجوه التجار والأعيان إلى الحيزة لاستقبال القائد الفاطمى ، ودخل جوهر عاصمة البلاد فى شعبان من سنة ٣٥٨^(٢) . وهكذا بدأ حكم الفاطميين فى مصر وانقضى عهد الدولة الاخشيدية . وقامت بعض المقاومة للحكم الجديد ، لاسيما بين البشامرة — على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد — ولكن الفاطميين أفلحوا فى القضاء عليها^(٣) .

(١) المقرئى اتعاظ الخنفا ص ١٥٤

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨

(٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المجلد ٢ الجزء ٢ ص ٨٨

خاتمة

خاتمة

عرضنا في الأبواب السابقة لشتى النواحي السياسية والاجتماعية والفنية من تاريخ مصر في العصر الاخشيدى ، وهو فترة من تاريخها في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وذيل لتاريخها قبل الاخشيديين ومدخل لتاريخها في العصر الفاطمى ، بل إنه من بعض النواحي وثيق الصلة بتاريخ العالم الإسلامى كله في الفترة التى زاد فيها ضعف الخلافة العباسية حتى بلغ أشده .

ورأينا أن استقلال مصر عن الخلافة في العصر الاخشيدى كان استقلالا ملموسا لاشك فيه ، وإن ظلت الروابط الروحية ومقتضيات الأحوال السياسية تربطها بالحكومة المركزية فى بغداد من غير أن تصل بها الى التبعية المطلقة . وكان مثلها فى ذلك مثل الدولة الطولونية ، وإن كان استقلال الطولونيين يبدو لبعض الباحثين أوضح وأظهر أثرا . ولعل بعض السبب فى هذا أن الاخشيديين لم يحاربوا الحكومة المركزية صراحة كما فعل ابن طولون وخمارويه ، وأن الاخشيديين خلفتهم الدولة الفاطمية التى استقلت مصر على يدها استقلالا لاشك فيه فأُنست القوم ما كان للاخشيديين من مجد واستقلال .

وقد بدأنا بدراسة تاريخ مصر قبيل قيام الاخشيد لأتينا لانستطيع أن نفهم تاريخ الاخشيديين حق الفهم بغير امعان النظر فى الفترة الواقعة بين سقوط الطولونيين وتولية محمد بن طنج ، فهى الفترة التى بدأت فيها الغزوات الفاطمية على مصر ، ثم ساد الاضطراب وظهر ضعف الحكومة المركزية فى إقرار الأمن وفرض إرادتها على البلاد ، ولا سيما حين ظهر على مسرح السياسة المصرية محمد بن طنج بعد وفاة الوالى تكين .

وتحدثنا عن أسرة الماذرائيين التى نزع كثير من أفرادها الى مصر منذ بداية العصر الطولونى واستطاع بعضهم أن يصلوا الى الاشراف على تدبير الشؤون المالية فى مصر ، وأن ينفذوا من تدبير هذه الشؤون الى السيطرة على معظم مرافق الحياة فى البلاد . وقد رأينا أن الماذرائيين كان لهم الشأن الأول فى حكم البلاد وتدبير

أمورها في عصر الاخشيديين وشرحنا المسكاة الخطيرة التي كانت لهذه الأسرة في الادارة المصرية بين عامي ٢٦٦ و ٣٤٥ هـ .

وتبين لنا أن تاريخ العصر الاخشيدى هو تاريخ محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية ثم تاريخ كافور تابعه وتلميذه في ميدان السياسة . ولم يكن ابن طغج إلا جندياً ناهياً من أولئك الجند الترك الذين حفل بذكرهم تاريخ الدولة العباسية منذ عصر الخليفة المعتصم ، والذين استطاع نفر منهم أن يشق لنفسه الطريق وأن يتحكم في مصير بعض الأقاليم الإسلامية وأن يظهر إلى أى حد يمكن لحاكم قوى بشخصيته وعبقريته أن يفيد من الجيوش المؤلفة من العناصر المختلفة الجنس وأن يصل إلى السلطان السياسى والحربى في إمبراطورية اتسعت أرجاؤها حتى أصبح من العسير على الخلفاء الضعفاء أن يحتفظوا بنفوذهم فيها .

وعرفنا أن محمد بن طغج نجح في الاستيلاء على زمام الأمور بجهوده الشخصية لأن تقليد الخليفة لم يعد يكفى في ذلك الوقت لتثبيت الوالى . وتحدثنا عن اتساع سلطانه وعن النزاع بينه وبين ابن رائق وعن محاولته جذب الخليفة للإقامة في مصر لينتقل إليها مركز الخلافة العباسية وليتخلص الخليفة من وصاية أمير الأمراء والجند الترك في بغداد .

وتبين لنا من المراجع التاريخية والسكة والطراز ، أن العلاقة بين الإخشيد والحكومة المركزية ظلت علاقة طيبة وأن الاخشيد لم يخرج على الخلافة كما خرج ابن طولون على الموفق صاحب الأمر في حكومة المعتمد العباسى .

وهكذا تقلد الاخشيد أمر مصر والشام والثغور الشامية . أما تقليده الحجاز واليمن فقد انتبهنا إلى أنه كان أمراً صورياً ورمزياً ، إذ أن حكم هذه البلاد كان بيد أسرات محلية ربما خضع أمراؤها خضوعاً اسمياً للخلفاء العباسيين أو لمن يقلدهم أولئك الخلفاء حكم تلك البلاد .

وقد لاحظنا أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم في الشام للاخشيد ونجاحه في تدعيم حكمه في مصر ، كل ذلك يعتبر حداً فاصلاً في علاقته بالخلافة ، فقد أصبح

من القوة بحيث استطاع سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لا بنه أونوجور .
ثم أتيح له لقاء الخليفة في الرقة وحصل منه على تقليد بحكم مصر ثلاثين سنة
وإذن باستخلاف أونوجور .

وكان من أهم ما عرضنا له في الكلام على خلفاء الاخشيد موضوع التكييف القانوني
للفترة التي استقل فيها كافور بحكم مصر بعد وفاة علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ .
ورجحنا أن كافوراً لم يسمح بذكر أحمد بن علي بن الاخشيد في الخطبة ، وأنه استقل
بمصر ، ولكنه كان يشعر أنه غريب عن أسرة الاخشيد . ولعله كان يشعر بما نكاد
نصل إليه من النصوص ، وهو أنه وسط بين الأمير الحاكم والوصي على العرش . فآثر
أن يحفظ بلقب « الأستاذ » حتى لا يصدم أهل الرأي في البلد باغتصاب لقب الامارة
إلى جانب اغتصابه السلطان ، فضلاً عن أن مسألة وصول تقليد من الخليفة إليه ليست
ثابتة تماماً .

وقد فصلنا الكلام على أمراء البيت الاخشيدى وعلى البلاط وكبار الموظفين فيه ،
كما درسنا نظام الادارة في مصر ممثلاً في الوظائف الرئيسية ، فتحدثنا عن الوزير
والكاتب وولاة الأقاليم وصاحب الشرطة والعامل على الخراج وممثل الأمير في بغداد
وصاحب الطراز ومتولي دار الضرب وعن سائر الوظائف . وقد أفدنا في هذا الميدان
فائدة جلية من المراجع المسادية كأوراق البردى والسكة والطراز والكتابات الأثرية .

وتحدثنا عن القضاء والمظالم والحسبة ، وانهينا إلى ملاحظات هامة بشأن منصب
القاضي : أخطرها شأناً أن الرشوة كانت تدفع في سبيل الوصول إليه أسوة ، بما كان يحدث
حينذاك في منصب القضاء في مقر الخلافة نفسها ، حتى بطلت القاعدة التي تقول بأن
طالب القضاء لا يولى ، وفقد منصب القضاء استقلاله ، وكان لا بد للقاضي من مدارة
الأمير وطاعته ليستطيع الاحتفاظ بمنصبه .

وكان للمجتمع المصري نصيب وافر من دراستنا في هذا الكتاب ، فقد كتبنا
عن طبقات المجتمع من الاشراف وعلية القوم وأهل الذمة وسواد الشعب والرقيق

وعن رجال الجيش والبحرية ، وعن الأعياد والحفلات ، وعن الأخلاق والعادات ، ومستوى المعيشة ، والسجون ، وعن مجالس الغناء والطرب والملابس والحمامات والزواج والرياضة . كما كتبنا عن استخراج الكنوز من الآثار المصرية القديمة ، وعن الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة . واستطعنا أن نصل إلى بحوث جديدة وطريفة في هذا الميدان الذى لا يزال يحتاج إلى عناية المؤرخين وجهودهم فى البحث . ولا شك أن الفضل فيما أصبنا من التوفيق يرجع إلى المراجع المسادية ، ولا سيما أوراق البردى ، وإلى قراءة كثير من كتب الأدب وتقويم البلدان والرحلات ، فضلا عن الانتباه إلى كل دقيقة وصغيرة فى النصوص التاريخية التى وصلت إلينا .

ورأينا أن مصر فى عصر الاخشيديين كان لها نصيب وافر فى الحياة العقلية والفنية التى ازدهرت فى ديار الإسلام حينذاك . وإن يكن من العسير أن ننسب إليها طابعا خاصا فى هذا الميدان . ولا غرابة فى هذا اذا تذكرنا أن القومية فى العالم الإسلامى لم تكن قد وضحت معالمها فى العصور الوسطى .

وكان أهم ما وقفنا عنده فى الكلام على السياسة الداخلية فى العصر الاخشيدى السياسة المالية . واعتمدنا فى هذا الصدد على الوثائق البردية وعلى ما جاء فى المراجع التاريخية ، وقد رأينا أن الاخشيد أقبل على مصادرة ما كان يجمعه كبار الموظفين والأغنياء من الأموال ، ولعله كان يبرر ذلك بالرغبة فى سد نفقات الدولة والانفاق على الجيش ، ومعاقة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوطنائهم من النفوذ والجاه .

وفى اعتقادنا أن الاخشيد وكافورا استطاعا القضاء على الفوضى واضطراب الأمن وما الى ذلك من القلاقل التى سادت فى مصر بعد سقوط الطولونيين ، كما أتيح لمصر أن تنعم على يدهما بقسط من الاستقرار والهدوء لم تنله أقاليم أخرى من ديار الإسلام فى القرن الرابع .

أما الشعب المصرى خلال هذا العصر فكان شعبا هادئا خاضعا ، يغلب على أفراد طابع الانصراف الى شئونهم الخاصة والعيش على هامش الحياة السياسية فى البلاد .

ولا عجب فإننا لا نكاد نجد بمصر في ذلك العصر شعورا قوميا أو وطنيا ، إذ كان الشعب قد اعتاد أن يراقب عن كثب حكما من خارج البلاد يفدون عليها بين حين وآخر ، ويجمعون للدفاع عنها جيوشا لم يكن للعنصر المصرى فيها الغلبة أو الشأن الأول . ولم يكن المصريون في ذلك العصر يستطيعون أن يجمعوا أمرهم على شيء يفرضونه على حكومة البلاد ، ولم يكن أمام الحكومة رأى عام تحسب له أى حساب . وطبيعى أن قيام الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية في القرن الرابع لم يكن له صلة بشعور قومى أو وطنى ، كما كان لقيام الدويلات التى نزعت الى الاستقلال بإيران في القرنين الثالث والرابع الهجرى .

المراجع العربية

- الأبشيبي (محمد بن أحمد أبو الفتح) ، توفي ٨٥٠ هـ — ١٤٤٦ م : « المستطرف في كل فن مستظرف » ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم) ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م : « الكامل في التاريخ » ، ١٢ جزءاً ، بولاق ١٢٩٠ هـ .
- أحمد أمين بك (الدكتور) : « ظهير الاسلام » الجزء الأول ، القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- أحمد تيمور باشا : « التصوير عند العرب » أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- الادريسي (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف) ، ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ — ١١٦٥ م « صفة المغرب وأراضي السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ليدن ١٨٦٤ — ١٨٦٦
- الأدقوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م : « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعبد » مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .
- ابن آدم القرشي (يحيى) ، ت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي : « كتاب الخراج » ليدن ١٨٩٥ — ١٨٩٦ م .
- الأصطخرى (إبراهيم بن محمد) ، ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي : « كتاب مسالك الممالك » ليدن ١٩٢٧ م .
- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ، ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ .
- ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م :
- ١ — « كتاب تاريخ مصر » المعروف باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ٣ أجزاء ، بولاق ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م .
- ٢ — « نشق الأزهار في عجائب الأمصار » طبع قسماً من الكتاب الاستاذ Langlès باريس ١٨٠٧ م .
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز البكري) ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م : « المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب » طبع دي سلان ، الجزائر ١٨٥٧ م .
- البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني) ، ت بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة / القرن العاشر الميلادي : « سيرة أحمد بن طولون » حققها وعلق عليها محمد كرد علي ، دمشق ١٣٥٨ هـ .

- التنوخى (أبو على المحسن بن أبى القاسم) ، ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م :
- ١ — « الفرج بعد الشدة » مصر ١٣٥٧ هـ .
 - ٢ — « جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، الجزء الأول ، طبع مصر سنة ١٩٢١ م . والجزء الثامن ، دمشق سنة ١٩٣٠ م .
- النمايى (أبو منصور عبد الملك النعالي النيسابورى) ، ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م :
- ١ — « نتيجة الدهر » ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
 - ٢ — « اطائف الممارف » ، طبع دى يونج ، لندن ١٨٦٧ م .
- جرومان (آدولف) : « أربع محاضرات عن الأوراق البريدية العربية » تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس ، القاهرة ١٩٣٠ م .
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس السكوفى) ، ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م : « كتاب الوزراء والكتاب » حققه ووضع فهرسه الأستاذة مصطفى السقا و ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شاي . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- جورجى زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ٤ أجزاء ، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م .
- ابن الجيعان (شرف الدين يحيى) ، ت ٨٨٥ هـ / ١٤٥١ م : « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » القاهرة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م .
- ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على) ، ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م : « رفع الاصر عن قضاة مصر » مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٢١١٥
- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :
- ١ — « الفاطميون فى مصر » القاهرة ١٩٣٢ م .
 - ٢ — « كافور الاخشيدى » : مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد السادس . القاهرة مايو ١٩٤٢
 - ٣ — « تاريخ الاسلام السياسى » : الجزء الثالث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ م .
- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) والدكتور على ابراهيم حسن : « النظم الإسلامية » القاهرة ١٩٣٩ م .
- الحصرى القيروانى (أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى) ، ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م : « زهر الاداب وثمر الالباب » طبعة الدكتور زكى مبارك ، القاهرة ١٩٢٥
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى) ، ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م : « المسالك والممالك » لندن ١٨٧٣ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى) ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م :
- ١ — « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٩٦٥
 - ٢ — « المقدمة » القاهرة ١٢٤٨ هـ / ١٩٣٠ م .
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم) ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م : « وفيات الأعيان » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

خليل الظاهري (غرس الدين بن ساهين) ، ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م : « زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك » طبعة Paul Ravaisse باريس ١٨٩٤ م .

ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف) ، ت ٣٣٠ هـ أو ٣٤٠ هـ / ٩٤١ م أو ٩٥١ م :

١ — « سيرة أحمد بن طولون » نشرها فولرز في فيمار سنة ١٨٩٥

٢ — « المكافأة » القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

ابن دقاق (ابراهيم بن محمد المصري) ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م : « الانتصار بواسطة عقد الأمصار » الجزء الرابع والخامس ، بولاق ١٣٠٩ نشره المستشرق فولرز Vollers .

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ — ١٣٤٨ م مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ، المجلد ١٦ حوادث من سنة ٣٠١ هـ إلى سنة ٥٠٠ هـ .

زكي مبارك (الدكتور) : « النثر الفني في القرن الرابع » جزءان ، القاهرة ١٩٣٤

زكي محمد حسن (الدكتور) :

١ — الفن الاسلامي في مصر ج ١ ، القاهرة ١٩٣٥ م .

٢ — كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ م .

٣ — مصر والحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٤ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٥ — فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٦ — دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٢

ج ١ مايو ١٩٥٠

ابن زولاق (أبو محمد الحسن بن ابراهيم) ، ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م : « أخبار سيديو مصر » . نشره الأستاذة محمد ابراهيم سعد وحسين الديب ، الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله) ، ٨١٤ هـ / ١٤١١ م : « الكواكب السيارة » ، المطبعة الأميرية بمصر (١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م) .

ساويرس (أسقف الاشمونين) . انظر ابن المقفع .

السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب) ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م : « طبقات الشافعية الكبرى » ٦ أجزاء ، المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ .

ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ، ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م : « السفر الرابع من كتاب المغرب في حلي المغرب » ليدن ١٨٩٩ م .

سعيد بن بطريق (أفثيشيوس) ، ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » جزءان ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٥ م .

السمعماني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعماني المروزي) ، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : « أنساب العرب » ليدن ١٩١٢ م .

- السيوطي (جلال الدين) . ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م :
- ١ — « تاريخ الخلفاء » القاهرة ١٣٠٥ م .
- ٢ — « بغية الوفاء في طبقات اللغويين والنحاة » القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .
- ٣ — « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » جزآن ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) : « مصر في فجر الاسلام » القاهرة ١٩٤٧ م .
- ابن شاكر السكتي (محمد بن احمد) ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م : « فوات الوفيات » جزآن ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ، ت ٨٩٠ / ١٤٨٥ م : « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حاب » بيروت ١٩٠٩ م .
- الشيذري (عبد الرحمن بن نصر) ، ت حوالي ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م : « كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » قام على نشره السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- أبو صالح الأرمي (أبو المكارم جرجس بن مسعود) ، ت أوائل القرن السابع الهجري / أوائل الثالث عشر الميلادي : « تاريخ » المعروف بكنائس وأديرة مصر . طبعة Evetts اكسفورد ١٨٩٥ م .
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م : « الوافي بالوفيات » الجزء الأول ، الآستانة ١٩٣١ م .
- الصولي الشطرنجي (أبو بكر محمد بن يحيى) ، ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ / ٩٤٦ أو ٩٤٧ م : « أخبار الراضي بالله والمتقى لله من كتاب الأوراق » نشره هيورث دن Heyworth Dunne . القاهرة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .
- ابن الصيرفي (أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب) ، ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م أو بعد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م : « الإشارة إلى من نال الوزارة » طبع مطبعة المعهد العالي الفرنسي للأثار الشرقية سنة ١٩٢٤ م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م : « تاريخ الأمم والملوك » ١١ جزء ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر .
- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا) ، أتم كتابه في سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م : « الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .
- طه حسين بك (الدكتور) : « مع المتنبي » جزآن ، القاهرة ١٩٣٦ م .
- ابن ظافر الأزدي المصري (جمال الدين علي) ، ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ م : « كتاب الدول المنقطعة » صورة شمسية محفوظة في دار الكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطاني (دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ) ونقل وستنفلد جزءا من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) وطبعه في كتاب Die Statthalter von Ägypten Zur Zeit der Chalifen .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ، ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ — ٨٧١ م : « فتوح مصر وأخبارها » طبعة تورى Torrey نيوهافن ١٩٢٢ م .

عبد اللطيف البغدادي (الشيخ موفى الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن الأباد) ، ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م : « عبد اللطيف البغدادي في مصر » وهو الكتاب المعروف باسم « الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر » طبعة المجلة الجديدة (سلامه موسى) .

ابن العبري (أبو الفرج بن هرون الملقب) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م : « تاريخ مختصر الدول » مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠ م .

ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله والمعروف بابن أبي جرادة) ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ — ١٢٦٢ م : « زبدة الحلب في تاريخ حلب » نشر جزء منه الاستاذ Canard في الفصل الخامس من كتابه Sayf al-Daula .

ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد) ، ت في أواخر القرن السابع الهجري / أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادي : « البيان المغرب في أخبار المغرب » طبعة الاستاذ Dozy ليدن ، الجزء الاول ١٨٤٨ والجزء الثاني ١٨٤٩ — ١٨٥١ م .

عريب بن سعد القرطبي . ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م : « صلة تاريخ الطبري » الجزء الثاني عشر من كتاب تاريخ الأمم والملوك « للطبري » الطبعة الأولى بمطبعة الحسينية بمصر .

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعي الدمشقي الملقب ثقة الدين) ، ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م : « التاريخ الكبير » ٥ أجزاء ، دمشق ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ .

علي إبراهيم حسن (الدكتور) : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ، القاهرة ١٩٤٤ م .

علي بك بهجت والبير جبريل : حفريات الغسقاط ، القاهرة ١٩٢٨ م .

علي مبارك باشا : « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » ٢٠ جزء ١ بولاق ١٣٠٦ هـ .

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحفيظ بن أحمد بن محمد الصالحى) ، ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م : « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .

الأمير عمر طوسون : « مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن » الاسكندرية سنة ١٩٣١ م .

العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م : « التعريف بالمصطلح الشريف » القاهرة ١٣١٢ هـ .

ابن العميد (الشيخ المسكين جرجس بن العميد بن الياس) ، ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م : « تاريخ المسلمين » ليدن ١٦٢٥ م .

العيني (بدر الدين محمود) ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م : « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » الجزء الثالث عشر من سنة ٢٧٩ هـ إلى آخر سنة ٣٣٠ هـ ، والجزء الرابع عشر من سنة ٣٣١ هـ إلى آخر سنة ٤٣٠ هـ (مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٧٥٨٤ تاريخ) .

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى الدمشقى) ، ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م :
« مطالع البدور فى منارل السرور » جزءان ، الطبعة الأولى ، مصر ١٢٩٩ — ١٣٠٠ م .
أبو الفدا (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة) ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ — ١٣٣٢ م : « المختصر
فى أخبار البشر » ٤ أجزاء القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

أبو فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) ، ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م : « ديوان أبى فراس
الحمدانى » عني بجمعه ونشره وتعليق حوانيه ووضع فهرسه الدكتور سامى الدهان .
بيروت ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى / أوائل العاشر
الميلادى : « مختصر كتاب البلدان » ليدن ١٨٨٥ م .

قدامة بن جعفر ، ت ٣١٠ هـ أو ٣٢٠ هـ أو ٣٣٧ هـ / ٩٢٢ م أو ٩٣٢ م أو ٩٤٩ م : « نبذ من كتاب
الخراج وصناعة الكتابة » الجزء السادس من المكتبة الجغرافية ١٨٨٩ م .

القائمى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على) ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م : « صبح الأعشى
فى صناعة الانشا » ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٣ — ١٩١٩ م .

الكاسانى أو الكاسانى (علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الملقب بملك العلماء) ،
ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م : « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » ٧ أجزاء ، الجزء الاول والثانى
مطبعة شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ والجزء الثالث الى السابع مطبعة الجالية ١٣٢٨ هـ .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م :
« البداية والنهاية » ١٤ جزءا ، مطبعة السمادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ م .

الكرملى (الأب أنستاس) : « النقود العربية وعلم النميات » القاهرة ١٩٣٩ م .

كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق أو شاهك) ، ت ٣٥٠ أو ٣٦٠ هـ / ٩٦١ أو ٩٧٠ م :
« ديوان كشاجم » بيروت ١٣١٣ هـ .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م : « كتاب الولاة وكتاب القضاة »
ليدن وبيروت ١٩٠٨ — ١٩١٢ م .

الأب لويس شيخو اليسوعى : « هلال الصابى وآليفه » ، (مجلة الشرق ، السنة السادسة .
بيروت سنة ١٩٠٣ م) .

المواردى (أبو الحسن على بن محمد بن جبيب) ، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م :

١ — « الاحكام السلاطانية » القاهرة ١٣٢٨ هـ .

٢ — « أدب الوزير » المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م

المتنبى (أبو الطيب) ، ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م :

١ — « ديوان » بيروت ١٩٠٠ م .

٢ — القصائد المصرىات الكافورىات ، فى ديوانه طبعة ديتريش فى برلين سنة ١٨٦١

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ — ١٤٧٠ م : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ١٠ أجزاء ، طبعة دار السكت المصرية ١٩٢٩ م — ١٩٤٩ م .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) : « الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره » القاهرة ١٩٣٨
محمد كامل حسين (الدكتور) : « فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى الى دخول
الفاطميين » القاهرة ١٩٣٩ م .

محمد كامل مرسى باشا (الدكتور) : « الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد
الفراعنة حتى الآن » ، القاهرة ١٩٣٦ م .

محمد كرد على : « خطط الشام » ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٥ — ١٩٢٨

محمد مصطفى زيادة (الدكتور) : « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر »
مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٩٣٨

المراكشى (أبو محمد عبد الواحد بن على ، محي الدين) ، ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ — ١٢٧١ م :
« المنجى فى تلخيص أخبار المغرب » طبعة دوزى . ليدن ١٨٨١

مسكويه (أبو على احمد بن محمد بن يعقوب) ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م : « تجارب الأمم وتعاقب
الهمم » الجزء الأول ، ليدن ١٩٠٩ م ، والجزء الخامس والسادس مطبعة شركة التمدن
بمصر ، ١٣٣٢ و ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ و ١٩١٥ م .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) ، ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧ م :

١ — « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ٩ أجزاء ، باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

٢ — « كتاب التنبيه والاشراف » القاهرة ١٩٣٨ م .

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ، من علماء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ،
أو النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى : « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ليدن ١٨٨٧ م .

المقريزى (تقى الدين) ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ — ١٤٤٢ م :

١ — « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » جزءان ، بولاق ١٢٧٠ هـ نشر

الأستاذ جاستون فبيت جانبا من الجزء الأول (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات

فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة ، (القاهرة ١٩١١ — ١٩٢٤ م) .

٢ — « اتعاظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » نشره الدكتور جمال الدين الشيبال .

القاهرة ١٩٤٨ م .

٣ — « التاريخ الكبير المفقى (نقل جزءا منه جوتشك فى رسالته عن الماذرائيين ،

برلين — لينزج ١٩٣١ م) .

٤ — « كتاب النقود القديمة الإسلامية » نشره الأب أنستاس مارى السكرملى

فى كتابه النقود العربية وعلم النميات) .

٥ — « اغانة الامة بكشف الغمة » نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور

جمال الدين الشيبال . القاهرة ١٩٤٠ م .

ابن المقفع (ساويرس أسقف الاشمونين) ، ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م :
« سير الآباء البطارقة » الجزء الاول والخامس والعاشر من مجموعة Patrologia Orientalis ،
باريس ١٩٠٧ و ١٩١٠ و ١٩١٥ ، والمجلد الثاني (مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، القاهرة ١٩٤٨ م
المسكين : انظر ابن العميد .

ابن ممتاقي (أبو المكارم أسعد بن مذهب بن مينا) ، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م : « كتاب قوانين
الدواوين » نشره وعلق عليه الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ م .

ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جاب) ، ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م : « أخبار مصر »
الجزء الثاني فقط ، طبع في المعهد العلمي الفرنسي وصححه الاستاذ هنري ماسيه .
القاهرة ١٩١٩ م .

ابن النديم (محمد بن اسحاق) ، ت نحو ٣٨٥ هـ / نحو ٩٩٥ م : « الفهرست » لبيزج ١٨٧١
النواجي (شمس الدين محمد بن الحسن) ، ت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م : « حلبة الكميث » القاهرة ١٢٩٩ هـ .
النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م : « نهاية الأرب في فنون
الأدب » المطبوع منه ١٥ جزءاً ، الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

هلال الصابي (أبو الحسن أو أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحق إبراهيم) ، ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م :
« تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » نشرة Amelroz بيروت ليدن ١٩٠٤ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الجوى الرومي) ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م :

- ١ — « معجم الأدباء » أو « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « ارشاد الألباء
إلى معرفة الادباء » ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .
- ٢ — « معجم البلدان » ٨ أجزاء . القاهرة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م .

يحيى بن سعيد الانطاكي ، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م : « تاريخ » أو صلة كتاب سعيد بن بطريق
المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » بيروت . مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥ م .

اليقوبى (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ، ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م : « كتاب
البلدان » (الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية) ليدن ١٧٩٢ م .

أبو يوسف (يعقوب صاحب أبي حنيفة) ، ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م : « كتاب الخراج » بولاق ١٣٠٢ م .

المراجع الأفرنجية

- ALI BEY BAHGAT Les Manufactures d'Etoffe en Egypte au Moyen Age. (Bulletin de l'Institut Egyptien. Quatrième Série, Avril 1903, Le Caire 1903).
- ALI MOHAMED FAHMY Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D. (Alexandria 1950).
- AMEDROZ (H.F.) The Office of Kadi (Journal of the Royal Asiatic Society, 1910, p. 779 & seq.).
- ARBERRY (A. J.) An Introduction to the History of Sufism. London 1943.
- ARNOLD (Th.) The Caliphate. Oxford 1924.
- ARNOLD (Th.) and GROHMANN (A.) The Islamic Book. London 1929.
- BAYNES (Norman H.) and MOSS Byzantium. Oxford 1949.
- BECKER (C. H.) Islamstudien, Vom Werden und Wesen der islamischen Welt, 1 Band (Leipzig 1924).
- Beiträge Zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam (Strassburg 1902-1903).
- Art. Egypt (The Encyclopædia of Islam) vol. II. Leyden-London 1927.
- BERCHEM (Max Van) Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum: première partie, Egypte, Paris 1903.
- BERG (Van den) Principes du Droit Musulman. Alger 1896.
- BOWEN (H.) The Life and Times of Ali ibn Isa, "the Good Vizier". Cambridge 1928.
- BROCKELMANN (Carl) Geschichte der Arabischer Litteratur, 2 vols. Weimar, Berlin 1898-1902, & Supplementband, Leiden 1937-1938.

- BROCKELMANN (C.) History of the Islamic Peoples. London 1949.
- نقله الى العربية بعنوان « تاريخ الشعوب الاسلامية » الدكتور نبيه أمين فارس والاستاذ
منير البعلبكي . بيروت . دار العلم للملايين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م
- BROWNE (E. G.) A Volume of Oriental Studies presented to Edward Browne on his 60th Birthday. Ed. by T.W. Arnold and R.A. Nicholson. Cambridge 1922.
- CANARD (Marius) Sayf al Daula. Alger 1934.
- CARRA DE VAUX Les Penseurs de l'Islam. Paris 1921-1926.
- CODRINGTON (O.) A Manual of Musulman Numismatics (London 1904).
- COMBE (Et.), SAUVAGET (J.) et WIET (G.). Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Tome Cinquième, Le Caire 1934.
- Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, Exercice 1904.
- CRESWELL (K. A. C.) Early Muslim Architecture (Umayyads, Abbassids and Tulunids). 2 vols. Oxford 1932-1940.
- DEF RÊMERY Mémoire sur les Emirs-el-Oumara (dans Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. 1^{re} série. 1. 11. Paris 1852).
- DE SACY (Silvestre) Bibliothèque des Arabisants Français. Tome premier, Le Caire 1905.
- DOZY (R.) Supplément aux Dictionnaires Arabes. 2 vols. Leyden 1881.
- Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam 1845.
- DRIOTON (Etienne) et VANDIER (Jacques) L'Egypte (dans Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, t.11). Paris 1938.

- FARIS (N. A.) The Arab Heritage. Princeton 1944.
- FRANZ (J) Kairo 1903.
- FLURY (S) Ein Stuckmihrab des IV. (X) Jahrhunderts. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst, II, 1925).
- GAUDEFROY-DEMOMBYNES (M.) Le Monde Musulman (Histoire du Monde, VII, 1). Paris 1931.
- GOTTSCHALK, (HANS) Die Madaraïjjun. (Berlin und Leipzig 1931).
- GROHMANN (Adolf) Arabic Papyri in the Egyptian Library vols. I, II, III. Cairo 1934, 1936, 1938.
- الجزء الأول نقله الأستاذ ادواف جرومان إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان « أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية » القاهرة ١٩٣٤ م .
- GROHMANN (A.) Art. Tiraz (in Encyclopædia of Islam).
- GRUNEBAUM (G. E. Von) Medieval Islam. Chicago, Illinois, 1947.
- HASSAN IBRAHIM HASSAN Relations between Egypt and the Caliphate. Cairo 1940.
- HEFFENING (W.) Art. Shāhid (Encyclopædia of Islam).
- HERZ BEY (MAX) : Catalogue Raisonné des monuments exposés dans le Musée National de l'Art Arabe. Le Caire 1906.
- ترجمه على بك مهجت بعنوان : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ، المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٧ هـ .
- HEYD Histoire du commerce du Levant au Moyen Age 2 vols. Leipzig 1885-1886.
- HITTI (Ph.) History of the Arabs. London 1946.
- HUART (Cl.) Histoire des Arabes, 2 vols. Paris 1912.
- IBN SAID-VOLLERS Fragments aus dem Mughrib. Weimar 1895.
- ظورت له ترجمتان باللغة العربية .
- KREMER (A.V.) Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2 Bände (Wien 1875-77).
- KÜHNEL (E) Islamische Schriftkunst. Berlin.

- LANE-POOLE (Stanley) Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. London 1875-1890.
- History of Egypt in the Middle Ages. London 1900.
- The Mohammadan Dynasties. London 1925.
- LEVY (R.) An Introduction to the Sociology of Islam, 2 vols. London 1931-1933.
- LAVOIX (Henri) Catalogue des Monnaies Musulmanes. Paris 1896.
- LÉVI-PROVENÇAL (E.) Le Traité d'Ibn Abdun. (Journal Asiatique. Avril-Juin 1934).
- MACDONALD (D. B.) Muslim Theory, Jurisprudence and Constitutional Theory. London 1903.
- MARCEL Egypte, depuis la conquête des Arabes jusqu'à la domination Française. Paris 1848.
- MASSIGNON (L.) Article Karmates (Encyclopædia of Islam).
- Annuaire du Monde Musulman. Paris 1925.
- MAYER (L. A) Bibliography of Moslem Numismatics, India Excepted. London 1939.
- MERCIER (Louis) La Chasse et les Sports chez les Arabes. Paris 1927.
- MEZ (Adam) Die Renaissance des Islams. Heidelberg 1922.
- نقله إلى العربية في جزأين . الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٠ م .
- MINORSKY (V.) Tadkkirat al-Mulûk. A Manual of Safavid Administration. London 1943.
- MUIR (William) The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall. Edinburgh 1915.
- NICHOLSON (R. L.) Studies in Islamic Mysticism. Cambridge 1921.

نقل الأستاذ الدكتور على أبو الملا عفيفي إلى العربية طائفة من الدراسات التي قام بها نيكولسون ونشرت في القاهرة سنة ١٩٤٧ بعنوان : « في التصوف الاسلامي وتاريخه » .

NUTZEL (H). Königliche Museen Zu Berlin: Katalog der Orientalischen Münzen. Berlin 1898.

OMAR TOUSSON (Le Prince) Mémoire sur l'histoire du Nil (Mémoires de l'Institut d'Egypte, tomes VIII, IX, X). Le Caire 1925.

— La Géographie de l'Egypte Arabe, Tome Premier. Le Caire 1926.

Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung. Wien 1894.

PAUTY (Edmond) Bois sculptés d'Eglises Coptes. Le Caire 1930.

— Les bois sculptés jusqu' à l'époque Ayyoubide. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.

PEDERSEN (J.) Art. Masdjid (Encyclopaedia of Islam, vol. III). Leiden. London 1936.

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe T. V. Le Caire 1934.
Voir Combe.

RABINO DI BORGOMALE (H.L.) Coins and seals of Shahs of Iran. Hertford 1945.

ROSS (E. Denison) The Art of Egypt through the Ages. London 1931.

SNOUCK HURGRONJE (C.) Mekka 2 Bd. Haag 1888-1889.

STRZYGOWSKI (J.) Asiens bildende Kunst. Wien 1930.

TORNBERG (C. J.) Mémoires sur les Monnaies des Ikh-schidites (dans Nova Acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3ème Série, vol. II).

TRIMINGHAM (J. SPENCER) : Islam in the Sudan. Oxford 1949.

TRITON (A. S.) The Caliphs and their non-Muslim subjects. Oxford 1930.

ترجمه وعلق عليه الأستاذ حسن حبشي بعنوان « أهل الذمة في الاسلام » القاهرة ١٩٤٩ م .

- TYAN (E.) Histoire de l'organisation judiciaire en pays de l'Islam. Paris 1938.
- WEILL (J. D.) Les Bois à Epigraphes jusqu'à l'Époque Mamlouke. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.
- WIET (G.) The Governors and Judges of Egypt (Journal of the Royal Asiatic Society), July 1914.
- L'Historien Abul-Mahssin. Bulletin de l'Institut d'Égypte. T. XII. 1929-1930.
- Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicum, T. II Egypte. Le Caire 1930.
- Catalogue général du Musée Arabe du Caire. Stèles Funéraires, T. V. Le Caire 1937.
- Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris 1932.
- Notes d'Épigraphie Syro-Musulmane, (dans Syria). T. VII.
- L'Égypte Arabe (Histoire de la Nation Égyptienne, T. IV).
- L'Égypte Musulmane (Précis de l'histoire d'Égypte, T. II). Le Caire 1932.
- Trois Formules d'Indépendance dans l'Égypte Médiévale. Le Caire 1942.
- Les Communications en Égypte du Moyen Age.
- نقاء إلى العربية محمد وهي بعنوان « المواصلات في مصر في العصور الوسطى » ونشرت في كتاب « في مصر الإسلامية » أخرجه الدكتور زكي محمد حسن والقائمقام عبد الرحمن زكي .
- WUSTENFELD (F.) Die Statthalter von Agypten Zur Zeit der Chalifen. Gottingen 1875.
- VONDERHEYDEN (M.) La Berbérie Orientale sous la dynastie des Benoû'L-Arabe. Paris 1927.
- ZAKY MUBARAK La Prose Arabe au IVe siècle. Paris 1931.

- ZAKY MOHAMED HASSAN . . . Les Tulunides. Paris 1933.
- . . . Hunting as practised in Arab Countries
of the Middle Ages. Cairo 1937.
- . . . Moslim Egypt and its Contribution to
Islamic Civilisation (Bulletin of the
Faculty of Arts, Fouad I University,
vol. XI, Part II, Dec. 1949. Cairo).
- . . . Moslem Arts in the Fouad I University
Museum, vol. I, Cairo 1950.
- ZAMBAUR (E. de) . . . Manuel de Généalogie et de Chrono-
logie pour l'histoire de l'Islam.
Hannover 1927.
- تذکرہ جامعہ فؤاد الأول ترجمہ عربیہ لهذا الکتاب ، أخرجها (الدكتور زکی محمد حسن
والأستاذ حسن أحمد محمود) .
- ZETTERSTEEN (K.V.) . . . Article Shurta (Encyclopædia of Islam).

فهرس الأشكال واللوحات

- شكل (أ) ص ١٩٨ : وثيقة بردية من سنة ٣٥٦ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (ب) ص ٢٥٩ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (ج) ص ٢٧٢ : وثيقة بردية من سنة ٣٤١ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (د) ص ٢٧٤ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (هـ) ص ٢٧٧ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]
- اللوحة رقم ١ : سكة من العصر الاخشيدى [عن لاثوا]
- اللوحة رقم ٢ : مشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية في مصر ،
تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٣ : رسم مكمل لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية
في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٤ : مسقط أفق لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية
في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٥ : محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى [عن كريزويل : العمارة
الاسلامية في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٦ : زخارف من الجص في محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى
[عن كريزويل : العمارة الاسلامية في مصر تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٧ : شاهد قبر من سنة ٣٣٢ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثييت]
- اللوحة رقم ٨ : شاهد قبر من سنة ٣٣٣ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثييت]
- اللوحة رقم ٩ : شاهد قبر من سنة ٣٤٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثييت]
- اللوحة رقم ١٠ : شاهد قبر من سنة ٣٥٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثييت]

- اللوحة رقم ١١ : قطعة نسيج من الصوف والكتان ، من صناعة مصر في القرن الرابع الهجرى ومحفوطة بدار الآثار العربية [عن ثيبت : معرض المنسوجات في جوبلان بالفرنسية]
- اللوحة رقم ١٢ : قطعة من النسيج المصنوع في مصر سنة ٣٥٧ هـ
- اللوحة رقم ١٣ : قطعة نسيج من الكتان والصوف من صناعة الفيوم في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : فنون الاسلام]
- اللوحة رقم ١٤ : قطعة نسيج من صناعة اليمن في القرن الثالث أو الرابع الهجرى .
- اللوحة رقم ١٥ : قطعتان من الخشب ذى الزخارف والكتابات المحفورة ، من مصر في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى في مصر]
- اللوحة رقم ١٦ : قطعة من الخشب ذى الزخارف المحفورة ، من مصر في القرن الرابع الهجرى [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى في مصر]

الكشاف

(١)

أبو ابراهيم الرسى (العلوى) : ١١٧ —

١١٨

ابراهيم طباطبا : ٢٣٣

ابراهيم بن احمد الرسى (أبو اسماعيل) :

٣٦٦ ، ٣٢٤

ابراهيم بن احمد الماذرائى : ٤٦ — ٤٧

ابراهيم بن خلف بن طباب : ١٦٣

ابراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرى :

٣٥٥ ، ٣١٨ ، ٣١١ ، ١٦٧

ابراهيم بن كيغلق : ٣٣

ابراهيم بن مروان : ١٧٨

إبريم : ٣٥٩

الأبناء : ٢٥

الأنث (استئجاره) : ٢٦٨

الآثار : ٢٨٥ — ٢٩٩ ، ٣٧٦

الأحباس : ٢١١ — ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٣٥٧

الاحتكار : ٣٤٣

احمد بن ابراهيم الماذرائى (الأطروش) :

٣٨

احمد بن ابراهيم الاندلسى : ٢١٧

احمد بن بسطام : ٦١

احمد بن صالح : ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٣

احمد بن صدقة : ٣٢٤

احمد بن طباطبا : ٩٤

احمد بن طولون : ١٣ ، ٣٧ — ٣٩ ،

٤٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ٨٧ ،

١٠٧ ، ١١٩ — ١٢١ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٩ ،

٢٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

احمد بن عبد العزيز بن اسحق

الجوهري : ٢٣٨

احمد بن عبد الله بن اسحق : ٢١٠

احمد بن عصام (أبو هريرة) : ٣٢٤

احمد بن على الماذرائى (أبو الطيب) :

٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧

احمد بن طلى بن الاخشيدي : ٥٥ ، ٩٩ ،

١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦١ ،

١٩٤ ، ٢٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥

احمد بن على بن الحسن بن طباطبا : ٢٨٦

احمد بن عمرو الطحان : ٣٠٥

احمد بن كيغلق : ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٧٠ — ٧٥ ، ٧٩ ، ١٢١ ، ١٧٣ ، ٢٥٩

احمد بن أبى الليث نصر بن محمد

النصيبى : ٣٠٥

٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ١٤٦ ،

١٦٨ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ،

٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ،

٣٦٦

اسماعيل بن بنان : ٢٢٥

اسماعيل بن هروان العباسي : ٤٠

الاسماعيلية : ١٣ ، ١٤

أسوان : ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٥٨

آسيا الصغرى : ٥٧ ، ٣٥٥

أسيوط : ١٣٤ ، ٢٩٧

الاشتراكية : ٣٢٠

الاشراف : ٢٣٣ — ٢٣٦

أشمون : ١٨١

الأشمونين : ٣١ ، ٣٣ ، ١٧٠ ، ٢٧١ ،

٢٩٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢

الاعتزال والمعتزلة : ٢١٩ ، ٣٠٧ ،

٣١٠ ، ٣١٩

الأعلام والرايات : ٣٦٦

الأعياد : ٢٥١ — ٣٧٦ ، ٢٥٣

الأغلبية : ١٢ ، ٢٥ ، ٨٤ ، ٢٤٨

افريقية : ١٢ ، ٢٦ ، ١٦٢

اقريطش (جزيرة) : ٢٤٠

الالتزام : ١٠٣

المانوس (رومانوس ليكابينوس) :

٣١١ ، ٣٢٧

امام المسجد : ١٩٧

الآمر بأحكام الله (الفاطمي) : ١٩٦

الأمناء : ٢١٨

احمد بن محمد الافريقى (الشاعر :

المتيم) ٢٥٤

احمد بن محمد بن اسماعيل طباطبا :

٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٣٢٣

احمد بن محمد بن بسطام : ٤٧ ، ٦١

احمد بن محمد بن جعفر الاسوانى

الصواف : ٣٠٨

احمد بن محمد بن شعيب الداودى : ٢٢٢

احمد بن محمد بن عيسى بن الجراح :

٣٠٥

احمد بن موسى بن زغلمان : ١٧٣

احمد بن نصر (أبو جعفر) : ٧٢ ،

٢٣٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦

الأحمدية (الدنانير) : ١٩١

الاخشيد : (انظر محمد بن طغج)

اخميم : ٧٠ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧

الأدراسة : ٨٤

ارسانة (الطبيب) : ٢٣٩

الأرمنية (القصيدة) : ٢٤٠ — ٢٤١

أرمينية : ٢٤٢

ابن اريخا : ٢٣٨

الأستاذ (لقب) : ٣٠ ، ١٠١ ، ١٢٧ ،

٣٧٥

اسحق بن كنداج : ٥٧

اسحق بن نصير العبادى : ٧٦

الأسطول : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ،

٢٤٥ ، ٢٤٨ — ٢٥٠

أسفل الأرض : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٣٥

الاسكندرية : ٢٧ ، ٣٠ — ٣٢ ، ٤٦ ،

الامويون في الأندلس : ٨٤

أمير الأمراء : ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٤٣ ،

٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥

الأندلس : ٣٠٣ ، ١٤ ، ١٢ ،

أنصى : ١٨١

انطاكية : ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ١٩٢ ،

أهل الذمة : ١٧٧ ، ١٠٤ ، ٢٨ ، ٩ ،

٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٣٣٤ — ٣٣٧ ، ٣٦٨ ،

أهل الراية : ٣٢٨

الاهواز : ٨٠

الأوحدي : ٣٢٨

أونوجور (أبو القاسم بن الاخشيد) :

٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ،

٩٣ — ١٠٠ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ،

٢١٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ،

٣٢٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٥ ،

إيران : ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٦٢ ، ٣٧٧ ،

بادية السماوة : ١٤٠

(ب)

بادية الشراة : ٣٤٠

بارشكور : ٣٤٥

بازيار : ٦١

بحكم : ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٦٣ ،

البحر الأحمر : ٢٨١

البحرية : (أنظر أسطول)

بدر الحامي : ١٨ ، ٤٥ ، ٥٨ ،

بدر الخفيفي : ٢٠١

بدر الكبير (غلام الاخشيد) : ١٢١

بدر غلام يانس : ١٧٤

بدر مولى سعيد بن عثمان : ١٧٣

بدر بن جف : ٥٨

بدر بن عبد الله الاخشيدى : ٨١

البرابي والآثار القديمة : ٢٦٥ — ٢٦٧

برقة : ٢٥ — ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٦٩ ،

٢٨٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٠

ابن برك : ٢٣٨

البريد وعامل البريد : ٣٩ ، ١٦١ ، ٢٦٩ ،

البريدى (أبو عبد الله ، احمد بن محمد) :

٨٠ ، ٨٥ ، ١٨٥

البستان الكافورى : ٢٨٩

ابن بسطام : (أنظر احمد بن محمد وعلى

ابن أحمد)

البشامرة : ٣٧٠

بشرى التلى : ١٠٦

بشرى الخادم : ٦٥

البصرة : ١٣ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٣٠٨ ،

ابن البطريق (سعيد) : ٩ ، ٣٢٩ ،

بغداد : ١١ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٤٣ ، ٤٦ — ٤٨ ، ٥١ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ،

١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ،

٢٨٧ ، ٣٧٣

(ت)

تانو : (أنظر مجموعة تانو)
 تاوفيلس (أسقف تنيس) : ٢٤١ ،
 ٢٤٢
 التجارة : ٣١٨ ، ٢٧٩
 التجافيف : ١٢٠
 الترك : ١٣ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٤٩ ،
 ١٧٥ ، ٣٣٣
 تروجة : ٣٦٦
 التضمين : ١٠٣ ، ٣٤١
 تطون : ٢٧١
 تسكين الخاقاني : ١٧٤
 تسكين بن عبد الله : ٢٥ — ٢٧ ،
 ٣٠ — ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦١ — ٦٥ ،
 ٦٩ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٣١٦
 تلسكوست (المستشرق) : ٦
 أبو تميم حيدرا : ٢٩٦
 تنيس : ٧٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ،
 ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣
 توزر : ٢٦
 توزون : ٨٥ — ٨٩
 ابن توفيل (الطبيب) : ٢٣٩
 ابن تومانس : ١٦٧ ، ١٦٨
 تونة : ٢٧١
 تيمودور بن خايل : ١٧٧ ، ٣٣٦

البقط : ٣٥٨

بكار بن قتيبة : ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٨٦
 بكام بن دنيا : ١٧٧ ، ٣٣٦
 أبو بكر الصولي : ٢٦
 أبو بكر المحلى : ١٣٥ — ١٣٧
 بكر بن محمد بن العلاء القشيري : ٣٠٨
 بكران بن الصباغ : ٢١١ ، ٢١٥ ،
 ٢٢٠ ، ٢١٩
 بكير (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢
 البلاط : ١٤٩ — ١٥٢
 بلال المؤذن : ١٣٨
 بلبيس : ٧٠ ، ٣٤١
 بلخ : ٣٠٥
 البلينا : ٢٧١
 بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الجمال :
 ٣٠٨
 البهنسا : ٣٣ ، ٢٩٧ ، ٣٣٨
 بنو بويه : ٩٥
 بيس (الظاهر) : ٨٧
 بيت الزفت : ٢٥٨
 بيت المقدس : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 ١٣٢ ، ٣٣٦
 بئر الوطاويط : ١٦٢ ، ٢٩٣
 بيزنطة والبيزنطيون (انظر أيضاً
 الروم) : ٥٧ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠٤ ،
 ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،
 ٢٤٨ ، ٣١١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ — ٣٥٧
 ببيوت واستئجارها : ٢٦٥

(ث)

الشغور : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ٢٤٩ ،

٢٦٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،

الثلج : ٢٦١

تمل الخادم : ٣٢

(ج)

جابر (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢ ،

الجاوسية والجواسيس : ٧٢ ، ١٧٩ ،

جامع ابن طولون : ١١٩ ، ١٧٢ ،

جامع عمرو (الجامع العتيق) : ٩٥ ،

١١٥ ، ١١٩ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،

٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ،

٣٤١

جبل السراة : ٦٢

جدة : ٢٨١

جرومان (آدولف) : ٣ ، ١٢٦ ،

١٨٠ ، ١٨١

جرير بن الحصان : ١٧٨

جست (رثن) : ٤ ، ٣٠٥

ابن الجصاص : (انظر الحسين بن عبد الله

الجوهري)

ابو جعفر النحاس : ٣٢٦

جعفر بن الفضل بن جعفر بن القرات :

٤٤ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ٢١٤ ،

٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤ —

٣٦٦ ، ٣٧٠

ابو جعفر بن المتفق : ١٦٧ ، ١٦٨

جف بن بلكين : ٥٧

الجلود (صناعتها) : ٢٧٩

الجمارك : ١٩٨

جمال الدين الأزدي المصري : (انظر

ابن ظافر)

الجنائز (والنواح) : ٢٦٨ ، ٢٦٩

جنى الخادم (الصفواني) : ٣٣

جوازات السفر : ١٩٨ ، ١٩٩

الجواشن : ١٢٠

جوتشلك (المستشرق) : ٩

جورجيوس : ١٩٩

جوسية : ٣٥١

جوهر الصقلي : ٥٥ ، ١٠٢ ، ١٩٦ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ،

٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

الجيزة : ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٢٩١ ،

٢٢٥ ، ٣٧٠

الجيش : ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٩ ،

٢٤٥ — ٢٤٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣

جيش بن خمارويه : ٤٠ ، ٥٨ ، ٢٠٦

(ح)

الحاجب : ١٤٩ ، ١٥٠

الحافظ (بمعنى صاحب الشرطة) : ١٧٢

الحاكم بأمر الله : ٦

حامد بن العباس (الوزير) : ٤٧ ، ٥١

حباسة بن يوسف الكتامي : ٢٥ —

٢٩ ، ٤١ ، ٦١

الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى : ٨١ ،

٨٢ ، ١٢١ ، ١٦٦ ، ٢٣٤ ، ٣٤١ ،

٣٥٢ ، ٣٥١

الحسن بن طهيج : ٦١ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٨٥ ،

٩٠ ، ٩٣ — ٩٥ ، ١٤٥ — ١٤٧ ،

١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ،

٣٦٠ .

ابو الحسن بن ظفر الكرخى : ٤٩

الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق

الجوهري : ٢١ — ٢١٢ ، ٢١٥ ،

٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

الحسن بن عبد الله بن طهيج : ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٩٤ ،

٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٦٥

الحسن بن علي بن محمد بن احمد بن علي

الحسن بن طباطبا : ٢٣٤

ام الحسن بنت عمر بن عيسى بن سابق

ابن ابي تراب : ٢٩٤

ابو الحسن بن عيسى : ١٧٧ ، ٣٣٦

الحسن بن قاسم : ١٤

الحسن بن محمد الصالحى : ٤٩

الحسن بن مهاجر : ٣٩

الحسن بن موسى الخياط : ١٩٧

ابو الحسين الفرغانى : ١٧٦

الحسين بن ابراهيم الرسى : ٣٢٤

الحسين بن احمد الماذرائى (ابوزنبور) :

٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ — ٥٢ ،

٥٨ ، ٦٢ ، ٧٤

الحبشة : ١٢٧ ، ٢٨١

حبشى بن احمد : ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥

الحبيشى (الشاعر) : ٤٦

الحج : ٤٠ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ،

١٦٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٧٠

الحجاز : ٣٢ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ٢١٩ ، ٣٧٤

ابن حجر العسقلانى : ٤ ، ٨ ، ٣٢٨

ابن الحداد (القاضى ابو بكر محمد بن

احمد) : ١١٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ،

٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ — ٢٢٣ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٣٠٦ ،

٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥

الحراقة : ١٢٤

حران : ٨٠ ، ١٩٢

ابن حربويه (علي بن الحسين بن حرب) :

٦٣

الحرس الخاص : ١١٢ ، ١٥١ ، ٢٨٩

الحرمين : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢

الحسبة والمحتسب : ٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٣٤٦ ، ٣٧٥

بنو حسن (بمكة) : ٣٣٣

ابو الحسن البغدادى : ١٣٥

الحسن بن احمد الكاتب المصرى : ٣٠٨

الحسن بن أيوب : ٢٢٠

الحسن بن جابر : ١٢٠

الحسن بن جابر الرياحى : ١٦٢

الحسن بن رشيق : ٣٠٥

الحمدانيون ٧، ٩، ٨٠، ٨٦، ٣٤٩ —

٣٥٤

الحمراء (خطة) : ٢٨

حمزة بن محمد بن علي العباسي الكناني :

٣٠٥

حمص : ٥٩، ٨١، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٨،

١٩٢، ٢١٩، ٣٤٩ — ٣٥٣، ٣٥١

الحمير (اكتراؤها) : ٢٦٨

ابن حنزابة : (انظر جعفر بن الفضل)

ابو حنيفة والمذهب الحنفي : ٢١٨، ٣٠٦

حنين بن يحيى : ١٨١

الحواة : ٢٦٤، ٢٦٥

الحوف : ٦٣، ٦٤، ٢٦٠، ٢٦٤

(خ)

خادم الكنيسة : ١٩٨

خادم المسجد : ١٩٧، ١٩٨، ٣٧٠

الخازن والخازندار : ١٥١

خديجة بنت الفتح بن خاقان : ٢٤٩،

٢٥٠

خديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم

الرسى : ٢٨٦

الخراج (ديوان) : ٢٠٠، ٣٤١

الخراج (عامل) : ١٧٦ — ١٧٨،

٣٤١

الخرافات : ٢٥٤، ٢٥٥

الخزف : ٢٩٨

الخشب (الحفر فيه) : ٢٩٨، ٢٩٩

الحسين بن الحسن بن عبد الرحمن

بن اسحق الجوهري : ٢٢٤

الحسين بن حمدان : ٦٠

الحسين بن ابي زرعة الدمشقي : ٢٠٧،

٢٠٨، ٢١٩ — ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦،

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٢، ٣٠٧

حسين بن شعيب : ٢٦٥

الحسين بن طاهر العلوي : ٣٤١

الحسين بن طنج : ٦١، ٦٥، ٨٣

الحسين بن عبد الله الجوهري : ٧٦،

٢٩٥، ٢٩٦

ابو الحسين بن العجمي : ١٠٧

الحسين بن علي الرقي : ٧٨

الحسين بن علي بن معقل : ١٧٣

الحسين بن عيسى بن هروان : ٢٠٨ —

٢١٣، ٢١٩

الحسين بن محمد بن علي الماذرائي : ١٥٥

— ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ٣١٩

الحصر (صناعة) : ٢٧٩

حلب : ١٨، ٨١، ١٥٨، ١٩٢، ٣٤٩،

٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤

حوان : ٣٢٥

حماة : ٥٩

حماد (كاتب القاضي ابن وليد) : ٢٢٤

الحماضية : ٢٦٠

حمام الزاجل : ٣٤١

الحمامات : ٢٦٣

الخط الكوفي : ٢٩٣
 الخطط : ٣٢٧ ، ٣٢٨
 الخفتان : ٢٦٢
 الخلافة العباسية : ١ ، ٣ ، ٧ — ٩ ،
 ١١ ، ١٢ ، ١٧ — ١٩ ، ٥٩ ، ٨٤ ،
 ٨٧ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
 الخليج (فتح) : ٢٥٣
 خليج أمير المؤمنين : ٢٩٠
 ابن الخليج : ٢٠ — ٢٤ ، ٤٦
 خمارويه بن أحمد بن طولون : ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٣ ،
 ١٢٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤
 ٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣٧٣
 خميس العهد : ٢٥٢
 أبو الخير الأقطع : ٣٠٨
 خير المنصورى : ٢٦
 (٥)
 دار الآثار العربية بالقاهرة : ١٠٥ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ،
 ٢٩٩
 دار الامارة : ٢٠١ ، ٢٤٩
 دار تبر : ٢٩١
 دار حنزاية : ٢٩١
 دار الفيل : ٢٩١
 دار المكتب المصرية : ١٨١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٤
 الديلم : ١٣ ، ٨٥ ، ١٩٠
 ديوان الأعمال والجبليات : ١٧٦
 ديوان الانشا (الرسائل) : ١٦٥
 (ذ)

ذكا الأعور (الرومي) : ٣٠ — ٣٢
 أبو الذكر : (انظر محمد بن يحيى القاضى)

الدبابيس : ١١٩
 الدبدبة : ١٣٨
 دنيق : ٢٧١ ، ٢٩٧
 الدراعة : ١١٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦
 الدعاء للخليفة الفاطمى : ٨٢
 الدفن (فى البيوت) : ٢٦٩
 ابن دقاق : ٣٢٨
 دمشق : ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٤٣ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٧ — ٥٩ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ،
 ٨٣ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٥٠ ،
 ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ،
 ٢١٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤٢ ، ٣٥٠ — ٣٥٦
 دمياط : ٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧١ ،
 ٢٩٧ ، ٣٤٣
 دميانة : ٢٤٩
 دميرة : ٢٧١
 ديار مصر : ١٥٨
 الديارات (الأديرة) : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٣٥

الديلم : ١٣ ، ٨٥ ، ١٩٠
 ديوان الأعمال والجبليات : ١٧٦
 ديوان الانشا (الرسائل) : ١٦٥
 (ذ)
 ذكا الأعور (الرومي) : ٣٠ — ٣٢
 أبو الذكر : (انظر محمد بن يحيى القاضى)

الذمة : (انظر أدل الذمة)

الذهب : ٢٨٠

ذو النون المصري : ٣٠٨

(ر)

الراشدي (أمير الرملة) : ٦٤ ، ٦٥ ، ٢٧٠

الراضي بالله (العباسي) : ٤٤ ، ٥٥ — ٥٧

٧ — ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٠

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٢

١٨٤ — ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٣٧٤

راغب (والى طرسوس) : ٥٨

ابن رائق : ٧٩ — ٨٦ ، ٨٩ ، ١١٢

١١٣ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٦

١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩٣

٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٦١

ابن أبي الرداد : ٢٨٩

الرسن : ٣٥٠

الرشيد (العباسي) : (انظر هارون)

رشيد : ٣٢

رشيق الخادم : ٢٥٩

الرقعة : ٥٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩

١٠٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥

الرقيق : ٢٤٢ — ٢٤٤ ، ٣٥٨

ركن الدولة البويهى : ٩٧

رماح بن يوسف : ١٨١

رمادة : ٧٥ ، ٣٦٠

الرملة : ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٨١ — ٨٣

١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥

١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٦

١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٥

٢٧٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦

٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥

الرها : ٨٠

الرهينة والرهبان : ٣٠٨ ، ٣٣٥

الرواتب : ١٦٧ ، ٢٠٠

الروضة (جزيرة) : ٧٣ — ٧٥

٢٤٨ — ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢

الروم : (انظر أيضا بيزنطة) : ٥٨

١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٩٥ ، ٢٤٩ ، ٣٠٨

٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢

روما : ٢٤٩

رومانوس لوكابينوس (المانوس) :

٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٥٥

ريز : (انظر مجموعة الارشيدوق)

(ز)

الزراعة : ٢٧٥ — ٢٧٨ ، ٣٤٢

ابو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي (القاضي) :

٤٥ ، ٢٠٦

زقازق (المهندس) : ٢٨٩

الزسر : ٢٨٠

زنجبار : ٢٨١

الزنج : ٢٧٩ ، ٢٨٠

الزواج (عقود) : ٢٦٣

ابن زولاق : ٣ — ٦ ، ٨ ، ٧١ ، ٣٢٨

زويلة : ٣٢

زيادة الله (الاصغر ، الأغلب) : ٢٥

(س)

الساسانيون : ١٩٥

سامرا : ١٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ١٠٧ ، ١٧٩

سباق الحمام : ٢٥٦ ، ٢٥٧

سباق الخيل : ١٢٠ ، ٢٥٦

السباكين : ١٩١ ، ١٩٢

السبع السقايات : ٢٩٢ ، ٢٩٣

السجن والحبس : ١٥٧ ، ١٩٩ ،

٢٥٧ — ٢٥٩

ابن السراج (محمد بن يحيى العلوى) : ٣٣٨

السراج والسراجون : ٢٣٥

ابن سعيد : ٤ — ٦

سعيد بن عبدان : ٢١٢

سعيد بن عثمان غلام الأحوال : ١٧٣

سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن : ٣٠٥

سعيد بن فاخر (قاضى البقر) : ٩٠ ،

١١٣ ، ١٢١ ، ٣٢٤

السكة والنميات : ٩٠ ، ١١٤ ، ١٩١

— ١٩٦ ، ٢٢٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠

ابن سكرة (محمد بن ابراهيم بن الحسين) :

٣٠٧

السلطان (لقب) : ٧١

بنو سليم : ٣٤٠

سليمان بن الحسن بن مفضل : ١٨٤ ،

١٨٦ ، ١٨٧

سليمان الخادم : ٣٢

سليمان بن عزة : ٣٤٦

سليمان بن محمد بن رستم : ١٢٢ ، ١٩٧

أبو سليمان بن يونس : ١١٦

سماية القهرمانة : ١٢٢ ، ٢٢٣

سمرقند : ٢٧٩

السمسرة : ٢٧٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦

سمسطا : ٣٣٨

سمنود : ٧٣

أبو سهل الصدفى : ٢٥٥

سهل بن محمد الكاتب : ١١٧

السواحل : ٣٤٢

السودان (وأهله) : ١٢٩ ، ١٣٧ ،

١٣٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٣٥٨

سوق الحمام : ٢٩٢

سوق السراجين : ٢٣٥

سوق الوراقين : ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣٢٠

سليويه المصرى : ٤ ، ٦ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٣٠٣ ،

٣١٠ ، ٣١٩ — ٣٢٢ ، ٣٢٩

سيف الدولة بن حمدان : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ٢٣٤ ، ٣٢٥ ،

٣٤٩ — ٣٥٤ ، ٣٥٦

سينا : ١٩٦

السيوطى : ٣ ، ٨ ، ٣٢٨

(ش)

شادن الصقلي : ١٢١

شادن مولى الفضل بن جعفر : ١٧٣

ابن شاذان الجوهري : ٢٠٥ ، ٢٠٦

الشهود : ٢٢٢ ، ٢٢٣
ابن أبي الشوارب : (انظر محمد بن الحسن)
شواهد القبور : ٢٩٣ — ٢٩٦
شيبان بن أحمد بن طولون : ١٧ ،
٥٩ ، ١٨
شيراز : ٩٠
الشيعة والتشييع : ١٤ ، ١٩٠ ، ٣٣٣ ،
٣٣٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠

(ص)

صاحب بيت المال : ١٥١
صاحب الشرطة : (انظر الشرطة)
صاعد بن كلثم : ٧٢ ، ٧٥ ، ٢٤٩
صالح بن رشدين : ٣٢٤
صالح بن محمد (أبو مقاتل) : ٢٢٩
صالح بن مؤنس : ٣٢٤
صالح بن نافع : ١٤٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
٣٢٠ ، ٣٦٠
صدقة بن الحسن : ١١٤ ، ١٩١
الصعيد : ٣١ ، ٤٤ ، ٧٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠
٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٨
الصفوية (الدولة) : ١٩٢
صقلية : ٣٢ ، ٢٤٨
الصناعة (دار) : ١٩٩ ، ٢٤٨ —
٢٨٨ ، ٢٥٠
صندوق التبرعات : ٢٦٨
صور : ٣٥٥
الصفوية والنصوف : ٣٠٨

الشافعي (ضريح الامام) : ٢٨٥ ، ٢٨٧
الشافعي (مذهب) : ٢١٩ ، ٢٢٥ ،
٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩
الشام : ٢٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ — ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩
٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٨ — ٩١
٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٢ — ١٠٦
١١١ ، ١٢٢ ، ١٤٥ — ١٤٩
١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ — ١٦٣ ، ١٦٦
١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢١٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٣٣٨ — ٣٤١
٣٤٩ — ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤
ابن شاهين (سبط ابن حجر جمال الدين
يوسف) : ٤ ، ٣٢٨
شبيب العقيلي . ٣٤٠
الشراب : ٢٥٦
الشرطة (وصاحب الشرطة) : ٤٩ ،
١٧٠ ، ١٧٢ — ١٧٥ ، ٢٠١
٢١٨ ، ٢٦٢
الشرطة السفلى : ١٧٣ ، ٢١٨
الشرطة العليا : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٨
الشرقية : ٧٤
شرونة : ٣٣٨
الشريف العقيلي : ٣٥٣
شطّا : ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٤٣
الشعر : ٣٢٢ — ٣٢٥
شعلة بن بدر الاخشيدى : ١٧١ ، ٣٣٩
شفييع (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢

طنج بن جف : ١٨ ، ٤٥ ، ٥٧ —
٢٦٢ ، ٦١

الطواحين : ٧٠

الطولونيون : ١ و ٧ و ١٧ — ٢٤ ،

٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ١٢١ ،

١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ،

٣١٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،

٣٧٧

الطيب والتطيب : ٦٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١٦٠ ، ٢٦٢

الطيلسان . ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ،

(ظ)

ابن ظافر (جمال الدين على الازدي

المصري) : ٧

ظالم بن السلال العقيلي : ٣٥٦

الظاهر بيبرس : ٨٧

(ع)

العاظم (الفاطمي) : ٩٩

عامر بن يزيد بن مجد : ٢٥٨

عبادان : ٢٧٩ ، ٣٢٠

العباس بن الحسن : ٦٠ ، ٦١

العباسة : ٥٩

عبد الحميد بن يحيى السكاك : ١٧٢

عبد الرحمن الناصر : ١٢ ، ١٤ ، ٣٠٣

عبد الرحمن بن احمد بن يونس : ٣٠٥ ،

٣٢٧

عبد الرحمن بن حبيب : ١٢

الصولي (ابو بكر) : ٢٦

الصميد : ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ٢٦٤ ،

٢٧٠ ، ٢٦٩

الصين : ٢٧٩

(ض)

الضرائب : ٣٤٢ — ٣٤٥ ، ٣٦٤

الضرب (دار) : انظر السكة

(ط)

ابو الطاهر الذهلي : ٢١٤ ، ٢١٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦

طباطا (اسرة) : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،

٢٨٥ — ٢٨٧

طبرية : ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٣ ، ١١٧ ،

١٢٣ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٧٩ ، ٣٣٩ ،

٣٤٢ ، ٣٥٢

الطيب وأجور العلاج : ٢٦٥

طيب البلاط : ٢٥١

الطحانين : ٣٤٦

طرازون : ٥٧

طرابلس (الشام) : ٢٧٩

طرابلس (الغرب) : ٣٢

الطراز وصاحب الطراز : ١٨٠ —

١٨٣ ، ١٩٠

طرسوس : ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ،

٢٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

الطرق (إصلاحها) : ٣٧٠

عبد الواحد بن محمد بن أحمد (ابن مسرور):
٣٠٥

عبيد (صاحب الطرز): ١٨٢، ١٨١
عبيد الله المهدي: ١٤، ٢٤، ٢٩، ٣٣
عبيد الله بن طنج: ٦٠، ٦١، ٦٥
٧٥، ٨١، ١٢٠، ١٢١، ١٤٨
١٧١

عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع: ٢٦٠،
٣٢٤، ٣٦١

ابن عثمان (الطيب): ٢٣٩
عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد
المكلاي: ٣٤٩

عثمان بن سليمان البراز: ٣٤٥
عثمان بن محمد بن شاذان: ٢١٤
عدنان بن أحمد بن طولون: ١٢١
عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني:
٣٥٥

العراق: ٢٠، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٥١،
٥٩، ٧٢، ١٩٥، ٢٦٩، ٢٨٩
٣٠٩، ٣٢٦، ٣٤٠

عروبة بن يوسف الكتامي: ٢٩

العريش: ٧٢، ٨٣، ١٩٩

عز الدولة بنختيار البويهري: ٩٧

العزيز بالله (الفاطمي): ٣٢٩

العسس (صاحب): ١٧٢

العسكر: ١٧٢، ١٧٣، ٢٠١

العشاري: ١٢٤

عضد الدولة: ٢٥٧

عبد الرحمن بن سلهويه الرازي: ٣٠٧

عبد الرحمن بن عبد الله العمري: ٢٢٢

عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجراح:

١٨٥

عبد العزيز بن كليب الجرشي: ٢٦

أبو عبد الله الشيعي: ٢٤

عبد الله بن أحمد بن زبر: ٢٠٦،

٢٠٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٦

عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن

بن إبراهيم طباطبا: ١٢١، ١٣٣—

١٣٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٨٦، ٣٦٣، ٣٦٤

أبو عبد الله بن جاباز الصوفي: ١٣٥—

١٣٧، ٣٠٩

عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب:

٢٠١

عبد الله بن سعد: ٣٥٨

عبد الله بن شعيب: (انظر ابن وليد)

عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن

حديج: ١٧٢

عبد الله بن عبيد الله بن طاهر (أبو محمد):

٢٣٥

عبد الله بن محمد بن خافان: ٤٩

عبد الله بن محمد بن الخصيب: ٢١٣،

٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح:

٣٠٧

عبد الله بن وليد: (انظر ابن وليد)

علي بن عبد الله بن أبي مطر
الاسكندراني : ٣٠٧
علي بن عيسى (الوزير) : ٤٦ —
١٨٥، ٥٠
علي بن محمد الكرخي : ١٧٧
علي بن محمد بن سهل الدينوري : ٣٠٨
علي بن محمد بن كلا : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
١٥٧ ، ١٦٦ ، ٢٠٠ ، ٣٤٥
علي بن محمد بن موسى بن الفرات :
٤٦ — ٤٨ ، ٥١
عماد الدولة بن بويه : ٨٠
عمان : ٦٢
عمر بن الحسن الهاشمي : ١٩٧ ، ٢١٣ ،
٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٦
عمر بن محمد يوسف الكندي : ٣٢٩
عمران بن فارس : ٨١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
٣٤٥
عمرو بن العاص : ٦٦
عمل أسفل (في الفسطاط) : ١٧٣
عمل فوق (في الفسطاط) : ١٧٣
العميد (عمدة الكورة) : ١٦٩
ابن العميد : ١٦١
العنبر : ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٦٢
العواصم : ١٥٨
ابو عون (الوالي العباسي) : ٢٠١
العيد : (أنظر الأعياد)
عيزاب : ٢٨٠ ، ٢٨١
ابن عيسى بقطر بن شغا : ١٧٧

عطلة الدواوين : ٢٠١
عفان بن سليمان البزاز : ٢٨٠
عقبة بن خليفة بن محمد الفضالي (أبو
السمح) : ٢٥٨ ، ٢٥٩
عقد بيع منزل : ٢٧١ — ٢٧٣
عقود ايجار الأرض : ٣٤٤
عقود الزواج : ٢٦٣
بنو عقيل : ٣٤٠
العلويون : ١٣ ، ١٤ ، ١٣٣ ، ٢٣٣ — ٢٣٦ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤
علي بن أحمد العجمي : ١٧٩
علي بن أحمد الماذرائي : ٣٨ — ٤٠
علي بن أحمد بن اسحق (أبو الحسن) :
٢٠٦
علي بن أحمد بن بسطام : ٤٧ ، ٦١
علي بن الاخشيد : ٥٠ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ٩٣
— ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٩٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٣٦
علي بن بدر : ٧٣ ، ٧٤
علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا :
٢٨٦
علي بن الحسين بن شعيب المدائني : ٣٨
علي بن خلف بن طباب : ١٦٢ ، ١٦٣
علي بن سبك : ١٧٣ ، ١٧٤
علي بن صالح الرونباري : ١٦٧
علي بن أبي طالب : ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٣٣٣
علي بن طهيج : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥

فداء الأسرى : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٢٦٨ ،

٣١٧ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

الفراء : ٢٦٢

الفرات (بنو) : ١٤٤ ، ١٦١

أبو فراس الحمداني : ٣٥٢

أبو الفرج الباسي : ١٢٢ ، ١٥١

الفرس : ١١ ، ٢٧٩

فرغانة : ٥٦ ، ٥٧

الفرما : ٧٢ ، ٨٢ ، ٢٢٦ ، ٢٩٧

ابن فريدون : ٢٩

الفسطاط : ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧

٣١ — ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٧٤

٧٦ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٢

٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣

٣٠٩ ، ٣٤٤

الفضل بن جعفر بن الفرات : ٤٤ ، ٧٠

٧٦ ، ٧٢ — ٧٩ ، ١٠٤ — ١٠٦

١٢٠ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٣٦٣

الفضل بن عباس : ٣١٨ ، ٣١٩

الفضل بن يحيى : ٢٣٨

فلسطين : ١٦٤ ، ١٩٢ — ١٩٤ ، ١٩٩

٢١٩ ، ٣٥٥

الفنون : ٢٨٥ — ٢٩٩

فون درهايدن (Vonderheyden) :

٢٢٧

الفيوم : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٧٤

عيسى بن محمد النوشري : ١٩ — ٢٥

٤٦ ، ٢٦٩

عيسى كيل : ٣٥١

عين الجر : ٣٥٠

عين الصيرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(غ)

الغطاس (عيد) : ٢٥١ ، ٢٥٢

الغلاء : ٣٤٦

غلبون : ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٠

٣٣٩

الغناء والمغنون : ٢٦١ ، ٢٦٢

(ف)

فانك (أبو شجاع الرومي مولى

الاخشيدي) : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٤

١٥٠ ، ١٧١ ، ٣٢٥

فاطمة بنت الاخشيدي : ٨٣

فاطمة بنت عبيد الله بن طنج : ٣٥٢

الفاطميون : ١ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٤

٢٥ — ٣٥ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢

٧١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٢

١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٦٢ — ١٦٤

١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠١

٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧

٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣

٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ — ٣٧٠

فاقوس : ٣٥ ، ٧٠ ، ١٢١ ، ٣٤١

فائز (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٣

القطائع : ٢٠١ ، ٢٣ ، ١٧

قطر الندى : ٧٦

قفط : ٢٨٠

القلم (السويس) : ٢٤٨

القهار : ٢٥٧ ، ١١٧ ، ١١٦

قنسرين : ١٨ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، ٣٤٩

٣٥١

قوريل (الطبيب) : ٢٣٩

قوص : ٢٨١

القيروان : ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٢

٨٤

قيس بن العباس بن احمد بن طولون :

١٢١

القيسارية : ٢٩٢

(ك)

الكاتب : ١٦٥ — ١٦٨ ، ١٩٠

كافور : ٤ ، ٥٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ —

١٠١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٥ — ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ،

٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ — ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٦ — ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ،

٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ،

٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ —

٣٥٥ ، ٣٦٢ — ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦

٧٥ ، ١٤٤ ، ٢٤٨ ، ١٧١ ، ٢٩٦ ،

٢٩٨ ، ٣٤٣

(ق)

قآن برشم : ٢٩٣ ، ٣

قبييت : ٢٩٣ ، ٣

(ق)

القاسم بن احمد الرسى : ٢٣٣ ، ٢٥٦ ،

٣٢٣

قاضي البقر : (انظر سعيد بن فاخر)

القاهر بالله (العباسي) : ٣٥ ، ٣٦ ،

٤٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٦٦

القائم بأمر الله (ابو القاسم ، الفاطمي) :

٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ : ٣١ — ٣٣ ،

٦٢ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،

٣٦٣

القبط : ٢٨ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

١٨٠ ، ٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣

القرافة : ١٣٦ ، ١٦٤ ، ٢٩١

القرامطة : ١٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١٠٢ ،

١٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤

القرآن الكريم : ٣٠٩ ، ٣١٠

قزمان بن مينا (ابو الين) : ١٦٤

القسطنطينية : ٣٥٥

القصيد الأرمينية : ٢٤٠ — ٢٤١

القصير : ٣٢٥

القضاء : ٤ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ —

٢٢٨ ، ٣٧٥

كتاب الشروط : ٢٢٥

كتامة : ٣٢ ، ١٤

الكرامات (الاعتقاد بها) : ٢٥٤ ،

٢٥٥

كرزويل : ٢٨٦ ، ٢٨٧

كشاجم (محمود بن الحسين) : ٣٢٥

الكشي (ابو الفضل احمد بن عبد الله) :

٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ — ٢٢٠

ابن كلا : (انظر على بن محمد)

الكلام (علم) والمتكلمون : ٣٠٩

الكندي (محمد بن يوسف) : ٣ ، ٤ ،

٣٢٧ ، ٨ — ٣٢٩

كنيسة أبي شنودة : ٣٣٥

كورتكين : ٨٥

الكورة : ١٦٩ ، ١٧٠

كونل (ارنست) : ١٨٢

كيدر : ٣٠٩

(ل)

اللاب : ١٢٧

لؤلؤ الغورى : ١٧٤

ابن لؤلؤ : ١٤٠

(م)

الماذرائيون : ٨ — ١٠ ، ٣٣ ، ٣٦ —

٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ،

٩٥ ، ١٠٣ ، ١٥٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

٣٢٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤

ماذرايا : ٣٧

المارستان الأسفل : ٢٩٢

المارسان الطولوني : ٢٩٢

مارستان كافور : ٢٩٢

المازوت : ١٦٩ ، ١٧٠

مالطة : ٢٤٨

مالك (مذهب) : ٢١٩ ، ٣٠٣ ،

٣٠٦ — ٣٠٨ ، ٣٠٩

المأمون : ١١ ، ٣٠٩

متاحف الدولة في برلين : ١٨٢

متحف بناكى يائينا : ١٠٥ ، ١٨١ —

١٨٣

متر (آدم) : ٩ ، ٢٠٠

ابن المتفق : ١٦٧ ، ١٦٨

المتقى لله (العباسى) : ٨٤ — ٨٨ ،

٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،

١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٣٤٩

المتنبى : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ —

١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٦١

المتوكل على الله العباسى : ٥٧ ،

٢٠٥ ، ٣١٠

مجموعة الأرشيدوق رينر : ١٢٦ ، ١٧٧ ،

١٩٩ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤

مجموعة تانو : ١٥ ، ١٨١ — ١٨٣ ،

٣٦٤

أبو المحاسن : ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٧ ، ١٨

لحتسب : (أنظر الحسبة)

محمد بن سليمان الكاتب : ١٧ — ٢١ ،

٤٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٤٩

محمد بن صالح بن أم شيبان : ٢١٣ ،

٢١٤ ، ٢١٦

محمد بن طغج الأخشيدي : ١ ، ٤ ، ٥٥ ،

٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٥ —

٦٦ ، ٦٩ — ٩٤ ، ١٠٤ — ١٠٧ ،

١١١ — ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٤ — ١٥١ ، ١٥٥ —

١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ،

١٩١ — ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٠٧ — ٢١٢ ، ٢٢٨ ،

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٥ ، ٢٦٠ — ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،

٢٨٨ — ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ،

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ —

٣٣٩ ، ٣٤١ — ٣٤٥ ، ٣٤٩ —

٣٥٥ ، ٣٦٠ — ٣٦٢ ، ٣٧٤

محمد بن عاصم (الشاعر) : ١٣٩

محمد بن عبدة بن حرب : ٤٠ ، ٢٠٦

٢٢٠ ، ٢٢٤

محمد بن عبد الرحمن الروذباري : ١١٢

١٦٧

محمد بن عبد القاهر (أبو الحسن) :

٢٣٨

محمد بن إبراهيم النقيب (أبو بكر) :

٢١٧

محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي : ١٨٦

محمد بن أحمد السامي : ٣٤٠

محمد بن أحمد بن الحداد : (أنظر ابن الحداد)

محمد بن أحمد بن الربيع الاسواني :

٣٠٧

محمد بن أحمد بن سهل الرملي النابلسي :

٣٠٨ ، ٣٠٩

محمد بن إسماعيل الصناجعي : ٣٣٦

محمد بن الأشعث : ١٠٣

محمد بن بدر الصيرفي : ٢٠٦ ، ٢٠٨ —

٢١١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ —

٢٢٥

محمد بن بشر بن عبد الله الزبيدي : ٣٠٧

محمد بن تكين : ٣٦ ، ٤٢ — ٤٤ ، ٦٩ ،

٧٠ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٩

محمد بن جعفر القرطبي : ٤١ ، ٤٢ ،

٤٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٢٩

محمد بن جعفر بن سلام : ٢٢٩

محمد بن الحسن بن أبي الشوارب :

٢٠٦ — ٢٠٩

محمد بن الحسن العباسي الهاشمي : ٢١٣

محمد بن الحسن بن زكريا : ٣٢٤

محمد بن الحسين الماذرائي : ٣٥

محمد بن حمزة بن عبيد الله (أبو الطيب ،

العلوي) : ١١٧

محمد بن داوود : ١٧٤

محمد بن عبد الله الخازن : ١٥١ ، ٣٥٨
٣٥٩

محمد بن عبد الله بن الخصيب : ٢١٣
٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧

محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم : ٢٢٦
محمد بن عبد الوهاب : ١٦٣

محمد بن علي السامري : ١٨٧

محمد بن علي العسكري : ٢٢١

محمد بن علي بن أحمد الماذرائي : ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ — ٤٤ ، ٥١ ، ٦٢ ،

٧١ ، ٧٤ — ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٥٥ — ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

٢٢٥ ، ٢٣٥ — ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ ،

٣٤٥ ، ٣٦٣

محمد بن علي بن حسن المصري : ٣٠٥

محمد بن علي بن مقاتل : ٩٤ ، ١٥٨ ،

١٧٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٣

محمد بن أبي علي بن مقلة : ٧٠

محمد بن عيسى النوشري : ٢٥

محمد بن القاسم بن شعبان (أبو اسحق) :

٣٠٨

محمد كرد علي : ٣٣٦

محمد بن أبي الليث : ٣٠٩

محمد بن مسروق الكندي : ٢١٨

محمد بن المنهال : ١٢٣

محمد بن موسى السرخسي : ٢٠٦
محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي :

٣٠٧ ، ٣١٠

محمد بن موسى بن المأمون الهاشمي :
١١٣ ، ٥

محمد بن هاشم : ١٢٨

محمد بن وساس بن محمد البزاز : ٢٩٤ ،
٢٩٥

محمد بن يحيى الأسواني (أبو الذكر) :
١١٢ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٣٠٧

محمد بن يسين بن محسن بن محمد
ابن محسن الجعفرى : ٢٩٥

محمد بن يوسف بن بلال الأسواني : ٣٠٨

محمود بن وهب بن عباس الكاتب : ١٢٨
الحنة بنخلق القرآن : ٣٠٩

المختار (بستان وقصر) : ٢٤٩ ، ٢٨٨

ابن المدبر (عامل الخراج) : ٣٨

ابن المدبر الكاتب : ٢٦٤ ، ٢٦٥

المدينة (المنورة) : ٩١ ، ٢٩١

ابن المديني القاص : ٣٣

مرجب (الطبيب) : ٢٣٩

مروان بن محمد (الخليفة الأموي) : ١٧٢

مزاخم بن محمد بن رائق : ٨٣ ، ١١٤ ،
١٤٨

المسبحي (عز الملك) : ٦

المستكفي بالله (العباسي) : ٨٨ ، ٨٩ ،

١٨٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠

المستوفيات : ١١٩

المعتصم بالله (العباسي) : ١٣ ، ٥٧ ،
٣٠٩ ، ٦٦
المعتضد بالله (العباسي) : ٤٦ ، ٧٦ ،
٢٥٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠١
المعتمد على الله (العباسي) : ٣٨ ، ٨٧ ،
٢٠٦ ، ٢٠٥
المعدلين : ١٩٢
معز الدولة البويهري : ٩٥ — ٩٧ ،
٢٠١ ، ١٩٠
المعز لدين الله الفاطمي : ١٣٤ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٣٠٨ ،
٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢
المعونة (صاحب) : ٤٩ ، ٥٢
المغاربة : ٤٣ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
٨٨ ، ١٤٦ ، ٣٦٠
المغرب : ١٢ — ١٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ،
٣٢ ، ٣٣ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ،
٣٤٦ ، ٣٦٢
مفلح المقتدرى (أبو صالح) : ٤٠
مقبيل المغنى : ٢٦١
المقتدر بالله (العباسي) : ٢٥ — ٢٧ ،
٢٩ — ٣٥ ، ٤٦ — ٤٨ ، ٥٢ ،
٦٠ ، ٦٢ — ٦٥ ، ١٠٤ ، ١٨٥ ،
٣٣٥ ، ٣٥٥
المقرئى : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٩٣ ،
المقصورة : ١١٩
ابن مقلّة (محمد بن علي) : ٨٥ — ٨٧ ،
١٠٧ ، ١٨٤ ، ١٩٥

مسجد الاقدام : ٢٩٠
مسجد الزمام : ٢٩٠
مسجد عبد الله : ٢٩٠ ، ٣٠٤
مسجد ابن عمرو : ٢٩٠ ، ٣٠٤
مسجد الفقاعى : ٢٩١
مسجد موسى : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٣٥
ابن مسرور : (انظر عبد الواحد بن محمد)
المسعودي : ٩
مسلم بن عبيد الله بن طاهر (أبو جعفر
العلوي) : ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ،
٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٦٤ ،
٣٦٦ ، ٣٧٠
ابن المسيب : ١١٦
مشتول : ٢٧
المصادرة : ٥٠ ، ٦٥ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٦ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ —
٣٤٦ ، ٣٧٦
المطارد : ١٠١
المطالع (كنوز الآثار) : ٢٦٦
المطيع لله (العباسي) : ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
١٣٢ ، ١٧٧ — ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ،
٢٤٠ ، ٢٤٠
المظالم : ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
مظفر بن ذكا : ٣٠
مظفر بن العباسي الجيشاني : ١٧٤
معاوية بن أبي سفيان : ٣٣٣
ابن المعتز : ٤٧

ابن مقلة (الأصغر، على بن محمد) : ١٨٤ ،

١٨٦

المكتفي بالله : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤

٢٥ ، ٥٩

مكة : ٤٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٣٣٣

الملاحاة النهرية : ٢٨٠

ممالك : ١ ، ٨ ، ٣٣ ، ١٢٤

المناظرة : ٥١ ، ٥٢ ، ٧٧

منجج الصقلي : ١٢١

المنصور (العباسي) : ١٠٣

منية الأصبغ : ٧٣

منية شلقان : ٣٧٠

ابن مهران : ٢٨

مهمل العقيلي : ٣٤٠

مهمل بن يموت : ٣٢٤

الموحدون : ١٧٢

المؤذنون : ١٩٧ ، ١٩٨

المؤرخون : ٣٢٦ — ٣٢٩

موسى بن رباح الفارسي (ابو عمران) :

٣١٠

موسى بن طولون : ١٩٨

موسى بن كعب : ١٠٣

الموصل : ٥٧ ، ٨٥

الموفق : ٨٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٥

مؤنس الخادم : ٢٧ — ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤

٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٥ ، ٢٢٩

ميا فارقين : ٢٥٥

(ن)

ناصر الدولة بن حمدان : ٨٥ ، ١٥٨ ،

١٦٣ ، ٣٤٩

النجيري : (انظر ابراهيم بن عبد الله)

ابن النحاس : (انظر أحمد بن محمد)

نحرير شويران : ٣٧٠

النحويون : ٣٢٦

النسيج (صناعة) : ١٨٠ — ١٨٣ ، ٢٧١ ،

٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٤

نصر التلي : ٣٥٥ ، ٣٥٦

نصر الحاجب : ٥٠

نصر (صاحب الشرطة) : ١٧٤

النفي : ٧٧ ، ١٦٨

نقفور (الامبراطور) : ٢٤٠ ، ٣٥٦

النقود (نثرها في الحفلات) : ٣٦٢

النوبة والنوبيون : ٥٥ ، ١٢٧ ، ٢٨٠ ،

٣٥٨ ، ٣٥٩

النوروز القبطي : ٢٥٣

النوشرى : (انظر عيسى بن محمد)

نوفل بن الفرات : ١٠٣

(ه)

هارون الرشيد : ١١ ، ١٣ ، ٨٤ ، ٢٨٧ ،

هارون بن خمارويه : ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٩٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٦

هارون بن محمد بن هارون الأسواني :

٣٠٧

ابن وليد (القاضي عبد الله بن شعيب) :
٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٢٢ ، ١١٢
— ٣١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
٢٢٦ ، ٢٢٤

(ى)

اليحامي : ٢٩٠
يحيى الشيبه (تربيته) : ٢٨٧
يحيى بن بكر بن رجاء المعدل : ١٩٦
يحيى بن الحسن بن الأشعث : ٢٠٦
يحيى بن مكي بن رجاء : ٢١٣
يحيى بن مكي : ٢٢٠
أبوزيد (صاحب الطراز) : ١٨٢ ، ١٨١
يزيد بن حاتم الملهبي : ١٧٢
يعقوب المكنامي : ٣٢
يعقوب بن كلث : ١٦٢ ، ١٧٧ ، ٣١٧ ،
٢٥٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤
العين : ١١ ، ٢٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٨١ ، ٢٩٨
ينال الحاكي : ١٧٣
اليهود : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٣٦
يوسف بن عمر بن أبي عمر (أبو نصر) :
٢٥٨
ابن يونس : (انظر عبد الرحمن بن احمد)

هاشم (الطيب) : ٢٣٩
هرثمة بن النضر : ٣١٠
هلال الصابي : ٩
هلال بن بدر : ٣٤

(و)

الوائق بالله (العباسي) : ٣٠٩ ، ٥٧
الواحات : ١٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣
وادي علاقي : ٢٨٠
واسط : ٣٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥
والي الحرب : ١٢٠
الوراقون : ٣٠٣
الورق (صناعته) : ٢٧٩
ابن ورقاء الشيباني : ١٠٦
الوزارة والوزير : ٥١ ، ٥٠ ، ٨٠ ،
١٥٥ — ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ،
٢٩٨
وستنفلد (F. Wustenfeld) : ٧
وشاح بن تمام : ٣٥٠
ابن ولاد (احمد بن محمد) : ٣٢٦

(١)



(٢)



(٣)



(٤)



(٥)

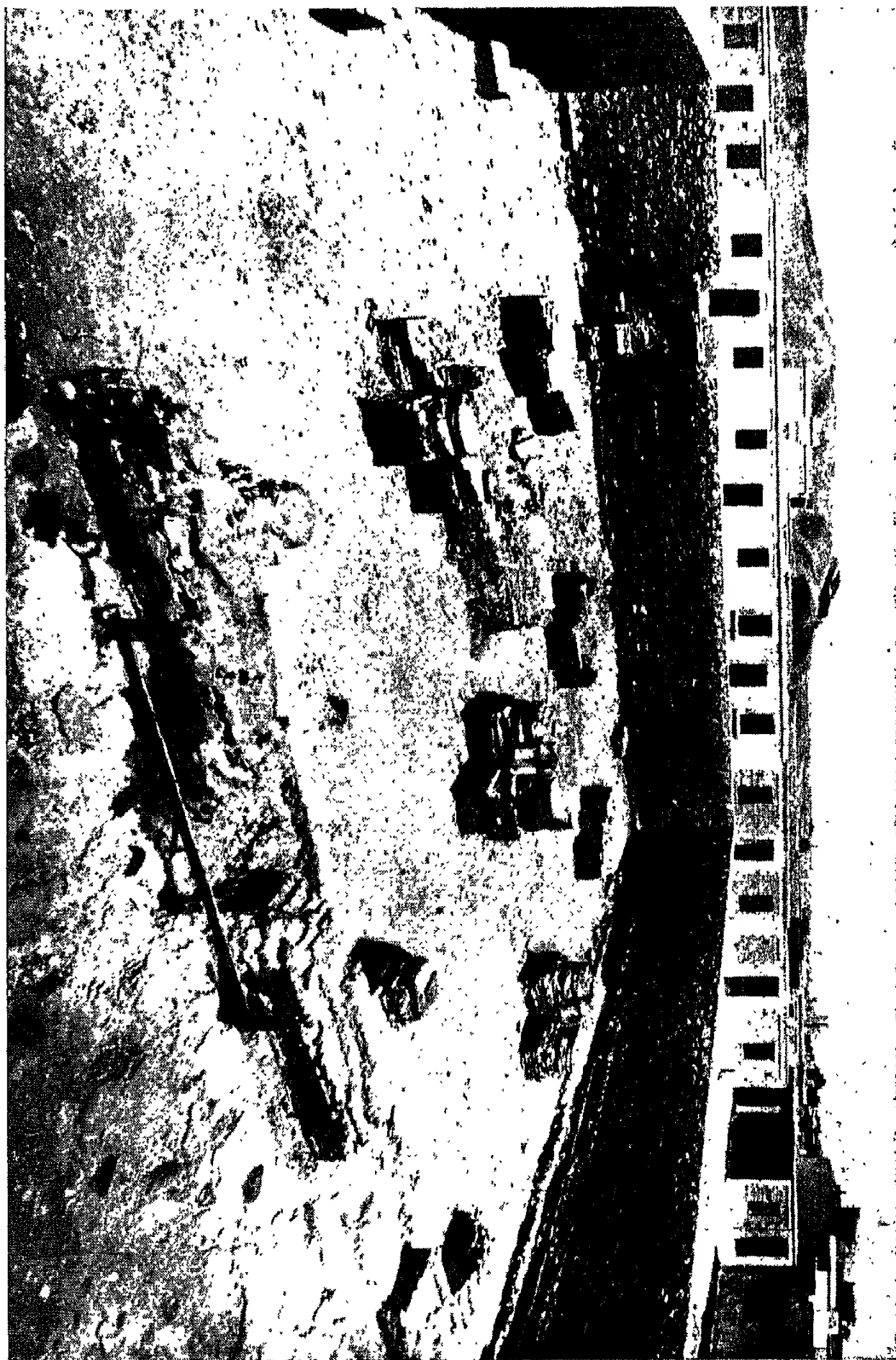


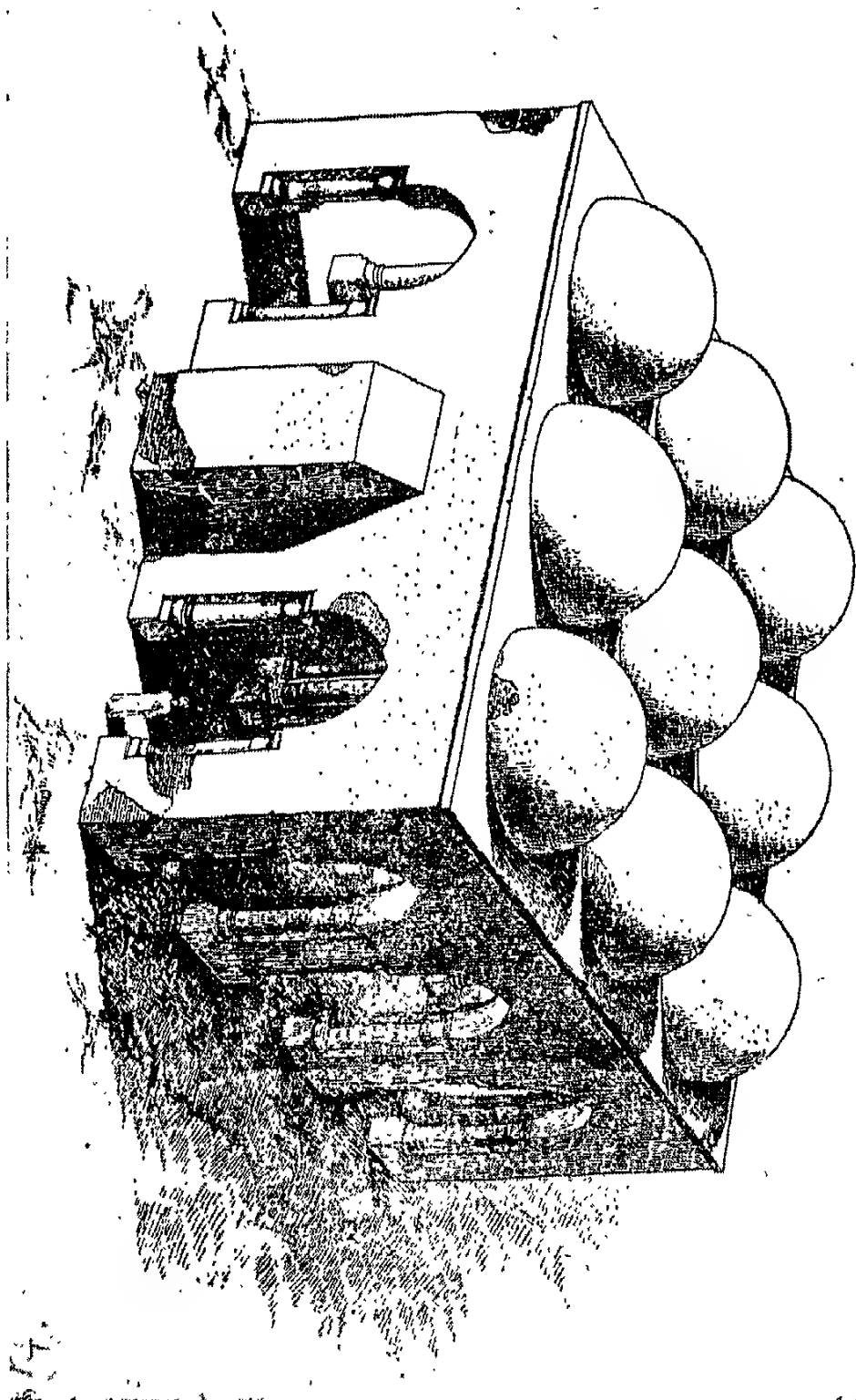
(٦)



سكة من العصر الاخشيدى

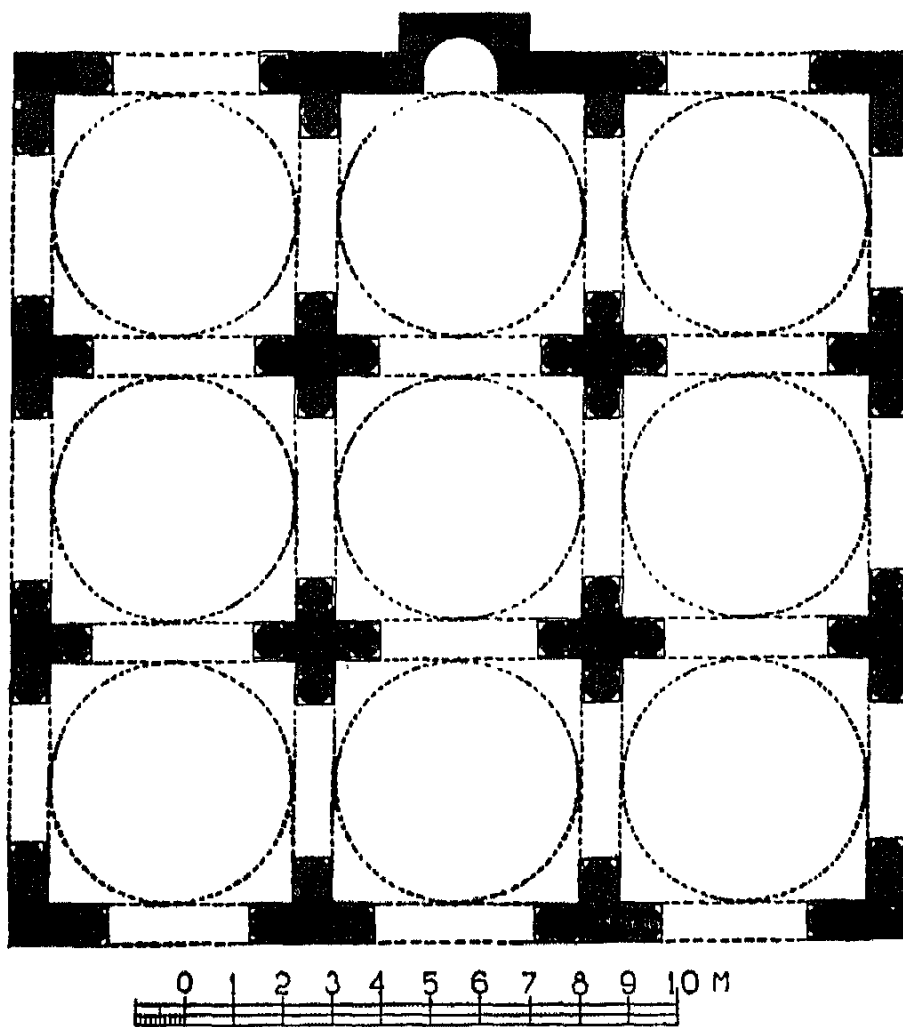
[عن لاثوا]





رسم مكل لشهد آل طباطبا

[عن كريزويل : العمارة الإسلامية في مصر ، تحت الطبع]

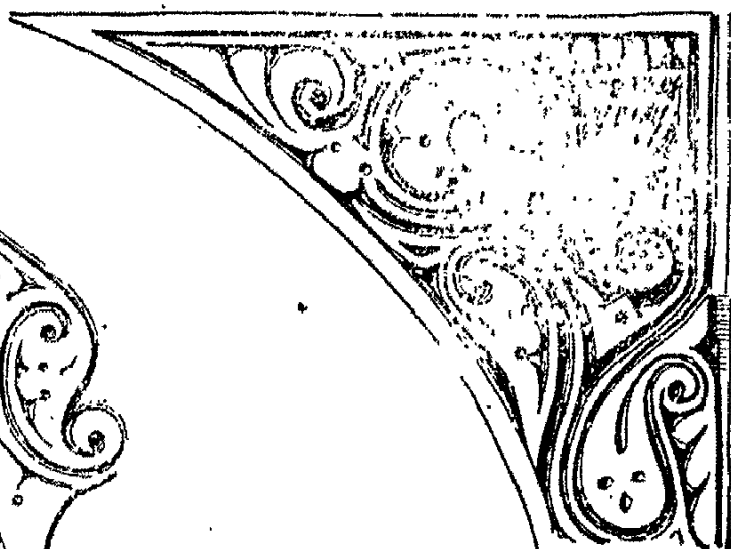
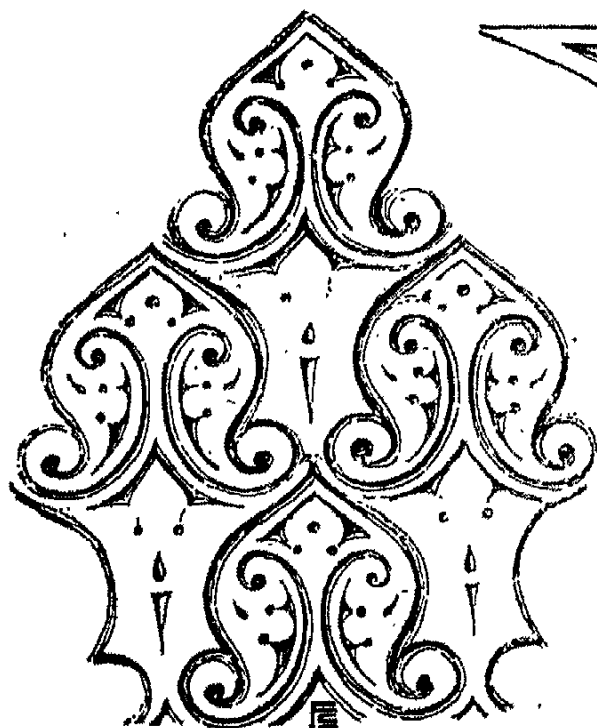


مسقط أفقي لمشهد آل طباطبا

[عن كرزويل : الممارة الاسلامية ، تحت الطبع]



محراب قديم ينسب إلى العصر الأيوبي
[عن كريزويل : العارة الإسلامية في مصر ، تحت الطبع]



زخارف من الجص في محراب قديم ينسب إلى العصر الاخشيدى
[عن كوزويل ، العبارة الاسلامية في مصر ، تحت الطبع]



شاهد قبر من سنة ٣٣٢ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية
[عن ثيت]

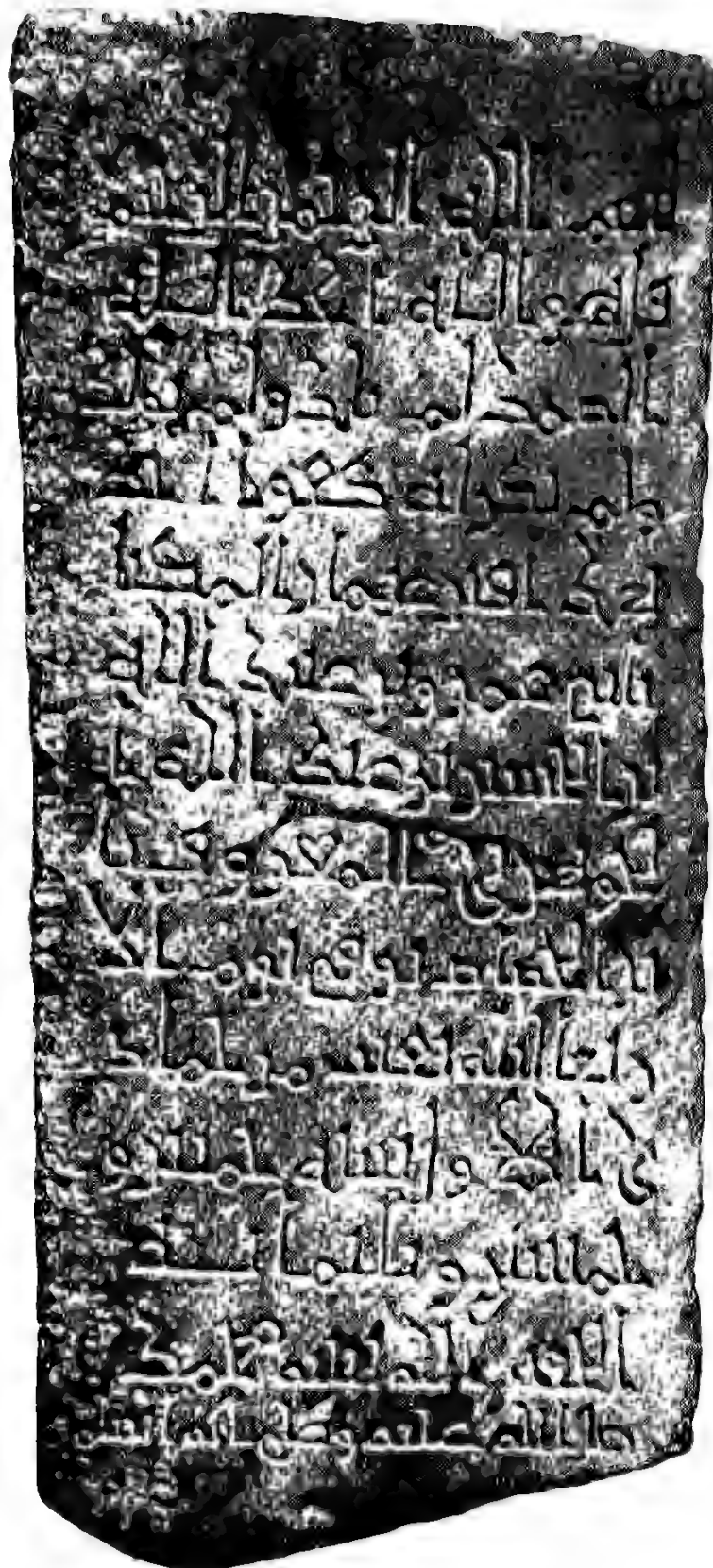


شاهد قبر من سنة ٣٣٣ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية

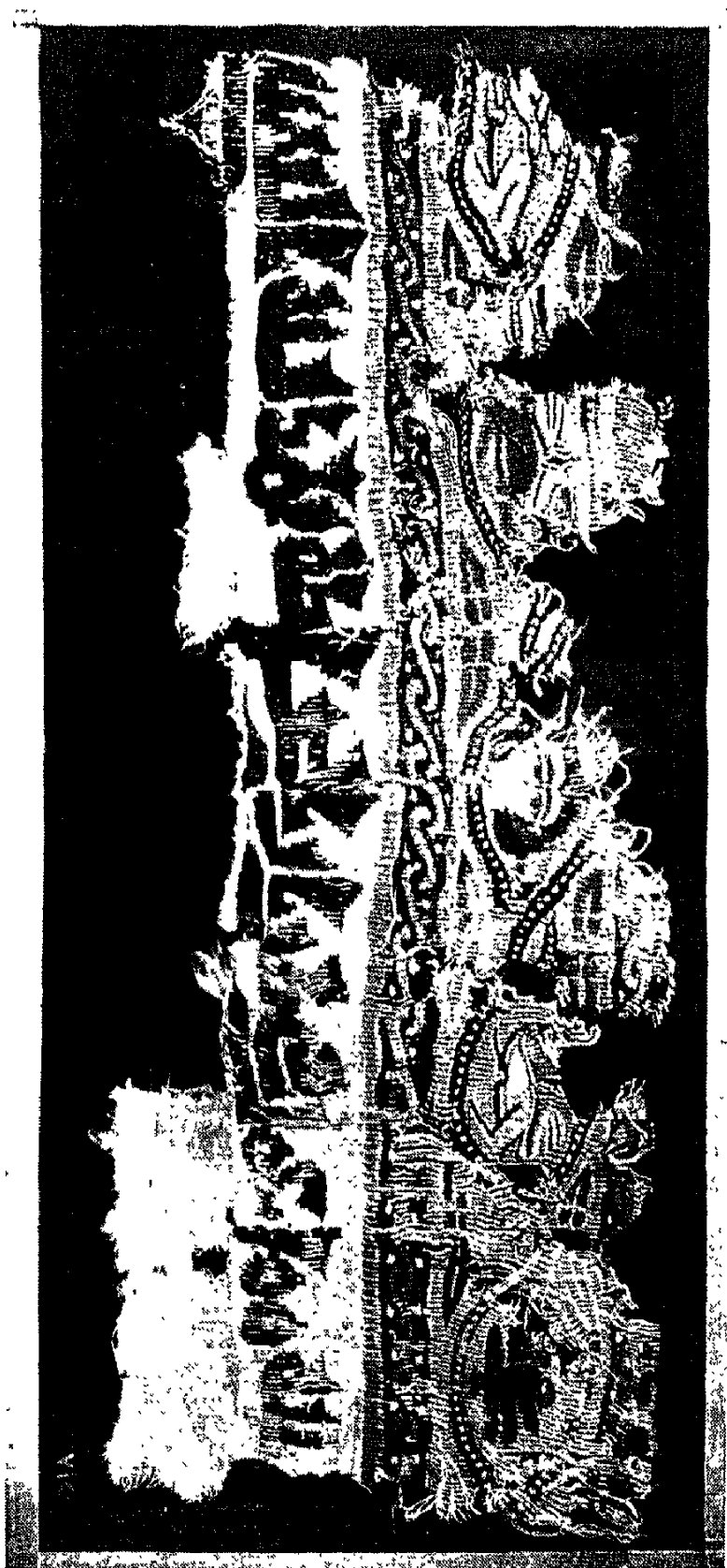
[عن ثبيت]



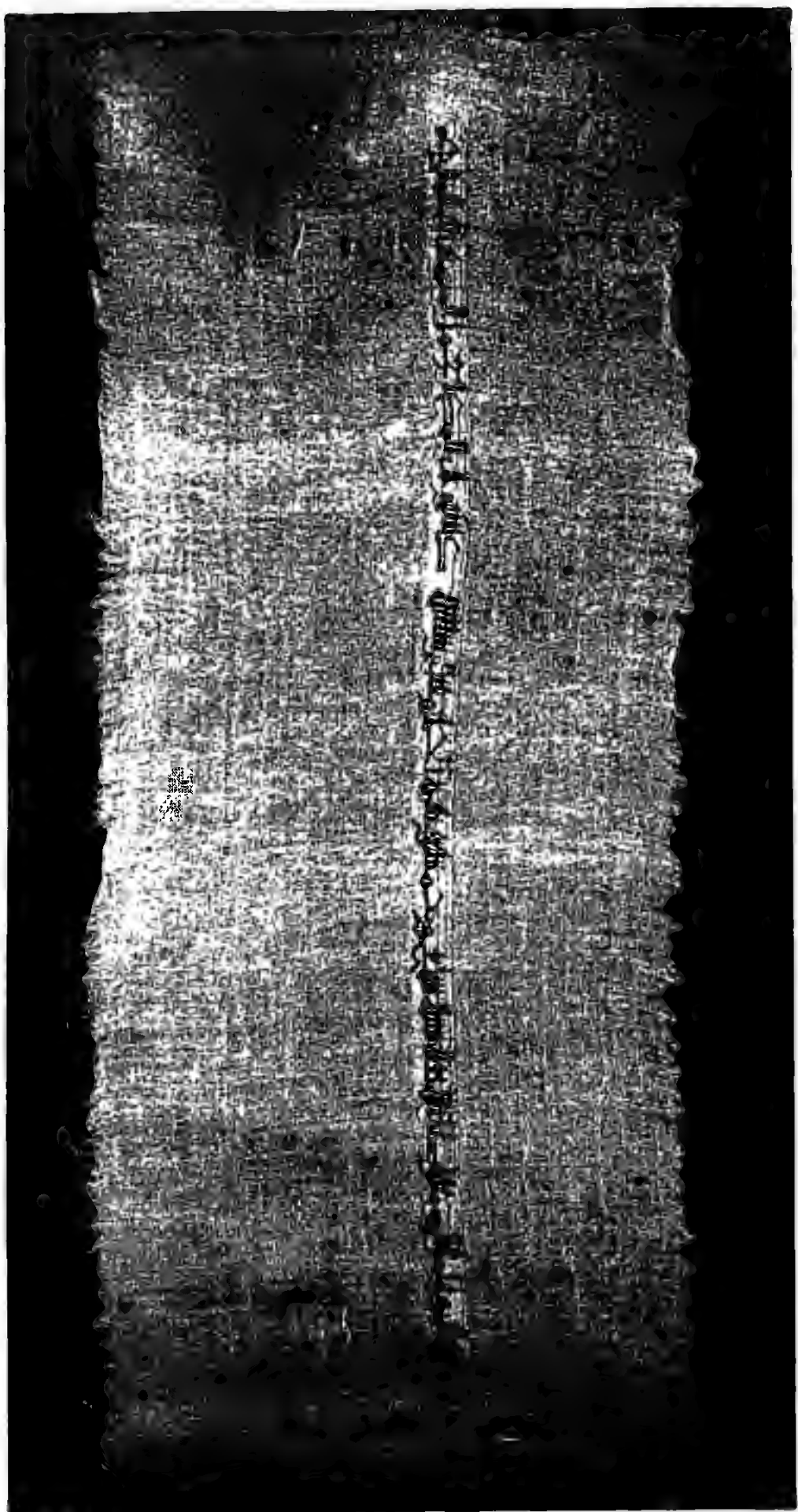
شاهد قبر من سنة ٣٤٥ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية
[عن ثبيت]



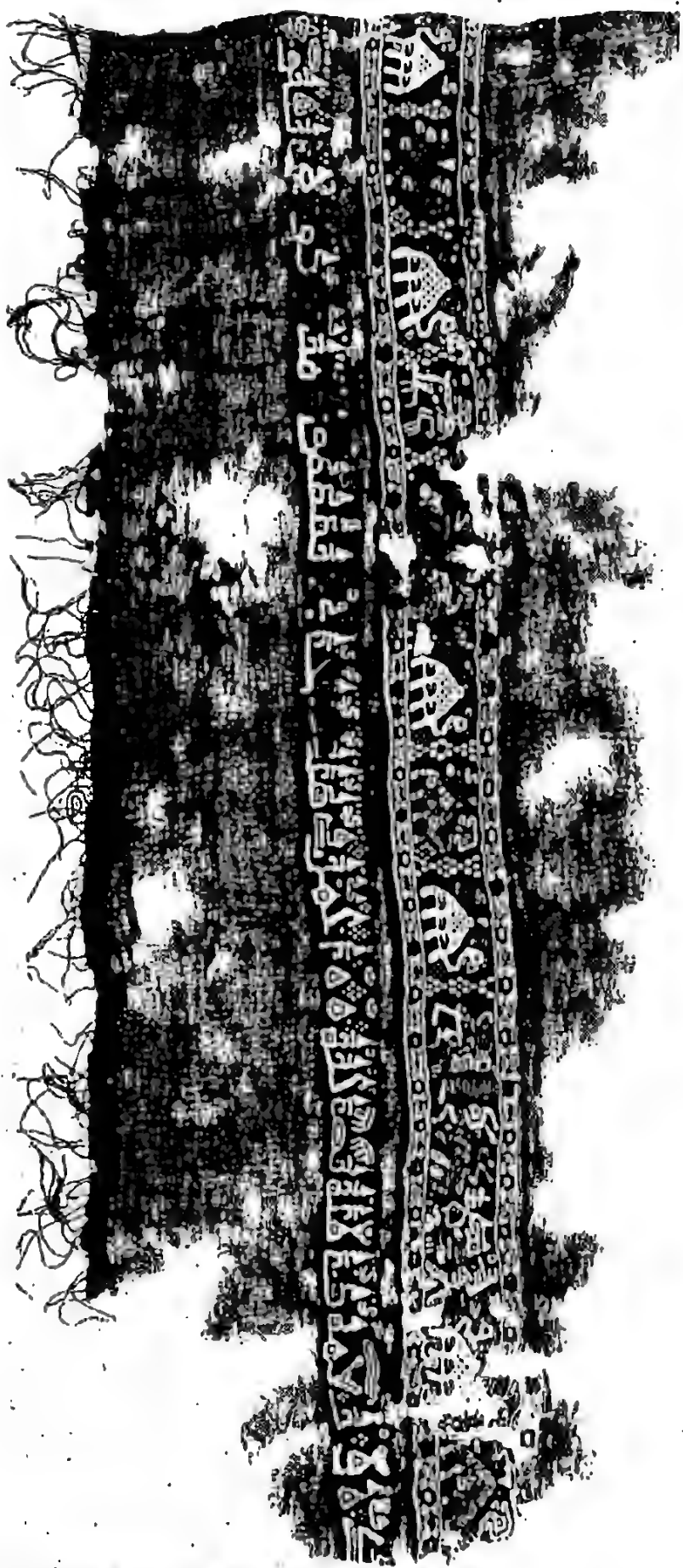
شاهد قبر من سنة ٣٥٥ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية
[عن ثبت]



قطعة نسيج من الصوف والكتان . من صناعة مصر في القرن الرابع الهجري ومحفوطة بدار الآثار العربية
[عن فييت : معرض المنسوجات في جوبلان ، بالفرنسية]

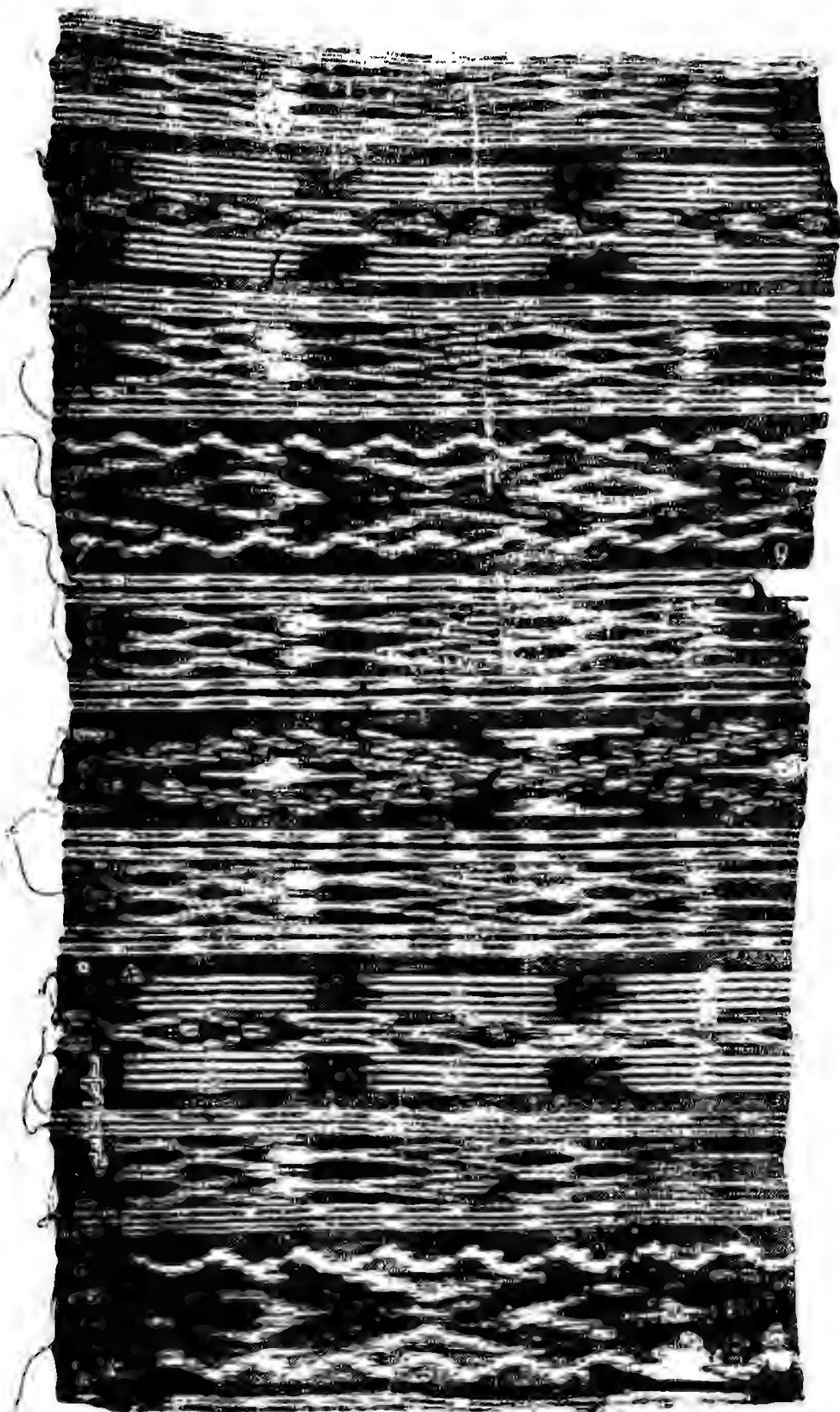


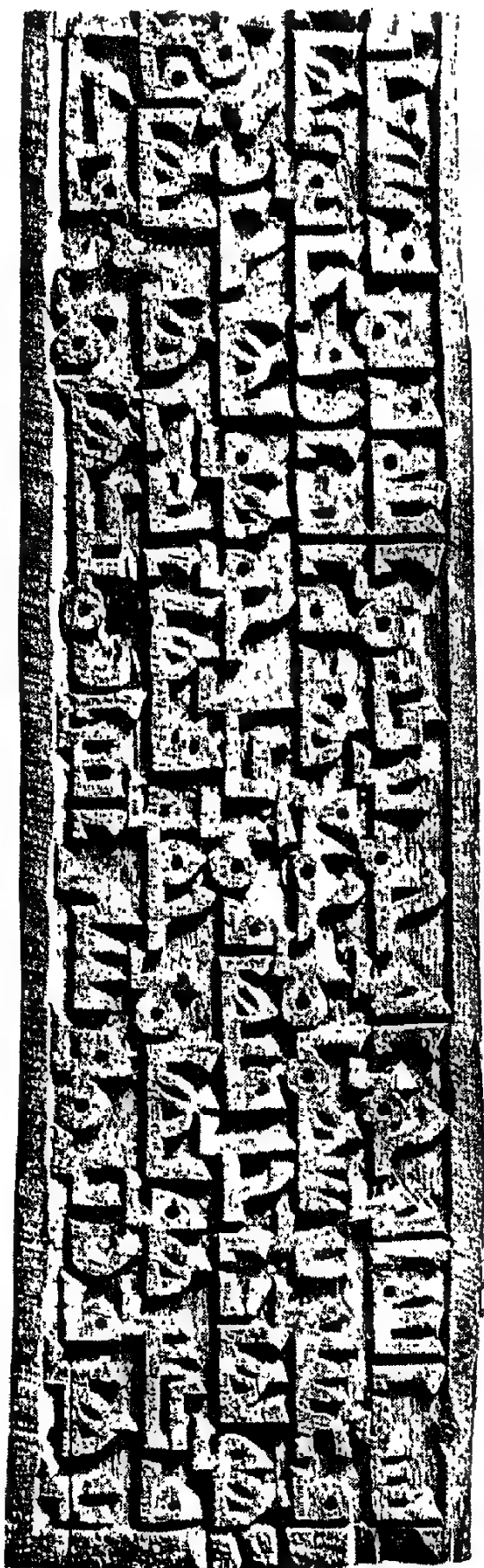
قطعة من النسيج المصنوع في مصر سنة ٥٣٥٧



قطعة نسيج من الكتان والصوف من صناعة الفيوم في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة
[عن زكي محمد حسن : فنون الاسلام]

قطعة نسيج من صناعة اليمن في القرن الثالث أو الرابع الهجري

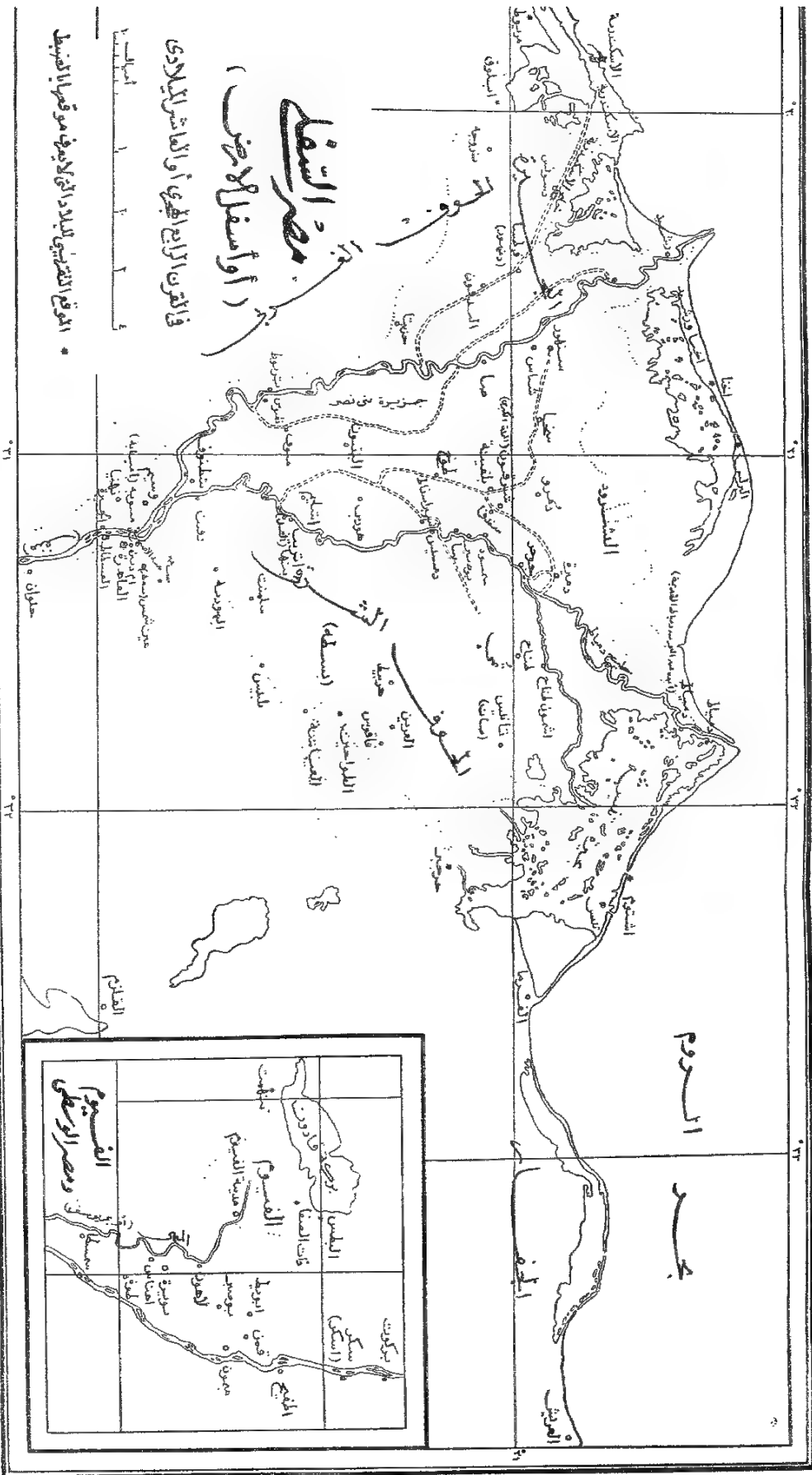




قطعتان من الخشب ذي الزخارف والكلمات المحفورة . من مصر في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة



قطعة من الخشب ذي الزخارف المحفورة . من مصر في القرن الرابع الهجري
[عن زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر]



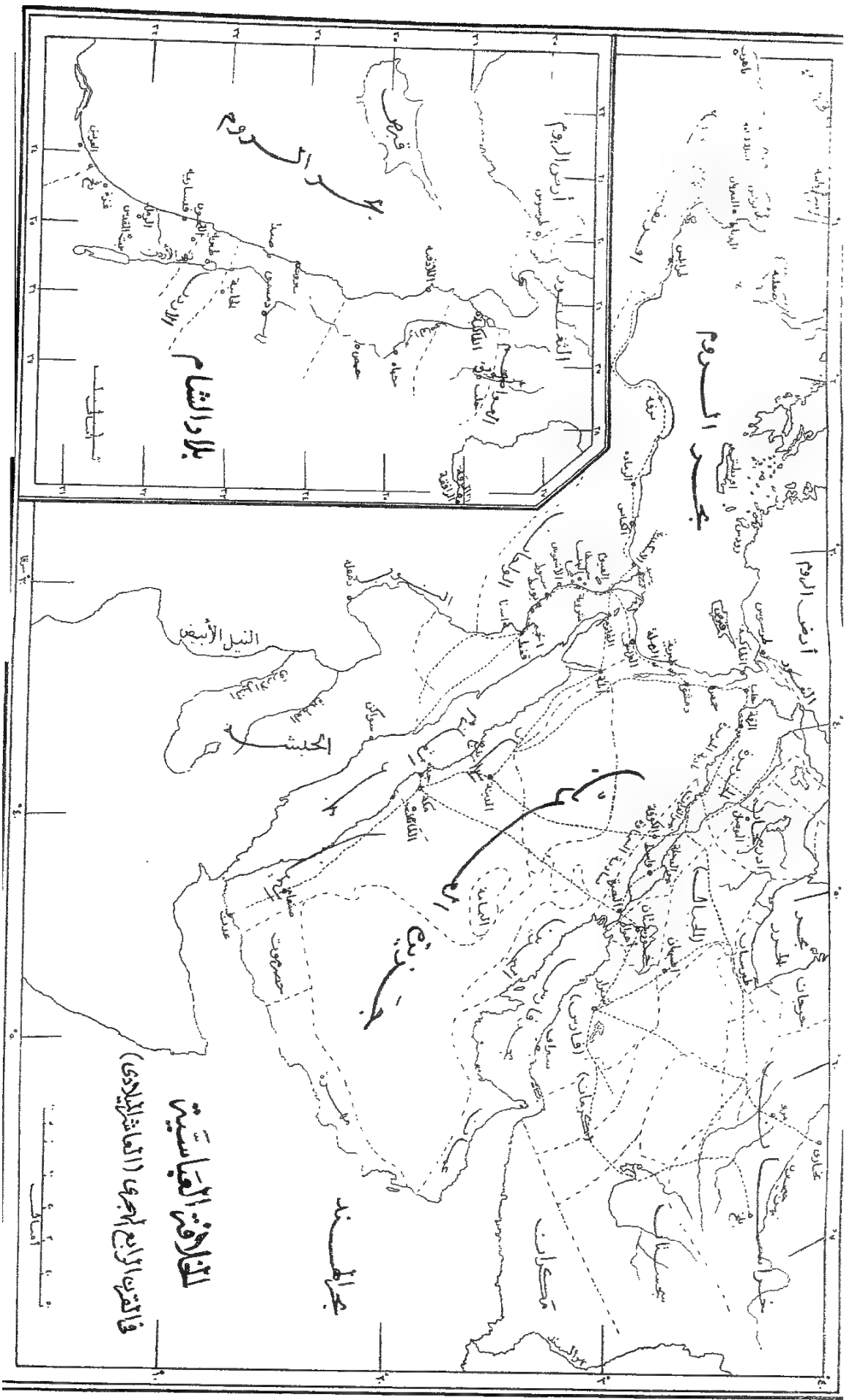
مصر السفلى (أو أسفل الأرض)

في القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي

الموقع التاريخي للبلاد التي لا يعرفها سوى قهرها بالقبيل

عمل محمد بن عبد الله

فلا عن الاستاذ جنت Gues في كتاب الولاية والفضاة للكندي



الخارطة الجغرافية
للفترة الرابع الأجرى (الفاصل الأول)

بحر الهندي

الهند

بلاد الشام

النيل الأبيض

الهند

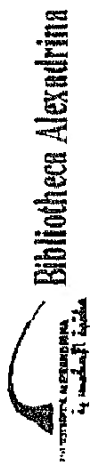
مسافة

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١	الجواهر	الجواهر
١٢	١٨	البرير	البربر
٢٦	٧٥٢	أن تكينا	أن تكين
٢٦	١٨	أن القاسم	أن أبا القاسم
٢٩	١	كانت جمادى الآخرة	كانت في جمادى الآخرة
٣١	١٢	الحسن	الحسين
٥٧	٤	كلامه	كلامه
١٠٦	٢٠	مثله	مثله «
١٢٢	١٤	تصل	يصل
١٥٧	٨	محمد بن كلا	علي بن محمد بن كلا
١٩٤	١٠	الحسين بن عبيد الله	الحسن بن عبيد الله
١٩٥	٥	الرومان	الروم
١٩٩	١٣	إدارة	أداة
٢٠٦	١١	وية	ولاية
٢٢٢	٢٠	Omedroz	Amderoz
٢٢٩	١٠	ولاية	ولاية
٢٦٠	٦	من قبل محمد بن تكين	من قبل تكين
٢٩٨	٣	على يد فائز أمير المؤمنين	على يد فائز مولي أمير المؤمنين
٣٠٧	١٠	فقهاء	فقهاء
٣١٩	٢	ابن سيبويه	سيبويه
٣٢٤	١٠	عبد الله بن محمد	عبيد الله بن محمد
٣٤٥	١	محمد بن كلا	علي بن محمد بن كلا
٣٤٦	١	الحسين	الحسن
٣٥١	٩	وطارد سيف الدولة الاخشيد	وطارد الاخشيد سيف الدولة

تم طبع هذا الكتاب في عهد حضرة صاحب الحلالة
الملك "فاروق الأول" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢ من صفر سنة ١٣٧٠ هـ

محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول



المكتبة
القومية
بـالـقـاهـرة
Bibliotheca Alexandrina



0250854